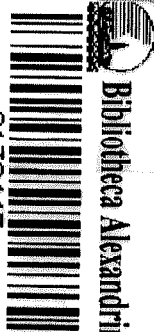


# مصر في فجر الإسلام

من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية

د. سيدة اسماعيل كاشف



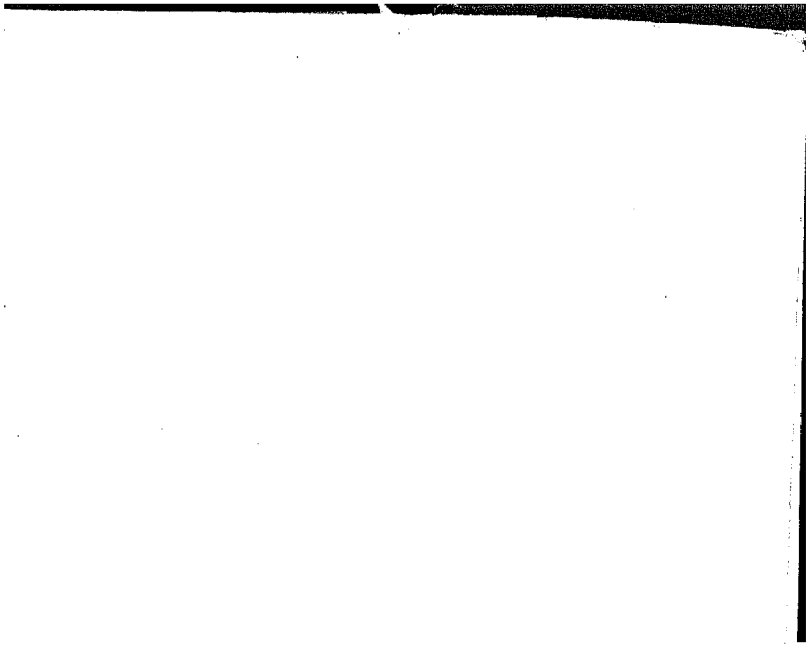
0130443

Bibliotheca Alexandrina





رئيس التصوير  
د. عبد العظيم رمضان



٤٥٦

البرنس -

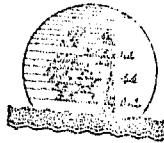
# مِصْرٌ فِي فَجْرِ الْإِسْلَامِ

مِنَ الْفَتْحِ الْعَرَبِيِّ وَقِيَامِ الدَّوْلَةِ الطُّوْلُونِيَّةِ

تأليف

سَيِّدَةُ إِسْمَاعِيلَ كَاشِفٌ

المركز الذي تشتريه لاسكندرية
رقم الترخيص
رقم التسجيل

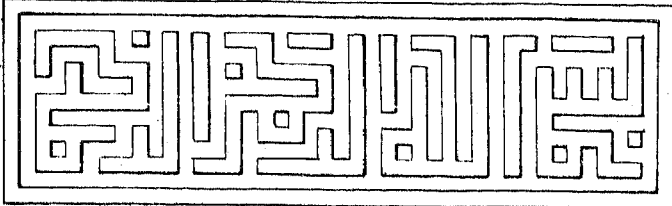


General Organization of the Alexandria Library (مركز)  
Bibliothèque Alexandrine



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٤



## تصدير

إن تاريخ مصر من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية ( ٢٠ - ٨٢٥٤ ) تاريخ طويل ، يبدو غامضاً في كثير من الأحيان . وقد دعاني إلى الكتابة فيه أن المؤرخين لم ينفوا بدراسته العناية الجديرة به ، على الرغم من أن له في تاريخ مصر أهمية خاصة ، إذ تكونت فيه الأسس التي قامت عليها مصر الإسلامية ، وتحوّلت مصر خلال هذه الفترة إلى دولة إسلامية الدين عربية اللغة بعد أن تخلت عن ماضيها القديم ، وأصبحت منذ ذلك الحين إلى وقتنا الحاضر ذات شأن عظيم جداً في الحضارة الإسلامية .

وقد كان لأستاذي الدكتور حسن إبراهيم حسن رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول الفضل في توجيهي إلى دراسة التاريخ الإسلامي فله على ذلك وعلى ما أفدته من علمه وافر الشكر .

ولن يفوتني أن أشكر زوجي الدكتور زكي محمد حسن أستاذ الآثار الإسلامية بجامعة فؤاد الأول ، على ما قدّم لي من عون وإرشاد في تأليف هذا الكتاب ثم في الإشراف على طبعه .

سيرة اسماعيل باشف

حمامات القبة بالقاهرة

٩ من شوال سنة ١٣٦٦ هـ

٢٥ من أغسطس سنة ١٩٤٧ م

## تقديم

يسرني أن أقدم للقارئ العزيز هذا الكتاب الرائد عن «مصر في فجر الاسلام» الذي كتبه الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف، أستاذة التاريخ الاسلامي والعصور الوسطى بكلية البنات - جامعة عين شمس، وإحدى أعلام التاريخ الإسلامي في مصر. وقد سبق لهذه السلسلة أن نشرت للأستاذة الدكتورة ثلاثة كتب في تاريخ مصر الاسلامية، هي مصر في عصر الولاة، ومصر في عصر الإخشيديين، ومصر الاسلامية وأهل الذمة.

والكتاب الذي بين يدي القارئ يعالج في بابه الأول نظم الحكم في مصر، ويتعرض للنظام المالي، والملكية العقارية، ونظام جباية الضرائب، والنقود الاسلامية. كما يتعرض للنظام الحربي، فيتناول الجيش، والبحرية، وتقاليد المسلمين في القتال.

أما الباب الثاني فيتناول موقف مصر من الحركات السياسية والدينية التي ظهرت في الخلافة. فيتعرض للنزاع الذي قام حول الخلافة زمن الخلفاء الأمويين، ودعوة ابن الزبير لنفسه بالخلافة وأثرها في مصر، وأثر النزاع بين الأمين والمأمون في مصر، ثم موقف مصر من المحنة بخلق القرآن.

ويتناول الكتاب فى الباب الثالث انتشار الاسلام والتعريب فى مصر، ويتعرض للقبائل العربية فى مصر واندماجها بالمصريين. كما يتناول فى الباب الرابع حضارة مصر فى فجر الاسلام، فيتحدث عن الزراعة والصناعة والتجارة، ثم يتعرض للحركة العلمية والدينية.

ويختتم الكتاب بخاتمة استعرضت فيها الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف تاريخ وحضارة مصر فى تلك الفترة الهامة استعراضا علميا تحليليا على جانب كبير من الأهمية.

ونظراً لأهمية هذا الكتاب، رأيت إعادة طبعه فى سلسلة «تاريخ المصريين» لإفادة الباحثين والمثقفين والمهتمين بتاريخ مصر الاسلامية. فعسى أن يجد فيه القارئ ما ينشد من متعة وفائدة.

والله الموفق

رئيس التحرير

أ. د. عبد العظيم رمضان



## الفهرس

صفحة

- مقدمة في الفتح العربي ... .. ١ ... ..
- الباب الأول : نظم الحكم ... .. ١٧ ... ..
- ١ - النظام الإدارى ... .. ٢٠ ... ..
- ٢ - النظام المالى ... .. ٣٧ ... ..
- الجزية والزكاة ٣٧ - الملكية العقارية وضريبة الأرض أو  
الحراج ٤١ - ضرائب الصناعة والتجارة ٥٥ - الضرائب  
الأخرى ٥٧ - نظام جباية الضرائب ٥٩ - النقود الإسلامية  
في مصر ٦٥ ... ..
- ٣ - النظام الحربى ... .. ٧٠ ... ..
- الجيش ٧٠ - البحرية ٨٧ ... ..
- ٤ - النظام القضائى ... .. ٩٩ ... ..
- الباب الثانى : موقف مصر من الحركات السياسية والدينية
- التي ظهرت في الخلافة ... .. ١٠٩ ... ..
- ١ - الحركات السياسية والدينية زمن الخلفاء الراشدين ... ١٠٩ ...
- أ - موقف مصر من الثورة التي قامت ضد عثمان بن عفان  
ب - أثر النزاع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان  
في مصر ... .. ١٢٠ ... ..
- ٢ - النزاع الذي قام حول الخلافة زمن الخلفاء الأمويين ... ١٢٩ ...
- أ - دعوة ابن الزبير لنفسه بالخلافة وأثر ذلك في مصر ... ١٢٩ ...
- ب - زوال الخلافة الأموية وأثر ذلك في مصر ... .. ١٣٥ ... ..

١٤٨	إلى قيام الدولة الطولونية	٣ - الحركات السياسية والدينية منذ قيام الدولة العباسية
١٤٨	أ - موقف الأمويين والعلويين في مصر من الخلافة العباسية	
١٥٩	ب - أثر النزاع بين الأمين والمأمون في مصر	
١٧٧	ج - مصر والمحنة، بخلق القرآن	
١٨٢	الباب الثالث: انتشار الإسلام وتعريب مصر	
	العرب والقبط، ١٨٢ - الأقباط والنظام المالي ٢١٥ - القبائل العربية في مصر ٢٥٠	
٢٦٣	الباب الرابع: حضارة مصر في فجر الإسلام	
٢٦٣	١ - الزراعة	
٢٧٢	٢ - الصناعة	
	البناء، ٢٧٣ - المنسوجات ٢٧٩ - الورق ٢٩١ - الخشب ٢٩٣ - الخزف والزجاج والعمادن ٢٩٥	
٢٩٩	٣ - التجارة	
٣١٤	٤ - الحركة العالمية	
٣٣٧	الخاتمة	
٣٥٧	المراجع	
	جدول بأسماء الخلفاء والولاة وعمال الخراج وأصحاب المصنعة	
٣٦٧	والنفقة والبطاركة في عهد الولاة	
٣٨٧	الكشاف	
٤٠١	تصويب	

## مقدمة في الفتح العربي

كانت مصر ولاية رومانية ، ثم بيزنطية منذ انتصار أغسطس قيصر على كليوباترا في موقعة اكتيوم سنة ٣١ ق.م واستيلائه على مصر سنة ٣٠ ق.م وقضائه نهائياً على دولة البطالسة فيها . ولا يهمننا في هذه المرحلة من تاريخها الطويل إلا أنها كانت آخذة في الضعف والانحلال كما أن الإصلاحات التي أدخلت فيها لم تكن لترى إلا إلى غرض واحد : هو تنظيم استغلال البلاد حتى يعم النفع الكثير الأمبراطورية لا السكان الوطنيين .

ولم يدع الرومان وسيلة إلا ابتكروها لاستغلال موارد البلاد إلى أقصى حد ممكن (١) . ولم تختلف مصر في هذه الناحية في العهد البيزنطي (٢٨٤ - ٦٤٠ م) عما كانت عليه في العهد الروماني (٣١ ق.م - ٢٨٤ م) (٢) بل ازدادت الأعباء المالية تمقيداً . ولم يجد أغلب المصريين مخرجاً من هذه الحالة السيئة سوى الفرار إلى المعابد والأديرة وهجر مزارعهم وقراهم ، فانتشرت الفوضى في البلاد وعم الاضطراب جميع المرافق الاقتصادية ولا أدل على ذلك من أن قبح مصر الذي كانت روما تعتمد عليه لإطعام أهلها لم يعد يكفي ، وكان لا بد لها من استيراد قمح أفريقية مضافاً إلى قمح مصر منذ أوائل القرن الثاني وأوائل الثالث الميلادي (٣) . كذلك كان

(١) Johnson : Roman Egypt. vol. 11. p. 484

(٢) Munier : l'Egypte Byzantine. p. 76

(٣) Milne : A History of Egypt Under Roman Rule. p. 60

١٤٨ ..  
١٤٨ ..  
١٥٩ ..  
١٧٧ ..  
١٨٢ ..  
ثل ..  
٢٦٣ ..  
٢٦٣ ..  
٢٧٢ ..  
...  
٢٩٩ ...  
٣١٤ ...  
٣٣٧ ..  
٣٥٣ ..  
...  
٣٦٧ ..  
...  
٣٨٧ ..  
...  
٤٠١ ..

الشعب المصري محروما من الاشتراك في حكم بلاده وكان يعامل معاملة الغلوب على أمره .

ونعرف أن الأمبراطور Septimius Severus (١٩٣ — ٢١١ م) . منح الاسكندرية وعواصم المديرية مجالس «السناتور» أثناء زيارته لمصر<sup>(١)</sup> . ولكن إصلاحه هذا لم يعد على المصريين بالنفع ، فضلا عن أنه لم يكن لهم حق الاشتراك في مثل هذه المجالس ، كان الأمبراطور يرى من وراء هذا إلى تعزيز الوسائل التي تضمن له الحصول على أكثر ما يمكن من الضرائب ؛ وكان عبؤها يقع على كاهل المصريين الوطنيين .

ونعرف أيضا أن الأمبراطور Caracalla (سنة ٢١١ — ٢١٧ م) بمقتضى دستور انطونينيس Constitutio Antoniniana في سنة ٢١٢ م أكل إصلاحات سفروس بمنحه الحقوق المدنية الرومانية civitas romana التي كانت تكسب أصحابها امتيازات كثيرة مادية وأدبية لجميع رعايا الأمبراطورية ما عدا طبقة dediticii ، وهذه الطبقة في مصر كانت تتمثل في السكان الوطنيين<sup>(٢)</sup> .

وفضلا عن ذلك فإن اللغة الرسمية للحكومة منذ عهد البطالسة حتى الفتح العربي كانت اللغة اليونانية<sup>(٣)</sup>

كذلك حرم المصريون من الاشتراك في جيش بلادهم . وقد استسلم المصريون في معظم هذه الفترة ، وثاروا أحيانا أخرى .

وكان من أخطر الثورات تلك التي حدثت في عهد الأمبراطور

(١) Jouguet : l'Egypte Gréco-Romaine. pp. 391—395

(٢) Jouguet : l'Egypte Gréco-Romaine pp. 394—395

(٣) Munier : l'Egypte Byzantine p. 89

ماركوس أورليوس Marcus Aurelius (١٦١ - ١٨٠ م) وتعرف بحرب الزراع ، أو الحرب البوكولية نسبة إلى المنطقة التي كانت تعرف باسم Boucolia في شمال الدلتا<sup>(١)</sup>.

ولكن كان يقضى على هذه الثورات دون هوادة ولم يلبث أن ظهر عامل جديد في الأفق حول الشعب المصري من شعب وديع مسالم إلى شعب عنيد مقاوم ، ذلك العامل هو ظهور المسيحية في مصر وانتشارها فيها . فقد كانت مصر في طليعة البلاد التي تسربت إليها المسيحية في القرن الأول الميلادي ، وأخذت في الانتشار تدريجياً في جميع أنحاء مصر منذ القرن الثاني الميلادي ، إلا أن الأباطرة الوثنيين ناصبوا المسيحية العدا<sup>(٢)</sup> وكان بدء اضطهاد الحكومة لسيسي مصر اضطهاداً منظماً خلال حكم الإمبراطور Septimius Severus (١٩٣ - ٢١١ م)<sup>(٣)</sup> وظلت المسيحية في مصر تلقى اضطهاداً كثيراً وتسامحاً قليلاً إلى أن ولي عرش الإمبراطورية دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م) فبلغ اضطهاد المسيحيين أقصاه . وقابل المصريون ذلك الاضطهاد من جانبهم بكل ما أوتوا من قوة وعناد . وقد تولدت من تلك المقاومة حركة قومية أخذت في النمو فيما بعد . وليس أدل على ذلك من أن الكنيسة القبطية بدأت تعويمها الذي سمته تقويم الشهداء بالسنة الأولى من حكم دقلديانوس (٢٨٤ م) نتيجة لما ترك هذا الاضطهاد من أثر عظيم في نفوس القبط<sup>(٤)</sup>

Jouguet : op. cit. p. 369 (١)

Munier : l'Egypt Byzantine. p. 8 (٢)

Munier : op. cit. p. 8, Milne : A History of Egypt (٣)

Under Roman Rule. p. 128

Munier : op. cit. pp. 9-10, Milne : op. cit. p. 218 (٤)

ولم تلبث المسيحية أن أحرزت نصراً مبيناً لاعتراق الأباطور  
قسطنطين الأول (٣٢٣ - ٣٣٧ م) بها ديناً مسموحاً به ضمن الديانات  
الأخرى في الدولة الرومانية . ثم أصبحت المسيحية الدين الرسمي الوحيد في  
جميع أنحاء الأباطورية الرومانية وذلك في عهد الأباطور تيودوسيوس  
الأول (٣٧٩ - ٣٩٥ م) الذي أصدر مرسوماً بذلك في سنة ٣٨٠ م<sup>(١)</sup>  
ولم يلبث أن حرم العبادات الوثنية في مرسومين أصدرهما سنتي ٣٩٢ و٣٩٤ م<sup>(٢)</sup>  
على أن مصر المسيحية لم تنعم بهذا النصر الذي أحرزه الدين المسيحي إذ ثار  
النزاع والجدل من أيام قسطنطين الأول ، بين المسيحيين . حول صفات  
المسيح وطبيعته . وقد تدخل قسطنطين ومن أتى بعده من الأباطرة في  
هذه المنازعات الدينية البحتة ، وعقدوا من أجل ذلك المجمع الدينية . إلا  
أن أغلب الأباطرة اتخذوا سياسة دينية مناوئة لمتقدات المسيحيين في مصر  
فاحتدم النزاع بين الفريقين ، وبلغ ذلك النزاع الديني بين كنيسة الإسكندرية  
والقسطنطينية أقصاه منذ حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي حينما  
اختلفت الكنستان حول طبيعة المسيح . فذهبت الكنيسة المصرية إلى  
القول بأن للمسيح طبيعة واحدة Monophysite أما كنيسة القسطنطينية  
فقالت بأن للمسيح طبيعتين . وقد دعا الأباطور مرقيان Marcian  
(٤٥٠ - ٤٥٧ م) من أجل ذلك إلى مجمع ديني في خلقدونية بأسيا الصغرى  
سنة ٤٥١ م<sup>(٣)</sup> فأقر ذلك المجمع مذهب الطبيعتين ، وقرر أن مذهب الطبيعة  
الواحدة كفر وخروج على الدين الصحيح ، كما قرر حرمان ديسقورس  
بطرك الإسكندرية من الكنيسة . إلا أن المسألة لم تكن مسألة دينية

Munier : op. cit. pp. 38-39 (١)

Munier : op. cit. p. 37 (٢)

Milne : op. cit. p. 221 (٣)

فحسب ، إذ اتخذ الخلاف الديني في مصر شكلا قومياً<sup>(١)</sup> . فلم يقبل  
ديسقورس Dioscorus ولا تسيحيو مصر ما أقره مجمع خلقدونية وأطلقوا  
على أنفسهم « الأرثوذكسين » ( أى أتباع الديانة الصحيحة ) ، ولا زالوا  
يعرفون بذلك الاسم إلى اليوم ، أما أتباع الكنيسة البيزنطية فقد عرفوا  
بمد الفتح العربي باسم الملكانيين (من الكلمة العربية « ملك ») لاتباعهم  
مذهب الأباطور<sup>(٢)</sup> .

ومنذ ذلك العهد تعرف الكنيسة المسيحية في مصر باسم الكنيسة  
القبطية الأرثوذكسية ، وتعرف أحياناً بالكنيسة اليمقوبية ، نسبة إلى يعقوب  
البرادعي Jacob Baradeus أسقف مدينة الرها المونوفيزيتي في النصف  
الثاني من القرن السادس الميلادي - الذي زار مصر ضمن بلاد الشرق التي  
زارها لتنظيم الكنائس المونوفيزتية - ولكن يصعب أن نجد اسمه ضمن  
الحوليات المصرية لأن الأقباط لم يقبلوا تدخل السوريين في شئونهم الكنسية  
مثلاً تدخلت كنيسة القسطنطينية من قبل<sup>(٣)</sup> .

ومما يدل على أن المسألة الدينية في مصر تطورت إلى مسألة قومية  
أو امتزجت بها ما يذكره ساويرس<sup>(٤)</sup> عن رهبان أحد الأدبرة بأنهم لم  
يحميدوا عن المذهب الأرثوذكسي ولم يقبلوا المذهب الخلقدوني لأنهم مصريون .  
وبمد مجمع خلقدونية وقع المصريون - أبناء الكنيسة الأرثوذكسية  
- تحت اضطهادات الأباطرة . وقد كتب أميلينو<sup>(٥)</sup> Amélineau أن

Munier : op. cit. p. 45. Wiet : Précis de l'hist. (١)

d'Egypte. t. 11 ; p. 116

Munier : op. cit. p. 48 (٢)

Munier : op. cit. p. 63 (٣)

(Patr. Orient, t. 1 ) ; سير الآباء البطارقة ص ٩٨ (٤)

Etude sur le Christianisme en Egypte. pp. 1-2 (٥)

حرمان ديسقورس وطرده من الكنيسة في مجمع خلقدونية كان فاتحة لأساسة عظيمة مثلت أحوارها في منتصف القرن السابع الميلادي وانتهت بزوال سلطان المسيحية من مصر .

وقد فرح المصريون بثورة هرقل ضد الأمبراطور فوقاس Phocas (٦٠٢ - ٦١٠ م) وساعدوا قائده نيقثاس Nicatas الذي وكل إليه الاستيلاء على مصر لقطع الغلة عن القسطنطينية<sup>(١)</sup> .

وفرّح الشعب المصري أيضاً عندما تم تتويج هرقل أمبراطوراً في سنة ٦١٠ م ورحبوا بمقدم جنوده<sup>(٢)</sup> ، ولعل المصريين كانوا يعتقدون أن حكم هرقل (٦١٠ - ٦٤١ م) سيكون أخف وطأة من حكم من سبقه من الأباطرة وأنه سيكون خاتمة للاضطهادات وسفك الدماء .

وما لبث الفرس أن غزوا مصر سنة ٦١٦ م في عهد ملكهم كسرى الثاني<sup>(٣)</sup> وبقوا سادة البلاد ، إلى أن اضطروا للجلاء عنها عندما حارب هرقل بلاد الفرس نفسها سنة ٦٢٩ م<sup>(٤)</sup> .

على أن هرقل بعد أن أنقذ الدولة من الفرس رأى أن ينقذها من الخلاف الديني فأصدر صورة توفيق Mono Thelma تقضى بأن يتمتع الناس عن الكلام في طبيعة المسيح وصفته وأن يعترفوا جميعاً بأن له إرادة واحدة ولم يفظن هرقل إلى أن مذهبه الذي حاول به التوفيق قد ياباه أهل مصر<sup>(٥)</sup> كما أنه وقع فيما وقع فيه جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥ م) من إسناد

(١) بتلر : فتح العرب لمصر ص

(٢) Munier : op. cit. p. 65

(٣) بتلر ص ٦٣

(٤) Munier : op. cit. p. 68

(٥) بتلر ص ١٥٥



الرئاسة الدينية والسياسية لشخص واحد هو قيرس<sup>(١)</sup> الذي يعرف عند مؤرخي العرب باسم القوقس .

وقد أخذ قيرس المصريين بأحد أمرين إما الدخول في مذهب هرقل الجديد، وإما الاضطهاد . وقبل أن يصل هذا الحاكم الجديد إلى الاسكندرية في سنة ٦٣١ م هرب البطرك القبطي بنيامين تومًا لاسيحل به وبطائفته من الشدائد من جراء فرض المذهب الجديد<sup>(٢)</sup> .

وقد قاسى الأقباط جميع أنواع الشدائد من جراء اضطهاد قيرس ، الذي فاق كل اضطهاد، حتى تحول كثير ممن لم يستطيعوا الهرب إلى المذهب الجديد ومنهم بعض الأساقفة . وصعد كثيرون ضده ومن بينهم الأب مينا أخ البطرك بنيامين رغم التعذيب والاضطهاد الذي ناله من جراء ذلك<sup>(٣)</sup> .

ومن ذلك زى « أن سيف قيرس قطع آخر ما كان يربط المصريين إلى الدولة البيزنطية من أسباب الولاء<sup>(٤)</sup> » وتمهد السبيل بذلك لفتح مصر على يد دولة ناشئة قوية ، تلك هي دولة العرب .

فبعد أن أزال العرب تقريباً ملك الأكاسرة في فارس عقب انتصارهم في موقعة القادسية (أواخر سنة ١٦ هـ) ، واستيلائهم على عاصمتهم « المدائن » وبعد استيلاء العرب على بلاد الشام وفلسطين كان لا بد من التفكير في غزو مصر .

---

(١) ساويرس بن الققع : سير الآباء البطاركة ص ١٢٢٦ I . Patr. Orient .  
يقول ساويرس وأنفذ (يعني هرقل والبا إلى أرض مصر يدعى قيرس ليكون بطركاً  
وواليا معاً) و Milne : op. cit. p. 115 .  
(٢) اظفر ساويرس بن الققع : ص ٢٢٦ .  
(٣) ساويرس : ص ٢٢٦ — ٢٢٨ .  
(٤) بطر : فتح العرب لمصر ص ١٧٠ .

ففي سنة ١٨ هـ (٦٣٩ م) عندما قدم عمر بن الخطاب إلى الجابية<sup>(١)</sup> ، للإشراف على آخر ما وصلت إليه الفتوح في بلاد الشام وفلسطين ، تظهر لأول مرة في المصادر العربية فكرة غزو مصر كأنها فكرة طارئة عنت لمعز بن العاص وحسبها للخليفة عمر بن الخطاب<sup>(٢)</sup> . وهذه المراجع تذكر أيضاً أن الفكرة ترجع إلى عمر بن الخطاب نفسه الذي أمر عمرو ابن العاص بالسير إلى مصر<sup>(٣)</sup> ويذكرون أيضاً أن الخليفة عمر بن الخطاب تردد في فتح مصر بدليل أنه قال لعمرو إنه مرسل إليه كتاباً إن أدركه قبل دخوله في حدود مصر رجع ثانية وإن كان قد دخل في حدودها استمر في سيره<sup>(٤)</sup> ، ويقال أيضاً إن عمرو بن العاص خرج سراً إلى مصر مع جيش صغير بدون استئذان الخليفة عمر بن الخطاب<sup>(٥)</sup> .

هذه الروايات وأمثالها ، التي ينسجها مؤرخو العرب ، ربما يقصدون منها أن يضموا هالة من العظمة فوق عظيمة الفتوحات ، ولكن لا يعقل أبداً أن فتح مصر كان بهذه السهولة وبهذا الاستخفاف ، ولا يعقل أن يسير عمرو إلى مصر سراً بدون استئذان خليفة كعمر بن الخطاب . نعم لم

- 
- (١) الجابية : قرية من أعمال دمشق . ( ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣ ) .  
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ( طبعة المعهد العلمي الفرنسي ) ص ٥١ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٦٨ وخط المقيزي ج ١ ص ٣٢٨ وأبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٥ .  
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٥٢ والبلاذري ص ٢١٢ وابن بطريق ج ٢ ص ١٩ وخط المقيزي ج ١ ص ٢٨٩ والنجوم الزاهرة لأبي الحسن ج ١ ص ٦ .  
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٥٣ واليعقوبي ص ١٦٨ - ١٦٩ وابن بطريق ج ٢ ص ١٩ والمقيزي ج ١ ص ٢٨٨ وأبو الحسن ج ١ ص ٦ .  
(٥) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢١٢ وكتاب الولاة للسكندى ص ٧ - ٨ والمقيزي ج ١ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

عمرو بن العاص كان يعمل على الحصول على ميدان جديد يظهر فيه نشاطه ولكن يجب ألا ننسى أن فتح مصر أصبح ضرورة بعد فتح الشام وفلسطين وذلك لتأمين الفتوح الإسلامية بالشام ولتأمين المدينة نفسها مركز الخلافة لأنها قريبة من القازم<sup>(١)</sup>، ولا يبعد أن يرسل الروم حملة من تلك الناحية تنتقم لما حل بامتلاكاتها في الشام. وغالبا ما خضعت مصر والشام في العصور المختلفة لحكم دولة واحدة لأن كليهما يتم الآخر فلا يمكن اعتبار الحدود بين القطرين حداً منيعاً فاصلاً، كما أن كليهما كان يقع على طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب، فكانت تربطهما مصالح تجارية وحرية واحدة. وقد كتب الأستاذ ليون كابتاني<sup>(٢)</sup> Leone Caetani أن ثروة مصر الطبيعية العظيمة حتمت عليها منذ القدم ألا تعيش في عزلة عن بقية العالم ولذا نجد مصير مصر السياسي يرتبط دائماً بمصير الإمبراطوريات والأمم التي تسيطر على البحر الأبيض المتوسط وخاصة على سورية وفلسطين.

والواقع أن العرب لم يجهلوا ثروة مصر حينذاك، خصوصاً وقد جاءها كثير منهم للإبحار في أيام الجاهلية نذكر منهم عمرو بن العاص<sup>(٣)</sup> وعثمان بن عفان<sup>(٤)</sup> والمغيرة بن شعبة<sup>(٥)</sup>، ولا بد أن كثيراً من الأعراب والتجار العرب كانوا يفتدون إلى الصعيد بطريق البحر الأحمر ووديان الصحراء الشرقية حتى أن المؤرخ والجغرافي سترابون قال عن مدينة Koptos فقط

(١) القازم بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي وميم هو السويس الحالية.

(٢) Anali dell'Islam, vol. IV, p. 65

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر (طبعة تورى) ص ٥٣ والسكندی :

كتاب الولاة ص ٦-٧.

(٤) السيوطي: حسن المحاضرة ج ١ ص ٩٢.

(٥) المرجع نفسه ص ٩٩.

في الصعيد أنها مدينة نصف عربية<sup>(١)</sup>

وقبل أن نبين باختصار كيف تم فتح العرب لمصر يجدر بنا أن نذكر أن الجيش البيزنطي في مصر لم يزد عن ٣٠.٠٠٠ جندي ، وكانت تعوزه الوحدة والانسجام كما كانت تنقسمه المنازعات والأحقاد الشخصية . ومع أن الجيش كان تحت رئاسة « سيد جند الشرق » *Magister militum per Orientem* ومقره في القسطنطينية ، لكنه لم يكن له قائد أعلى في مصر بل كان يخضع لخسة قواد كلهم على قدم المساواة . ومما هو جدير بالذكر أن الدولة البيزنطية غيرت سياستها التي اتبعتها في أول الأمر ، وهي عدم تجنيد المصريين في الجيش ، إذ دلت أوراق البردي على أن معظم الجنود في هذا الجيش قبيل الفتح كانوا من الأقباط وأنهم كانوا يجندون إما بالافتراء أو بالتطوع أو بالوراثة وكان لهم بالاشتغال بالزراعة أو التجارة كما كانوا يعملون بالقرب من بلادهم ، وكانت مهمة هذا الجيش الرئيسية هي مساعدة الموظفين في أعمالهم والقضاء على قطاع الطرق وإخماد الثورات الدينية والاشتراك في جباية الضرائب<sup>(٢)</sup> ولنرى الآن كيف تم فتح العرب لمصر .

سار عمرو بن العاص من قيسارية بفلسطين إلى مصر على رأس جيش مكون من أربعة آلاف محارب أو ثلاثة آلاف وخمسمائة<sup>(٣)</sup> في سنة ١٨ هـ

(١) أنظر : Wiet : Art. Kibt. Enclopaedia of Islam vol. 11. p. 991

(٢) Cf. Munier : l'Egypte Byzantine pp. 77 — 78. Wiet : Hist.

de la Nation Egypt. t. IV. pp. 15—16

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ( طبعة المعهد ) ص ١٠١ والبلادري : فتوح

البلدان ص ٢١٢ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٦٨ وخطط القرظي ج ١ ص ٢٨٨

وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٥ — ٦ .

(٦٣٩ م) ، ووصل إلى العريش في أواخر تلك السنة ومنها إلى الفرما<sup>(١)</sup> فلقى أول مقاومة هناك من الجنود البيزنطية استوقفته شهراً ولكنه تغلب عليها في أوائل سنة ١٩ هـ (٦٤٠ م) ، ثم واصل السير متغلباً على ما يصادفه من مقاومات حتى بلغ أم دين<sup>(٢)</sup> حيث نشب قتال شديد بين المسلمين والبيزنطيين الذين تحصنوا في حصن بابليون<sup>(٣)</sup> ، ويظهر أن المقاومة البيزنطية في الحصن كانت على أشدها بدليل أن عمرو استنجد بالخليفة عمر ابن الخطاب فأمدّه بأربعة آلاف رجل<sup>(٤)</sup> ويقال إنه أمدّه بأثنى عشر ألفاً<sup>(٥)</sup>

حاصر العرب الحصن بضعة أشهر وأخيراً اختلقت السفراء بين الروم والعرب وقد أضر العرب على ألا يقبل من الروم إلا الدخول في الدين الإسلامي أو دفع الجزية أو القتال . ولكن الروم المحاربين رفضوا تلك الشروط فاستؤنفت الحرب بين الفريقين ، حتى سلم الروم في النهاية صاغرين وقبلوا دفع الجزية<sup>(٦)</sup> ويقال إن العرب فتحوا الحصن عنوة دون أن يحدث مفاوضات وذلك بفضل بسالة الزبير بن العوام<sup>(٧)</sup> ثم عقد العرب مع المصريين

- 
- (١) الفرما هي مدينة بلوزيم Pelusium القديمة وكانت على ساحل البحر الأبيض وهي شرقي بورسعيد الحالية .
- (٢) في تاريخ حنا القيقوسى ص ٥٥٧ يذكر اسما آخر لها وهو تندونياس Tendounya وهي تقع في شمال حصن بابليون
- (٣) هو الحصن الذى بناه الأمبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧ م) وكان يسميه العرب قصر الشمع أو الحصن .
- (٤) تاريخ حنا القيقوسى ص ٥٥٧ وابن عبد الحكم : فتوح مصر (طبعة المهد) ص ٥٦ وخطط القريرى ج ١ ص ٢٨٩ .
- (٥) ابن عبد الحكم ص ٤٥٥ والقريرى ج ١ ص ٢٨٩ والبلاذرى : فتوح البلدان ص ٢١٣ .
- (٦) خطط القريرى ج ١ ص ٢٩٠ - ٢٩٢ .
- (٧) البلاذرى ص ٢١٣ - ٢١٥ والقريرى ج ١ ص ٢٩٠ .

معاودة أجازها الخليفة عمر بن الخطاب<sup>(١)</sup>

ولم تكن بابليون عاصمة مصر ولكنها كانت أهم مركز فيها نظراً لوقعها على رأس الدلتا وكونها على الطريق الموصل إلى الإسكندرية عاصمة البلاد في مصر الإغريقي الروماني .

وبالرغم من هذا الصلح اشترط القوقس أن لا يبت في أمر الروم نهائياً إلا بعد أن يكتب إلى هرقل بذلك ، فإن قبل الأمبراطور سرى هذا الصلح عليهم ، وإن لم يقبل عادت الحالة بين الروم والعرب إلى ما كانت عليه .

وفيه من هذا أن قبض مصر قد أصبح أمرهم مفروغاً منه بمقتضى هذا العهد بمكس الروم<sup>(٢)</sup> . ولكن جاء جواب هرقل ليوم القوقس ويوجه على تحاذله ويطلب منه أن ينهض هو والروم لمحاربة العرب ، تلك الفئة القليلة ، والأرضوا كالتبطل بالدلة ودفع الجزية للعرب<sup>(٣)</sup> .

وتجمعت حاميات الروم بالإسكندرية لمحاربة المسلمين ، وسار عمرو ابن العاص لمحاصرتها وأخذ في هدم القوامات التي صادفها في طريقه ، حتى وصل إلى الإسكندرية وألقى عليها الحصار . وقد كان البيزنطيون يدركون أهمية الإسكندرية التجارية والحربية والبحرية ، ويعرفون جيداً أنه إن لم يتم استيلاء العرب على الإسكندرية فلا فائدة من استيلائهم على مصر كلها إذ تظل الإسكندرية شوكة في جانبهم . ويقال إن هرقل استعد للخروج

(١) ألبلاذري : فتوح البلدان ص ٢١٣ .

(٢) يطلق مؤرخو العرب لفظ روم على حاميات هرقل كما أنهم يستعملون لفظ قبض مرادفاً للفظ مصريين (Butler : The Treaty of Misr. p. 29)

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها (طبعة المعهد العلمي الفرنسي)

ص ٦٤ - ٦٥ والقريري : خطط ج ١ ص ٢٩٣ .

لمباشرة حرب الإسكندرية بنفسه<sup>(١)</sup> ولكنه مات في ١١ فبراير سنة ٦٤١م (٥٢٠هـ)<sup>(٢)</sup> قبل أن يفعل شيئاً. ويظهر أن مقاومة البيزنطيين في الإسكندرية كانت عنيدة بدليل استبطاء عمر بن الخطاب للفتح<sup>(٣)</sup>، ولا عجب فقد كان الروم مسيطرين على البحر بأساطيلهم وكان المدد يأتي إليهم عن هذا الطريق. ويضاف إلى ذلك أن حصون الإسكندرية كانت منيعة، وكان يحميها من جهة البر القياض والبحيرات وترعة الإسكندرية<sup>(٤)</sup> ولكن ساءت حالة الجيش البيزنطي لتنازع القواد ولا تقسام الرأي الإسكندري أثناء حصار العرب للمدينة<sup>(٥)</sup> كما اضطرت أمور الدولة البيزنطية نفسها بعد موت هرقل. وقد صدق المؤرخ ابن العميد<sup>(٦)</sup> إذ قال: « فوهنت شوكة الروم بموته » إذ ولي الحكم بعد هرقل ابنه قسطنطين وهرقل الثاني ونصبت الأمباطورة مارتينة Martine أم ولده هرقل أو هرقلوناس شريكة لها في الحكم<sup>(٧)</sup> فعملت هذه الأمباطورة على إنهاء الحرب، لانشغالها وساسة البيزنطيين بالفتن الداخلية التي قامت من أجل النزاع على العرش، وصادفت سياستها هوى لدى المصريين وبعض الحكام البيزنطيين المسيطرين على سير الأمور في مصر. ويذكر حنا النقيوسي<sup>(٨)</sup> أن قيرس البطرك الخلقدوني لم يكن هو الذي رغب في السلام وحده وإنما رغب فيه السكان

(١) المقریزی ج ١ ص ١٦٤ .

(٢) بطلر : فتح العرب لمصر ص ٢٦١ .

(٣) المقریزی ج ١ ص ١٦٩ .

(٤) بطلر : فتح العرب لمصر ص ٢٩١ .

(٥) حنا النقيوسي : تاريخ ص ٥٧٠ .

(٦) تاريخ المسلمين ص ٢٤ .

(٧) بطلر ص ٢٦٢ .

(٨) Chronique. p. 573 (A)

والحكام ، ودومنتيانوس Domentianus<sup>(١)</sup> الذي كان موالياً للامبراطورة مارتينه ولذا اجتمعوا واتفقوا مع قيرس على إنهاء الحرب بعقد صلح مع السلين .

ذهب قيرس إلى بابلون — حيث كان عمرو بن العاص قائد جيش السلين — وهناك طلب الصلح فرحب به عمرو وعقد معاهدة يصح أن نطلق عليها معاهدة بابلون الثانية ، تمييزاً لها عن المعاهدة الأولى ، وأن نسميها معاهدة الإسكندرية لأنها كانت خاصة بأهل الاسكندرية وحاميتها . ومن شروط هذه المعاهدة حسب ما أورده حنا النقيوسي<sup>(٢)</sup> أن تمقد هدنة بين الطرفين مدتها أحد عشر شهراً تنتهي في أول شهر يابه ( يوافق هذا التاريخ ٢٨ سبتمبر سنة ٦٤٢ م وأواخر سنة ٦٤١ م ) وفي أثناءها يكف الروم والعرب عن القتال كما يتم جلاء حامية الروم عنها حاملين أمتعتهم وأموالهم . واشترط ألا يعوذ جيش رومي ثانية إلى الإسكندرية ، وألا يستولى السلون على كنائس المسيحيين أو يتدخلوا في أمورهم ، وأن يباح لليهود الإقامة في الإسكندرية . وضمماناً لنفاذ هذا العقد يأخذ السلون ١٥٠ من الجند و ٥٠ من غير الجند كرهائن .

ونلاحظ من شروط هذا الصلح أنه عقد في نوفمبر سنة ٦٤١ م (٦٢٠هـ) . وعقب سقوط الاسكندرية امتد نفوذ العرب تدريجياً إلى سائر الأقاليم في مصر ويجدر هنا أن نلاحظ قلة ما ذكرته المراجع القديمة عن هذا الامتداد والطريقة التي تم بها . ونلاحظ أيضاً أن السبب الذي حمل العرب على فتح مصر لتأمين فتوحاتهم في الشام ، جعلهم يتجهون إلى برقة لتأمين مركزهم

(١) دومنتيانوس هو أحد الحكام البيزنطيين في مصر أثناء فتح العرب لها .

(٢) Chronique p. 575.



في مصر . فزرى عمرو بن العاص - عقب الانتهاء من فتح مصر مباشرة -  
يسير إلى برقة ( انطابلس ) فيفتحها ويفرض عليها الجزية<sup>(١)</sup> ، وفي سنة  
٢٢ هـ غزا عمرو طرابلس ويقال إنه غزاها سنة ٢٣ هـ<sup>(٢)</sup> ، وقد فكر عمرو  
بعد فتح طرابلس في غزو بلاد المغرب كلها ، إلا أن عمر بن الخطاب نهاه  
عن ذلك<sup>(٣)</sup> ، وربما تخوف الخليفة من تفرق المسلمين في بلاد كثيرة ولا  
تثبت أقدامهم فيها بعد .

ويمكننا أن نعتبر فتح برقة خاتمة لفتح وادى النيل كله اللهم إلا إذا  
تذكرنا تأمين الحدود الجنوبية فإن عمراً لم يغفل تأمين هذه الحدود فبعث  
عبد الله بن سعد بن أبي سرح على رأس حملة إلى النوبة في سنة ٢٠ هـ ويقال  
في سنة ٢١ هـ ، إلا أن تلك الحملة لم تستطع عمل شيء إزاء مقاومة النوبة .  
فكتب عمرو إلى ابن سعد يأمره بالجوع<sup>(٤)</sup> وقد عاد عبد الله بن سعد ثانية إلى  
غزو النوبة سنة ٣١ هـ أثناء ولايته على مصر من قبل الخليفة عثمان بن عفان .  
ووصلت حملته إلى دنقلة واشتدت فيها وطأة القتال من الجانبين وانتهت هذه  
الحملة بمقد هدنة بين مصر وبين ملك النوبة عرفت بالبقط<sup>(٥)</sup> كانت أشبه

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر (طبعة توري) ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٧١ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٤) خطط المغربي ج ١ ص ٢٠٠ .

(٥) يقول المغربي في الخطط ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٠ \* البقط ما يقبض من  
سبي النوبة في كل عام ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم : فإن كانت هذه الكلمة عربية  
فهي إما من قولهم في الأرض بقط من بقل وعشب أي نبذ من مرعى فيكون معناه على  
هذا نبذة من المال أو يكون من قولهم إن في بني تميم بقطاً من ربيعة أي فرقة أو قطعة  
فيكون معناه على هذا فرقة من المال أو قطعة منه ، ومنه بقط الأرض . فرقة منها وبقط  
العين فرقة ، والبقط أن تعطى الجبه على الثلث أو الربع ، والبقط أيضاً ما سقط من  
التمر إذا قطع فأخطأ الحرف فيكون معناه على هذا بعض ما في أيدي النوبة ، ولكن =

بمعاهدة سياسية وتجارية بين مصر ومملكة النوبة المسيحية ، إذ كان أهم ما اشترط فيها ألا يعتدى أحدهما على الآخر ، وأن تؤدي النوبة إلى مصر عدداً معيناً من الرقيق كل سنة ، وأن تؤدي مصر إلى النوبة قدرأ معيناً من القمح والعدس وغيره من منتجات مصر كل سنة أيضاً<sup>(١)</sup> .

وينبغي ملاحظة أن فتح مصر النهائي واستخلاصها من أيدي البيزنطيين لم يتم إلا في سنة ٢٥ هـ ( ٦٤٥ م ) إذ غاود الروم المهجوم على الإسكندرية في عهد الإمبراطور قنسطانز الثاني<sup>(٢)</sup> ( ٦٤١ - ٦٦٨ م ) ( ٢١ - ٤٨ هـ ) الذي أرسل أسطولاً كبيراً هدفه إجلاء العرب عن مصر إجلاء تاماً .

وقد تم استيلاء الجيش البيزنطي على الإسكندرية وزحف من بعدها إلى ما يليها من بلاد مصر السفلى ، وبخرج مركز العرب في مصر وكان الوالي إذ ذاك عبد الله بن سعد من قبل الخليفة عثمان بن عفان ولذا نجد أهل مصر يسألون عثمان أن يرسل عمراً لمحاربة الروم لأن له معرفة وخبرة بحروبهم . وقد تم إجلاء الروم عن مصر على يديه واستولى في هذه المرة على الإسكندرية عنوة ثم صالح أهلها كما قتل قائد جيش الروم<sup>(٣)</sup> .

== الأرجح أن كلمة بقط هذه من كلمة Pactum اللاتينية ومعناها عقد أو اتفاق . انظر 150 p : Islamstudien , I C. H. Becker . وقد قيل إنها مصرية قديمة بمعنى عبد . انظر مادة Bakt في دائرة المعارف الإسلامية .

(١) انظر ابن عبد الحكم ( طبعة توري ) ص ١٨٨ - ١٨٩ والسكندی : الولاة والقضاة ص ١٢ - ١٣ والمقريري : خطط ج ١ ص ٢٠٠ .  
(٢) يذكر مؤرخو العرب أن هذه الحملة كانت في عهد قسطنطين بن هرقل ولكنها كانت في الواقع في عهد قنسطانز الثاني خفيد هرقل وابن قسطنطين . أما قسطنطين بن هرقل فقد توفي في مايو سنة ٦٤١ م ( ٥٢٠ هـ ) .

(٣) انظر ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ( طبعة توري ) ص ١٧٥ - ١٧٨ والبلاذري : فتوح البلدان ص ٢٢١ وتاريخ يعقوب ج ٢ ص ١٨٩ والسكندی كتاب الولاة ص ١١ وابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٦٢ والمقريري : خطط ج ١ ص ١٦٧ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٦٦ .

# الباب الاول

## تكم الحكم

يحدد من كز معسر السيامي بمقتضى مصادرة بابلون الأولى التي عقدت عقب استيلاء المسلمين على حصن بابلون سنة ٧٠ هـ (٦٤١ م) . وقد أورد الطبري<sup>(١)</sup> ومن نقل عنه من المؤرخين مثل ابن خلدون<sup>(٢)</sup> والقليشندي<sup>(٣)</sup> وأبي الحسن<sup>(٤)</sup> هذا الصلح ، وهالك نسبه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عمرو بن الماص أهل معسر من الأمان على أنفسهم وولدهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم<sup>(٥)</sup> . لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا يتقص ولا يسأكنهم النوب<sup>(٦)</sup> . وعلى أهل معسر أن يسطرو الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ما جنى لسوتهم<sup>(٧)</sup> . فإن أبي أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم ، وذمتنا عن أبي بريثة ، وإن نقص نهرهم من

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٩

(٢) كتاب العبر وديوان اليتامى والحجر ج ٢ ص ١١٥

(٣) صبيح الأعشى ج ١٣ ص ٣٧٤

(٤) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٤ - ٧٥

(٥) يقصد بهم أراضيتهم الزراعية ويقصد بنهرهم نهر النيل . يقول السعدي في

مروج الذهب ( مائة الفامرة ج ١ ص ٢١١ ) : « وليس في أنهار الدنيا نهر يسمى بحرأ غيرنيل معسر لكبره واستيعاره » ولا زلنا في كلامنا الدارج نطلق على نهر النيل اسم البحر .

(٦) النوب أهل النوبة

(٧) الاموت الاموص

غايتها إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ، ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن أتى واختار الذهب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا . عليهم ما عليهم أملاًنا ، في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما في هذا الكتاب ، عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين ودم المؤمنين . وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً وكذا وكذا فرساً على أن لا يُغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة .

شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه . وكتب وردان<sup>(١)</sup> وحضر . فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح .

زرى من هذا الصلح أن المصريين صاروا أهل ذمة يؤدون الجزية ، وأن قيمة الجزية<sup>(٢)</sup> كانت تتوقف على مقدار ارتفاع أو انخفاض ماء النيل في كل عام ، كما أنها كانت تدفع على ثلاثة أقساط في السنة . وفيما يختص بالروم في هذا الصلح عرفنا في المقدمة أن أمرهم كان معلقاً بموافقة الأباطور ، ولذا ترك لهم عمرو الخياري قبول هذا الصلح . أما أهل النوبة فكانت مسائلهم تختلف عن مسألة الروم إذ كانت النوبة أثناء فتح العرب لمصر مملكة قوية مستقلة وربما كانت الإشارة هنا إلى من كان يقيم في مصر من النوبيين .

(١) وردان مولى عمرو بن العاص وحامل لوائه ( ابن عبد الحكم : فتوح مصر

— طبعة تورى — من ٩٣ )

(٢) نفهم من لفظ الجزية الذي ورد في هذا الصلح أنه يعني الجزية والخراج مما أي جزية الرؤوس والضريبة العقارية ويلاحظ Van Berchem أن كلمة خراج كانت تعني أحياناً جزية الرؤوس وأحياناً تعني ضرائب أخرى تختلف في طبيعتها عن ضريبة الرؤوس والمقار . انظر : M. Van Berchem

ويجدر أن نشير هنا إلى ما يراه بتلر من أن صلح بابليون كان يختص بأهل مدينة مصر (بابليون) لا القطر المصري كله . ويؤيد بتلر وجهة نظره هذه بأنه من عادة العرب عند فتحهم لمدينة مهمة مثل دمشق أو القدس أن يقدوا صلحاً مع أهلها ، كما أنه في الوقت الذي عقد فيه هذا الصلح لم يكن قد تم استيلاء العرب على الصعيد أو الوجه البحري . أما مقدار الجزية التي جاء في الصلح وهو ٥٠ مليون دينار<sup>(١)</sup> فهذا ما يجب استبعاده<sup>(٢)</sup> . ولكن رأى بتلر يخالف ما ذكرته المصادر القديمة التي أوردت نص هذا الصلح إذ ذكرت هذه المصادر أن أهل مصر كلهم قبلوا هذا الصلح ودخلوا فيه . ونحن نوافق بتلر في أن مقدار الجزية الذي ذكر في النص كبير ، بل نستبعد أن يكون قد فرض حتى على مصر كلها ، ولكن هذا الرقم المبالغ فيه ، يرجح أن الصلح والجزية كانا على القطر كله لا على مدينة مصر وقد رأينا أيضاً ما كان لبابليون من الأهمية ، وأنها كانت بمثابة قلب مصر . وعاصمتها الحقيقية ، ولو أن العاصمة الفعلية كانت الإسكندرية . وحوادث التاريخ ترينا أنه إذا سقط قلب الدولة كان ذلك ممناه سقوط الدولة كلها ، مثل سقوط روما سنة ٤٧٦ م الذي كان إيذاناً بسقوط الدولة الرومانية الغربية في أيدي البرابرة ، وسقوط باريس في سنة ١٨٧٠ م الذي كان إيذاناً بسقوط فرنسا في أيدي الألمان .

(١) لم يذكر في نص الصلح إذا كانت الجزية بالدينار أو الدرهم وإنما ذكر الرقم فقط وهو ٥٠ مليون ولكننا نعلم أن العرب كانوا يجبون الضرائب من مصر بالدينار لا بالدرهم (أنظر المقرئى : النقود الإسلامية ص ١١)

(٢) Butler: The Treaty of Misr. pp. 25-26, 47-48

## ١ — النظام الإداري

لما فتح العرب مصر وجدوا بها نظماً قامت منذ أقدم الأزمنة وامت  
وترعرعت في خلال المصور المختلفة ، فقضت عليهم الحكمة السياسية ألا يمسوا  
تلك النظم ، بل أبقوا عليها كما فعل الرومان من قبلهم عندما كانوا يحتلون  
بلاداً راقية في نظمها متقدمة في حضارتها . واكتفى العرب بشغل بعض  
المناصب الرئيسية ، ليشرفوا على الإدارة بوجه عام .

كان الخليفة يعين في مصر والياً يمثله ، ويقال ولاية عمرو بن العاص  
مثلاً أو ولاية عبد العزيز بن مروان ، ويقال للوالى أيضاً « أمير مصر »  
وللدار التي يقيم فيها والى مصر « دار الإمارة » . ونجد في أوراق البردي  
اليونانية اسم آخر للوالى هو سيمبولس <sup>(١)</sup> δυμβουλός .

وكان الوالى يؤم المسلمين في المسجد الجامع في صلاة الجمع والأعياد  
بوصفه نائباً عن الخليفة ، ولذا يطلق عليه أمير الصلاة ، ويقال عن ولايته  
ولاية الصلاة . وإذا كان المسلمون يعتبرون أن إمامة الصلاة مما يختص به  
الخلفاء ، ويطلقون على الخليفة لفظ إمام ، كانت إمامة الوالى في الصلاة  
نيابة عن الخليفة تدل على عظم سلطة الوالى وعلى رئاسته العليا السياسية في  
الدولة . ولم يكن الوالى مسئولاً أمام أحد عن عمله إلا أمام الخليفة . وكان يجمع  
أحياناً إلى سلطته إدارة المالية المعبر عنها بالخراج مما يحمله مطلق التصرف  
في الدولة ، وأحياناً يسند الخليفة عمل الخراج إلى شخص آخر يكون مسئولاً  
أمام الخليفة مباشرة لا أمام الوالى ، وكان هذا يحد سلطة الوالى كثيراً إذ  
يصبح عاجزاً عن التصرف في الأمور المالية كما يشاء . ولذا كان لهامل

الخراج أهمية كبيرة وكثيراً ما يكون منافساً للوالى مع أن الوالى هو رئيس الولاية بالنيابة عن الخليفة . وحسبنا دليل على أهمية عامل الخراج من أنه عندما هزم عمرو بن العاص الروم وطردهم من الإسكندرية سنة ٢٥ هـ أراد الخليفة عثمان بن عفان أن يولى عمراً على الحرب ( أى يوليه على الصلاة ) وأن يولى عبد الله بن سعد على الخراج فقال عمرو « أنا إذا كجاسك البقرة بقرنيها وآخر يجلبها<sup>(١)</sup> ». ورفض ما أراد عثمان بن عفان وترك ولاية مصر .

وتبين أيضاً تلك الأهمية التى كانت لعامل الخراج من أنه بعد وفاة عمرو بن العاص ، عين معاوية بن أبى سفيان (٤٠ - ٦٠ = ٦٦٠ - ٦٨٠ م) أخاه عتبة بن أبى سفيان (٤٣ - ٤٤ هـ) والياً على الصلاة فى مصر وولى وردان الخراج ، ثم خرج عتبة بن أبى سفيان إلى معاوية فى نفر من أهل مصر ، فسأل معاوية الوفد عن عتبة ، فقال أحدهم « حوت يجر يا أمير المؤمنين على بر » . فقال معاوية لعتبة : اسمع ما يقوله فيك رعيتك . فقال : صدقوا يا أمير المؤمنين حجبتنى عن الخراج ولهم على حقوق وأكره أن أجلس فأسأل فلا أقبل فأبخل . فضم إليه معاوية الخراج<sup>(٢)</sup> .

ولم يبلغ مثل رينسا مدى ما وصلت إليه سلسلة عامل الخراج ، هو عبيد الله بن الحبحاب عامل الخراج فى مصر زمن الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ) ، فقد ظل عاملاً على خراج مصر منذ ولى هشام الخلافة حتى خرج إلى إمارة أفريقية فى سنة ١١٦ هـ<sup>(٣)</sup> أو سنة ١١٤ هـ<sup>(٤)</sup> ، وفى

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر - طبعة تورى - ص ٧٨

(٢) ابن عبد الحكم - طبعة المنهد العلمى الفرنسى - ص ٧٨

(٣) المقرئى : خطط ج ١ ص ٢٠٨

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٧٣

خلال هذه المدة تتابع على حكم مصر خمسة ولايات<sup>(١)</sup> ، وقد امتد نفوذه إلى عزل الولاة وتوليهم برضى الخليفة . فزاه عندما تنازع مع الحر بن يوسف وإلى مصر سنة ١٠٨ هـ يكتب إلى الخليفة هشام يشعكبه ؛ وسرعان ما عزل الخليفة الحر عن ولاية مصر ، وولى بدله حفصا بن الوليد على الصلاة ، ولكن عبيد الله بن الجبحاب كتب إلى الخليفة يقول « إنك لم تنزل الحر إذ وليت حفصا » . فجعل الخليفة الاختيار إلى عبيد الله فاختار عبد الملك بن رفاعه<sup>(٢)</sup> . وقد ولى مصر بمد عبد الملك بن رفاعه هذا ، أخوه الوليد بن رفاعه ، (١٠٩ هـ - ١١٧ هـ) ويقول أبو المحاسن<sup>(٣)</sup> : « ولم تطل مدة الوليد هذا على مصر إلا لظروج عبيد الله بن الجبحاب المتولى على خراج مصر منها ، وقد تقدم عزل جماعة كبيرة من المال بمصر بسبب عبيد الله المذكور ، فدير عليه الوليد هذا حتى أخرجه هشام من مصر واستعمله على أفريقية ، فسار إليها عبيد الله بن الجبحاب واشتغل بها عن خراج مصر » . ولعل من أسباب نفوذ ابن الجبحاب أنه كان يمثل سياسة الخليفة المالية أحسن تمثيل .

وكان بيد الوالى أيضا الحرب أى الرئاسة على الجيش فى الولاية ، ولأهمية ذلك كان يقال أحيانا : ولى فلان الحرب كناية عن ولايته لمصر<sup>(٤)</sup> . فوالى مصر كان يشرف على شئون الحامية الموجودة فى مصر ، وكان يقود بنفسه الجيش فى الحملات التأمينية لمصر أو لصد الأعداء عنها ، أو يرسل من يقوده نيابة عنه . ومثل تلك الحملات كانت بوجه خاص فى السنوات الأولى .

(١) الكندى : كتاب الولاة والقضاة ص ٧٢ - ٧٦

(٢) الكندى ص ٧٤ - ٧٥

(٣) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٦٦

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر - طبعة تورى - ص ١٧٨ وطبعة



بعد الفتح ، فقد قاد عمرو بن العاص الحملات لفتح برقة وطرابلس ، كما أرسل عبد الله بن سعد لفتح النوبة ، وكذلك خرج عبد الله بن سعد أثناء ولايته على مصر على رأس الحملات التي سارت لغزو أفريقية والنوبة<sup>(١)</sup> كما غزا الروم في غزوة ذى الصواري . وفي ولاية عتبة بن أبي سفيان (٤٣ - ٤٤ هـ) عندما شكأ قائد رباط الإسكندرية من قلة من معه من الجنود خرج عتبة ورابط فيها وذلك في سنة ٤٤ هـ<sup>(٢)</sup> كذلك خرج الحر بن يوسف في ولايته على مصر مرابطا في دمياط ثلاثة أشهر من سنة ١٠٧ هـ<sup>(٣)</sup> . كما نرى قرة بن شريك يطلب من صاحب كورة كوم اشقاو أن يمجل في إرسال المال الفروض على كورته ليأمر للجند بمطائهم<sup>(٤)</sup> ، ويحده أيضا بهم بالإشراف على الأدوات اللازمة لتنظيف وتجهيز مراب الأسطول وبهم بالمؤن التي يحتاجها بحارة الأسطول<sup>(٥)</sup> كما يشرف على أجور البحارة الذين يخرجون مع الأسطول للغزو<sup>(٦)</sup> .

ولوالى أيضا الإشراف على الشرطة ، وكان مقرها مدينة الفسطاط التي بناها عمرو بن العاص . ولما بنى المباسيون مدينة المسكر التي كانت تقع شمالي الفسطاط عملت شرطة أيضا في المسكر وقيل لها الشرطة العليا<sup>(٧)</sup> ، وربما وصفت بالمليا لأهميتها . وكان الوالى هو الذى يعين صاحب الشرطة كما ورد

(١) الكندى ص ١٢

(٢) الكندى ص ٣٦

(٣) الكندى ص ٧٤

(٤) Grohmann: Arabic Papyri. vol. 111. pp. 12-13. Becker: Neue

Arabische Papyri. Der Islam. 11. pp. 251-252

Bell: Translations of the Greek Aphrodito Papyri. 11. p. 277 (٥)

Bell : op. cit. 11, pp. 375-376 (٦)

(٧) القرزى : خطط ج ١ ص ٣٠٤

في المصادر القديمة ، مثل كتاب الولاية وكتاب القضاة للكندى وكتاب  
النجوم الزاهرة لأبي الحسن . وفي حالات نادرة جدا كان الخليفة هو الذى  
يعين صاحب الشرطة ، ومن ذلك ما كان من الخليفة المأمون حين عين  
صاحب الشرطة بمصر بعد ما قضى على الثورة التى كانت فيها سنة ٨٣١٧<sup>(١)</sup>  
وصاحب الشرطة هذا كان بمثابة نائب الوالى يؤم الناس فى الصلاة إذا مرض  
الوالى ، ويحكم الولاية إذا خرج الوالى من مقر ولايته . فعزى خارجه بن  
حذافة صاحب الشرطة يؤم الناس فى الصلاة أثناء مرض عمرو بن العاص<sup>(٢)</sup> ،  
ونرى عابس بن سعيد المرادى صاحب الشرطة ينوب عن عبد العزيز بن  
مروان والى مصر فى حكم البلاد عند خروجه إلى الخليفة عبد الملك بن مروان  
سنة ٦٧ هـ<sup>(٣)</sup> . ولذا نجد أن صاحب الشرطة كثيرا ما يمينه الخليفة واليا  
على البلاد إذا ما عزل الوالى أو مات أو تنحى عن أمور الولاية . فمثلا كان  
حفص بن الوليد على شرطة مصر قبل إن يلى على صلاة مصر من قبل الخليفة  
هشام بن عبد الملك<sup>(٤)</sup> . وتكاد المراجع العربية لا تذكر شيئا عن أعمال  
الشرطة فى مصر ، ولكن لابد أن الولاية كانوا يمهدون إلى صاحب الشرطة  
بتنفيذ المقوبات التأديبية التى يفرضونها وببشر الأمن فى البلاد ، كما كانت  
وظيفة صاحب الشرطة فى الخلافه نفسها ، ولا بد أنه كان لصاحب الشرطة  
عمال فى العاصمة وفى الأقاليم لتنفيذ أوامره . ونلاحظ أن استتباب الأمن فى

(١) الكندى : كتاب الولاية ص ١٩٢ وأبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٢

ص ٢١٦

(٢) ابن عبد الحكم — طبعه تورى — ص ١٠٥ والكندى ص ٣١ — ٣٢

(٣) كتاب الولاية للكندى ص ٤٩

(٤) الكندى ص ٧٤ — ٧٥

مصر وتطبيق القوانين فيها وتنفيذ الأحكام القضائية ومنع الجرائم ، كل ذلك كان يضمن للخلافة استغلال موارد البلاد على أتم وجه ويضمن لها أكثر ما يمكن من الضرائب . ويظهر أن المصادر القديمة ترجع دائما استتباب الأمن في البلاد إلى الولاة لا إلى أصحاب الشرطة لأن الوالي هو الرئيس الأعلى في الولاية وهو الذي يأمر صاحب الشرطة بذلك ، فثلاثا سمع في عهد ولاية يحيى بن داؤد الخرمي الشهير بابن ممدود والذي يعرف بأبي صالح (١٦٢ - ١٦٤ هـ) أنه لما قدم إلى مصر وجد بها السبل مخيفة ، لكثرة المفسدين وقطاع الطرق ، فأخذ في قمع المفسدين وأبادهم وقتل منهم جماعة كثيرة . وقد بلغ من استتباب الأمن أنه منع غلق الأبواب والحوائث ليلا حتى جعلوا عليها شرائح<sup>(١)</sup> القصب والشباك لمنع الكلاب من دخولها ليلا ، كذلك منع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها وقال : من ضاع له شيء فلي أداؤه ؛ فكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول : « يا أبا صالح احفظها (٢) » .

وبالطبع كل هذه الأشياء لم يرقم بها أبو صالح ، وإنما قام بها صاحب الشرطة وأعوانه ، ولكن الوالي كان هو الأمر الناهي ، وكانت الأحوال في مصر تتوقف على درجة حزمه وشدته أو لينه وضمفه .

كذلك كان أصحاب الشرطة يهتمون بنشر الفضيلة والمحافظة على الأخلاق ، ففي ولاية مزاحم بن خاقان سنة ٢٥٣ هـ نراه يتشدد في نشر الأخلاق الفاضلة وقمع أهل الفساد « ثم التفت إلى أرخوز<sup>(٣)</sup> (صاحب

(١) شرائح جمع شريحة وهي باب من القصب يحمل للدكاكين

(٢) الكندي ص ١٢٢ وأبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٤٤

(٣) في الكندي أرخوز ص ٢١٠

شرطته) وحرصه على أمور أمره بها ، فشدد أرخوز المذكور عند ذلك ومنع النساء من الخروج من بيوتهن والتوجه إلى الحمامات والمقابر وسجن الوثنيين والنواحي (١) .

ومن الوظائف الرئيسية الهامة في تلك الفترة أيضاً وظيفة صاحب البريد ولم تكن تلك الوظيفة قائمة في عهد الخلفاء الراشدين ، إنما بدأتها الدولة الأموية ثم تقدم نظام البريد في عهد الدولة العباسية . ويقال إن معاوية بن أبي سفيان هو أول من وضع البريد لوصول الأخبار بسرعة ، وتبمه في ذلك الأمويون ومن بعده العباسيون ، ولذا نجدهم يهتمون بمهارة الطرق لتقصير المسافات ولوصول الأخبار بسرعة .

وقد وصلت إلينا نقوش معاصرة لعبد الملك بن مروان (٦٥-٥٨٦) ، كشفت بالقرب من بيت المقدس وتشير إلى أوامره بصنعة الأميال (٢) وبمهارة أربعة طرق تخرج من إيلياء (٣) ومن دمشق (٤) . وقد اهتم العباسيون اهتماماً كبيراً بالطرق حتى أصبحت بغداد مركزاً تنتشعب منه الطرق إلى جميع الجهات ، فكانت جميع الطرق تؤدي إلى بغداد كما كانت جميع الطرق تؤدي إلى روما . هذا ، ولم يكن البريد نظاماً يستعمله الشعب إنما كان نظاماً رسمياً حكومياً ، ويظهر أن الخلفاء استعملوا نظام البريد في

(١) أبو الحسن ج ١ ص ٣٣٧

(٢) صنعة الأميال هي مسح الأراضي لوضع حدود على كل مسافة قدرها ميل .

(٣) أيلياء هي بيت المقدس (معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٤٢٤)

(٤) van Berchem, *Materiaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum* ( Jérusalem t. 1; pp. 20, Répertoire Chronologique d'epigraphie Arabe. t. 1. pp. 18-16

أول الأمر لنقل الأخبار بسرعة من مقر خلافتهم إلى الولايات المختلفة ولتلقى الأخبار ثم ما لبث هذا النظام أن تطور واستعمله الخلفاء العباسيون للتجسس على ولاية الأقاليم وعمالها<sup>(١)</sup>. ولم أجد في المصادر القديمة ذكراً لأصحاب البريد الموفدين من الخلفاء إلى مصر اللهم إلا في موضع أو موضعين ، فيذكر الكندي في كتابه الولاية والقضاة أن صاحب البريد بمصر كتب إلى الخليفة المتوكل بأمر يتعلق بأحد الجند<sup>(٢)</sup>، وفي موضع آخر يذكر أن صاحب البريد في مصر في ولاية داود بن يزيد بن حاتم (١٧٤ - ١٧٥ هـ) أراد أن يتدخل في عمل قاضي مصر إذ ذاك أبو الطاهر عبد الملك بن محمد الحرابي فلم يكن من القاضي إلا أن استعفى عن القضاء<sup>(٣)</sup> ويظهر أن إغفال ذكر أصحاب البريد في تلك المصادر راجع إلى أن مهام وظيفتهم كانت تعنى الخلافة وتعنى عمال الخليفة أكثر مما تعنى مصر نفسها .

تحدثنا حتى الآن عن الوظائف الرئيسية التي كانت وقفا على القاضيين ،

(١) كان أبو جعفر المنصور يقول . ما كنت أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعف منهم فليل له يا أمير المؤمنين من هم قال . هم أركان الملك ولا يصلح الملك إلا بهم ، كما أن البريد لا يصلح إلا بأربعة قوائم إن قصت واحدة وهي ، أما أحدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم ، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى ، والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية فإني عن ظلمها غني ، والرابع ثم عض على أصبغة السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة . آه آه قيل له ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال . صاحب بريد يكتب إلى بخبر هؤلاء على الصحة . الطبري ج ٩ ص ٢٩٧ — ويقول قدامه بن جعفر في كتاب الخراج عند كلامه على ديوان البريد ص ١٨٤ — ١٨٥ : « والذي يحتاج إليه في صاحب هذا الديوان هو أن يكون ثقة إما في نفسه أو عند الخليفة القائم بالأسر في وقته ، لأن هذا الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج معه إلى الكافي المتصفح وإنما يحتاج إلى الثقة المتحفظ »

(٢) ص ٢٠٣

(٣) ص ٣٨٤

وستحدث عن وظيفة القاضي في فصل آخر ، وفيما عدا ذلك أبقى الفاتحون معظم الأنظمة الموجودة كما تركوا الوظائف والأعمال في يد أهل البلاد .

وكانت مصر بعد الفتح مباشرة مقسمة إداريا إلى قسمين رئيسيين مصر العليا ، ومصر السفلى . فيذكر ابن عبد الحكم<sup>(١)</sup> أن الخليفة عمر بن الخطاب توفي وعلى مصر أميران عمرو بن العاص بأسفل الأرض<sup>(٢)</sup> ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح على الصعيد . ولسنا نظن أن هذا البعد عن الدقة من ابن عبد الحكم ينقض ما نعرفه من أن عمرو بن العاص كان الرئيس الأعلى وكانت له ولاية مصر كلها . ويذكر الكندي<sup>(٣)</sup> أنه في ولاية حفص بن الوليد الثانية على مصر ( ١٢٤ - ١٢٧ هـ ) جعل على الصعيد رجاء بن الأشيم وعلى أسفل الأرض فهد بن مهدي الحضرمي .

من هذا يتبين أن مصر كانت مقسمة إداريا إلى مصر العليا والسفلى ، وهذان القسمان الرئيسيان كانا مقسمين إلى أقسام أو كور ، ويقال إنه كان بها ثمانون كورة<sup>(٤)</sup> ، وهذه كانت مقسمة بدورها إلى قرى . ولفظ كورة مشتق من الاسم اليوناني *χωρα* كورة التي لم تكن شيئا آخر سوى الأقاليم المعروفة في العهد البيزنطي باسم *pagarchie* أي أن العرب احتفظوا بنظم

(١) فتوح مصر وأخبارها - طبعة توري - من ١٧٣

(٢) أسفل الأرض أي مصر السفلى أو الوجه البحري . وكان مقسما جغرافيا إلى الحوف المشرق شرقي فرع دمياط والحوف الغربي غربي فرع رشيد وبطن الريف بين فرعي رشيد ودمياط ( القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ من ٣٨٠ - ٣٩٠ )

(٣) كتاب الولاية وكتاب القضاة من ٨٤ .

(٤) ابن دقاق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ج ٤ من ٢ والمقرئزي : خطط

البيزنطيين الإدارية وكان على رأس الكورة « صاحب الكورة » وهذا اللقب ترجمة مضبوطة للفظ اليوناني بحار كوس<sup>(١)</sup> παγαρχος فنجد مثلا قوة بن شريك والى مصر زمن الوليد بن عبد الملك (٩٠ - ٩٦ هـ) يرسل كتابا إلى بسيل صاحب اشقوه<sup>(٢)</sup> وفي كتاب آخر يخبر صاحب الكورة بأن يرسل التعليمات الخاصة بدفع الجزية إلى جسطال كورته وإلى موازيت القرى<sup>(٣)</sup>. وهنا مرة أخرى نجد كلمتين غريبتين على اللغة العربية ! فكلمة جسطال هنا بمعنى الموظف المشرف على مالية الكورة أى مندوب ديوان الخراج والأموال ، أما موازيت فمعناها رؤساء أو مشايخ القرى . ويرى الأستاذ جاستون فييت<sup>(٤)</sup> G. Wiet أن كلمة جسطال مقابلة للكلمة البيزنطية أو جستاليوس αγγελιαρχος ، وأن كلمة ما زوت مقابلة للكلمة البيزنطية ميزوتروس μειζοτερος .

ومما سبق تدبين إلى أى حد أبقى العرب على النظم التي وجدوها في البلاد ، بل أبقوا على الأسماء كما كانت من قبلهم . ومع أن مصر كانت مقسمة إدارياً إلى هذه الأقسام ، فقد كانت جميعها تحت سلطة الوالى العليا مباشرة ، ولم يعط الولاة فرصة لعمال الأقاليم للتمكين لأنفسهم وللإستقلال محلياً بأموار إقليمهم ، فكان الحكم في مصر مركزياً إلى أقصى حد ،

Wiet: Précis de l'hist. d'Egypte t. 11, n. 127 (١)

Becker; Neue Arabische Papyri pp. 251-252, Grohmann, (٢)  
Arabic Papyri, vol. III p. 12

اشقوه كانت كورة من كور الصعيد وهى الآن كوم اشقاوين أبو تيج وطهطا في مديرية أسيوط وقد عثر فيها سنة ١٩٠١ م على مجموعة من الأوراق البردية التي ألقت شعاعاً من النور على حكم قرة بن شريك في مصر .

Becker : op. cit. pp. 254. Grohmann, op. cit. p. 17 (٣)

Précis de l'hist. d'Egypte. t. 11; p. 127 (٤)

وكانت اللامركزية ممدومة في البلاد ، فسلكا أن الوالي كان تحت سلطة الخليفة مباشرة ترى الوالي بدوره يضع رؤساء الأقاليم المختلفة تحت سلطته مباشرة . ولقد ألفت أوراق البردي التي كشفت في كوم اشقاو شعاعا من النور على حكم الولاة في مصر ، وخاصة في العهد الأموي ، ويوجه أخص في عهد ولاية قررة بن شريك ( ٩٠ - ٨٩٦ ) إذ عرفنا من تلك الأوراق إلى أي حد كانت تمتد سلطة الوالي في الأقاليم ، فنراه يرسل كتبنا كثيرة إلى عماله يطلب منهم ما يجمع من الضرائب ، وفي الوقت نفسه يطلب من صاحب الكورة أن يعدل بين الناس ولا يفعل شيئا يكرهونه <sup>(١)</sup> ، ثم ترى الوالي يرسل إلى صاحب الكورة يذكر له أن صاحب البريد أخبره بأنه أوقع الغرامة على بعض القرى ويطلب من صاحب الكورة أن يرد ما كان قد عمله حتى يكلمه في هذا الأمر <sup>(٢)</sup> . وهنا مرة أخرى ترى أنه كلما كان للخليفة صاحب بريد يخبره بأعمال الوالي ، كان للوالي أيضا صاحب بريد يخبره بأعمال شمال الأقاليم في مصر . وفي كتاب آخر نجد قررة بن شريك يرسل إلى صاحب كورة اشقوه بشأن أحد الأفراد الذي أعطى مالا لآخر ، ويطلب منه أن ينظر في أمر تسديد الدين الذي لأحدهما على الآخر <sup>(٣)</sup> . ونجد أيضا كتابا لقررة يأمر فيه بالقبض على أحد المجرمين <sup>(٤)</sup> . وفي كتاب آخر نراه يتحدث أجور الصناع الذين يعملون في بناء السفن ولا يترك تحديد ذلك لصاحب الكورة التي منها الصناع <sup>(٥)</sup>

Becker : Neue Arabische Papyri. pp. 247-248, Grohmann (١)

Arabic Papyri vol. III. pp. 3-5

Grohmann : Arabic Papyri. vol. III. p. 28

(٢)

op. cit. pp. 30-31

(٣)

van Berchem : Une Page Nouvelle de l'Histoire d'Égypte. (٤)  
p. 161

Bell : Translations of the Greek Aphrodite Papyri (Der Islam, Band II) p. 271 (٥)



هذه كلها أمثلة تربينا إلى أي حد تغفلت سلطة الوالى فى شئون البلاد المختلفة وحتى فى أمور القضاء الذى كان يعتبر مستقلا، كان الوالى فى أوقات كثيرة هو الذى يعين القاضى ويصدق الخليفة على هذا التعيين. وقد احتاج الوالى تبعا لذلك إلى كتبة كثيرين ليستعين بهم فى تحرير رسائله إلى مختلف الجهات فى مصر وإلى الخليفة نفسه. ولذا نرى فى آخر الكتب التى كان يرسلها الولاية أسماء الكتبة الذين كانوا يحورونها<sup>(١)</sup>، مما يدل على أنه كان بمصر فى ذلك العهد ديوان رسائل أو ديوان إنشاء. ويشير القلقشندى<sup>(٢)</sup> إلى وجود ديوان إنشاء فى ذلك العهد من الفتح إلى بداية الدولة الطولونية، إلا أنه يذكر أنه كان قليل الأهمية فيقول: «لم يكن لديوان الإنشاء بالديار المصرية فى هذه المدة صرف عناية تقاصر عن التشبه بديوان الخلافة إذ كانت الخلافة يومئذ فى غاية العز ورفعة السلطان، ونيابة مصر بل سائر النيابات مضمحلة فى جانبها، والولايات الصادرة عن النواب فى نياباتهم متصاعرة متضائلة بالنسبة إلى ما يصدر من أبواب الخلافة، فذلك لم يقع مما كتب منها ما تتوفر الدواعى على نقله ولا تنصرف المهمة لتدوينه».

وقد كان والى مصر بعد الفتح ومنذ ولاية عمرو بن العاص الأولى عليها يشرف أحيانا على بلاد برقة وما يليها من شمال أفريقية، إذ نجد إشارات كثيرة خلال المصادر القديمة تبين سلطة والى مصر وإشرافه على عمال برقة والمغرب وعلى الجيوش المرسله إلى هناك، فنرى مثلا أن عبد العزيز ابن مروان والى مصر (٦٥ - ٨٦ هـ) يقع سوء تفاهم بينه وبين حسان ابن النعمان الفسائى الذى قدم من الشام ليتولى أمر جيوش المغرب، فيمزله ريولى

Grohmann: op. cit. pp. 5, 8, 13, 20, etc (١)

(٢) صبح الأعشى ج ١١ ص ٢٨

موسى بن نصير أمر المغرب<sup>(١)</sup> . كذلك زى صالح بن علي بن الله العباسي في ولايته الثانية على مصر (١٣٦ — ١٣٧ هـ) يولى أبا عوف على جيوش المغرب<sup>(٢)</sup> .

على أن هذا الإشراف الذي كان لولاة مصر لم يمنع من أن يكون لبرقة والمغرب عاملها وولاتها . ولكن كانت تضم برقة والمغرب أحياناً تحت سلطة والى مصر مباشرة ، فقد جمع لسلمة بن مخلد والى مصر (٤٧ — ٦٢ هـ) أمر مصر والمغرب<sup>(٣)</sup> ، كما امتدت سلطة صالح بن علي في ولايته الثانية على مصر الى المغرب وفلسطين<sup>(٤)</sup> ، ونجد الخليفة أبا جعفر المنصور يضم إلى والى مصر يزيد بن حاتم (١٤٤ — ١٥٢ هـ) برقة بالإضافة إلى مصر<sup>(٥)</sup>

ونلاحظ أن ولاية مصر في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين كانوا من العرب ، ولا عجب فقد كان معظم الوظائف الكبرى في الدولة الإسلامية حينئذ للعرب دون سواهم .

وقد أعطى الخلفاء الأمويون لعالمهم على الولايات قسطاً كبيراً من الحرية ولذا ظهر في الدولة الأموية شخصيات بارزة مثل عمرو بن العاص وزياد بن أبيه والحجاج بن يوسف الثقفي وخالد بن عبد الله القسري وعبد العزيز بن مروان وموسى بن نصير وغيرهم . وفي عهد الدولة الأموية في مصر نجد معاوية يولى عمرو بن العاص صلالة مصر . وخراجها ويجعلها طعمة له بمد عطاء جندها والنفقة على إدارتها ، فظل عمرو من سنة ٣٨ هـ إلى سنة

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٥٢ — ٥٣

(٢) الكندي ص ١٠٢

(٣) الكندي ص ٣٨

(٤) الكندي ص ١٠٢ وأبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٢٨

(٥) الكندي ص ١٠٢ وأبو الحسن ج ٢ ص ٣

٤٣ هـ حين وفاته . ونجد مثلاً مسلمة بن مخلد يظل والياً على مصر خمس عشرة سنة (٤٧ - ٦٢) وتوفى هو وال عليها ، وكذلك عبد العزيز بن مروان يظل في ولايته على مصر حوالي إحدى وعشرين سنة (٦٥ - ٨٦ هـ) وتوفى وهو وال عليها ، وكان عبد العزيز شبه ملك مستقل في حكم البلاد من مقره في القسطنطينية أو لاثم في جلوان التي أمر ببنائها في سنة ٧٠ هـ ، واتخذها عاصمة له على أثر وقوع الطاعون بمصر<sup>(١)</sup> أو على أثر مرضه بالجذام<sup>(٢)</sup>

وفي العصر العباسي يتغير الحال ؛ فالدولة العباسية قامت على أكتاف الفرس ولذا نجد بين ولاية مصر من قبل خلفائها بعض ولاية من عناصر فارسية . وكان آخر وال عربي على مصر عنبسة بن إسحق (٢٣٨ - ٢٤٢ هـ)<sup>(٣)</sup> على أنه ظهر عنصر جديد في الدولة العباسية اعتمد عليه الخلفاء وهو عنصر الأتراك . وقد بدأ الخليفة المتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) سياسة الاعتماد على الأتراك والاستكثار منهم ، إذ رأى فيهم قوماً يجبون القتال والحرب وليست لهم عصبية العرب وليس لهم وطن قديم يريدون إحياءه كالفرس . وسرعان ما تغفل الأتراك في الدولة وأصبحت بيدهم شؤونها الحربية والمدنية . ونجد مصر تتأثر بتلك السياسة أيضاً فيلها ولاية من الترك كان أولهم يزيد بن عبد الله التركي (٢٤٢ - ٢٥٣ هـ)<sup>(٤)</sup>

- (١) الكندي ص ٤٩ وخط المقرئ ج ١ ص ٢٠٩ وأبو الحسن :  
النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٧٣ .  
(٢) أبو صالح الأرمني : كنائس وأديرة مصر ص ٦٦ وسعيد بن بطريق :  
التاريخ المجموع ج ٢ ص ٤٠ .  
(٣) الكندي : كتاب الولاية والقضاة ص ٢٠٢ وخط المقرئ ج ٢ ص  
٢٩٤ وأبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٠٠ .  
(٤) الكندي : كتاب الولاية والقضاة ص ٢٠٢ وأبو الحسن : النجوم الزاهرة

ج ٢ ص ٣٠٨

وأهم ما نلاحظ في حكم مصر في العصر العباسي كثرة تغيير الولاية ، وقد يكون هذا راجعاً إلى بعد مقر الخلافة العباسية ( أعنى بغداد وسامرا ) عن مصر ، فلم يأمن الخلفاء أن يتركوا ولاية مصر في الحكم طويلاً لئلا يطمعوا في الاستقلال بالبلاد . وقد يكون ذلك راجعاً أيضاً إلى ضعف الخلفاء العباسيين الحقيقي بالرغم من مظاهر العظمة الخارجية ، وخاصة منذ عهد المعتصم ، ولذا عني هؤلاء الخلفاء بتولية ولاية كثيرين في مدد متقاربة قصيرة كيلا يتمكن أحدهم من الاستقلال بها أو التمكين لنفسه فيها ، كما استخدموا البريد للتجسس على أعمال هؤلاء الولاية .

على أن ما كانت تخففه الدولة العباسية من استقلال الولاية قد تحقق نتيجة لسياسة الإقطاع التي اتبعتها ، فنجد عهد الخليفة هارون الرشيد ( ١٧٠ - ١٩٣ هـ ) إتبع الخلفاء العباسيون سياسة إقطاع بعض أقاليم الدولة العباسية لبعض الشخصيات على أن يؤديوا مالا معيناً للخلافة . ولا ريب في أن النظام الإقطاعي في الشرق كان يختلف اختلافاً كبيراً عنه في الغرب ، ولعل أكبر فرق بين النظامين الشرق والغربي أن الإقطاع الأوروبي كان يتوارث في أسرة صاحب الإقطاع وفق تقاليد وراثية معروفة أما في الشرق فلم يكن من حق صاحب الإقطاع أن يورث إقطاعه ، كذلك كان السكان في الغرب يقطعون مع الأرض بمكس النظام في الشرق . وقد أقطع الخليفة الرشيد أفريقية ( تونس الحالية ) لإبراهيم بن الأغلب في سنة ١٨٤ هـ<sup>(١)</sup> ، وربما تكون قسمة العالم الإسلامي إلى قسمين إقطاعيين في عهد الخليفة المتتمد ( ٢٥٦ - ٢٧٩ هـ ) الذي عاصره أحمد بن طولون ، والذي قسم الدولة العباسية إلى إقطاعيين : شرقي وغربي ، على أن يحكم القسم الشرقي أخوه الموفق ويحكم القسم الغربي ابنه المفضول إلى الله ، ربما تكون هذه

(١) الطبري ج ١٠ ص ٧١

القسمه قد سبقها قسمة أخرى في عهد الخليفة المأمون ، فيذكر الطبري<sup>(١)</sup> أنه في سنة ٢١٣ هـ ولى المأمون أخاه المعتصم الشام ومصر ، وولى ابنه العباس بن المأمون الجزيرة والشعور والعواصم وقد ثبت المعتصم من الحكام من ثبت وعزل من عزل في البلاد الخاضعة لحكمه . وتدل أوراق البردى على أنه في سنة ٢١٧ هـ كانت الأوامر والرسائل التي تصدر إلى الولاية باسم الخليفة المأمون يذكر فيها اسم المعتصم بجانبه<sup>(٢)</sup> . وقد علمنا من نص « برتوكول »<sup>(٣)</sup> تاريخه ٢١٧ - ٢١٨ هـ أن الأمير المعتصم كتب اسمه بعد الخليفة المأمون مع كيدر الذي كان واليا على مصر في سنة ٢١٧ - ٢١٩ هـ في حين أن كيدر هذا كان الوالى الذى أقامه الخليفة مباشرة<sup>(٤)</sup>.

ولما ولى المعتصم الخلافة ( ٢١٨ - ٢٢٧ ) هـ هذا حدو الرشيد والمأمون . فاقطع أشناس التركي ولاية مصر . وقد علمنا من أوراق البردى أن القائد أبا جعفر أشناس تولى الأمانة على مصر في سنة ٢١٩ هـ من قبل المعتصم ثم أذن له بأن يولى الحكام بنفسه وهذا يدل على مكانة أشناس ، فقد كان يذكر اسمه في خطبة الجمعة مع الخليفة . ومنذ سنة ٢٢٧ هـ كان تحت حكمه دولة تمتد من بغداد إلى آخر حدود المغرب . كما ضربت السكة باسمه الذى نقش على الموازين والمكايل<sup>(٥)</sup> ، وقد ظل أشناس صاحب إقطاع مصر ويمين ولائها من قبله إلى أن توفى سنة ٢٣٠ هـ .

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ١٠ ص ٢٧٩

(٢) جرومان : المحاضرة الثالثة عن الأوراق البريدية العربية ص ١١

(٣) كان درج البردى يتألف من عشرين ورقة ملصق بعضها ببعض وتسمى الورقة الأولى من هذه الأوراق باليونانية Protocol  $\pi\rho\omega\tau\omicron\chi\omicron\lambda\lambda\omicron\nu$  وكانت تشمل على الكتابة الرسمية التي تسمى الآن بالطراز ( جرومان : أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ج ١ ص ٤ )

(٤) جرومان : المحاضرة الثالثة عن الأوراق البريدية ص ١١

(٥) جرومان : المحاضرة الثالثة عن الأوراق البريدية العربية ص ١٢

ثم أعطى الخليفة الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) مصر لإيتاخ التركي إقطاعاً له<sup>(١)</sup> ولم تقتصر سلطة إيتاخ على مصر، بل نرى الخليفة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) يفوض إليه في سنة ٢٣٤ هـ أمر الكوفة والحجاز وتهامة ومكة والبدية مضافاً إلى مصر<sup>(٢)</sup>. ولكن لم يلبث المتوكل أن أمر بالقبض على إيتاخ في المحرم سنة ٢٣٥ هـ وأقطع مصر ابنه وولى عهده المنتصر<sup>(٣)</sup> الذي ظل يولى ولاية مصر إلى أن توفى المتوكل، وولى المنتصر الخلافة (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ). وفي سنة ٢٥٤ ولى ابن طولون بالنيابة عن باكباك التركي صاحب إقطاع مصر<sup>(٤)</sup> على أن سياسة إقطاع الأتراك ولاية مصر أدت إلى نتيجة لم تكن في الحسبان. إذ كان هؤلاء القواد الترك يؤثرون البقاء في عاصمة الخلافة خشية أن تدبر ضدهم الدسائس، كما كان الخليفة نفسه يرحب ببقائهم في العاصمة خوفاً من أن يستقلوا بالبلاد التي كانوا يحكمونها فكان هؤلاء الأتراك لا يحكمون بأنفسهم بل يستخلفون من يقوم بالأمر نيابة عنهم على أن يحمل إليهم هؤلاء النواب الأموال ويدعون لهم على المنابر كما يدعى للخليفة<sup>(٥)</sup>.

وتدل الوثائق البردية على أنه كان يدعى للخليفة وللوالى معاً في خطبة الجمعة<sup>(٦)</sup>. وإذا كان الخلفاء يراقبون أصحاب الإقطاع لئلا يستقلوا بالبلاد، فإنه لم يكن في استطاعتهم أو لم يدر بخلداهم أن يراقبوا نوابهم، ولم يكن من المسير على نائب والٍ له شخصية بارزة وله آمال واسعة أن يستقل بأمر البلاد بعد أن تطرق الضعف إلى مركز الخلافة نفسها. وهذا ما حدث في عهد أحمد بن طولون الذي استقل بمصر عن الخلافة وأسس بها دولة مستقلة عرفت باسم الدولة الطولونية كانت أول دولة مستقلة في تاريخ مصر الإسلامية (٢٥٤ - ٢٩٢ هـ = ٨٦٨ - ٩٠٥ م).

- (١) أبو الحسن: النجوم ج ٢ ص ٢٥٥ (٢) أبو الحسن ج ٢ ص ٢٧٥
- (٣) أبو الحسن ج ٢ ص ٢٧٨ (٤) القرظي: خطط ج ١ ص ٣١٣
- (٥) الدكتور زكي محمد حسن: مصر والحضارة الإسلامية ص ٤
- (٦) جرومان: المحاضرة الثالثة عن الأوراق البردية العربية ص ١٢

## ٢ - النظام المالى

### الجزية والزكاة

قبل أن نبدأ بتفصيل الكلام على النظام المالى للعرب فى مصر يجدر بنا أن نشير أولاً إلى معنى الجزية والخراج . فالمعروف أن الجزية هى الضرائب المفروضة على الرءوس أما الخراج فهو ضريبة الأرض ، ولكننا كثيراً ما نجد فى المراجع خلطاً بين هاتين الضريبتين فنرى الجزية تعنى ضريبة الرءوس وضريبة الأراضى معاً . ويلاحظ Van Berchem<sup>(١)</sup> أن كلمة خراج يقصد بها الضريبة العقارية ، وأيضاً جزية الرءوس ؛ وأحياناً تطلق على ضرائب أخرى تختلف فى طبيعتها عن هاتين الضريبتين .

بعد فتح العرب لمصر ، وأعطى هنا بعد معاهدة بابلليون الأولى ، فرض العرب على أهل مصر الجزية ، وهاك نص ما ذكره المؤرخون . « فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها<sup>(٢)</sup> من القبط دينارين عن كل نفس شريفهم ووضعهم ومن بلغ الحلم منهم ، ليس على الشيخ القانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا على النساء شىء ... وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض عليهم الديناران رفع ذلك عرفاؤهم<sup>(٣)</sup> بالأيمان المؤكدة ، فكان جميع

(١) la Propriété territoriale et l'impôt p. 21

(٢) أعلاها وأسفلها أى الوجه القبلى والوجه البحرى

(٣) العريف : العالم بالشىء ومن يعرف أصحابه والجمع عرفاء . ويذكر De Sacy

أن العريف معناها كاتب وهى القابلة للكلمة اليونانية جرافس أى كاتب

Sur la Nature et les Révolutions du droit de propriété p. 179

من أحصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما أحصوا وكتبوا ورفضوا أكثر من ستة آلاف ألف نفس وكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف دينار في كل سنة<sup>(١)</sup> .

هذا فيما يتعلق بالجزية التي فرضت على أهل النوبة في مصر كما ذكرها بعض المؤرخين . ويذكر البلاذري<sup>(٢)</sup> في رواية له عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه وضع على كل حالم دينارين جزية إلا أن يكون فقيراً . ولا نفهم من هذا النص إذا كان الفقراء قد أعفوا من الجزية أم قدرت عليهم جزية أقل من غيرهم . أى أنه إذا استثنينا النص الذى ذكره البلاذري بأن الفقراء لم يدفعوا الدينارين نفهم مما ذكره المؤرخون أن المصريين تساوا في دفع الجزية . ولكن لو كان العرب عاملوا أهل النوبة في مصر على هذا الأساس لثار عليهم المصريون من أول الفتح ، وكان العرب قد عادوا بذلك إلى تعسف الحكم الرومانى والبيزنطى الذى كان يعنى ذوى النفوذ والثراء من الأعباء المالية أو من أغلبها بينما يقع عبؤها على الطبقات الفقيرة من السكان . كما أن هذا لا يتفق والإسلام الذى يدعو إلى الإنصاف والمدل ، كما لا يتفق وسياسة العرب الحكيمة ، التى كانت ترى إلى التحجب إلى أهل البلاد وإلى توطيد سلطانهم فيها ليس بقوة السيف وإنما بحسن السياسة .

وقد أثبتت أوراق البردى فساد الرأى الذى يقول بمساواة الادميين فى دفع الجزية وأثبتت أن الجزية كانت تتناسب مع ثروة الشخص . ففي كتاب من قرة بن شريك إلى صاحب كورة أشقوه مجده بأمره بأن يرسل

(١) ابن عبد الحكم (طبعة المهد الفرنسى) ص ٦٣ - ٦٤ وخط القرزى

ج ١ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ والسيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٥١

(٢) فتوح البلدان ص ٢١٤



كشفاً بالأماكن المختلفة لمعرفة عدد الرجال في كل مكان ، والجزية الواجب عليهم أداؤها وما يملكه كل رجل من الأراضي وما يقوم به من الأعمال . ويطلب من صاحب الكورة ألا يوجد أى مجال للشكوى أو الاستياء منه ويذكره بأنه مصمم على مكافأة من يسير سيراً حسناً ومعاينة من يتنكب عن طريق المدل<sup>(١)</sup> ونحن نرى من هذا الكتاب أنه لو كان كل فرد يدفع جزية مساوية لما يدفعه الآخر لما طلب والى مصر كشفاً بما يملكه كل شخص وما يقوم به من عمل وبالجزية الواجبة عليهم ، ولما طلب من صاحب الكورة أن يكون عادلاً في عمله ، ولما هدده إذا هو لم يتبع طريق الحق أو أوجد أى مجال للشكوى أو الاستياء من جانب أهل كورته ، ولا كفى الوالى بمعرفة عدد رجال كورته وبذلك يعرف الجزية الواجبة عليهم . وفي كتاب آخر بحث به قرّة بن شريك نراه يطلب من صاحب الكورة أن يعدل في تقدير الضرائب الواجبة على كل فرد وأن يسهل عليهم الاتصال به كي يسمع ما يقولون<sup>(٢)</sup> .

وقد حفظت لنا أوراق البردى أيضاً كشوفاً من القرن الثالث الهجرى دوت فيها أسماء أشخاص مختلفين ، وذكرت فيها مقدار الجزية الواجبة على كل ، وقد اختلفت هذه الجزية باختلاف كل شخص وقلما نجد شخصين يدفعان جزية متساوية : فشخص يدفع ديناراً ، وآخر ديناراً ونصفاً ، وثالث ثلثي دينار ، ورابع ديناراً وثلثاً وهكذا<sup>(٣)</sup> . وهذا

Bell. Translations of the Greek 'Apurodito, der Islam, II, (١)  
p. 272

Bell op. cit. pp. 281-282 (٢)

Grohmann : Arabic Papyri in the Egyptian Library. vol. III (٣)  
pp. 197-178, 201-203, 217, 219, 220-221.

بلا شك راجع إلى تقدير الجزية على أساس ثروة كل شخص . ويجمع الفقهاء أيضا على أن الجزية كانت تتناسب إلى حد ما مع ثروة الشخص فيؤخذ من الموسر ثمانية وأربعون درهما ومن الوسط أربعة وعشرون ومن دون الوسط اثنا عشر درهما<sup>(١)</sup> وعن هشام بن أبي رقية اللخمي أن صاحب إخواننا<sup>(٢)</sup> قدم على عمرو بن العاص فقال له « أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فيصبر<sup>(٣)</sup> لها فقال عمرو وهو يشير إلى ركن الكنيسة . لو أعطيتني من الأرض إلى السقف ما أخبرتك ما عليك إنما أنتم خزائننا إن كثر علينا كثرنا عليكم وإن خفف عنا خففنا عنكم<sup>(٤)</sup> » وهذا يبين لنا أن العرب لم يحددوا الجزية على أهل الذمة في مصر ، وإنما اكتفوا بقرضها عليهم كما يظهر ذلك من نص معاهدة بابليون ، وترك تقديرها للوالي أو الخليفة . وذكر ابن عبد الحكم<sup>(٥)</sup> في رواية له عن عبد الملك بن مسلمة عن ابن وهبة عن يونس عن ابن شهاب « أن عمر بن الخطاب كان يأخذ ممن صالحه من

---

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج ص ٦٩ ويحيى بن آدم القرشي : كتاب الخراج

ص ٥١ والماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٣٨

(٢) إخواننا بالسكسر ثم السكون والتون مقصور وبعض الناس يقول إخوانو ووجدته في غير نسخة من كتاب فتوح مصر بالجيم واحفيت في السؤال عنه بمصر فلم أجده من يعرفه إلا بالحاء وقال الضاعى وهو يمدد كور الحوف الغربي وكورتنا إخوانا ورشيد والبحيرة وجميع ذلك قرب الاسكندرية وأخبار الفتوح تدل على أنها مدينة قديمة (معهم البلدان لياقوت ج ١ ص ١٦٦) .

(٣) في المخطوط للقرنيزي ج ١ ص ٧٧ « فتصير لها »

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ( طبعة توري ) ص ١٥٣ - ١٥٤

ومخطوط القرنيزي ج ١ ص ٧٧

(٥) المرجع نفسه ص ١٥٣

المهادين ما سمي على نفسه لا يضع من ذلك شيئا ولا يزيد عليه ، ومن نزل منهم على الجزية ولم يسم شيئا نظر عمر في أمره فإذا احتاجوا خفف عنهم وإن استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم » .

وكانت الجزية في مصر تدفع نقدا بالدنانير وكسور الدنانير ، وكان المصريون يرفون تلك الضريبة حسب ما ورد في قطع « الاوستراكا » وفي أوراق البردي المكتوبة باليونانية باسم دُمُزْيَا δημοσια أما في أوراق البردي العربية فتعرف باسم الجزية<sup>(١)</sup> .

وكما كانت الجزية تجبي من أهل النسة كان يجبي من المسلمين الزكاة أو الصدقة ، ويقول المقرئ<sup>(٢)</sup> أن أول من جبي الزكاة بمصر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . ولكن أوراق البردي أثبتت غير ذلك ، إذ تبين منها أن الولاة في مصر كانوا يقومون بجباية فريضة الزكاة ويتسلم الأهالي إيصالا أو براءة بعد تأدية ما يجيب عليهم من الزكاة بمقتضى الشريعة الإسلامية . ولدينا إيصال يرجع إلى القرن الثاني الهجري ( سنة ١٤٨ هـ ) عن زكاة بعض الأشخاص<sup>(٣)</sup>

### الملكية العقارية في مصر وضريبة الأرض أو الخراج

قبل أن نتعرض للكلام على ضريبة الأرض أو الخراج يجدر بنا أن نعرف موقف الفاتحين آزاء أراضي المصريين . وهنا يعترض الباحث سؤال

Crum Coptic Ostraca, p. 3, 37, van Berchem : Une page (١)  
Nouvelle de l'hist. d'Egypte p. 161., Becker: Neue Arabische Papyri  
pp. 253-254, Grohmann: Arabic Papyri. vol. III .pp. 16-17

(٢) المخطوط ١٠٨ س

Grohmann : Arabic Papyri vol. III. p. 177

(٣)

طالما واجه المؤرخين الأقدمين والمحدثين ، وهو « هل فتحت مصر صلحا أم عنوة ؟ وذلك لأن الأراضى التى تفتح صلحا تكون فيثا للمسلمين <sup>(١)</sup> فإذا كانت مصر فتحت صلحا ، بدون قتال وبمقتضى عهد ، يتفق المصريون مع الفاتحين على مقدار الجزية والخراج التى تدفع لهم دون أن يمس الفاتحون أراضى المصريين أو يأخذوها منهم عنوة وقهرا .

أما الأراضى التى تفتح عنوة فتكون فى حكم الغنيمة وتقسم بين الفاتحين طبقا للآية الكريمة « واعلموا أنما غنمتم من شىء فإن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير <sup>(٢)</sup> » فالخمس الذى لله عز وجل مرادود من الله تعالى على الذين سمي الله ( للرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ) لا يوضع فى غيرهم ، وذلك إلى الأمام يضمه فيمن حضره منهم بعد أن يجتهد رأيه ويتجرى المدل ، وما بقى بعد الخمس فهو للذين غلبوا عليه من المسلمين يقسم بينهم بالسوية <sup>(٣)</sup> .

وأما إذا كانت مصر فتحت عنوة فإنها تصبح غنيمة للفاتحين كما بينا سابقا وتخرج أراضى المصريين من أيديهم ولا يكون لهم أى حق فيها . ولذا وجب أن نعرف هل فتحت مصر صلحا أم عنوة ، لئلا نرى أى الأحكام طبقت عليها فيما يختص بالأراضى . وقد اختلف الأمر على المؤرخين

(١) التى . هو ما صولح عليه المسلمون من الجزية والخراج ( ابن آدم القرشى :

كتاب الخراج ص ٣ )

(٢) سورة الأنفال آية ٤١

(٣) ابن آدم القرشى : ص ٣ - ٤

في ذلك مثل ابن عبد الحكم<sup>(١)</sup> ثم المقرئ<sup>(٢)</sup> وأبو المحاسن<sup>(٣)</sup> والسيوطي<sup>(٤)</sup> فترى المؤرخ الواحد منهم يكتب أن بعض الرواة ذكر أن مصر فتحت عنوة ، والبعض ذكر أنها فتحت صلحا ، وفريق ثالث قال إنها كلها فتحت صلحا إلا الأسكندرية أو الأسكندرية وبعض قرى الوجه البحري فإنها فتحت عنوة .

فالرواة الذين أخذ عنهم هؤلاء المؤرخون والذين قالوا أن مصر فتحت صلحا إلا الأسكندرية يبررون نظريتهم بأن حصن بابليون - الذي حدد فتحه مصير مصر السياسي - فتح صلحا لا عنوة بمقتضى المفاوضات التي جرت بين المقوقس وعمرو بن العاص ويثبتون نظريتهم بأنه كان للمصريين عهد بينهم وبين العرب . وأن الأسكندرية فتحت صلحا في الفتح الأول ولكن لما انتفض الروم سنة ٥٢٥ ، فتحها العرب عنوة وقهرأ ، والفريق الذي يقول إن مصر فتحت عنوة يثبت نظريته بأنه لم يكن للمصريين عهد ولا عقد . وهناك فريق وسط يقول إن مصر فتح بعضها صلحا والبعض الآخر عنوة كالأسكندرية وبعض القرى التي ظاهرت الروم على العرب .

على أنه مهما اختلفت آراء هؤلاء المؤرخين فإنهم لم يختلفوا في أن مصر أجريت مجرى البلاد المفتوحة صلحا . وقد ذكرت آنفاً أن صلح بابليون

(١) فتوح مصر وأخبارها . طبعة المعهد ص ٧٤ - ٨٢

(٢) الخطط ج ١ ص ٢٩٤ - ٢٩٥

(٣) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٩ - ٢٠

(٤) حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٥ - ٥٦

عقد بعد فتح المسلمين للحصن عنوة وذكرت أن فتح الحصن هو الذي حدد مصير مصر السياسي . أى أن مصر فتحت عنوة ، وفي الوقت نفسه قبل العرب أن يمنحوا المصريين عهداً ، فالعرب في الواقع كانوا يعتبرون أنفسهم محاربين للروم لا المصريين . كما أنه عند ما فتح العرب الإسكندرية سنة ٦٢٥ هـ عنوة كان فتحها انتصاراً على الروم وعلى قائد الأمبراطور قنسطن الثاني ولم يؤثر ذلك في عهد الصلح الذي أعطاه العرب للمصريين . ويؤيد ذلك الرأي ما ذكره البلاذرى<sup>(١)</sup> في رواية له عن عبد الله بن عمرو بن العاص . إذ قال « اشتبه على الناس أمر مصر فقال قوم فتحت عنوة وقال آخرون فتحت صلحاً والتلج<sup>(٢)</sup> في أمرها أن أبى (يعنى عمرو بن العاص) قدمها فقاتله أهل اليوننة<sup>(٣)</sup> ففتحها فهراً وأدخلها المسلمين ، وكان الزبير أول من علا حصنها ، فقال صاحبها لأبى إنه قد بلغتنا فملككم بالشام ووضعكم الجزية على النصرارى واليهود وإقراركم الأرض في أيدي أهلها بممرونها ويؤدون حراجها فإن فعلتم بنا مثل ذلك كان أرد عليكم من قتلنا وسبينا وإجلائنا قال . فاستشار أبى المسلمين فأشاروا عليه بأن يفعل ذلك إلا نفرأ منهم سألوا أن يقسم الأرض بينهم ، فوضع على كل حالم دينارين جزية إلا أن يكون فقيراً وألزم كل ذى أرض مع الدينارين ثلاثة أرباب حنطة وقسطى زيت وقسطى عسل وقسطى خل ، رزقا للمسلمين يجمع في دار الرزق وتقسم فيهم ، وأحصى المسلمون

(١) فتوح البلدان ص ٣١٤ — ٢١٥

(٢) التلج ما تملط إلى النفس وترتاح له وتسريه

(٣) اليوننة — يعنى بها بابليون

فأزم جميع أهل مصر لكل رجل منهم جبة صوف ورنساً<sup>(١)</sup> أو عمامة وسراويل<sup>(٢)</sup> وخفين في كل عام أو عدل الجبة الصوف ثوباً قبطياً<sup>(٣)</sup> . وكتب عليهم بذلك كتاباً وشرط لهم إذا وفوا بذلك أن لا يتابع نساؤهم وأبنائهم ، ولا يسبوا ، وأن تقرأ أموالهم وكنوزهم في أيديهم ، فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين عمر فأجازه وصارت الأرض أرض خراج ، إلا أنه لما وقع هذا الشرط والكتاب ظن بمض الناس أنها فتحت صلحاً . ولما فرغ ملك اليوننة من أمر نفسه ومن معه في مدينته صالح عن جميع

مثل صلح اليوننة فرضوا به وقالوا : هؤلاء الممتنعون<sup>(٤)</sup> قد رضوا وفتحوا . فنحن به أقنع لأننا فرس<sup>(٥)</sup> لا منعة لنا . ووضع الخراج على أرض مصر فجعل على كل جريب<sup>(٦)</sup> ديناراً وثلاثة أرباب طعاماً وعلى رأس كل حالم

- 
- (١) البرنس : قلنسوة طويلة كانت تلبس في صدر الإسلام . كل ثوب يكون غطاء الرأس جزءاً منه متصلاً به  
(٢) السروال لباس يستر النصف الأسفل من الجسم . والكلمة فارسية وهي مؤنثة وقد تذكر  
(٣) كانت الأتواب القبطية مشهورة بدقة صنعها وغلاء ثمنها .  
(٤) الممتنعون : الأقوياء المتحصنون الذين لا يقدر عليهم  
(٥) فرس : المراد بها أهل فرس والفرس هو القضاء الولسع من الأرض  
(٦) الجريب وحدة تقاس بها الأرض . قال الماوردي في الأحكام السلطانية ص ١٤٦ فأما الجريب فهو عبارة عن عشر قصبات في عشر قصبات والقدان الحال كما تعلم يساوي ٣٣٣ قصبه مربعة .

ويقول الأب أنستاس الكرملي في كتابه النقود العربية وعلم النبات ص ٣١ . أن أهل البصرة يعرفون الجريب إلى عهدنا هذا وهو عندهم نحو من مائة نخلة . ومن غير النخيل أرض سعتها هكتار . (الهكتار ١٠٠٠٠ متر مربع)

دينارين وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .  
ومن ذلك رى أن الأراضى ركت لأهل البلاد ولم تقسم بين الفاتحين .  
وكذلك جاء في نص الصلح الذى أعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر :  
« هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم  
وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم ويرم ويحرم لا يدخل عليهم شيء  
من ذلك ولا ينتقص »<sup>(١)</sup> .

وورد أيضاً نص آخر أنه من الشروط التى اصطلح عليها أهل مصر  
مع الفاتحين أن تكون « لهم أرضهم وأموالهم لا يتعرض لهم فى شيء  
منها »<sup>(٢)</sup> .

وهكذا رى أن العرب أبقوا أراضى مصر على حالها ولم يتعرضوا لها ،  
بالرغم من فتحهم لمصر عنوة ، وذلك بناء على العهد بينهم وبين المصريين  
وهذا مما يجيزه الفقهاء للفاتحين ويفسرون ذلك بأن « الغنيمة جميع ما أصابوا  
من شيء قل أو كثر حتى الأبرة إلا الأراضين فإن الأراضين إلى الأمام إن رأى  
أن يخمسها ويقسم أربعة أخماسها للذين ظهروا عليها فعل ذلك ، وإن رأى أن  
يدعها فيثأ للسلميين على حالها أبداً فعل بعد أن يشاور فى ذلك ويجتهد رأيه  
لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقف بعض ما ظهر عليه من الأراضين

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٢٩ وابن خلدون : كتاب  
التاريخ ج ٢ ص ١١٥ والقفشندى : صبح الأعشى ج ١٣ ص ٣٢٤ وإبوالمحسن :  
النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٤  
(٢) ابن عبد الحكم : فوح مصر — طبعة المعهد — ص ٦٤ وخطط القريرى  
ج ١ ص ٢٩٢ والسيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٥١



فلم يقسمها وقد قسم بعض ما ظهر عليه (١) «

ولاريب في أن عمر بن الخطاب أظهر حكمة بالغة باتباعه تلك السياسة وهي عدم تقسيم الأراضي بين الفاتحين ولا سيما أنه لم يفعل ذلك في مصر وحدها بل في العراق والشام . فانه لم يرد أن يشغل جنده بالزراعة والأراضي بينما الجهاد يناديهم في كل مكان ، كما أن العرب في جملتهم لم يكونوا أمة زراعية . ومن جهة أخرى رأى عمر بن الخطاب ألا يثير عليه سخط أهالي البلاد المفتوحة حتى يعاونوه على تثبيت سلطان المسلمين ، كما أن أهل مصر وغيرها كانوا أعلم بزراعتهم وريهم ولا بد أن عمرا كان يسترضى جنده ويعوضهم عن امتلاك الأرض بمنحهم الأموال والفتنائم الأخرى غير الأرض . ولعل أبلغ مثل يريتنا سياسة عمر لإزاء الأراضي المفتوحة من حيث عدم تقسيمها بين الفاتحين ذلك الكتاب الذي بعث به إلى سعد بن أبي وقاص حين فتح العراق يقول فيه « أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم فإذا أتاك كتابي هذا فانظر ما أجلب الناس عليك به إلى المسكر من كراع (٢) ومال فاقسمه بين من حضر من المسلمين وأترك الأرضين والأنهار لعلها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء (٣) » .

الآن وقد عرفنا أن العرب أبقوا أراضي المصريين على حالها بمجرد بنا أن نرى ما كانت عليه الملكية المقاربية في مصر زمن الفتح وكيف أن الغزوات

(١) ابن آدم القرشي : كتاب الحراج ص ٤ — ٥

(٢) الكراع : اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير

(٣) أبو يوسف : كتاب الحراج ص ١٣ — ١٤ وابن آدم القرشي : كتاب

الحراج ص ١٣ والبلاذري : فتوح البلدان ص ٢٦٥ — ٢٦٦

الأجنبية التي توالى على مصر كانت سبباً في إضمار الملكية فيها ، إذ كان الغزاة ينتزعون الأراضي من الأهالي أو يمنحونهاهم حق الانتفاع فقط .  
وفي عهد الرومان وخاصة منذ القرن الثاني للميلاد نرى زيادة ملحوظة في الأراضي التي يمتلكها المصريون وكان أصحاب هذه الأراضي يؤدون ضريبة عقارية للدولة<sup>(١)</sup> . ويقول Van Berchem<sup>(٢)</sup> أن عمر بن الخطاب حول الأراضي التي فتحت خارج جزيرة العرب إلى أراضى وقف متبعا في ذلك ما اتبعه الرسول عليه الصلاة والسلام بشأن بعض أراضى جزيرة العرب . وكان عمر أراد بتحويله الأراضي المفتوحة إلى أراض موقوفة أن يضمن للجماعة الإسلامية في عهده وفي المستقبل أملاكاً عامة ، لا يتصرف فيها . وإنما يديرها الخلفاء لصالح الجماعة الإسلامية .

على أنه لا يمكننا قبول نظرية الوقف هذه فيما يتعلق بمصر . فإذا كانت الأراضي قد سارت وفقاً في هذه البلاد كان ذلك معناه أن العرب منحوا المصريين حق الانتفاع بها فقط . ولكن صلح بابلون قد أقر أراضي المصريين على حالها وأمنهم عليها ، ونحن لانستطيع الجزم بأن المصريين كانوا يملكون حق الانتفاع فقط قبل الفتح ، خصوصاً وأنه وجدت ملكيات تامة زمن البطالسة وزادت تلك الملكيات في عهد الرومان . كذلك تدل الأوراق البردية التي ترجع إلى عهد الولاة على أنه كان يحق لأهالي مصر التصرف في الأراضي التي يملكونها بالبيع والشراء والتوريث والهبة<sup>(٣)</sup> ، وهذا طبعاً مما ينقض نظرية الوقف .

Jouguet: l'Egypte Gréco-Romaine p. 348 (١)

La Propriété territoriale. p. 23 (٢)

(٣) انظر جرومان : الأوراق البردية العربية . الجزء الأول من ١٢٩ — ١٣٠

فرض الرب على أراضي المصريين ضريبة عقارية تعرف بالخراج ، ونعرف مما ورد في أوراق البردي ومما ذكره المؤرخون أن الخراج في مصر كان يجبي عينا وتقداً ، ففي كتاب من قرة بن شريك سنة ٩١ هـ إلى أهل شبرا بسبرو من كورة أشقوه نجده يطلب منهم دفع متأخرات الجزية عليهم بالدنانير ودفع ضريبة الطعام قسماً<sup>(١)</sup> ، وضريبة الطعام هنا تعنى الخراج أو جزءاً منه . كذلك حفظ لنا ورق البردي إيصالاً عن خراج سنة ٢٣٣ هـ دفعه بمض الأشخاص ويتبين منه أن الخراج دفع تقداً<sup>(٢)</sup> . وفي كتاب آخر من قرة بن شريك إلى صاحب أشقوه نجده يطلب منه أن يرسل إليه القمح المفروض على أهل كورته ، ويخبره أنه إذا وجد الأهالي صعوبة في دفع الضريبة غلة فلا بأس من دفعها تقداً ويحدد له ما يعادل عدداً معيناً من الأردب تقداً ، ولكنه يطلب منه أن يعمل على إرسال القمح لا النقود<sup>(٣)</sup> ويذكر البلاذري<sup>(٤)</sup> في رواية له عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه جعل على كل جريب ديناراً وثلاثة أردب طعاماً . وفي رواية أخرى للبلاذري<sup>(٥)</sup> عن يزيد بن أبي حبيب أن أهل الجزية بمصر صولحو في خلافة عمر بعد الصلح الأول مكان الحنطة والزيت والمسك والنحل على دينارين دينارين ، فألزم كل رجل أربعة دنانير فرضوا بذلك وأحبوه . ويذكر اليمقوي<sup>(٦)</sup>

Becker: Neue Arabische Papyri. p. 267, Grohmann : Arabie (١)  
Papyri. vol. III. p. 48

Grohmann : ap. cit. vol. III, pp. 141-142 (٢)

Bell : Translations... (Der Islam, Band III) p, 271 (٣)

(٤) فتوح البلدان ص ٢١٥

(٥) المصدر السابق ص ٢١٦

(٦) تاريخ ج ٢ ص ١٧٦ - ١٧٧

أن عمرو بن العاص جبي من مصر أربعة عشر ألف دينار من خراج رؤوسهم<sup>(١)</sup> لكل رأس دينار وخراج غلاتهم من كل مائة أردب أردبين . يتبين مما سبق أن الجزية كانت تدفع تقدماً بينما كان الخراج يدفع عيناً وتقدماً . وكان يطلق علي الضريبة التي تدفع عيناً في أوراق البردي العربية اسم « ضريبة الطعام » أما في أوراق البردي اليونانية فكانت تعرف باسم امبوليه εμβολη<sup>(٢)</sup> . ويجدر أن نشير هنا إلى أن القمح كان أهم ما يجبي من ضريبة الطعام ، ولكن هذه الضريبة كانت تشمل أحياناً غير الفلال ، الزيت والمسل وأنواع الطعام الأخرى<sup>(٣)</sup> . وكان يصرف من المال الذي يجبي عطاء الجند الرابط في مصر<sup>(٤)</sup> ، كما أن أرزاق الجند في مصر كانت تعتمد على ضريبة الطعام<sup>(٥)</sup> .

وكان الخراج في مصر يجبي على أساس مساحة الأراضي التي يمتلكها الشخص كما كان الحال في عهد الرومان والبيزنطيين . على أنه كان يراعى في ذلك حالة فيضان النيل في كل عام ، لارتباطه بالزراعة ، وقد وضع ذلك تماماً من نص الصلح الذي أعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر كما ذكرنا سابقاً . وكذلك كان يراعى في تقدير الخراج كمية المحصول التي تنتجها

(١) يعني بخراج الرؤوس هنا الجزية

Bell : op. cit. p. 271, van Berchem : Une page (٢)

Nouvelle de l'histoire d'Egypte p. 161, Wiet : Hist. de la Nation Egyptienne T. IV, p. 169

Wiet : Art. Kibt, Encyclopaedia وفتح البلدان ص ٢١٥ (٣)  
of Islam vol. II p. 998, Bell (der Islam. Band XVII p. 8)

Becker, Neue Arabische. pp; 251-252, Grohmann: Arabic (٤)

Papyri vol III pp; 12-18, van Berchem : Une page Nouvelle; p; 161

Bell : op. cit. p. 271, pp. 383-384, van Berchem op. cit p. 161 (٥)

الأرض وحالة الأرض إذا كانت عامرة أو غامرة . وقد كتب الماوردي<sup>(١)</sup> في هذا المعنى فقال إن الأرض تختلف من ثلاثة أوجه يؤثر كل واحد منها في زيادة الخراج ونقصانه « أحدها ما يختص بالأرض من جودة يزكو بها زرعها أو رداءة يقل بها ريعها ، والثاني ما يختص بالزرع من اختلاف أنواعه من الحبوب والثمار؛ فمما ما يكثر ثمنه ومنها ما يقل ثمنه، فيكون الخراج بحسبه ، والثالث ما يختص بالسقي والشرب لأن ما التزم المؤنة في سقيه بالنواضح<sup>(٢)</sup> والدوالي<sup>(٣)</sup> لا يَحْتَمِلُ من الخراج ما يحتمله سقي السيج<sup>(٤)</sup> والأمطار . ومن الناس من اعتبر شرطاً رابعاً وهو قربها من البلدان والأسواق وبعدها لزيادة أثمانها ونقصانها ، وهذا إنما يعتبر فيما يكون خراجه ورقة<sup>(٥)</sup> ولا يعتبر فيما يكون خراجه حبة<sup>(٦)</sup> ، وتلك الشروط تعتبر في الحب والورق .

لاشك إذن في أن الضرائب التي كانت ترسل إلى الخلافة كانت عيناً ونقداً وأنه عقب الفتح مباشرة بدأت مصر ترسل القمح إلى المدينة كما كانت ترسله لروما ومن بعدها لبيزنطة . وهذا مما حدا بالأب لامانس<sup>(٧)</sup> Lammens على القول بأنه لم تكن لمصر سوى أهمية اقتصادية إذ كانت تنفج الحبوب وتدفع الضرائب .

والمعروف أن عمر بن الخطاب كتب في سنة ٢١ إلى عمرو بن العاص

(١) الأحكام السلطانية من ١٤٢ — ١٤٣

(٢) نضح البعير الماء : حمله من بئر أو نهر لسقي الزرع

(٣) الدالية : الناعورة يغيرها الماء والأرض تسقى بدلو أو بناعورة ، والجمع دوال

(٤) السيج : الماء الجاري الظاهر

(٥) الورق هنا بمعنى النقود

(٦) الحب بمعنى الفلال

يلمح ما فيه أهل المدينة من الشدة ، ويأمره أن يبعث إليها ما يجمع من الطعام في الحراج ، فكان ذلك يحمل إليها ومعه الزيت . وانقطع في فتنة عثمان ، ثم حمل في أيام معاوية ويزيد ، ثم انقطع إلى زمن عبد الملك بن مروان ، ثم لم يزل يحمل إلى زمن المنصور<sup>(١)</sup> . ومن ذلك نرى أن مصر بدأت تيمر الحجاز عقب الفتح مباشرة وكان ينقطع ذلك المورد أيام الفتن والثورات . وقد ذكر البلاذري أن الطعام ظل يرسل إلى خلافة أبي جعفر والقصود هنا أنه ظل يرسل إلى زمن أبي جعفر عن طريق البحر ، وذلك لأن أبا جعفر أمر بطم خليج أمير المؤمنين الذي كان الواسطة بين مصر وبلاد العرب بجزا ، وقد كانت الغلال ترسل أولاً إلى المدينة بوصفها مقر الخلافة ، ولكن الواقع أن إرسالها لم يبطل إلى يومنا هذا — إذا استثنينا فترات معينة — بالرغم من أنه حل محل المدينة عواصم أخرى للخلافة وبالرغم من التنثيرات السياسية التي حدثت في مصر وفي الخلافة نفسها .

ولدينا بعض النصوص التي تشير إلى مقدار ما كان يرسل نقداً إلى بيت المال في مقر الخلافة . فيقال إنه في زمن معاوية أرسل واليه على مصر مسلمة ابن مخلد ( ٤٧ — ٦٢ هـ ) ستمائة ألف دينار<sup>(٢)</sup> . إلى بيت المال ، بعد أن دفع عطاء الجنند وأنفق على البلاد ما يحتاجه وبعد إرسال القمح إلى الحجاز ، ويذكر ساويرس<sup>(٣)</sup> أن ما كان يحمل إلى بيت المال مائتا ألف دينار بعد النفقة على الأجناد وما يحتاج إليه البلاد .

ونلاحظ أنه وجدت في مصر منذ الفتح العربي أراض امتلكتها

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢١٦

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر — طبعة تورى — ص ١٠٢

(٣) سير الآباء البطارقة ( Patr. Orient. T.V. ) ص ١٨٩

حكومة العرب ، إذ كان هناك قبل الفتح أراضى يمتلكها الأباطرة امتلاكاً خاصاً غير تلك الأراضى التى كان يمتلكها سائر أفراد الشعب سواء أ كانوا من الروم أم من المصريين . فهذه الأراضى التى كانت ملكاً خاصاً للأباطرة ، أو التى هرب أهلها أو هلكوا زمن الفتح ، لا بد أنها آلت إلى الخليفة ، وارث الأباطرة فى مصر ، فكان له حق التصرف فيها وكان تصرفه هذا لا يمس حقوق الأهالى ولا ينقض الصلح الذى أعطاه العرب للمصريين . وكانت حكومة العرب تتبع فى الانتفاع بالضياح التى استولت عليها طريقة الإقطاع . وقد زادت هذه الضياح التابعة للحكومة زيادة كبيرة بما أضيف إليها من الموات أو الأراضى المهجورة agri deserti أثناء الحكم العربى نفسه .

وتذكر النصوص أن عمر بن الخطاب أقطع ابن سندر أحد الصحابة منية الأصبع<sup>(١)</sup> بمصر فجاز لنفسه منها ألف فدان ولم تزل له إلى أن مات . واشتراها بعده ذلك الأصبع بن عبد العزيز بن مروان من ورثته . وكانت أقدم وأفضل قطيعة بمصر<sup>(٢)</sup>

ونلاحظ هنا أن نظام الإقطاع بدأ فى عصر الولاة ولسن بدهه وتطوره يختلفان عن نظام الإقطاع فى الغرب لأن من العوامل الأساسية فى نشأة الإقطاع فى الغرب وفى أسباب منحه رغبة الأمير أو الملك فى أن يحصل على عون حروبى ممن هونه من الأمراء والأشراف . بينما لم يدخل العنصر الحروبى فى نظام الإقطاع الإسلامى فى مصر إلا فى نهاية المصور الوسطى على يد الأيوبيين ثم المماليك ، ودخل بأسلوب آخر ، يتلخص فى انتفاع الجند بدخل

(١) شمالى القاهرة وموقفها الحالى قريب من ضاحية الدرداش

(٢) ابن عبد الحسك - طبعة تورى - ص ١٣٧ - ١٣٨ والمقرئى :

المخطط ج ١ ص ٩٦ والسيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٦٦

الإقطاعات المختلفة بغير منحهم الأراضي للإقامة فيها وزراعتها . كما لم يوجد في الإقطاع بمصر حق الوراثة الذي كان يتمتع به أصحاب الإقطاع في أوروبا .

ونعرف أن الأراضي التي امتلكها المسلمون كان يدفع عنها العشر زكاة لها كما يزكى المسلم عن أنواع الأموال الأخرى . ويذكر الفقهاء أن الأرض الموات أرض عشر أيضاً أي أن من يحميها يدفع العشر ولا يؤدي عنها خراجاً<sup>(١)</sup> . ومن الوجهة النظرية كان القبطي الذي يمتنع الإسلام تصبح أرضه عشرية ، ولاشك في أن ذلك حدث طويلاً ، ثم رأت الحكومة أن في هذا جل الخطر على مالية القطر فأصبح نوع الضريبة متصلاً بالأرض نفسها وأصبح القبطي إذا اعتنق الإسلام لا تدفع أرضه من الخراج . والواقع أن هذه العملية يمكن الدفاع عنها من وجهة النظر المالية والاقتصادية ، لأن دخل الحكومة ومالياتها يجب أن يكونا مستقلين إلى حد كبير عن الظروف الخاصة غير المنظورة كاعتناق الأشخاص الدين الإسلامي وما إلى ذلك مما يصعب على الحكومة تقدير أثره في مالياتها . بل إن هذه القاعدة لم تلبث أن طبقت على العرب أنفسهم بحيث أنهم إذا اشتروا أرضاً عليها خراج جزية ظلوا يدفعون هذا الخراج الواجب عليها ولم تصبح هذه الأرض عشرية<sup>(٢)</sup>

ونلاحظ أن الخراج الذي يفرض على الأرض التي صولح أهلها على أن تكون لهم يسمى خراج جزية ، أما الخراج الذي يفرض على الأرض التي صولح أهلها عليها على أن تصير وقفاً يسمى خراج أجرة . ولا يسقط عنها بإسلامهم

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٧٠

Becker : Islamstudien t. II. p. 281

(٢)



أو باقتطاعها إلى غيرهم من المسلمين بمكس خراج الجزية<sup>(١)</sup> ولا نعرف أن مصر فرض عليها خراج أجرة لأن أرضها لم تكن وفقاً كما بينا ، وإنما كان خراجها خراج جزية . والواقع أن نظام الأرض في فجر الإسلام وما عليها من ضرائب عشرية أو خراجية كان نظاماً مطاطاً مرناً ولم يستقر إلا بعد ذلك بقرون طويلة . والمعروف أن الأرض في مصر في عصر الولاة أصبح يفرض عليها الخراج بمضى الوقت سواء أسلم مالكها أو كانت ملكاً لأحد المسلمين . ونعرف أن القبط والمسلمين على السواء ثاروا في العهد العباسي من أجل زيادة الخراج زيادة أجهت بهم .

### ضرائب الصنائع والتجارة

كانت حكومة العرب منذ الفتح تفرض ضرائب على الصنائع والأجراء . وتقدر هذه الضرائب بقدر احتياهم<sup>(٢)</sup> . وكان العرب في مصر - كالبزنطيين - يفرضون ضرائب على التجارة وتعرف هذه الضرائب بالمكوس<sup>(٣)</sup> .

ويقال إن ربيعة بن شريحيل بن حسنة رضى الله عنه ، وكان ممن شهد فتح مصر من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، كان والياً لعمرو بن

(١) الأحكام السلطانية من ١٣١-١٣٢ و ١٤٠

(٢) ابن عبد الحكم : طبعة تورى ١ من ١٥٢-١٥٣

(٣) يذكر جرومان : Arabic Papyri. vol. III. p. 9 أن كلمة مكس مشتقة من اللفظ السرياني ماكسو makeo ، ويذكر الميرزى أن أصل المكس في اللغة الجبائية يقال مكسه يمكسه مكسا ، والمكس دزائم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية ، والمكس هو العشار ويقال للعشار صاحب مكس . والمكس أيضا انقاس الثمن في البياعة ومكس درهم معناه نقص درهم في بيع ونموه . وعشر القوم معناه أخذ عشر أموالهم ، والعشار هو قابض العشر (المخطوط ج ٢ من ١٢١)

الماضي على المكس في مصر<sup>(١)</sup>. وأثر عن ذريق بن حيان الذي كان على مكس مصر زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز أنه قال « إن الخليفة كتب إليه أن يراقب من سر عليه من المسلمين فيأخذ مما ظهر من أموالهم وما ظهر له من التجارات من كل أربعين ديناراً ديناراً وما نقص بحسابه حتى تبلغ عشرين ديناراً ، فإن نقصت عن ذلك تركها ولا يأخذ منها شيئاً ، وإذا سر عليه أهل الزمة أخذ منهم من كل عشرين ديناراً ديناراً وما نقص فبحسابه ذلك حتى تبلغ تجارتهم عشرة دنانير ، فإن نقصت عن ذلك لا يأخذ منها شيئاً . وألا يأخذ من التجار مرة أخرى قبل انقضاء العام وأن يكتب لهم كتاباً بما أخذ منهم<sup>(٢)</sup> .

ويظهر أن هذه الضرائب التي يحددنا عنها المؤرخون كانت تؤخذ من التجار الذين يتاجرون في مصر نفسها أعني أنها كانت تؤخذ على التجارة الداخلية . وكان مقر إدارة هذه الضرائب في الجهة التي عرفت باسم المقس وهي قرية أم دين التي كانت تقع شمال القسطنطينية ، وإنما سميت المقس لأن الماشر أو صاحب المكس كان مقره هناك فقبل المكس وقلب فقبل المقس<sup>(٣)</sup> .

وتثبت أوراق البردي وجود هذه الضرائب التي تفرض على التجارة الداخلية<sup>(٤)</sup> .

وكما اهتمت حكومة العرب في مصر بفرض ضرائب على التجارة

(١) خطط القرظي ج ٢ ص ١٢٣

(٢) خطط القرظي ج ٢ ص ١٢٢

(٣) المصدر نفسه ص ١٢١

(٤) Becker: Neue Arabische Papyri. p. 256 Grohmann: Arabic

Papyri. vol. III. p. 8, van Berchem: Une Page Nouvelle p. 164.

الداخلية في البلاد فإنها لم تنس أيضاً أن تفرض ضرائب على التجارة الخارجية التي تمر بثورها أو التي ترد إليها أو تصدر منها. فيذكر المقرئ (١) أنه كان يجبي من التجار في الثغور المصرية ، وهي دميات وتينيس ورشيد وعيناب وأسوان والأسكندرية ، ضرائب مقررة . فالكس قبل الإسلام كان عبارة عن حق فرض الضرائب على الأسواق ، أو حق فرض الضرائب التي تجبي في الموانئ والبلاد التي على الحدود المصرية ، وقد حافظ المسلمون على هذا الحق وقربوه من نظام الزكاة أو المشور (٢).

### الضرائب الأخرى

كانت حكومة العرب في مصر تفرض على المصريين ضرائب أخرى غير تلك التي ذكرناها ، ويمكننا اعتبار واجب الضيافة على أهل البلاد للجنود المسلمين الذين يعمرون في البلاد من هذه الضرائب ، فقد اشترط على القبط بعد فتح العرب لمصر أن من نزل عليه ضيف واحد أو أكثر من المسلمين وجبت عليه الضيافة لهم ثلاثة أيام (٣) . ولعل السبب الذي حدا بالعرب إلى ذلك هو أنهم في أول عهدهم بمصر كانوا جنوداً وكانت إقامتهم قاصرة على العاصمة التي بنوها لأنفسهم أو في الثغور لحمايتها ضد الأعداء . وواجب الضيافة هذا أخذه العرب من الرومان والبيزنطيين في مصر .

وقد ورد في نصوص أوراق البردي ذكر لضرائب غير عادية . فترى قرة بن شريك يطالب في رسائله إلى صاحب أشقوه بجمع تلك الضرائب

(١) المخطوط ج ١ ص ١٠٩

(٢) Van Berchem op. cit. pp. 164-165

(٣) ابن عبد الحكم ، طبعة المهد ص ٦٤ وخطط المقرئ : ج ١ ص ٢٩٢

والسيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٥١

المادية أو بجبايتها من الناس بالعدل<sup>(١)</sup> وربما كانت حكومة العرب تفرض هذه الضرائب تبعاً لازدياد مصروفات الدولة عن إيراداتها . ونعرف أنه في ولاية موسى بن مصعب الخثعمي على مصر (١٦٧ - ١٦٨ هـ) فرضت ضرائب على أهل الأسواق والدواب<sup>(٢)</sup>

لما ولي ابن طولون مصر ألغى ضرائب كان قد ابتدعها ابن المدر<sup>(٣)</sup> ومحدثنا المقرئ<sup>(٤)</sup> عن هذه الضرائب فيقول : إن أحمد بن محمد بن مدبر لما ولي خراج مصر بمد سنة خمسين ومائتين ابتدع في مصر بدعا صارت مستمرة من بعده فأحاط بالنطرون وحجر عليه بمد ما كان مباحا لجميع الناس وقرر على الكلاء الذي تراه البهائم مالا سماه المراهي ، وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا سماه المصيد إلى غير ذلك ، فانقسم حينئذ مال مصر إلى خراجي وهلال . والخراسي ما يجبي مساهمة ، أما الهلال فهو ما يجبي مشاهرة . وكان الهلال يعرف في زمن ابن المدر وما بعده بالرافق والمعاون وهي التي ألفها ابن طولون . ويلاحظ بيكر Becker حسب ما ورد في أوراق البردي أن ابن المدر ولي خراج مصر منذ سنة ٢٤٧ هـ لا كما يذكر المقرئ بمد سنة ٢٥٠ هـ<sup>(٥)</sup> وتبين من أوراق البردي أنه فرضت ضريبة سراعي المواشي وضريبة الصيد بين سنتي ٢٤٧ و ٢٥٣ هـ<sup>(٦)</sup> .

(١) Bell: op. cit. pp. 272, 281-282

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ١٢٥

(٣) الكندي : ص ٢٠٥ - ٢١١ والمقرئ : ج ١ ص ٢١٢ - ٢١٣

و Zaky M. Hassan : les Tulunides. p. 38

(٤) خطط ج ١ ص ١٠٣ و ١٠٧ - ١٠٩ و ج ٢ ص ٢٦٧

و Zaky Hassan : op. cit. pp. 244-246

(٥) Zaky Hassan. op. cit. p. 87

(٦) جروغان : المحاضرة الرابعة عن الأوراق البردية العربية ص ٧

ونلاحظ على وجه الإجمال أن النظام المالى العربى كان مأخوذاً إلى حد كبير من النظام البيزنطى ، ولم يكن أخف منه وطأة إلا أنه كان يمتاز بتبسيطه بمض الشىء ، فقد أبطل العرب وخاصة فى أول عهدهم بالفتح بمض الضرائب التافهة التى استحدثها البيزنطيون ، إلا أن النظام المالى فى مجمله لم يكن سوى صورة مماثلة للنظام البيزنطى . وقد زادت وطأة هذا النظام خاصة فى عهد أصحاب إقطاع مصر من الترك كما يتبين من أوراق البردى (١)

### نظام جباية الضرائب

اتبع العرب فى جباية الضرائب النظام الذى اتبعه البيزنطيون من قبل فكانت كل قرية مسئولة بالتضامن عن الضرائب المفروضة عليها .

فى كتاب من قرعة بن شريك فى سنة ٩١ هـ إلى صاحب شبرا بسير من كورة أشقوه يذكر فيه أن على قرعته من جزية سنة ٨٨ هـ ١٠٤ دينار ومن ضريبة الطعام ١١ أردبا من القمح (٢) ، وفى كتاب آخر أرسله سنة ٩١ إلى أهل شبرا أجيح بنوتيه من كورة أشقوه يذكر أنه أصابهم من جزية سنة ٨٨ هـ ٣٧ ديناراً (٣) ، وفى كتاب ثالث أرسله سنة ٩١ هـ لأهل هروس ايرميوطس من كورة أشقوه ذكر أنه أصابهم من جزية سنة ٨٨ هـ ٢٨١ ديناراً (٤) . وكما كان الحاكم العام فى مصر فى عهد الرومان يقدر الضرائب التى تفرض على مختلف نواحي البلاد على أساس المعلومات التى يقدمها إليه

Zaky Hassan: op. cit. p. 244

(١)

Becker: Neue Arabische Papyri p. 267, Grohmann: Arabic Papyri vol. III. p. 48

(٢)

Becker: op. cit. p. 267, Grohmann: op. cit. p. 51

(٣)

Becker: op. cit. p. 268, Grohmann op. cit. p. 54

(٤)

الحكام المحليون ، كذلك نجد العرب يتبعون نظاماً يشبه النظام السالف .  
ففى قرّة بن شريك يرسل إلى صاحب كورة أشقوه تعليمات خاصة بجباية  
الضرائب فيأمره بجمع رؤساء كل قرية وذوى النفوذ فيها كي يختاروا  
رجالا أمناء أذكياء ليكلفهم بتقدير ما على كل قرية من الضرائب بقدر  
استطاعتهم ، وبعد أن يقوموا بمهمتهم هذه تحت إشراف صاحب الكورة ،  
يطلب منه أن يرسل إليه نتيجة عملهم بمد أن يحتفظ بنسخة لنفسه ، ويطلب  
منه أيضاً أن يكتب أسماء وألقاب ومحل إقامة هؤلاء الذين قاموا بتقدير  
الضرائب ، ويندره بأنه إذا وجد أن قرية حملت أكثر مما تحتل من  
الضرائب أو أقل فإنه سيعاقب هؤلاء الذين قاموا بتقدير الضرائب وصاحب  
الكورة أيضاً أشد عقاباً<sup>(١)</sup> .

وهذا يؤيد ما ذكره ابن عبد الحكم<sup>(٢)</sup> والمقرزى<sup>(٣)</sup> والسيوطى<sup>(٤)</sup>  
من أنه لما استوثق الأمر لعمرو بن الماص « أقر قبطها على جباية الروم ،  
وكانت جبايتهم بالتمديد ، إذا عمرت القرية وكثر أهلها زيد عليهم وإن قل  
أهلها وخربت نقصوا ، فيجتمع عرفاء كل قرية ومازوتها ورؤساء أهلها  
فيتناظرون فى المارة والخراب حتى إذا أقروا من القسم بالزيادة انصرفوا  
بتلك القسمة إلى الكورة ، ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على  
احتمال القرى وسمة المزارع »

من هذا ترى أن صاحب الكورة هو الذى كان يتصل بالوالى أو عامل

Bell : op.cit p. 282

(١)

(٢) فتح مصر ، طبعة تورى ، ص ١٥٢ - ١٥٣

(٣) المخطوط ج ١ ص ٧٧

(٤) حسن المحاضرة ج ١ ص ٦٣

الخراج لتأدية الضرائب الواجبة على كورته وعلى القرى التي تدخل في دائرة هذه الكورة ، ويشرف على تقدير هذه الضرائب رؤساء القرى وذوو النفوذ فيها تحت إشراف صاحب الكورة .

وقد قام في مصر في العصر المماليكي نظام آخر لجباية الضرائب وهو نظام قبالات<sup>(١)</sup> الأراضى ، ويشبه نظام الالتزام ، الذى وجد في العهد الرومانى ، فيقول القرزى<sup>(٢)</sup> : « وكان من خبر أراضى مصر ، بعد نزول العرب بأريافها واستيطانهم وأهاليهم فيها وأتخاذم الزرع مماشا وكسبا وانقياد جمهور القبط إلى إظهار الإسلام واختلاط أنسابهم بأنساب المسلمين لشكاحهم المسلمات ، أن متولى خراج مصر كان يجلس في جامع عمرو بن العاص من الفسطاط في الوقت الذى تنهياً فيه قبالة الأراضى وقد اجتمع الناس من القرى والمدن فيقوم رجل ينادى على البلاد صفقات صفقات وكتاب الخراج بين يدي متولى الخراج يكتبون ما ينتهى إليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس ، وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالأربع سنين لأجل الظلم والاستجارة وغير ذلك ، فإذا انقضى هذا الأمر خرج كل من كان تقبل أرضاً وضمها إلى ناحيته فيتولى زراعتها وإصلاح جسورها وسائر وجوه أعمالها بنفسه وأهله ومن ينتدبه لذلك ويحمل ما عليه من الخراج في إبانة على أقساط وبحسب له من مبلغ قبالاته وضمائنه لتلك الأراضى ما ينفقه على عمارة جسورها وسمة ترعها وحفر خلجها بضرابة مقدرة في ديوان الخراج ويتأخر من مبلغ الخراج في كل سنة في جهات الضمان والتقبلين ، يقال لها

(١) يذكر دى ساسى أن كلمة قبالة معناها أن أحد الأشخاص يضمن دفع ضريبة معينة أو يلتزم بتنفيذ عهد أو ارتباط  
Sur la nature et les Révolutions du droit de propriété territoriale p. 200

(٢) الخطط ج ١ ص ٨٢

تأخر من مال الخراج البواقي . وكانت الولاية تشدد في طلب ذلك مرة وتسامح به مرة ، فإذا مضى من الزمان ثلاثون سنة حولوا السنة<sup>(١)</sup> ورا كوا البلاد<sup>(٢)</sup> كلها وعدلوا تصديلاً جديداً فزيد فيها يحتمل الزيادة من غير ضمان البلاد ونقص فيها يحتاج إلى التقيص فيها ولم يزل ذلك يعمل في جامع عمرو بن العاص إلى أن عمر أحمد بن طولون جامعه وصار المسكر<sup>(٣)</sup> منزلاً للأمراء مصر فنقل الديوان إلى جامع أحمد بن طولون »

من الوصف السابق نعرف أنه كان يقوم في جامع عمرو ثم في جامع ابن طولون مزاد لتقبل الأرض أو ضمان خراجها ، وكان التقبل لأربع سنوات ( حتى تتبادل سنو المحصول الضعيف بسنى المحصول الطيب ) وكان التقبل يخص من المبلغ الطالب بدفعه ما يتفقه في كرى الترع وما إلى ذلك . ولسنا نعرف تماماً تفصيل علاقة التقبل مع رجال الإدارة

وقد ظهرت في العصر العباسي مسألة ضمان الوالى لخراج مصر كله وكان الخليفة أبو جعفر المنصور أول من أراد إدخالها في مصر<sup>(٤)</sup> وتبين هذا مما ذكره السكندى<sup>(٥)</sup> والمقريزى<sup>(٦)</sup> عن محمد بن الأشعث والى مصر (١٤١) -

(١) تحويل السنة معناه تحويل السنين القمرية إلى شمسية فإذا جمع الخراج على حسب السنين القمرية فكأننا نجمع الخراج في مدى ٣٢ سنة شمسية ثلاثاً وثلاثين سنة وهذا ضد طبيعة الأشياء . وعلى هذا تحذف سنة كل ٣٣ سنة قرية أى يحذف كل ٣٣ سنة قرية خراج سنة . وهذا ما يسمى لتحويل ( خطط المقريزى ج ٦ ص ٧٣ De Sacy: Sur la Nature et les Revolutions p. 200

(٢) الفل راك والاسم روك . معناها تهويم الأراضي ومسحها . op. De Sacy: cit. p. 200

(٣) في الواقع كانت القطائع هي مقر أمراء الدولة الطولونية منذ أن بناها أحمد ابن طولون لا المسكر

Zaky M. Hassan: Les Tulunides pp. 243-244 (٤)

(٥) الولاية والقضاة ص ١٠٩

(٦) الخطط ج ١ ص ٣٠٦



١٤٤٣ هـ) إذ قال: « فلما استقر محمد بن الأشعث بمان مصر فإن ضمنه فأشهد عليه وأشخص إلى وإن أبي فاعمل على الخراج ، فعرض عليه ذلك فأبى » أى أن الخليفة أراد أن يجعل الوالى يلتزم بدفع مبلغ معين عن القطر كله . وببمد أن يرفض أى شخص أن يلى خراج مصر ، ولكن من العقول أن يرفض ضمان خراجها مثلما فعل محمد بن الأشعث ، وذلك خشية المجز عن القيام بما التزم به نظراً لاضطراب أمور البلاد فى كثير من الأحيان ، أو لأحتياجه إلى المال للنفقة على الإدارة وعلى الجند .

وكانت الضرائب بمد الفتح — إذا استثنينا الضرائب غير المادية — نجى كل سنة قرية . وكان المصريون قبل الفتح يمتدنون فى الزراعة والحصاد وجباية الخراج على السنين الشمسية والشهور القبطية . وقد اضطرب الرب إلى تحويل السنة الخراجية القبطية إلى السنة الهلالية العربية ، فكانوا يسقطون سنة عند رأس كل اثنين وثلاثين سنة قرية ، وسما ذلك الازدلاق لأن لكل ثلاث وثلاثين سنة قرية اثنين وثلاثين سنة شمسية بالتقريب (١) .

وكان الأهالى الذين يقومون بدفع ما عليهم من الضرائب يتسلمون إيصالات عرفت فى أوراق البردى العربية باسم براءة (٢) وكان جابى الضريبة العينية ينتخبه السكان ويسمى القبال (٣) ونسمع عن قبال قرية فى ورقة بردية كتبت سنة ١٣٤ هـ (٤)

(١) انظر الهريزى — خطط ج ١ ص ٢٧٠ — ٢٧٣

(٢) Grum : Coptic Ostraca. pp: 36-37, Grohmann: Arabic Papyri  
vol. III. p. 141-142

Papyri Schott-Reinhardt I. 45 (٣)

Grohmann: Arabic Papyri vol. III. p. 102 (٤)

وكانت الضرائب المصينة المكونة من الجيوب ترسل إلى أمراء المص  
أما الضرائب النقدية فكانت ترسل إلى ديوان الخراج والأموال<sup>(١)</sup>  
طريق فروعه في الأقاليم ، وكان يشرف على كل فرع من فروع المال  
الأقاليم موظف يسمى الجسطل<sup>(٢)</sup>

ويظهر أنه كانت تتبع في مصر في ذلك العصر وسائل الشدة في  
الخراج . ونرى أن الليث بن الفضل والى مصر خرج إلى الخليفة الرشيد  
سنة ١٨٧ هـ وسأله أن يبعث معه بالجيوش لأنه لا يستطيع استخراج الخ  
من أهل الحوف إلا بجيش . ولكن محفوظ بن سليمان ضمن للخليفة حيث  
جباية خراجها عن آخره بلا سوط ولا عصا فولاه الخليفة الخراج<sup>(٣)</sup>

كذلك تبين ورقة بردية عربية من القرن الثالث الهجري مدى ال  
التي كانت تتبع في جباية الأموال ، ففيها أمر بأنه إذا لم يؤد كل فرد ما  
من الأموال يضرب عشرة سياط ويفرم في صلب ماله دينارا<sup>(٤)</sup> .

(١) :Translations of Greek papyri (Der Islam II) p. 271. 391

(٢) ديوان الخراج والأموال بمثابة وزارة المالية وقد وجد العرب في مصر  
الديوان فأبوه على حاله حتى أنه كان يكتب باليونانية والقبطية إلى أن أمر عبد  
بن عبد الملك بحرب هذا الديوان سنة ٨٧ هـ

(٣) :Neue Arabische Papyri. p. 353; Grohmann. op.  
vol. III p. 17

(٤) الكندي : ص ١٤٠ ومترجم ١ ص ٢٢١—٢٢٢

Grohmann · Arabic Papyri vol. III. p. 104 (٥)

## التقود الإسلامية في مصر

كان بين البيزنطيين وبين الدولة الساسانية معاهدة خاصة بالعملة تقضى بأن يضرب الساسانيون تقوداً من الفضة فقط وبالأمتن يتخذوا عملة ذهبية سوى العملة الرومية ، ولهذا كانت عملة بلاد الفرس الجارية هي الدراهم الفضية ، بينما شاعت العملة الذهبية في بلاد الإسلام التي كانت تحت حكم الرومان من قبل (١)

وكان العرب في الجاهلية يتعاملون بالدراهم الفارسية وكانت من الفضة ، والدنانير البيزنطية وكانت من الذهب . فلما جاء الرسول عليه الصلاة والسلام أقرهم على ذلك ، وكذلك فعل من بعده خليفته أبو بكر الصديق (٢) . وتذكر بعض المراجع أن أول من ضرب التقود من الخلفاء هو عبد الملك بن مروان (٣) ، على أن القرزى (٤) يذكر أن عمر بن الخطاب أقر التقود على حالها إلا أنه في سنة ١٨ هـ ضرب الدراهم على نقش الفارسية وشكلها غير أنه زاد في بعضها « الحمد لله » وفي بعضها « محمد رسول الله » وفي بعضها « لا إله إلا الله وحده » . ولما بويع عثمان بن عفان بالخلافة ضرب دراهم ونقش عليها « الله أكبر » (٥) .

(١) آدم متز : الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٣١٦

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٦٥ - ٤٦٦ والقرزى : التقود الإسلامية

ص ٢ - ٤

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٤٨ والقلفندي : صبح الأهمى ج ١

ص ٤٢٤ وأبو الحسن : النجوم ج ١ ص ١٧٦

(٤) القرزى : التقود الإسلامية ص ٤ - ٥ والقرزى : إغاثة الأمة ص ٥١ - ٥٢

(٥) القرزى : التقود الإسلامية ص ٥ . وإغاثة الأمة ص ٥٢

فجر الإسلام - (٥)

وقد سك معاوية في خلافته أيضاً دراهم ودنانير<sup>(١)</sup>. ولما قام عبد الله  
ابن الزبير بمكة ضرب دراهم مدورة ، ويقال إنه أول من ضرب الدراهم  
المدتيرة كذلك ضرب أخوه مصعب بن الزبير دراهم بالمراق ، فلما قدم  
الحجاج بن يوسف العراق من قبل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان أبطل  
تلك العملة وقال : « ما نبق من سنة الفاسق أو المنافق شيئاً<sup>(٢)</sup> »

غير أن هذه النقود التي سكها خلفاء الدولة الإسلامية وأمرؤها لم تثبت  
على وزن واحد بل كانت متغيرة الأوزان<sup>(٣)</sup>. كذلك كان العرب يتعاملون  
بالنقود الأجنبية جنباً إلى جنب مع النقود الإسلامية ، إلى أن ولي عبد الملك  
ابن مروان الخلافة وتمهدت له الأمور في الدولة بصد القضاء على منافسيه  
والخارجين عليه ، فأراد أن يصلح النقود ويوحدها في جميع المملكة  
الإسلامية ويستغنى عن النقود الأجنبية<sup>(٤)</sup>.

(١) القرظي : النقود ص ٥٠ وإغاثة الأمة ص ٥٢ - ٥٣

(٢) القرظي . النقود ص ٥ - ٦ وإغاثة الأمة ص ٥٣

(٣) انظر القرظي : النقود ص ٤ - ٦ وإغاثة الأمة ص ٥١ - ٥٣

19-17 De Sacy : Traité des monnaies Musulmanes pp. والأب الستاس

الكرملي : النقود العربية وعلم التيمات ص ٢٧ - ٣٣

(٤) روى المؤرخون أن السبب الذي حدا بصيد الملك إلى هذا هو أن القراطيس  
كانت تسخل بلاد الروم من أرض مصر ويأتي العرب من قبل الروم الدنانير فكان  
عبد الملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذي يكتب في رؤوس الطوامير من (قل  
هو الله أحد) وغيرها من ذكر الله . فكتب إليه ملك الروم إنكم أحدثتم في قرطيسكم  
كتاباً نكرهه ، فإن تركتموه وإلا أتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه .  
قال فكبر ذلك في صدر عبد الملك وكرهه أن يدع سنة حسنة سننها فأرسل إلى خالد بن  
يزيد بن معاوية فاستشاره في ذلك فلم يكن منه إلا أن قال . حرم دنانيرهم فلا يتعامل بها  
واضرب للناس سكا ولا تصف هؤلاء الكفرة مما كرهوا في الطوامير . فقال عند الملك :  
فرجتها عنى فرج الله عنك ، وضرب الدنانير ( البلاذري . فتوح البلدان ص ٢٤٠  
والقرظي : النقود ص ٦ وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٧٦ - ١٧٧ )

ولذا ترى عبد الملك يضرب الدنانير والدرام في سنة ٦٧ هـ بعد تعديلها في أوزانها مما يتفق والركاة . وقد أرسل إلى الأمصار الإسلامية كلها لتضرب نقودها بمقتضى السكة التي ضربها عبد الملك<sup>(١)</sup> . وربما حمل المؤرخين على القول بأن عبد الملك بن مروان أول من ضرب النقود في الإسلام كونه نظم سك النقود وجعلها وزنا واحداً وجعلها تسرى في جميع أنحاء المملكة الإسلامية ، لأننا وأبنا أنه ضربت نقود فعلا قبل عبد الملك . والحق أن لعبد الملك الفضل الأول في إصلاح السكة وتوحيدها في أنحاء الدولة الإسلامية والاستغناء عن النقود الأجنبية . وهذا مما يسهل كثيراً في انتظام المعاملات ، إذ أن كثرة ضرب العملات الموجودة في بلد ما تدعو إلى الاضطراب في التعامل ، وكان الخلفاء من بعد عبد الملك يضربون سكة على وزن سكتهم وأحياناً يغيرون في أوزانها . ولما انتهت الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ صار الخلفاء العباسيون يضربون سكا أيضاً .



تدل قطع « الاستراكا »<sup>(٢)</sup> على أن المعاملات بين الأهالي في مصر قبل الفتح كان أسماها العملة الذهبية المعروفة بالدينار tremision, solidus denarius<sup>(٣)</sup> ، أى أن مصر كانت تتبع قاعدة الذهب<sup>(٤)</sup> . ويذهب علماء الاقتصاد السيامي إلى القول بأن نظام المعدن القردى الذهبى لا يمنع استعمال

(١) انظر : القرزى : شذور النقود ص ٦ — ٨ والأب انتناس الكرميل :

النقود المصرية ص ٣٤ — ٣٩

(٢) قطع من القنار والأحجار ، كتبت عليها بعض الشعوب القديمة ، ولا سيما الأفریق والفرانجة والقط ، واستنط منها علماء الآثار كثيراً من الحقائق التاريخية .

(٣) Crum : Coptie Ostraca. pp. 23. 46. 78. 79. 80

(٤) إذا كان أساس النظام النقدي في الدولة الذهب يقال إنها تتبع قاعدة الذهب

gold standard ( الدكتور عبد الحكيم الرافعى . الاقتصاد السياسى ج ١ ص ٤٧٩ )

نقود أخرى غير الذهب ، وبخاصة النقود الفضية ، ولكن الذهب يكون وحده هو العملة القانونية التي لها قوة إبراء غير محدودة<sup>(١)</sup> ، وتمتد النقود الأخرى عملة مساعدة<sup>(٢)</sup> ، ولا نجد في الاستراكا سوى إشارة أو اثنتين إلى النقود الفضية في مصر وتعرف بالهراهم<sup>(٣)</sup> . ويظهر أن النقود الصغيرة التي كانت تستعمل في مصر إذذاك - كالكروش وكسورها اليوم - كانت العملة البرزبية<sup>(٤)</sup> .

ويقول المقرزي<sup>(٥)</sup> : « أما مصر من بين الأمصار فما برح نقدها المنسوب إليه قيم الأعمال وأثمان المبيعات ذهباً في سائر دولها جاهلية وإسلاماً ، يشهد لذلك بالصححة أن خراج مصر في قديم الدهر وحديثه إنما هو الذهب » .

وتؤيد أوراق البردي وقطع الاستراكا ما ذكره المقرزي ، إذ تشهد كلهما بأن الجزية والضرائب وإيجار لأراضي وأجور العمال وسائر المعاملات كانت تدفع بالدينانير وأقسامها ، وتعرف الدينانير في أوراق البردي اليونانية باسم solidi<sup>(٦)</sup> . ويظهر أن مصر بعد الفتح كان يتعامل فيها بالدينانير الذهبية التي كان يتعامل بها قبل ذلك ، ولا بد أن النقود الإسلامية قد دخلت فيها

(١) أي تكون أداة للوفاء فإن القانون لا يعترف لغيرها بقوة الإبراء من الديون — عبد الحكيم الرفاعي : الاقتصاد السياسي ص ٤٤٨

(٢) عبد الحكيم الرفاعي : الاقتصاد السياسي ص ٤٨

(٣) Crum : op.cit. p. 23

(٤) Crum : op. cit. p. 23. 42. 45

(٥) النقود الإسلامية ص ١١ وإغاثة الأمة ص ٦٢

(٦) Crum: Coptic Ostraca. pp.36—37, Bell:(der Islam 11),pp.271.

. 274 etc., Becker: Neue Arabische Papyri. pp. 254—267 etc.,Grohmann

Arabic Papyri vol. 11. pp. 44, 45, 48, vol. 111. pp. 17, 31 48. 141

بعد الفتح . ويذكر Quatremère<sup>(١)</sup> وSauvaire<sup>(٢)</sup> أن الكاتب القبطي  
بشندي Picendi أسقف فقط الذي عاصر فتح العرب ، كتب كتابا إلى  
أساقفة أمته ( وهذا الكتاب محفوظ في مكتبة باريس ) يقول فيه : « إن  
العرب أخذوا النقود الذهبية المنقوش عليها الصليب المقدس وصورة السيد  
المسيح ومسحوا الصليب وصورة المسيح وكتبوا محلها اسم نبيهم محمد الذي  
يتيمون تعاليمه واسم خليفة نبيهم ونقشوا الاسمين معا على النقود الذهبية » .  
وربما ظلت النقود الأجنبية في مصر يتعامل بها جنبا إلى جنب مع  
النقود الإسلامية حتى إصلاح عبد الملك بن مروان للسكة وتجريمه الدنانير  
الأجنبية ، أى أن السكة في مصر خضعت للسكة الإسلامية ، وهذا مظهر  
من مظاهر التبعية دون شك . ولم تستقل سكة مصر عن السكة المستعملة  
في الخلافة إلا بعد أن استقلت عنها كما حدث في عهد أحمد بن طولون<sup>(٣)</sup> .  
وفي ذلك يقول القرزى<sup>(٤)</sup> : « ومع هذا فإن مصر لم تزل منذ فتحت دار إمارة  
وسكتها إنما هي سكة بنى أمية ثم بنى العباس إلا أن الأمير أبا العباس أحمد  
ابن طولون ضرب بمصر دنانير عرفت بالأحمدية » .

Mémoires géographiques et Historiques sur l'Egypte t. 1, (١)  
p 343.

Matériaux (Journal Asiatique. Septième Série T. XIV) pp. (٢)  
456—457.

Stanley Lane-Poole : Catalogue of the Collection of Arabic (٣)  
Coins preserved in the Khedivial Library at Cairo pp 135-6

(٤) النقود الإسلامية ص ١٢

## ٣ - النظام الحربي

### ١ - الجيش

بعد أن تم للعرب فتح مصر بقي بها جيش احتلال عربي ولم يشرك العرب المصريين في هذا الجيش ، ولم يرد في صلح بابليون أية إشارة تدل على السماح للمصريين بالاشتغال بالجندية . وربما دعا العرب إلى انتهاج تلك السياسة خوفاً منهم من أن يحجي المصريون روح القومية المصرية على حسابهم وأن يقوموا بطردهم من بلادهم متى حانت لهم الفرصة ، فأوا من الحكمة أن يبعدوهم عن الأعمال الحربية وألا يتركوا لهم إلا الأعمال المدنية . وربما كان العرب يشكون في كفاءة المصريين الحربية ، إذ كان المصريون زمن الفتح قد غمرتهم روح التواكل والاستسلام ، بينما كان العرب حينذاك شعباً يتقد حماساً وشجاعة ، ولم يكونوا قد تنمؤوا بعد وغمرتهم تلك الروح التي تقصر الشعوب حين تمتد الترف والرخاء .

ولا أدل على هذه الروح المضموية القوية وهذا الجهاد في سبيل الله من تلك الكلمات التي فاه بها عبادة بن الصامت رسول عمرو بن العاص أثناء المفاوضات التي جرت بين العرب والروم قبل فتح حصن بابليون ، إذ قال للمقوقس : « أنا قد وليت وأدبر شبابي وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعاً ، وكذلك أصحابي ، وذلك إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه . وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في دنيا ولا طلب للاستكثار منها ، إلا أن الله عز وجل قد أحل لنا ذلك وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً . وما يبالي أحدنا إن كان له قنطار من ذهب أم كان لا يملك إلا درهماً لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها



يسد بها جوعه ليله ونهاره وشعلة يلتحفها ، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله واقتصر على هذا الذى بيده ، ويبلغه ما كان فى الدنيا لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء ، إنما النعيم والرخاء فى الآخرة ، وبذلك أمرنا الله وأمرنا به نبينا وعهد إلينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمكس جوعته ويستر عورته ، وتكون همته وشغله فى رضوانه وجهاد عدوه (١) .

وقد حرم الخليفة عمر بن الخطاب على الجند فى مصر وفى سائر الأقاليم المفتوحة الاشتغال بالزراعة أو امتلاك الأرض ، لئلا يركنوا إلى الكسل ويسيطر عليهم حب المال والنعيم . والحق أن العرب بهرتهم ثروة البلاد التى فتحوها ، بل إن رغبتهم فى الانتفاع بخيراتها العظيمة كانت من الأسباب التى شجعتهم على المضى فى حروبهم وشجذت همهم للغزو والفتوحات (٢) .

(١) خطط القرزى ج ١ ص ٢٩١

(٢) ليس فى هذا ما يشين الإسلام فى شيء ولا سيما من قوم كالعرب لم تحمد الطبيعة على بلادهم بنى وخصب يجملان العيش فيها سهلا ميسورا . فاننظار الفتيمة كان من أسباب الفتوحات الإسلامية فى القرن السابع الميلادى وظل من العوامل المعروفة فى الحروب حتى العصر الحديث . وحسبنا أن نذكر قول بونابرت للجنود الذين سار على رأسهم لغزو إيطاليا سنة ١٧٩٦ : « أيها الجنود ! أتم عمارة وليس لديكم الغذاء الطيب الكافى والحكومة مدينة لكم بالكثير ، ولكنها لا تستطيع أن تعطىكم شيئا وسوف أفودكم الآن فى أخصب سهول الدنيا وستصبح فى يديكم مقاطعات غنية ومدن كبيرة ... »

ولا يغوتنا أن المؤرخين العرب أنفسهم قد فطنوا إلى هذا السبب الاقتصادى فكتب البلاذرى مثلا : « قالوا لما فرغ أبو بكر رضى الله عنه من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش إلى الشام فكتب إلى أهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب يتجدد والحجاز ينتفخ للجهاد ويرغبهم فيه وفى غنم الروم فسارع الناس إليه من بين محتسب وطامع وآتوا المدينة من كل أوب ... » ( فتوح البلدان . ط القاهرة سنة ١٩٠١ ص ١١٤ ) راجع أيضا

وقد بدا خطر هذه الروح للخليفة عمر بن الخطاب فأراد كيح جحاح الجند لأن واجب الجهاد كان يناديهم في كل مكان ، فلم يرض بتقسيم الأراضى بينهم كما رأينا ، بل حرم عليهم الاشتغال بالزراعة . ويذكر ابن عبد الحكم<sup>(١)</sup> في رواية له عن عبد الله بن هبيرة أن عمر بن الخطاب كتب إلى أمراء الأجناد بأن يمنموا الجنود من الزرع والمزارعة<sup>(٢)</sup> لأن عطاءهم قائم ورزق عيالهم سائل .

وكتب الماوردي<sup>(٣)</sup> أن من واجبات أمير الجيش « أن لا يمكن أحداً من جيشه أن يتشاغل بتجارة أو زراعة لصرفه الاهتمام بها عن مصابة المدو وصدق الجهاد » . ويرى Lane-Poole<sup>(٤)</sup> أن من أسباب تلك السياسة أن الاستثمار الدائم كان بعيداً كل البعد عن تفكير عمر بن الخطاب ، وأنه كان حريصاً على أن يظل الجند على أهبة الاستعداد للانتفاع بهم في أى مكان آخر عن امتلاك الأراضى والاستقرار ليكونوا مستمدين دائماً للجهاد والحرب .

ولكننا لا نستطيع الأخذ بهذا الرأى فليس امتلاك الجند الأراضى شرطاً للاستثمار المنظم . ولا يعقل أن جيوش المسلمين كانت حملات للنهب والسلب . بل الأرجح أن عدم امتلاك الأراضى كان سياسة موضوعة وأنه جزء من سياسة نشر الدين الإسلامى ونفوذ المسلمين ، تلك السياسة التى حرص العرب على اتباعها فى البداية فحببتهم إلى الشعوب التى غلبوها على

(١) فتوح مصر — طبعة تورى — ص ١٦٢

(٢) إذا أجز المالك جزءاً من أرضه واتفق مع المستأجر على أن يؤدى الايجار من المحصول عرف ذلك باسم المزارعة . وفى القاموس زارع فلان أى عامله على الأرض يبيض ما يخرج منها ويكون البذر من مالكها

(٣) الأحكام السلطانية ص ٤٢

أمرها ، وكان لهذه السياسة أكبر الأثر في تثبيت أقدامهم في البلاد التي حلوا بها . فالاحتلال العربي يذكّرنا بالاحتلال الروماني قديماً والاحتلال الإنجليزي حديثاً ، فإننا لا نلصق تدخلنا كبيراً من جانب تلك الشعوب في نظم البلاد المفتوحة رغم أنهم يستغلونها استغلالاً منظماً وينتفعون بثرواتها أيما انتفاع ويحتفظون لأنفسهم بالحكم والسيادة والرئاسة العليا لها . وطبيعي أن الكلام على « احتلال عربي » لا ينصرف إلا إلى الفترة السابقة لتعريب مصر واندماج المصريين والعرب لتأليف الأمة المصرية الحديثة .

ويزو المؤرخون تدوين الدواوين إلى الخليفة عمر بن الخطاب حين اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهده ، فكان لابد من ضبط الأموال وتقرير المطاء المفروض للأجناد وأسراتهم وما إلى ذلك مما تطلبه أمور الدولة بمد اتساعها ، وكان في مصر ديوان للجند تدون فيه أسماءهم وأسراتهم لتقرير المطاء والأرزاق اللازمة لهم . وأول من دون ديواناً للجند في مصر هو عمرو بن العاص ، أبو عبد العزيز بن مروان<sup>(١)</sup> تدويناً ثانياً ، ودون قرة ابن شريك التدوين الثالث ، ثم دون بشر بن صفوان ( ١٠١ - ١٠٢ هـ ) التدوين الرابع<sup>(٢)</sup> . وكان الجند يثبتون فيه على حسب قبائلهم التي ينتمون إليها ، ونلاحظ هذا في نظام الجيش الذي فتح مصر ، إذ كان مقسماً على حسب القبائل ، وفي مدينة القسطاط أيضاً التي اختطها العرب اتخذت كل قبيلة لنفسها خطة مستقلة عن القبائل الأخرى . وكان أهل الديوان في مصر

(١) في كتاب الولاية والفضاة يذكر الكندي أنه تدوين عمر بن عبد العزيز ابن مروان ، ولكن القرظي يذكر أنه تدوين عبد العزيز بن مروان ، وهو الصحيح

(٢) الكندي ص ٧١ وخطط القرظي : ج ١ ص ٩٤

زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان أربعين ألفاً<sup>(١)</sup>. ويذكر ابن عبد الحكم<sup>(٢)</sup> والمقرئزي<sup>(٣)</sup> أن معاوية بن أبي سفيان حمل على كل قبيلة من قبائل العرب رجلاً يدور على المجالس كل صباح ليسأل عما إذا كان مولود قد ولد فيهم أو ضيف حل بهم فيكتب أسماءهم وأسراهم ويذهب إلى الديوان ليثبتهم فيه.

والذي حمل بشر بن صفوان على تدوينه الديوان ما رآه من تفرق قبيلة قضاة في القبائل الأخرى، فاستأذن الخليفة يزيد بن عبد الملك ليستخرجهم من كافة القبائل ويجمعهم في قبيلة على حدة فأذن له بذلك<sup>(٤)</sup>.

ونجد بعد هذا أن قبيلة قيس مثلاً تلتحق بالديوان زمن الخليفة هشام بن عبد الملك<sup>(٥)</sup>. ومن يقرأ أخبار الولاة يجد عادة أن كل وال جديد يصحب معه نفرًا من قبيلته وعشيرته، وكان هؤلاء الولاة عرباً حتى نهاية الدولة الأموية. أما في الدولة العباسية فقد جدت عناصر أخرى فارسية دونت في الديوان. ثم ما لبث أن ظهر عنصر آخر طمى على المنصر العربي والفارسي، وقوام هذا المنصر الجديد الأتراك الذين استكثر منهم المتصم وأثبتهم في الديوان. بل إن المتصم لم يقف عند هذا، فقد أمر واليه على مصر كيدر نصر بن عبد الله باسقاط العرب من الديوان وقطع أعطياتهم في سنة ٢١٨ هـ ففعل ذلك كيدر<sup>(٦)</sup>، وكان من أثر هذا أن انتشر العرب في أنحاء مصر يسعون

(١) خطط المقرئزي ج ١ ص ٩٤

(٢) فتوح مصر - طبعة توري - ص ١٠٢

(٣) الخطط ج ١ ص ٩٤

(٤) الكندي: الولاة والقضاة ص ٧٠ - ٧١

(٥) الكندي ص ٧١

(٦) الكندي: ص ١٩٣ وخطط المقرئزي: ج ١ ص ٩٤

وراء الرزق عن طريق آخر غير طريق الجهاد والحرب ، فاحترفوا الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها من المهن والحرف التي كانت إلى ذلك الوقت وقفا على أهل البلاد .

ويستنبط من أوراق البردي أن الوالي كان يطلب المال من أصحاب الكور عند حلول موعد عطاء الجنود وأسراهم<sup>(١)</sup> أو يطلب من أصحاب الكور إرسال ضريبة الطعام لتوزيع الأرزاق على أهل الديوان<sup>(٢)</sup> .

ولسنا نعرف تماما المبادئ التي كانت تقدر على أساسها أعطيات الجنود وهل كان ينظر إلى القبيلة وسابقتها في الإسلام وفضلها في الجهاد ، أو كان الأساس قدر ما على الشخص من التزامات عائلية . ولكن من المحتمل أن بعض الخلفاء كان يزيد أعطيات بعض القبائل استرضاء لها واصطناعا لأبنائها ، ولعل عطاء الفارس كان ضمف عطاء الرجل ليستطيع أن ينفق منه على فرسه

ويذكر الماوردي أن تقدير المطاء كان بحيث يفنى المرء عن الاشتغال بحرفة أخرى تشغله عن القتال والحرب . ومهما يكن ، فقد كان من الواجب أن يراعى في تقدير المطاء ثلاثة وجوه : أحدها عدد من يموله الفرد من الدراري والماليك ، والثاني عدد ما عنده من الخيل والظهر<sup>(٣)</sup> . والثالث ظروف الوضع الذي يحل فيه من الفلاء والرخص . وإذا مات أحدهم أو قتل يصبح عطاؤه إرثا من بعده يأخذه ورثته . ويختلف الفقهاء في ذلك ، فبعضهم

Becker : Neue Arabische Papyri. pp. 251—252, Grohmann: (١)

Arabic Papyri vol. 111. pp. 12—13

Bell : Translations of the Greek Papyri (Der Islam, Band (٢)

11.) p. 271

(٣) الظهر : الركاب التي تحمل الأمتال

يقول إن ورثته يحالون على مال العشر والصدقة لأن عطاءه قد سقط بموته ،  
والبعض يقول بأن يورث ورثته من عطاءه ، وهذا فيه تشجيع للجنود  
على التجند .

ونحن نعرف من المصادر التاريخية أن العطاء لم يستمر على حال واحدة ،  
فالخليفة عثمان بن عفان أول من زاد في عطاء الجند<sup>(١)</sup> ، ولكن هذه الزيادة  
لم تستمر بده ، فبعض الخلفاء أبقاها والبعض منمها . فنجد مثلاً عمر بن  
عبد العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ) يكتب زيادة أعطيات الناس في ولاية أيوب  
ابن شرحبيل (٩٩ - ١٠١ هـ)<sup>(٢)</sup> ويأمر الخليفة يزيد بن عبد الملك بمنمها  
(١٠١ - ١٠٥ هـ)<sup>(٣)</sup> . كذلك كانت الحال فيما يختص بالأرزاق ففي  
رواية عن ابن هزيمة أن أرزاق المسلمين كانت اثني عشر أردباً في كل سنة  
فقص أردبين أردبين فصار كل رجل إلى عشرة ، فلما ولي حفص بن الوليد  
(في ولايته الثانية ١٢٤ - ١٢٧ هـ) صيرهم إلى اثني عشر اثني عشر<sup>(٤)</sup> .  
ويجدر ملاحظة كثرة هذه الكمية التي كانت تصرف للفرد الواحد ، ولكن  
المفروض أن كل رجل يعول أسرة . على أن إنقاص العطاء والأرزاق كثيراً  
ما كان يثير اضطرابات ومشاكل عدة بين الأجناد العرب المقيمين في مصر ،  
خصوصاً في أواخر الدولة الأموية وفي خلال الدولة العباسية عند ما أصبح  
العرب يملكون أراضي زراعية ، إذ أصبحوا يؤدون خراجاً وفي الوقت نفسه  
يأخذون عطاء ، وإنقاص العطاء أو زيادة الخراج يكون معناه زيادة الأعباء  
المالية على العرب ، وهذا كان سبباً في ثورتهم بمصر كما سنرى . ولا أدل على

(١) خطط الميرزى ج ١ ص ٩٣

(٢) الكندي : الولاة والنضاة ص ٦٨

(٣) الكندي ص ٧٠

(٤) الكندي ص ٨٢

كثرة الاضطرابات والمشاكل التي قامت بين العرب بسبب المطاء والأرزاق من أنه في عهد ولاية الحسن بن التختاخ (١٩٣ - ١٩٤ هـ) بمصر ثاروا عليه حينما أعطاهم المطاء ثلثاً عيناً<sup>(١)</sup> وثلثاً بزاً<sup>(٢)</sup> وثلثاً قحاً ، ووقعت فتنة عظيمة قتل بسببها فريق من الجند ومن أهل مصر في المسجد الجامع وانقض أهل الرملة على بمض الأموال وهي في طريقها إلى دار الخلافة وأخذوا منها عطاهم كاملاً وقالوا . هذا عطاؤنا قد ساقه الله إلينا<sup>(٣)</sup>

ولسنا نعرف كيف كانت الأعطيات تصرف للجند ، ولكن أكبر الظن أن الجند كانت فيهم رتب مختلفة من أمير وعريف وخليفة وقائد ونقيب وما إلى ذلك من الرتب التي لم تتبين تماماً الفرق بين كل منها في فجر الإسلام ، ومن المحتمل أن المرءة كانوا يتسلمون الأعطيات ويتولون تفريقها على الجند ويظهر أنه كان هناك وقت معين يعرفه الجند أو أهل الديوان ، يتسلمون فيه عطاهم على رأس كل سنة . ويقال إن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية قطع المطاء عن جند مصر سنة فكتب إليهم كتابا يمتد في السنة التالية ، ويقول « إني إنما حبست عنكم المطاء في السنة الماضية لعدو حضري فاحتجت فيه إلى المال ، وقد وجهت إليكم بمطاء السنة الماضية وعطاء هذه السنة فكلوا هنيئاً مريئاً وأعوذ بالله أن أكون أنا الذي يجري الله قطع المطاء على يديه<sup>(٤)</sup> »

ومن أقوال الفقهاء في هذا الصدد<sup>(٥)</sup> : « ويكون وقت المطاء معلوما

(١) العين : الذهب المضروب أو الدينار خلاف الفضة المضروبة

(٢) البز : الثياب من الكتان أو القطن . السلاح والجمع بزوز

(٣) الكندي : الولاية والفضة ص ١٤٦

(٤) الكندي ص ١٩٤ وخطط القرظي : ج ١ ص ٩٤

(٥) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٩٥ - ١٩٦

يتوقمه الجيش عند الاستحقاق وهو معتبر بالوقت الذي يستوفى فيه حقوق بيت المال ، فإن كانت تستوفى في وقت واحد من السنة جعل العطاء في رأس كل سنة ، وإن كانت تستوفى في كل شهر جعل العطاء في رأس كل شهر ، ليكون المال مصر وفا إليهم عند حصوله فلا يجبس عنهم إذا اجتمع ولا يطالبون إذا تأخر ، وإذا تأخر عنهم العطاء عند استحقاقه وكان حاصلًا في بيت المال كان لهم المطالبة به كالديون المستحقة ، وإن أعوز بيت المال لمعارض أبطلت حقوقه أو آخرتها كانت أزراقهم دينًا على بيت المال وليس لهم مطالبة ولي الأمر به ، كما ليس لصاحب الدين مطالبة من أعسر بدينه » كذلك اشترط على المصريين ضيافة الأجناد ، فمن نزل عليه جندي أو أكثر وجبت عليه ضيافتهم ثلاثة أيام<sup>(١)</sup> ، وهذا كان يوفر على الخند كثيرًا من العناء عند انتقالهم من جهة إلى أخرى في أنحاء مصر .

ولا يسمح المقام هنا بأن نعرض للتجنيد في الإسلام عامة من حيث إنه كان تطوعًا في البداية ثم دخله نوع من الإلزام في عصر بني أمية ، فإنا لا نكاد نرى في المصادر العربية ما يساعد على أن نجلى غوامض هذه المسألة وأكبر ظننا أن حال التجنيد من تطوع وإلزام كان يتغير بين حين وآخر بتغير الأسماء واختلاف ظروف القتال وقوة الخلافة نفسها ونوع العناصر التي كانت تعتمد عليها في تكوين الجيوش الإسلامية .

وكان ملحقاتًا بالجيش طائفة تسمى المطوعة ، وربما كان أساسها أهل البلاد الذين كانوا في جيش مصر أثناء الفتح العربي لها ، وهذا لا يخالف ما ذكرناه من أن العرب أبدوا المصريين عن الاشتراك في الجيش

---

(١) ابن عبد الحكم — طبعة المعهد — ص ١٤ والقرنيزي — خطاط ج ١ ص ٢٩٢ والسيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٥١



إذ أن هؤلاء الطوعة لم يدخلوا في صلب الجيش ولم يشتركو اشتراكاً فعلياً فيه ، وبغلب على الظن أنهم كانوا يقومون بأدوار ثانوية في خدمة الجيش وفي أوقات الضرورة القصوى كما كان عملهم مقصوراً على مصر وحدها ، ولم يكن لهؤلاء الطوعة عطاء ولم يثبتوا في الديوان ، إنما كان عطاؤهم من الصدقات . فيذكر الكندي<sup>(٢)</sup> أن مواحيز<sup>(٣)</sup> مصر كان يعمرها أهل الديوان وطائفة الطوعة ، وكانت أحباس السبيل<sup>(٤)</sup> التي يتولاها القضاة تجميع في كل سنة فإذا جاء شهر أبيب فرق القاضي أموال السبيل التي جمعت من الأحباس على الطوعة ، ومن كان فقيراً من أهل الديوان الذين يشغلون مواحيز مصر من العريش إلى لويبة ومراقبة<sup>(٥)</sup> .

وبحسن هنا أن نشير إلى اهتمام الخلفاء بأمر حامية مصر وذلك لأهمية موقعها ، فمصر تقع في منطقة يسهل منها التوسع جنوباً وغرباً وشرقاً بل وشمالاً عن طريق البحر الأبيض المتوسط ، أي أنها قاعدة للفتوحات والتوسع ما دامت محتفظة بقوتها ، أما إذا تطرق إليها انضعف فإن العدو يهددها من هذه الجهات . أي أن مركز مصر يتطلب السهر دائماً على شئونها والعناية

(٢) الولاية والقضاة ص ٤١٨ — ٤١٩

(٣) الماحوز : المكان الذي يكون بين القوم وبين عدوم وهو من استعمال أهل الشام ، ويذكر Dozy أن الماحوز في سوريا معناه الحدود (Supplément aux dictionnaires Arabes)

(٤) أحباس السبيل : الأوقاف التي توقف في سبيل الله

(٥) صحابة : اسم لحد مصر الغربي بينها وبين برقة . في خطط القرينى ج ١ ص ١٦ قال القاضي : الذي يقع عليه اسم مصر من العريش إلى آخر لويبة ومراقبة وفي آخر أرض مراقبة تلي أرض انطابلس وهي برقة ، وفي ابن عبد الحكم — طبعة تورى — ص ١٧٠ لويبة ومراقبة كورتان من كور مصر الغربية مما يصرب من السماء ولا ينالها النيل .

بالجيش الذى يحميها . وليس غريباً أن ترى الرواة ينسبون إلى الرسول صلوات الله عليه وسلامه أحاديث خاصة بهذا الشأن ، فقد روى عبد الله بن لهيعة عن حديث لعمر بن العاص أنه قال « حدثني عمر أمير المؤمنين رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا فتح الله عليكم بمدى مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض . قال أبو بكر رضى الله عنه : ولم ذلك يا رسول الله ؟ قال : لأهم في رباط إلى يوم القيامة <sup>(١)</sup> » وروى أيضاً أن عمرو بن العاص قال في خطبة له بمصر : « واعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة لمسكت الأعداء حولكم ولا إشراف قلوبهم إليكم وإلى داركم ممدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية <sup>(٢)</sup> » ولا بد أن حامية مصر قد زادت بمد الفتح زيادة كبيرة ، ونعلم أن حامية الاسكندرية أو رباطها كانت اثني عشر ألفاً (٤٣ - ٤٤ هـ) ، ولكن قائد هذا الرباط كتب إلى عتبة بن أبي سفيان وإلى مصر يشكو قلة من معه من الجند وأنه يتخوف على نفسه وعليهم <sup>(٣)</sup> . ونستطيع أن نلص هذه الزيادة الكبيرة إذا تذكرنا أن الجيش الذى قدم إلى مصر لفتحها قبل ذلك بنحو عشرين عاماً كان كله يتراوح بين ١٢ ألفاً و ١٥ ألفاً من الجنود .

وقد ظلت مصر طوال هذا العهد قائمة للفتوحات والتوسع تخرج منها جيوش الخلافة جنوباً وغرباً ، إما لتأمين حدودها مثل تلك الحملات التى ذهبت لفتح النوبة أو لفتح برقة ، وأما لمشاركة جيوش الخلافة في حملاتها للتوسع غرباً ، فنصد ما ولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر في خلافة

(١) خطاط القرزى ج ١ ص ٢٤

(٢) المرجع نفسه ص ٢٦

(٣) السكندى ص ٣٦

عثمان بن عفان خرج منها لغزو أفريقية<sup>(١)</sup> .  
وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان خرجت جيوش الخلافة من مصر  
لغزو أفريقية أيضا . ومن القواد الذين اشتهروا بتزوها في عهد معاوية عقبة  
ابن نافع الفهري<sup>(٢)</sup> وغزيت أفريقية من مصر أيضا في خلافة عبد الملك بن  
مروان<sup>(٣)</sup> ، وفي أوراق البردي أن المصريين اشتركوا في الأسطول الذي ذهب  
لغزو أفريقية بجرا في خلافة الوليد بن عبد الملك<sup>(٤)</sup> ، والواقع أن غزو أفريقية  
كان منذ البداية على يد الجند من الحامية العربية في مصر .

وكتب البلاذري « كان أهل برقة يمشون بخراجهم إلى والى مصر من  
غير أن يأتيهم حاث أو مستحث فكانوا أخصب قوم بالغرب »<sup>(٥)</sup> وكان  
إخضاع برقة وطرابلس على يد جنود عمرو بن العاص ، ولكن فتح شمالي  
أفريقيا بدأ سنة ٢٧ هـ (٦٤٧ م) بقيادة خلفه في ولاية مصر عبد الله  
ابن سعد ومعه جنود من حامية مصر وجنود آخرون أمده بهم الخليفة  
عثمان بن عفان . وقد نجح الجيش الاسلامي في الوصول إلى الموضع الذي  
تقوم فيه الآن مدينة القيروان ، ثم انحدر إلى الجنوب الغربي وأوقع بجيش  
البيزنطيين هزيمة منكرة عند سببلة وأصاب غنائم كثيرة ، ولكن  
البيزنطيين كانت لهم حاميات أخرى في قلاع حصينة ومدن منيعة ، ولعل

- 
- (١) ابن عبد الحكم : طبعة تورى من ١٨٣ - ١٨٤ والبلاذري : فتوح  
البلدان من ٢٢٦ - ٢٢٧ والسكندي : الولاة والقضاة من ١٣  
(٢) ابن عبد الحكم من ١٩٤ - ١٩٧ والبلاذري : فتوح البلدان من  
٢٢٧ - ٢٢٨ .  
(٣) ابن عبد الحكم . شرحه من ٢٠٠ - ٢٠١ والبلاذري . شرحه .  
ص ٢٢٩ .

Bell : op. cit (der Islam II) p. 279 (٤)

(٥) فتوح البلدان من ٢٣٢

.. فجر الإسلام - (٦)

عبد الله بن سعد كان يخشى أن يعودوا إلى الهجوم فقبل ما عرض له عليه عظماء إفريقية حين تقدموا إليه بأن يترك البلاد على أن يأخذ منهم غرامة حريرية كبيرة . فرجع الجيش إلى مصر مثقلا بالغنائم بعد حملة دامت نحو عام كامل أدرك فيها ضعف إفريقية وسهولة فتحها وبذر فيها الفوضى وشجع قبائل البربر على الخروج على طاعة البيزنطيين .

وكان منتظرا أن يعود العرب في مصر إلى غزو إفريقية ولكن أزمة الخلافة والنزاع بين علي ومعاوية والشأن الذي كان لمصر في الثورة على عثمان ثم النزاع على الخلافة من بعده كل ذلك ترك لأفريقية فترة هدوء وسلام وأبعد عنها الفاتحين المسلمين نحو سبعة عشر عاما .

ولما استقر الأمر لبني أمية عاد عمرو بن العاص إلى ولاية مصر وعاد الجند المسلمون في مصر إلى التطلع نحو الغرب ولكن عمرو بن العاص توفي سنة ٤٣ هـ ( ٦٦٣ م ) وخلفه ابنه عبد الله ثم عزله الخليفة معاوية وولى معاوية بن حديج زعيم الحزب الأموي بمصر أثناء النزاع بين علي ومعاوية . وخرج معاوية بن حديج إلى أفريقية بأمر من الخليفة على رأس جيش من حامية مصر سنة ٤٤ هـ ( ٦٦٤ م ) . فهزم جيشا بيزنطيا كبيرا نزل من البحر عند Hadrümetum ( سوسة الحالية ) واستولى على حصن جلولاء ثم رجع إلى مصر محملا بالغنائم .

وأتى بعد ذلك دور احتلال إفريقية وفتحها فتحها منطلقا ، وكان ذلك على يد عقبة بن نافع الذي شيد مدينة القيروان سنة ٥٠ هـ — ( ٦٧٠ م ) وبالرغم من ذلك فإن إفريقية لم تصبح في عهده ولاية قائمة بذاتها تتبع الخلافة مباشرة ، بل ظلت ملحقة بولاية مصر ، بل إن عقبة بن نافع نحى عن حكمها حين عهد معاوية بن أبي سفيان بولاية مصر والمغرب لسلمة بن مخلد الأنصاري

فولى المغرب أبا المهاجر أحد مواليه . ولكن عند ما ولى الخلافة يزيد بن معاوية رد عقبة بن نافع إلى قيادة المسلمين في إفريقية سنة ٦٢ هـ (٦٨١ م) فقام بحملة واسعة النطاق في شمالي إفريقية هزم فيها جيوشاً من الروم والبربر وتقدم إلى أن وصل إلى شاطئ المحيط عند طنجة ، ويروى أنه قال حينئذ : « يارب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك » . على أن عقبة لم يحسن سياسته ولم يفد من هذه الانتصارات ، بل اتحد ضده الروم والبربر بزطامة كسيلة . وقتل عقبة وأهزم جيشه سنة ٦٤ هـ (٦٨٣ م) واضطر المسلمون إلى التخلي عن كل فتوحاتهم غربي برقة وارتد عن الإسلام معظم البربر الذين كانوا أسلموا قبل ذلك .

ولم يستطع المسلمون أن يبادروا بالأخذ بالثار ، فقد شغلهم عن ذلك ما كان من نزاع بين الخليفة عبد الملك بن مروان ومنافسة عبد الله بن الزبير ، ثم انتهز عبد الملك فترة هدوء فأرسل إلى إفريقية جيشاً سيره أخوه وعامله على مصر عبد العزيز بن مروان ، وعقد لواءه لزهير بن قيس البلوى . واستطاع المسلمون أن يهزموا جيوش الروم والبربر سنة ٧٠ هـ (٦٨٩ م) وقتل في هذه المعركة كسيلة زعيم البربر وترك زهير بن قيس حامية بالقيروان ورحل يريد الرجوع إلى مصر ولكنه فوجيء في برقة بحملة أنزلها الروم من البحر حين بلغهم أنه تقدم من برقة إلى إفريقية وترك برقة خالية فعاثوا فيها فساداً وقاتلوه هو ومن معه حين عادوا من إفريقية في طريقهم إلى مصر وكان النصر للبيزنطيين وقتل زهير ومعظم جنوده . وعزم الخليفة عبد الملك ابن مروان على الانتقام لهذه الهزيمة وكان النزاع بينه وبين عبد الله بن الزبير قد انتهى بقتل عبد الله ، فاستطاع الخليفة أن يرسل إلى إفريقية جيشاً كبيراً بقيادة حسان بن النعمان الفسافي . ونجح هذا الجيش في طرد الروم من

قرطاجنة بمساعدة الأسطول الإسلامي سنة ٨٧٧ (٦٩٨ م) ثم تحول إلى البربر في جبل أوراس حيث نجحت زعيمتهم « الكاهنة » في توحيد كلتهم وهزمت المسلمين . فتقهقر حسان ومن بقي من جيشه إلى برقة . وظل فيها خمس سنين ، كانت الكاهنة خلالها تحكم إفريقيا حكما مطلقا قوامه الظلم والفساد ، والظاهر أنها ظنت أن المسلمين يريدون استقلال بلادها ، وحمل الغنائم منها فلجأت — حين شعرت بقرب هجومهم — إلى تخريب البلاد وهدم المأثر وقطع الأشجار مما أثار الحضر والمشتغلين بالزراعة من سكان البلاد سواء كانوا من البربر أم من الروم ، واستطاع المسلمون بقيادة حسان ابن النعمان أن يفيدوا من هذه الحال ، ورحب بهم كثيرون من السكان واستطاعوا أن يوقعوا بجيش الكاهنة هزيمة منكرة ، وانتهت بقتلها مقاومة البربر . وعاد حسان إلى القيروان ثم عزله الوليد بن عبد الملك . وفي سنة ٨٨٦ (٧٠٥ م) . أرسل الخليفة إلى إفريقية موسى بن نصير واليا على البلاد يحكمها من القيروان ويتبع الخليفة مباشرة . وهكذا أصبحت إفريقية منذ ذلك الحين ولاية مستقلة في حكمها عن مصر ، بعد أن كانت منذ بدأ الفتح تتبعها في الإدارة وتلقى منها الجيوش الفاتحة .

على أن مصر لم تكن مركزا للعمليات الحربية البرية فحسب ، بل كان على المسلمين أن ينفوا بحماية سواحلها ، وقد أثبتت الحوادث أنهم كانوا محقين في ذلك ، فكثيرا ما أغار الروم على الأسكندرية أو غيرها من الثغور . وقد رأينا أن الروم تقضوا العهد بينهم وبين المسلمين وأغاروا على الأسكندرية سنة ٢٥ هـ ونقدموا منها إلى الدلتا يريدون إخراج المسلمين من مصر . وتم طرد الروم على يد عمرو بن العاص .

كذلك اشتبك عبد الله بن سعد أثناء ولايته على مصر مع الروم في

سنة ٣٤ هـ (٦٥٤ م)، وكانوا تحت قيادة الإمبراطور قنسطانز الثاني<sup>(١)</sup> (٦٤١  
٦٦٨ م) الذي كان يحاول طرد العرب من مصر واسترداد الإسكندرية كما  
فعل في سنة ٢٥ هـ (٦٤٥ م) ويقال إن مصابك الروم في هذه الغزوة  
كانت ألف مركب أو سبعمائة، أما المسلمون فقد لقوا في مائتي مركب،  
ورغم هذا فقد انتصر المسلمون عليهم، وتعرف هذه الغزوة بغزوة ذي الصواري  
لكثرة صواري المراكب واجتماعها<sup>(٢)</sup>، ويقال إن هذه الغزوة كانت في سنة  
٣٥ هـ (٦٥٥ م) وأن ريحا شديدة فرقت الروم<sup>(٣)</sup>، وقد نتابعت غزوات  
الروم بعد ذلك على الشواطئ المصرية، ففي إمرة مسلمة بن مخلد على مصر  
نزل الروم بالبرلس في سنة ٥٣ هـ ففرج المسلمون إليهم برأ وبحراً واستشهد  
في تلك الغزوة وردان مولى عمرو بن العاص<sup>(٤)</sup>، ثم نزل الروم على دمياط  
في سنة ٩٠ هـ في خلافة الوليد بن عبد الملك<sup>(٥)</sup> أي أن غزوتهم هذه كانت  
في أوائل ولاية قررة بن شريك على مصر (٩٠ - ٩٦ هـ) أو في أواخر  
ولاية عبد الله بن عبد الملك (٨٦ - ٩٠ هـ)، وكذلك نزل الروم بتنيس<sup>(٦)</sup>

(١) يجدر أن نشير هنا إلى أن المراجع العربية تذكر دائماً قسطنطين بن  
هرقل لا قنسطانز.

(٢) ابن عبد الحكم ص ١٨٩ - ١٩٠ والكندى ص ١٣. وخطط  
المريزي ج ١ ص ٢٢٩.

(٣) ابن عبد الحكم ص ١٩١.

(٤) الكندى: الولاة والفضة ص ٣٨ وخطط المريزي ج ٢ ص ١٩٠.

(٥) خطط المريزي ج ٢ ص ٢١٤.

(٦) تنيس: بكسرتين وتشديد النون وباء ساكنة والسين مهملة: جزيرة في  
بحر مصر (يعني هنا بحيرة المنزلة) قريبة من البر ما بين دمياط والفرما في شرقها  
(ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ٨٨٢). ويقول المريزي في المخطط ج ١ ص ١٨١  
«وما زالت تنيس مدينة عامرة ليس بارض مصر مدينة أحسن منها ولا الحصن من  
عمارتها إلى أن خربها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب في سنة أربع  
وعشرين وستائة فاستمرت خراباً».

في سنة ١٠١ هـ في إمرة بشر بن صفوان (١٠١ — ١٠٢ هـ) وقتل في تلك النزوة أميرها مزاحم بن مسleme الرادي<sup>(١)</sup> في جمع من الموال<sup>(٢)</sup> وفيهم يقول الشاعر :

ألم تربع فتخبرك الرجال بما لاقى بتئيس الموال<sup>(٣)</sup>

وفي خلافة هشام بن عبد الملك نزل الروم دمياط في إمرة حنظلة بن صفوان الثانية على مصر في ثلثة وستين مراكباً فقتلوا وسبوا ، وذلك في سنة ١٢١ هـ<sup>(٤)</sup> . ويذكر القريزي<sup>(٥)</sup> أنه لما قامت الفتنة بين الأخوين محمد الأمين وعبد الله الأمون وما استتبع ذلك من الفتن في مصر طمع الروم في هذه البلاد ونزلوا دمياط في أعوام بضع ومائتين . كذلك أغار الروم على مصر في ولاية عنبسة بن إسحاق فنزلوا بدمياط سنة ٢٣٨ هـ وملكوها وقتلوا وسبوا عدداً كبيراً منها ثم مضوا إلى تئيس وأقاموا بأشتومها<sup>(٦)</sup> ، ويظهر أن غزرو الروم في تلك المرة كان وقعه شديداً ؛ فان الخليفة المتوكل أمر ببناء الحصون في دمياط وتئيس والفرما ، فأنفقت في ذلك الأموال العظيمة ، وبدى في بناء حصن دمياط سنة ٢٣٩ هـ<sup>(٧)</sup> .

(١) في الكندي ص ٧٠ . يقول إنه « ابن أحر بن مسleme الرادي » .

(٢) الموال هنا معناها أهل البلاد الوطنيين أو للصريين .

(٣) الكندي ص ٧٠ وخط القريزي ج ١ ص ١٧٧ .

(٤) خطط القريزي ج ١ ص ٢١٤ .

(٥) خطط القريزي ج ١ ص ٢١٤ .

(٦) الأشتوم بالضم ثم السكون والنون وتاء مثناة مضمومة والواو ساكنة وميم

موضع قرب تئيس ( ياقوت . معجم البلدان ج ١ ص ٢٧٦ ) .

(٧) الكندي ص ٢٠١ — ٢٠٢ وخط القريزي ج ١ ص ١٨٠ — ٢١٤ .



ويذكر ابن عبد الحكم<sup>(١)</sup> والسيوطي<sup>(٢)</sup> أنه لما استقامت البلاد وفتح المسلمون الإسكندرية جعل عمرو بن العاص ربيع الجند لرباط<sup>(٣)</sup> الإسكندرية صائفة يقيمون ستة أشهر ، ويمضهم شاتية يقيمون ستة أشهر أيضاً ، ويقال إن عمر بن الخطاب كان يبعث في كل سنة جنداً من أهل المدينة ليرابط بالإسكندرية ، وكان يكتب الولاية قائلاً : « لا تغفلها ولا تكشف رباطها ولا تأمن الروم عليها » ، وكذلك اتبع عثمان بن عفان سنة عمر بن الخطاب ، وكان عبد الله بن سعد في هذا الشأن يقول : « قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين بالإسكندرية وقد نقضت الروم مرتين فأزيم الإسكندرية رباطها ثم أجر عليهم أرزاقهم وأعقب بينهم في كل ستة أشهر » .

ولا نعلم إذا كان هذا يحدث في حامية الاسكندرية فحسب أو في الاسكندرية وحاميات البلاد الأخرى . وربما كان تمييز الحاميات ونقلها يقصد به العرب راحة الجند وتجنب تعويدهم على الإقامة في مكان واحد كما يتبع في جيوش مصر الحديث .

## ب — البحرية

« ساهمت مصر بنصيب وافر في إنشاء الأساطيل الإسلامية الأولى ويمكننا القول بأن عبد الله بن سعد الذي خلف عمرو بن العاص في حكم مصر كان أمير البحر الثاني في الإسلام . أما أمير البحر الأول فكان معاوية ابن أبي سفيان أثناء ولايته على الشام وقبل أن تضير له الخلافة . فكان

(١) فتوح مصر وأخبارها — طبعة توري — من ١٩١ — ١٩٢ .

(٢) حسن المحاضرة ج ١ ص ٧١ .

(٣) الرباط : المكان الذي يرابط فيه الجيش . والجمع ربط .

المسلمون يقومون بغزواتهم البحرية ضد البيزنطيين من الشام بقيادة معاوية ومن مصر بقيادة عبد الله بن سعد . وبعد أن كان البحر الأبيض المتوسط في عهد جستنيان بحيرة بيزنطية أصبح بفضل مصر والشام بحراً إسلامياً . ولا نفي أن سكان مصر ولا سيبا القبط كان لهم الفضل في بناء السفن وتشديد دور الصناعات في وادي النيل وفي تونس والشام<sup>(١)</sup> .

أجل إن مصر اشتهرت منذ البداية بصناعة السفن التي كان يحتاج إليها أسطول الخلافة ، فالعرب عند ظهور الإسلام لم يكونوا شعباً بحرياً<sup>(٢)</sup> . ولكن عند ما اتسمت امبراطوريتهم وشملت شعوباً وأممًا بحرية ، وعند ما

(١) الدكتور زكي محمد حسن : مصر والحضارة الإسلامية من ٣٥ — ٣٦ .

(٢) ولكن أهل بلاد العرب الجنوبية في ممالك معين وسبأ وحيرب إقليم اليمن كانوا يستغلون بشل التجارة بين مواطن المدنيات القديمة في الهند ومصر وبلاد الجزيرة والشام وكانت سفنهم تمر عبر باب البحر الواقع جنوبي شبه جزيرة العرب والذي أصبح ينسب إليهم فيقال بحر العرب أو البحر العربي — ومهما يكن من شيء فإن الامبراطورية الإسلامية لم تصبح دولة بحرية بمعنى الكلمة لأن الشعوب التي قامت على أكتافها كالعرب والفرس والترك كانت تتألف في البداية من قبائل معظمها رحل . ومن الطريف أن بعض المستشرقين أشار إلى أن في القرآن مواضع شتى يذكر فيها فضل الله عز وجل على الناس بخلق الأرض . ومن ذلك قوله تعالى في سورة طه آية ٥٣ — ٥٤ ( الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهي ) ، أما البحر فقد جاء وصف أحواله في سورة النور آية ٤٠ ( أو كظلمات في بحر لجي يشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ) راجع مقال الأستاذ هيربرت جانسكي عن « البحر في تاريخ المسلمين وثقافتهم » ، وقد نشر في كتاب : Hans Mzik

Beitrage zur historischen Geographie (Leipzig 1929) p. 42

ومع ذلك كله فلا يستطيع منصف أن ينكر ما حققه المسلمون رغم ذلك من السيادة على البحر الأبيض المتوسط في فترة من تاريخهم . راجع أيضاً ملدة « سفينة » في ملحق دائرة المعارف الإسلامية :

اضطروا إلى محاربة شعوب بحرية وعملوا على الاستيلاء على جزائر في البحار ،  
بدأوا يشعرون بحاجتهم الماسة إلى أسطول يكون عوناً لهم في تحقيق أمانهم  
في مد سلطانهم وغزو الروم في عقر دارهم .

لم يكن البحر يركب للغزو في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام أو في  
خلافة أبي بكر وعمر بن الخطاب ، وقيل إن أول من ركب البحر للغزو في  
الإسلام الملاء بن الحضرمي وذلك في خلافة عمر بن الخطاب ، إذ نذب أهل  
البحرين وكان أميراً عليها إلى غزو فارس عن طريق البحر بغير إذن الخليفة  
ففرقت سفن المسلمين وغضب عمر على الملاء ، وأمر بتأميم سعد بن أبي  
وقاص عليه .

ولما فتح المسلمون الشام ألح معاوية بن أبي سفيان - وهو يومئذ على  
جند دمشق والأردن - على الخليفة عمر بن الخطاب في غزو البحر معللاً  
ذلك بقرب الروم من حمص ، ولكن الخليفة لم يوافق على ذلك لأنه خشى على  
المسلمين من ركوب البحر وقال في ذلك : « والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل  
فيه مسلماً أبداً » وسرعان ما غيرت الدولة العربية سياستها هذا ورأت  
ضرورة إنشاء أسطول بحري للغزو في البحر وذلك في خلافة عثمان بن عفان ،  
فقد وافق على القتال في البحر على أن يكون الاشتراك فيه تطوعاً لا يحمل  
عليه أحد .

فنزح المسلمون جزائر عدة مثل قبرص وصقلية ورودرس وأرواد وكريت  
وغيرها من الجزائر ، بل إن معاوية بن أبي سفيان غزا مضيق القسطنطينية في  
سنة ٣٢ هـ<sup>(١)</sup> ونعرف أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح وإلى مصر من قبل

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٧٧ . راجع أيضاً : Lammens :

Etude sur le règne du calife omayyade Moawia Ier pp. 52,270,279

عثمان بن عفان قد قاتل البيزنطيين ببحراً في غزوة ذى الصواري وانتصر عليهم رغم حداثة العرب في الحروب البحرية ورغم قلة سفنهم . وكان طبيعياً أن يستخدم العرب في غزواتهم البحرية شعوب الأمم التي فتحوها والتي صرحت على ركوب البحار منذ القدم . وإذ كنا في معرض الكلام على مصر فلا بد أن نذكر هنا أن العرب أفادوا من خبرة المصريين البحرية ومن الممال المصريين أيما إفادة فقد أصبحت مصر عقب الفتح مركزاً لصناعة السفن اللازمة لأسطول الخلافة كما كانت تمد هذا الأسطول بخبرة الملاحين والمال المصريين . وأصبح اسم « الصناعة » في مصر يدل على المكان الذي تبنى فيه السفن الحربية . وقد عقد القرزى في كتابه الخطط ( ج ٢ ص ١٨٩ ) فصلاً في ذكر المواضع المروفة بالصناعة ، كما أشار في مواضع أخرى من هذا الكتاب ( ج ١ ص ٣٠١ ) إلى أن الصناعة كانت بجزيرة الروضة وأنها أسست في سنة ٥٥٤ هـ ، وي لوح أن ذلك كان على أثر غزو الروم ثمر البرلس والخسارة الفادحة التي حلت بالمسلمين في قتالهم . وقد سميت جزيرة الروضة حينئذ « جزيرة الصناعة » كما كانت تسمى أحياناً « جزيرة مصر »<sup>(١)</sup> ولكننا نرجح أن « الصناعة » أنشئت في مصر الإسلامية قبل هذا التاريخ ، فبعد الله بن سعد غزا غزوة البحرية في سنة ٣٤ هـ وليس بعيد الاحتمال أن يكون المسلمون قد بدأوا يبنون بيناء السفن الحربية منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان ( ٢٣ — ٣٥ هـ ) وأن قتال الروم جعل المسلمين يبنون بصناعة السفن في جهات مختلفة من أنحاء دولتهم بمد أن كانت الصناعة في مصر وحدها . فيذكر البلاذري<sup>(٢)</sup> أنه لما كانت سنة ٤٩ هـ هاجم الروم

Maspero et Wiet : *Materiaux pour servir à la Géographie* (١)  
d' Egypte p. 68 ; et G. Wiet : *Corpus Inscriptionum Arabicarum* ,  
Egypte II. pp. 197—199.

السواحل الإسلامية وكانت الصناعة بمصر فقط فأمر معاوية بن أبي سفيان بإنشاء دار للصناعة في عكا .

ولما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة بعث إلى حسان بن النعمان عامله على إفريقية بأمره بإنشاء صناعة بتونس لإنشاء الآلات البحرية ، وقد كتب عبد الملك بن مروان إلى أخيه عبد العزيز وإلى مصر أن يوجه إلى ممسك تونس ألف قبطنى بأهله وولده لإنشاء دار صناعة فيها . أما مهمة البربر هناك فكانت أن يجروا ويحملوا إلى دار الصناعة ما يحتاجه من خشب لصنع المراكب (٢) .

ويظهر أن بناء السفن في مصر كان له شأن عظيم في فجر الإسلام ولا سيما في العهد الأموي فقد ألفت أوراق البردي شعاعاً من النور على صناعة السفن بمصر وأظهرت مهارة المصريين في تلك الصناعة ومهارة الملاحين المصريين وتقدير الحكومة الإسلامية المركزية لتلك المهارة ومدى استفادتها على يد الأمراء المسلمين .

وقد أظهرت أوراق البردي التي كشفت في كوم أشقاو والتي ترجع إلى عصر الوليد بن عبد الملك أن صناعة السفن كانت زاهرة بوادي النيل في جزيرة الروضة (٣) وفي القلزم (٤) وفي الإسكندرية (٥) ، فبمض تلك الأوراق

(١) فتوح البلدان ص ١٧٧ .

(٢) أبو عبيد البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ( طبعة الجزائر سنة ١٨٥٧ م ) ص ٣٨ — ٣٩ راجع أيضاً مقال الأستاذ فييت عن المواصلات في مصر في العصور الوسطى ص ٣٣ — ٣٤ من كتاب « في مصر الإسلامية » الذي أخرجه الدكتور زكي محمد حسن والبيكباشي عبد الرحمن زكي .

(٣) Bell : ( Der Islam vol. IV ) p. 92

(٤) Bell : ( Der Islam vol. II ) p. 277

(٥) Bell : ( Der Islam vol. II ) p. 280

يكشف لنا أن الوالى قرّة بن شريك كثيراً ما يطلب من صاحب كورة أشقوه أن يرسل إليه عمالاً وصناعاً وملاحين للعمل فى دور الصناعة والمساهمة فى إعداد الأسطول المصرى الحربى . كما تشهد تلك الأوراق بأن الوالى كان يتفق مقدماً على أجور هؤلاء العمال والملاحين الذين يعملون فى الأسطول المصرى<sup>(١)</sup> ، كما كان يفرض على الكور قدراً من الأدوات والآلات المختلفة اللازمة لصناعة السفن وتنظيفها ، وكذلك يفرض عليها<sup>(٢)</sup> تموين الملاحين الذين يشتغلون فى إعداد الأسطول<sup>(٣)</sup> .

ولم يقتصر نشاط المصريين على إعداد الأسطول المصرى ، بل كان والى مصر يرسل بعض الملاحين المصريين للعمل فى أسطول المغرب<sup>(٤)</sup> أو أسطول المشرق<sup>(٥)</sup> والمساهمة فى المشروعات البحرية العامة للدولة الإسلامية .

ولا بد أن المصريين كانوا يصنعون أيضاً سفنًا نيلية غير تلك السفن الحربية لأن الطريق المائى فى مصر كان يستخدم كثيراً للنقل<sup>(٦)</sup> والتجارة فى ذلك العهد . وطبيعى أنه كانت هناك سفن بحرية ممددة للتجارة الخارجية وقد ظلت صناعة السفن الحربية زاهرة فى مصر فى العهد العباسى أيضاً ، فيذكر المقرئى ( الخطط ج ٢ ص ١٩١ ) أنه بعد أن نزل الروم دمياط فى

(١) Bell : ( Der Islam vol. II ) pp. 271, 272, 279, 280

(٢) هذه الحقوق للحكومة على الهيئات أو الأفراد كلها من آثار الليتورجيا Leitura أو الالتزامات الاجتماعية التى عرفت فى العالم القديم .

(٣) Bell : op cit. pp. 277, 279. & (der Islam vol. XVII) p. 8.

(٤) Bell: op. cit. vol. II. p. 279

(٥) Bell : op. cit. vol. XVII. p. 6-8

(٦) انظر مقال فييت عن المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى ص ٤ - ٦

سنة ٣٣٨ هـ في خلافة المتوكل وفي ولاية عنبسة بن اسحق على مصر « وقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الأسطول ، وأنشئت الشواني<sup>(١)</sup> برسم الأسطول وجعلت الأرزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر ، وانتدب الأمراء له الرماة ، فاجتهد الناس بمصر في تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة وانتخب له القواد المارفون بمحاربة العدو ، وكان لا ينزل في رجال الأسطول غشيم ولا جاهل بأمر الحرب . هذا وللناس إذ ذاك رغبة في جهاد أعداء الله وإقامة دينه ، لا جرم أنه كان لخدم الأسطول حرمة ومكانة ، ولكل واحد من الناس رغبة في أنه يعد من جملتهم فيسمى بالوسائل حتى يستقر فيه . وكان من غزو الأسطول بلاد العدو ما قد شجنت به كتب التواريخ . فكانت الحرب بين المسلمين والروم سجالاتا ينال المسلمون من العدو وينال العدو منهم ويأسر بعضهم بعضاً لكثرة هجوم أساطيل الإسلام بلاد العدو فإنها كانت تسير من مصر والشام ومن أفريقية » وأشار المقرئ في هذه المناسبة إلى تبادل الأسرى بين الروم والمسلمين وإلى اقتداء الأسرى المسلمين في بلاد الروم

وكتب المقرئ أن بعض مناطق وادي النيل كان بها أشجاراً تخصى من سنط ، لها حراس يحمونها حتى يعمل منها مراكب الأسطول فلا يقطع منها إلا ما تدعو الحاجة إليه ، وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار . ويذكر أيضاً أنه كان لا يباع مما في البهنسا إلا ما فضل عن احتياج المصالح السلطانية . ولكن المقرئ ( المخطط ج ١ ص ١١٠ - ١١١ ) يموذ فيقول إن هذا بطل جميعه في زمانه أى في عصر المماليك واستولت الأيدي على تلك الأشجار فلم يبق منها شيء البتة ونسى هذا من الديوان . وإن كنا لا نعرف متى نشأ هذا النظام ومتى ألغى ، فإن من المحتمل أن هذا

(١) الشونة : المركب المد للجهاد في الحرب والجمع شوان

الاهتمام بالأخشاب يرجع إلى عهد الولاة ولا سيما في نهايته.  
ومما يذكره المقرئ أيضاً أن القرظ وهو ثمرة شجر السنط كان  
لا يتصرف فيه إلا الديوان وإذا وجد مع أحد شيء منه اشتراه من غير  
الديوان نكل به واستهلك. ما وجد معه ، فإذا اجتمع مال القرظ أقيم منه  
مراكب تباع . ولكنه يضيف أن ذلك كله بطل في عصر المالك .

ومن هذا نرى أن صناعة السفن في مصر ، وخاصة السفن الجارية المعدة  
لمحاربة الأعداء وللدفاع عن الشواطئ ، كانت من أهم الصناعات في فجر الإسلام  
كما أن المصريين كان لهم الفضل الأكبر في عظمة الدولة الإسلامية البحرية ،  
إذ كانت الخلافة تعتمد عليهم في إنشاء أسطولها الحربي . بل المعروف أن بناء  
السفن كان في البداية بمصر فقط وظل كذلك إلى زمن معاوية بن أبي سفيان .  
وحتى بعد ذلك المهدي كانت الخلافة تستخدم الممال والفلاحين المصريين في  
دور الصناعة التي أنشأتها في المشرق والمغرب كما يتبين من أوراق البردي .  
ثم أصبحت الخدمة في الأسطول شرفاً عظيماً يتمناه كل امرئ في مصر .  
ونلاحظ أن الدولة الإسلامية التي كانت تخشى غزو البحر حتى خلافة  
عمر بن الخطاب استطاعت بعد ذلك أن يكون لها شأن في البحر . فنذ أيام  
عثمان بن عفان بدأ المسلمون يمتلكون بعض الجزر في البحر المتوسط ،  
واستطاعت مصر في خلافته أن تهزم الروم في موقعة ذي الصواري البحرية .  
وقد سميت بهذا الاسم لكثرة صواري السفن التي التحمت في القتال فيها ،  
وتسمى في الكتب الأوربية واقعة فونيكه phoenicus وربما كان ذلك  
لوقوعها بالقرب من ثمرة فونيكه غربي الإسكندرية<sup>(١)</sup> . والحق أن هذه

(١) Justus Perthes : Atlas Antiquus Tab 18 D 3 ولكن معظم  
المستشرقين يرون أن هذه الواقعة البحرية حدثت جنوبي آسيا الصغرى بجوار ثمرة  
فونيكس Phoenix راجع M. Canard : Expedition des Arabes contre  
Constantinople dans l'histoire et dans la Légende (Journal Asiatique,  
Janvier - Mars 1926) وانظر ما كتبه الدكتور زكي محمد حسن في هذا الصدد في عهد  
شهر مايو سنة ١٩٤٤ من مجلة القطف ص ٤٨٢ — ٤٨٣ .



المركة كانت نصراً بحرياً كبيراً للمسلمين . ومما ذكره المقرئ في وصفها أن قسطنطين بن هرقل<sup>(١)</sup> قدم لنزو الإسكندرية سنة ٣٤ هـ على رأس أسطول من نحو ألف سفينة . وكان عبد الله بن سعد قد أنزل نصف جنوده إلى البحر ثم فوجئ بقدوم العدو وعلم من أحد الرسل أو المراقبين أن الروم أقبلوا في ألف مركب (١٤) بقيادة قسطنطين بن هرقل « وكانت مراكب المسلمين مائتي مركب ونيفا فقام عبد الله بن سعد بين ظهرائي الناس فقال : بلغني أن ابن هرقل قد أقبل عليكم في ألف مركب فأشيروا علي . فاكلمه رجل من المسلمين فجلس قليلا لترجع إليهم أفئدتهم ثم قام ثانية فكلّمهم فاكلمه أحد فجلس ، ثم قام الثالثة فقال إنه لم يبق شيء فأشيروا علي ، فقام رجل من أهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله بن سعد فقال : أيها الأمير إن الله جل ثناؤه يقول كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين فقال عبد الله أركبوا فركبوا . وإنما في كل مركب نصف شحنته لأنه قد خرج النصف الآخر إلى البر ... فلقوم فافتتلوا بالنبل والنشاب وتأخر ابن هرقل لثلاث تصيبه الهزيمة وجملت القوارب تختلف إليه بالأخبار فقال : ما فعلوا ؟ قالوا : قد افتتلوا بالنبل والنشاب فقال : غلبت الروم . ثم أتوه فقال : ما فعلوا ؟ قالوا : قد نفذ النبل والنشاب فهم يرمون بالحجارة فقال غلبت الروم . ثم أتوه فقال : ما فعلوا ؟ قالوا : قد نفذت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف . قال : غلبت الروم (بضم النون) ! وكانت السفن إذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال . قال : فقرن مركب عبد الله يومئذ وهو الأمير بمركب من مراكب العدو فكان مركب العدو

(١) يجدر الإشارة هنا أن امبراطور البيزنطيين حينذاك كان قسطنطين بن هرقل لا قسطنطين كما تذكر المراجع العربية .

بجتر مركب عبد الله إليهم فقام علقمة بن يزيد المطيفي وكان مع عبد الله بن سعد في المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها . فسأل عبد الله امرأته بمد ذلك بسياسة ابنة حمزة بن يشرح وكانت مع عبد الله يومئذ - وكان الفاس ينزون بنسأهم في المراكب - من رأيت أشد قتلا؟ قالت : علقمة صاحب السلسلة . وكان عبد الله قد خطب بسياسة إلى أبيها فقال له إن علقمة قد خطبها وله على فيها رأى فإن تركها أفضل ، فكلم عبد الله علقمة فتزوجها عبد الله بن سعد ثم مات عنها عبد الله فتزوجها علقمة بن يزيد<sup>(١)</sup> .

وانتهى الأمر بأن أصبحت الدولة الإسلامية سيدة في البحر المتوسط . وإليك نص ما ذكره ابن خلدون في « المقدمة » ( فصل ٣٤ ) عن عظمة المسلمين في هذا البحر : « وكان المسلمون لهمد الدولة الإسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه ، فلم يكن للأمم النصرانية قبل بأساطيلهم بشيء من جوانبه وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم فكانت لهم المقامات المألومة من الفتح والغنائم وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومنورقة وبابسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة واقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم والأفروج »

وإذا كان الفضل لعظمة الخلافة البحرية يرجع إلى الشعوب التي فتحوها والتي تملوا منها هذا الفن والتي استخدموها في حاجتهم البحرية فلنا أن نقول غير مبالغين بأن الفضل الأكبر والأول يرجع إلى مصر والمصريين وليس في المراجع العربية ما يمكننا بواسطته أن نعرف شيئاً يستحق

---

(١) خطط القريري ج ١ ص ١٦٩ . وقد أتينا بهذا النص الطويل لما فيه من أخبار بطرئفة عن أساليب القتال البحري عند المسلمين . راجع أيضاً : G. Wiet : L'Egypte Arabe (Histoire de la Nation Egyptienne t. IV, pp. 29,30,

الذكر عن أشكال السفن الحربية المصرية ومعداتها في فجر الإسلام ، ولكن أكبر الفن أنها لم تكن تختلف كثيراً عن السفن المعروفة عند الروم في ذلك العصر ، لأنها كانت من صناعة عمال تأثروا بالأساليب المعروفة عند الرومان والبيزنطيين ، بل إن السفن التي صنعت بمصر للمسلمين في البداية « أخذت أشكالها من سفن الروم التي استولى عليها عمرو بن العاص في واقعة الإسكندرية »<sup>(١)</sup> وطبيعي أن المراكب الحربية كانت متنوعة في أحجامها وأغراضها كما تدل على ذلك الأسماء المختلفة التي أطلقت عليها بعد ذلك مثل الحراقات والشونات والطرادات والمشاريات والشلندات والمسطحات<sup>(٢)</sup> . وإذا كنا لا نعرف تماماً معدات تلك السفن وأسلحتها فإننا نظن أنها كانت تشبه ما عرف بعد ذلك عن السفن الحربية الإسلامية في العصور الوسطى ، وكان في بعضها أبراج وقلاع للدفاع والمهجوم وفي بعضها منجنيقات وآلات تقذف النفط ، وكان بعضها لحمل المؤن لرجال الأسطول والبعض الآخر لحمل الخيل<sup>(٣)</sup> . وما يعرف من تقاليد المسلمين في القتال حينئذ أنهم كانوا في بعض الأحيان يصحبون نساءهم في المارك البحرية<sup>(٤)</sup> .

على أن تاريخ البحرية عند المسلمين لا يزال يحتاج إلى بحوث طويلة ، لأن أخبار البحر وركوبه كثيرة في كتب الأدب والتاريخ وتقوم البلدان

- 
- (١) اسماعيل سرهنك : خفائق الأخبار عن دول البحار ج ٢ ص ٢٢  
(٢) انظر الدكتور زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ٥٠ حاشية ه وما جاء فيها من مهاجع وانظر بادة سفينة في ملحق دائرة المعارف الإسلامية  
(٣) يراجع جورجى زيمان : تاريخ التمدن الإسلامى ج ١ ص ١٨٠ - ١٨٢  
عبد الفتاح عبادة : سفن الأسطول الإسلامى وأنواعها ومعداتها (في أعداد السنة الحادية والعشرين من مجلة الهلال ثم طبعت مستقلة بمطبعة الهلال سنة ١٩١٣ م)  
(٤) راجع القرزى : خطلط ج ١ ص ١٦٩ . وأبو الحسن : النجوم الزاهرة

ج ١ ص ٨٥

فلا بد من جمعها للدراسة ما يمكن الوصول إلى معرفته عن أساطيل الحرب  
والتجارة في الأمم الإسلامية المختلفة<sup>(١)</sup>. وقد ظهر باللثة الأردنية سنة ١٩٣٥  
كتاب عن البحرية الإسلامية للسيد سليمان ندوى في جمعية الدراسات  
الإسلامية بمدينة بومباي . كما ظهر في لندن سنة ١٩٢٨ مؤلف بالإنجليزية  
عن تاريخ البحرية الإيرانية للسيد هادي حسن . ومعنى المستشرقون الفرنسيون  
في بلاد المغرب بدراسة الملاحة والبحرية عند المسلمين في تلك البلاد .  
ولكن هذه الدراسات كلها لم تؤت ثمارها بعد .

---

(١) من الأبحاث الطيبة التي ظهرت حديثاً في هذا الميدان تاريخ الأسطول العربي  
للاستاذ محمد ياسين الجوى (دمشق ١٣٦٤ هـ : ١٩٤٥ م)

## ٤ - النظام القضائي

أدخل العرب في مصر نظاما قضائيا يقوم على أساس الشريعة الإسلامية ، ويخص الفاتحين من العرب أو الذين يسلون من أهل البلاد ، أما الذميون فكان لهم قضاؤهم إلا إذا احتكموا إلى القاضي المسلم فله أن يحكم بينهم بالعدل . قال تعالى : « فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين <sup>(١)</sup> » .  
ويذكر الكندي <sup>(٢)</sup> أن القاضي خير بن نعيم الحضرمي ( ١٢٠ - ١٢٨ هـ ) كان يقضى بين المسلمين في المسجد ثم يجلس على باب المسجد بعد العصر فيقضى بين النصارى ؛ وأنه كان يقبل شهادة النصارى على النصارى واليهود على اليهود ، ويتحقق من عدالة هؤلاء الشهود بين أهل دينهم .

ونجد القاضي محمد بن مسروق الكندي ( ١٧٧ - ١٨٤ هـ ) يسمح للنصارى التخاصم بالدخول في المسجد الجامع كالمسلمين ليقضى بينهم <sup>(٣)</sup> .

كان القضاء في الدولة الإسلامية من الأمور الخاصة بالخلافة <sup>(٤)</sup> ، ولكن لما كان الخليفة لا يمكنه مباشرة كل أمور القضاء بنفسه ولا سيما بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية اتساعا كبيرا منذ أيام الخليفة عمر بن الخطاب ، نجده يفوض القضاء إلى غيره كما كان يفوض إلى الولاة حكم الولايات المفتوحة . فنجد الخليفة عمر بن الخطاب يعين أول قاض بمصر وهو قيس بن أبي الماص

(١) سورة المائدة آية ٤٥ .

(٢) الولاة والقضاء ص ٣٥١ .

(٣) الكندي : الولاة والقضاء ص ٣٩١ والقلشندي : صبح الأعشى ج ١

ص ٤١٨ - ٤١٩

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ١٨٢ - ١٨٣ ( فصل في الخطط الدينية الخلافية )

السهي (سنة ٢٣ هـ<sup>(١)</sup>) ونرى معاوية بن أبي سفيان يولى القضاء بها سليم ابن عتر النجيبى (سنة ٣٠ - ٦٠ هـ<sup>(٢)</sup>)، ويولى الخليفة هشام بن عبد الملك القاضي يحيى بن ميمون الحضرى فى سنة ١٠٥ هـ<sup>(٣)</sup>. وكذلك كان الحال فى عهد الخلفاء العباسيين، فكانوا هم الذين يولون القضاء، فنرى الخليفة أبا جعفر المنصور يولى القضاء عبد الله بن لهيعة سنة ١٥٥ هـ<sup>(٤)</sup>، وكذلك فعل من بعده من الخلفاء. ولكن بعض القضاء كان يعينهم الولاة بتفويض من الخليفة لواليه، فنرى والى مصر عبد العزيز بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ) يولى القضاء عبد الرحمن بن حنيفة الأكبر (٦٩ - ٨٣ هـ) وعندما يبلغ الخليفة هشام بن عبد الملك أن قاضيه يحيى بن ميمون الحضرى ساء السيرة يكتب إلى واليه على مصر الوليد بن رفاعة (١٠٩ - ١١٧ هـ) يطلب منه أن يزيله قائلاً: «أصرف يحيى عما يتولاه مذموما مدحورا وتخبر للقضاء جندك<sup>(٥)</sup> رجلا عفيفا ورعا تقيا سليما من السيوب لا تأخذه فى الله لومة لائم» وعندئذ عزله الوليد وولى القضاء توبة بن نمر الحضرى سنة ١١٥ هـ<sup>(٦)</sup>.

(١) الكندى: الولاة والقضاة ص ٣٠٠ - ٣٠١

(٢) الكندى ص ٣٠٣

(٣) الكندى ص ٣٤٠

(٤) الكندى ص ٣٦٨ - ونلاحظ هنا أن الكندى يناقض نفسه حين يقول: «ثم ولى القضاء بها عبد الله بن لهيعة مستهل سنة خمس وخمسين ومائة من قبل أمير المؤمنين أبى جعفر وهو أول قاض ولى مصر من قبل الخليفة» فالواقع كما رأينا وكما يذكر الكندى فى مواضع أخرى من كتابه أن الخليفة هو الذى عين مظلماً قضاة مصر قبل ابن لهيعة. (٥) يستنبط من «قضاء الجند» هنا أن العرب فى مصر حتى أيام الخليفة هشام ابن عبد الملك لم يكونوا إلا جنوداً أو أن الذين أسلموا من الصرغين لم يكونوا سوى أقلية بديليل انه لم يهتم بالتسميم فى خطابه بل خص القضاء على الجند. ولكن قد يكون المقصود بكلمة جند هنا المنطقة الحربية

Dozy: Supplément aux Dictionnaires Arabes

(٦) الكندى ص ٣٤١ - ٣٤٣

وأحيانا كان الوالى يولى القاضى ويقره الخليفة على ذلك . فزرى وإلى مصر داوود بن يزيد بن حاتم المهلبى (١٧٤ - ١٧٥ هـ) يولى الفضل بن فضالة القضاء سنة ١٧٤ هـ ، ثم يرد كتاب الخليفة الرشيد باقراره فى السنة نفسها (١) .

هذه أمثلة أوردتها لأبين أن سلطة القضاء كان مرجعها إلى الخلافة مباشرة ، إذ كان الخليفة هو رئيس القاضى المباشر . وكان القضاء فى مصر أكثر استقرارا فى مناصبهم من الولاة ، وهذا طبعا مما يستدعيه حسن سير العدالة ، فى كثير من الأحيان كان القاضى يشغل منصبه فى عهود ولاة مختلفين أو فى عهود خلفاء مختلفين وكثيرا ما مات القضاء فى مصر وهم فى مناصبهم ، فنجد القاضى سليم بن عتر التجيبى يتولى القضاء عشرين سنة (٤٠ - ٦٠ هـ) (٢) بينما يتعاقب فى حكم مصر فى عهده أربعة ولاة هم عمرو ابن العاص وعتبة بن أبى سفيان وعقبة بن عامر الجهنى ومسلمة بن مخلد ، وزى عبد الرحمن بن حجيرة الأكبر يلى القضاء أربعة عشر عاما ويظل يشغل هذا المنصب حتى موته (٦٩ - ٨٣ هـ) فى ولاية عبد العزيز بن مروان (٣) ، ونجد القاضى عياض بن عبيد الله الأزدى يلى القضاء فى مصر نيابة عن خليفته متوالين هما سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ) وعمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ) (٤) ، ويلى عبد الله بن لهيعة

(١) الكندى ص ٣٨٥

(٢) الكندى ص ٣٠٣ - ٣١١

(٣) الكندى ص ٣١٤ - ٣٢٠

(٤) الكندى ص ٣٣٣ - ٣٣٤

الحضري<sup>(١)</sup> القضاء مدة تسع سنين (١٥٥ - ١٦٤ هـ<sup>(٢)</sup>) نيابة عن الخليفة أبي جعفر النصور ثم المهدي ، بينما بلى مصر في هذه المدة سبعة ولاه . ولم يكن القاضي ليرضى بأن يتدخل في أحكامه أحد ، إذ كانت وظيفة القضاء من الوظائف السامية التي تحاط بالهيبة والإجلال ، كما كان لصاحبها نفوذ كبيرة يتفق مع خطورة العمل الذي يؤديه ، ولا نعرف أن والياً من ولاية مصر جمع إلى سلطته ولاية القضاء . ولم نسمع عن حدوث تصادم بين حكم القاضي وسلطان الولى في المصر الذي نحن بصدده سوى ما حدث إزاء مسألتين تسمان الأحوال الشخصية<sup>(٣)</sup> .

ولدينا أمثلة كثيرة ترينا إلى أي حد كان القاضي مستقلاً لا يقبل أي وساطة أو شفاعة ، وشديداً في أحكامه إذا ما تبين له الحق . فيروى الكندي<sup>(٤)</sup> أن توبة بن نمر الحضري لما ولى القضاء بمصر (١١٥ - ١٢٠ هـ) « دعا امرأته عفيرة فقال : يا أم محمد . أي صاحب كنت لك ؟ قالت : خير صاحب وأكرم ، قال : فاسمى . لا تعرضى لى فى شىء من القضاء ولا تذكرينى بخصم ولا تسألينى عن حكومة ، فإن فعلت شيئاً من هذا فأنت طالق ، فإما أن تقيى مكرمة وإما أن تذهى ذميمة . فانتقلت عنه فلم تكن تأنيه إلا فى الشهر والشهرين » .

(١) عثر على شاهد قبر عبد الله بن لهيعة الحضري . وهو شاهد من الرعام كتب اسمه وسنة وفاته وهى جادى الآخرة سنة ١٧٤ هـ ومحفوظ الآن بدر الآثار العربية بالقاهرة .

Répertoire Chronologique d'épigraphie Arabe. t. I, pp. 42-43

(٢) الكندى ص ٣٦٨ - ٣٧٠

(٣) الكندى ص ٣٦٧ و ٤٢٧ وآدم متر : الحضارة الإسلامية ج ١

ص ٣٥٤ - ٣٥٥

(٤) الكندى ص ٣٤٢ - ٣٤٣



وروى عن خير بن نعيم في ولايته على القضاء (١٣٣ - ١٣٥ هـ) « أن رجلا من الجند قذف رجلا من الأهالي نفاصمه إليه وثبت عليه شاهدا واحدا ، وأمر بجبس الجندی إلى أن يثبت الرجل شاهدا آخر ، فأرسل أبو عون (والى مصر إذ ذاك) فأخرج الجندی من الحبس ، فاعتزل خير بن نعيم وجلس في بيته وترك الحكم ، فأرسل إليه أبو عون فقال : لا ، حتى ترد الجندی إلى مكانه » (١).

وروى أيضا أن صاحب البريد شفع في خصم إلى القاضي أبي الطاهر عبد الملك بن محمد الحزمى (١٧٠ - ١٧٤ هـ) فكتب إليه الحزمى : « ما أنت والقضاء ! عليك تديير دوابك وبراذعها وكف نس زبولها » وما لبث أن استمعى عن القضاء فأعفى (٢).

وروى عن القاضي عيسى بن المنكدر (٢١٢ - ٢١٤ هـ) أن رجلين اختصما إليه قضى لأحدهما على الآخر ولم يكتبف بذلك بل أمر صاحب الحق بأن يضع خصمه ويضع قدمه على خده لينذله بالحق (٣).

ومع ذلك فلم يكن كل قضاة ذلك العصر موسومين بالعدالة والزاهة ، بل وجد أحيانا القاضي المرتضى والقاضى غير الزيه . فقد عزل الخليفة هشام بن عبد الملك القاضي يحيى بن ميمون الحضرمى (١٠٥ - ١١٤ هـ) عن ولاية القضاء لما بلغه أنه لم ينصف يتيا احتكم إليه بعد بلوغه (٤) ، كما اتهم هذا القاضي بأن كتبتة كانوا يقبلون الرشوة وهو يعلم ذلك ولا ينههم (٥).

(١) الكندى ص ٣٥٦

(٢) الكندى ص ٣٨٤

(٣) الكندى ص ٤٣٧

(٤) الكندى ص ٣٤١

(٥) شرحه ص ٣٤٠

وقيل كذلك أن القاضي عبد الرحمن ابن عبد الله العمري (١٨٥ - ١٩٤هـ) جمع من الرشوة أموالاً كثيرة<sup>(١)</sup>.

ولم يكن هناك محكمة خاصة للفصل في القضايا، إنما كانت مجالس القضاء تمقد في جامع عمرو بن العاص بالقسطنطين.

ويذكر الكندي أن القضاة كانوا يعملون للقضاء بين النصارى يوماً في منازلهم إلى أن جاء القاضي محمد بن مسروق فأذن لهم بالدخول في المسجد<sup>(٢)</sup> ولا بد أن ولاية القاضي كانت تمتد على الأراضي التي كانت تدخل تحت سلطة الولاى السياسية، كما أن الاختصاص النوعى *ratione materiae* للقاضي كان غير محدود سواء أكان في الأمور المدنية أو الجنائية<sup>(٣)</sup>.

وكان القاضي يستمد أحكامه القضائية من مصادر التشريع الإسلامى وهى القرآن والسنة والاجماع والاجتهاد أو القياس.

وكان بعض القضاة يرجع أحياناً إلى الخليفة في المسائل الدقيقة، وربما كان ذلك خوفاً من الانفراد بالرأى في مسألة ربما يخطئ فيها باجتهاده وحده ويرى من الأوفق أن يشترك الخليفة معه في حلها استئناساً برأيه وضماناً للمدالة. ومن ذلك أن القاضي عياض بن عبيد الله الأزدي استفتى الخليفة عمر بن عبد العزيز في مسألة، فأفتاه فيها<sup>(٤)</sup>، وأحياناً كان الخليفة لا يبدى رأياً بل يفوض الأمر إلى القاضي، فقد استفتى القاضي عياض

(١) شرحه ص ٣٩٧

(٢) شرحه ص ٣٩٠

(٣) Wiet: Précis de l'hist. d'Egypte T. 11; pp. 124-125

(٤) الكندي ص ٣٣٤ - ٣٣٥

الخليفة عمر بن عبد العزيز في مسألة أخرى فكتب إليه : « إنه لم يبلغني في هذا شيء وقد جعلته لك قاضياً فيه برأيك<sup>(١)</sup> » وكذلك نسمح أن القاضي عبد الله بن يزيد بن خذامر استشار الخليفة عمر بن عبد العزيز في مسائل فأفتاه فيها<sup>(٢)</sup> . على أننا لا نعثر في مصادر هذا العصر على قضاة يستشيرون خلفاء آخرين غير عمر بن عبد العزيز في المسائل الفقهية ، ولعل هذه حالة فردية يمكن تفسيرها بمكانة عمر بن عبد العزيز الدينية وتفقهه في الدين .

لكننا نلمس خلال هذه المصادر أن الخلفاء كانوا يرحبون بسماع شكاوى أهل مصر إذا ما انتابهم ظلم أحد القضاة وأنهم يتدخلون في أحكام أمثال هؤلاء القضاة ، فقد صرف الخليفة هشام بن عبد الملك يحيى بن ميمون الحضرمي عن ولاية القضاء لعدم إنصافه يتيا تظلم إليه بمد بلوغه<sup>(٣)</sup> ، كذلك نعلم أن الخليفة الأمين فسخ حكم إحدى القضايا حين تبين أن حكم القاضي فيها لم يكن منزهاً عن الغرض<sup>(٤)</sup> .

وقد انتشرت بمصر في العصر العباسي المذاهب الأربعة المعروفة اليوم . على أن قضاة مصر لم يكونوا ملزمين باتباع مذهب معين يصدر عن أحكامهم وفقاً له . وكان أول قاض بمصر يقول بقول أبي حنيفة إسماعيل بن اليسع الكندي ( ١٦٤ - ١٦٧ هـ<sup>(٥)</sup> ) وأول من ولي قضاء مصر ممن يقول بقول الإمام مالك القاضي إسحاق بن الفرات<sup>(٦)</sup> . وبما يدل على أن القضاة لم

(١) الكندي ص ٣٣٤

(٢) الكندي ص ٣٣٨ - ٣٣٩

(٣) الكندي ص ٣٤١

(٤) الكندي ص ٤١٣

(٥) الكندي ص ٣٧١ والقلشندي : وصبح الأعشى ج ١ ص ٤١٨

(٦) الكندي ص ٣٩٣ والقلشندي ص ٤١٩

يكونوا ملزمين باتباع مذهب معين ما رواه الكندي<sup>(١)</sup> عن القاضي أبي الطاهر عبد الملك بن محمد الحزمي (١٧٠ - ١٧٤ هـ) إذ يقول: «فكانت أحكامه على مذاهب ابن القاسم وسالم وابن شهاب وربيعة وكان مستضلماً بمذاهب أهل المدينة حافظاً لها».

ونعرف أن القضاة كانوا يأخذون رزقاً من بيت المال. فكان رزق ابن حجية (٦٩ - ٨٣ هـ) من القضاء مائتي دينار في السنة<sup>(٢)</sup>، وكان رزق عبد الرحمن بن سالم الجيشاني سنة ١٣١ هـ عشرين ديناراً في الشهر<sup>(٣)</sup>، وكان رزق عبد الله بن لهيعة (١٥٥ - ١٦٤ هـ) ثلاثين ديناراً في كل شهر<sup>(٤)</sup>، وكان رزق الفضل بن غانم (١٩٨ - ١٩٩ هـ) مائة وثمانية وستين ديناراً في كل شهر<sup>(٥)</sup>.

ويمجد أن نشير هنا إلى أن النظام القضائي في مصر في عهد الولاة نشأ بسيطاً ثم ارتقى وتطور تدريجياً؛ فنظام تكن أحكام القضاة تدون، ولكن حدث مرة أن اختصم إلى القاضي سليم بن عتر التجيبي في ميراث فقضى بين الورثة، ثم أنسكروا حكمه وعادوا إليه ثانية فقضى بينهم وكتب بذلك

(١) الكندي ص ٣٨٣

(٢) الكندي ص ٣١٧

(٣) الكندي ص ٣٥٤

(٤) الكندي ص ٣٦٩

(٥) الكندي ص ٤٢١ وفي ص ٤٣٥ أن رزقه كان ١٦٣ ديناراً. فيما يتعلق بأرزاق القضاة أنظر آدم متز: الحضارة الإسلامية ج ١ ص ٣٦٢ - ٣٦٤. ويذكر متز ج ١ ص ١٣٤ نقلاً عن خطط القريري ج ٢ ص ٩٩ «أن الأخشيدي أول من رتب الرواتب» ولكن هذا يتناقض مع ما ذكرنا سابقاً من أن القضاة كان لهم أرزاق قبل ذلك.

سجلاً<sup>(١)</sup>، فكان أول قاض في مصر سجل سجلاً بقضائه<sup>(٢)</sup>. وتبعه في ذلك القضاة من بعده. كذلك لم يكن للقاضي شيء تصان فيه كتبه وأوراقه، بل كان كاتب القاضي يحضر، ومعه الكتب في مبدل فأخذ القاضي محمد بن مسروق الكندي لنفسه قطراً يحفظ فيه أوراقه، وكان يختتمها قبل أن يودعها القمطر، وإذا جلس للقضاء أحضرت<sup>(٣)</sup> وظلت هذه العادة متبعة من بعده.

وقد عني قضاة هذا العهد عناية كبيرة بأحوال الشهود الذين يتقدمون للشهادة في المحاكم، فنجد الفضل بن فضالة في ولايته الثانية على القضاء (١٧٤ - ١٧٧ هـ) يتخذ في مجلسه عشرة رجال للشهادة<sup>(٤)</sup>، كذلك أخذ القاضي عبد الرحمن بن عبد الله العمري الشهود ودون أسماءهم وأسقط ما عداهم من سائر الناس، واتبع القضاة من بعده هذه الطريقة<sup>(٥)</sup>، وفي ولاية لهيعة بن عيسى الثانية على القضاء سنة ١٩٩ هـ نراه يمهّد إلى سعيد بن تليد أحد كتبه ويسمى صاحب السائل ليجدد السؤال عن الشهود في كل ستة أشهر وكانوا نحو ثلاثين رجلاً، ومن حدثت له جرحه<sup>(٦)</sup> أوقفه وقد أوقف غير واحد ممن شهد عنده وبلغته جرحته<sup>(٧)</sup>. كذلك كان القاضي عيسى بن النكدر يمهّد إلى صاحب مسائله بالسؤال عن الشهود، وفضلاً عن

(١) السجل هنا معناه تدوين الأحكام لا التسجيل المعروف اليوم

(٢) الكندي ص ٣٠٩ - ٣١٠

(٣) الكندي ص ٣٩١ - ٣٩٢

(٤) الكندي ص ٣٨٦

(٥) الكندي ص ٣٩٤

(٦) الجرحه، ما تجرح به شهادة الخصم أو حجته أي تسقط.

(٧) الكندي ص ٤٢١ - ٤٢٢

ذلك فقد كان هو نفسه يتنكر في الليل ويمشي في السكك ليسأل عن الشهود (١).

ومن التقاليد التي نشأت في هذه الفترة أيضاً خروج القاضي في نفر من أهل الصلاح لرؤية هلال رمضان، وقد نشأ ذلك التقليد في ولاية عبد الله بن لهيعة الحضرمي للقضاء، حينما اختلف الناس في رؤية هلال رمضان في سنة ما من ولايته، فبعضهم زعم أنه رآه والبعض لم يره وشك الناس في ذلك فلما كان العام التالي خرج عبد الله بن لهيعة في نفر من أهل المسجد ممن عرفوا بالصلاح لرؤية هلال رمضان وإثبات الرؤية، وكانوا يخرجون لرؤيته في الجيزة (٢).

وتلاحظ أن إنشاء ديوان الأحياس أو الأوقاف يرجع إلى هذا المهد منذ سنة ١١٨ هـ وكان القضاء هم الذين يشرفون عليه، وأول قاض بمصر وضع يده على الأحياس هو توبة بن نمر الحضرمي (١١٥ - ١٢٠ هـ) وكانت الأحياس قبل ذلك في أيدي أهلها وفي أيدي أوصيائهم فقال توبة: « ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين، فأرى أن أضع يدي عليها حفظاً من التواء والتوارث، فلم يمت توبة حتى صارت الأحياس ديواناً عظيماً (٣) ».

(١) الكنتى ص ٤٣٧

(٢) الكنتى ص ٣٧٠

(٣) الكنتى ص ٣٤٦. أظن مدة وقف في دائرة للطرف الإسلامية

## الباب الثاني

### موقف مصر من الحركات السياسية والدينية

#### التي ظهرت في الخلافة

بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام مباشرة ظهر الخلاف بين المسلمين حول مسألة الخلافة ومن الذي يتولاها ، وهل هي إرث في بيت النبي وفي فرع معين من هذا البيت كبنى هاشم أو بنى أمية ، أم يتقلد أمرها أي فرد كفاء لها بغض النظر عن القبيلة التي ينتسب إليها . فالدين الإسلامي لم ينص على شكل حكومة معينة للأمة العربية أو لغيرها من الأمم ، ولم يمهّد الرسول إلى شخص معين من بعده ليكون زعيماً للأمة العربية يتولى الإشراف على أمورها الدنيوية والدينية . وأقصد بالدينية هنا الإشراف على تنفيذ أحكام الدين ، لا أن يخلف الرسول في صفته الدينية، إذ أن النبوة والرسالة قد انتهت بوفاة خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وكان امتناع العباس عم الرسول وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير وغيرهم ممن لم يرضوا بمبايعة أبي بكر الصديق بالخلافة إذنا بما حدث بعد ذلك من انقسام المسلمين إلى سنيين وشيعيين . وكثر النزاع حول الخلافة ومن يتولاها، وكان هذا النزاع نارة بالكلام والجدل وتارة بالسيف والحرب ، وقد اتبع كل فرقة أو حزب من الأحزاب التي نشأت أفراد عديدون ، إما إيماناً بمبادئها ومبادئها ، وإما رغبة في منفعة أو مصلحة مادية تمود عليهم ؛ كبت بعض تعاليم الديانات والمذاهب القديمة وصوغها في قالب إسلامي رغبة

في إساءة سمعة الدين الإسلامي أو إحياء وطن قديم على حساب الدولة الإسلامية .

وقبل أن نعرض للسلام عن الحركات التي قامت في الخلافة والتي اشتركت فيها مصر ، يجدر بنا أن نشير إلى أن الذين اشتركوا في تلك الحركات لم يكونوا من المصريين الوطنيين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي ، وإنما كانوا من الجند العرب الذين استقروا بمصر أو من الأجناد الأخرى الذين أتوا إليها في عهد الدولة العباسية . أما المصريون أنفسهم سواء أ كانوا من الأقباط أو من الذين أسلموا بعد الفتح فلم يشتركوا في تلك المنازعات — إذا استثنينا معاونتهم إلى حد ما للعباسيين ضد الأمويين .

#### (١) - الحركات السياسية والدينية زمن الخلفاء الراشدين

(٢٠ - ٥٤٠ = ٦٤٠ - ٦٦٠ م)

١ - موقف مصر من الثورة التي قامت ضد عثمان بن عفان

ظهر النزاع حول الخلافة بأجل مظاهره في الثورة التي قامت ضد الخليفة عثمان بن عفان ، إذ احتكم في ذلك النزاع إلى السيف بدلا من أن يحكم العقل واللسان ، وكانت هذه أول مرة يحتكم فيها إلى السيف في النزاع الخلفي الذي يدور حول مسائل الحكم والملك .

عرف عثمان بمكانته الدينية المالية ، ولما انتخب خليفة بعد مقتل عمر ابن الخطاب في آخر سنة ٢٣ هـ (٦٤٤ م) سار على سياسة سلفه في الفتوح وتم في عهده فتوحات وغزوات كثيرة<sup>(١)</sup> . على أنه لم تعض ست سنوات

(١) الطبري ج ٥ ص ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٧٧ ، ٨١ .



من حكمه حتى بدأت تسرى ضده حركة تدمير في الولايات الإسلامية المختلفة وقد ترأس هذه الحركة رجل يهودى من أهل صنعاء أسلم من عثمان بن عفان واسمه عبد الله بن سبأ وكان يعرف بابن السوداء لسواد أمه . ويظهر أن عبد الله بن سبأ هذا كان من الذين أسلموا ليضلوا الناس عن الإسلام وليكيدوا لهذا الدين ، فتنقل في البلاد الإسلامية يحاول ضلالتهم كما يذكر المؤرخون ، فبدأ بالحجاز ثم البصرة والكوفة والشام ، ولكن يظهر أن محاولاته لم تكن ذات بال في تلك البلدان ، فلم ينجح في الحجاز أو الشام كما أنه طرد من البصرة والكوفة ، فأتى إلى مصر ووجد أن الحالة فيها كانت مهيأة للثورة ضد عثمان فأخذ ينشر دعايته وتعاليمه ، فكان مما نشره مذهب الرجعة . وأخذ يقول إنه يعجب ممن يقول إن عيسى يرجع ويكذب برجع محمد عليه الصلاة والسلام وقد قال تعالى : ( إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد )<sup>(١)</sup> ، ولذا فإن محمداً أحق بالرجوع من عيسى . كذلك نادى عبد الله بن سبأ بمذهب الوصاية ، فذكر أن لكل نبي وصى وعلى بن أبي طالب وصى محمد صلى الله عليه وسلم ، ولما كان محمد خاتم الأنبياء فإن علياً خاتم الأوصياء ، أى أن عثمان قد اغتصب الخلافة من وصى الرسول ، وبذلك حرض ابن سبأ المصريين على الوثوب على عثمان لأخذه الخلافة بغير حق<sup>(٢)</sup> . ولسنا هنا بحاجة إلى القول بأن تعاليم ابن سبأ بعيدة عن الإسلام ، فالرجعة والوصاية من تعاليم النحل والديانات المختلفة التي وجدت قبل الإسلام فليس للرسول وصى كما أنه ليس في الإسلام رجعة ، فذهب

(١) سورة القصص آية ٨٥ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٩٨ ، خطط القرظي .

الرجمة هذا لا يقر بالموت بل يذهب إلى أن الإنسان يتنبيب ثم يمود ثانية ،  
أما تعاليم الإسلام فتقول بأن كل الناس تموت ثم تبعث يوم القيامة  
وقد أنكر الثأرون على عثمان أموراً ، منها الدور الفخمة التي شيدها  
لأهله وبناته بالمدينة ، وتوليته أهله وبنى عمه من بني أمية على الأعمال  
والولايات دون غيرهم<sup>(١)</sup> ، كذلك قالوا إن عثمان وسع على نفسه وعلى أهله  
بخلاف أبي بكر وعمر اللذين اعتادا التقلل والسكف عن أموال المسلمين ،  
فنفروا المسلمون من ذلك التبذير وعهدهم قريب بضبط أبي بكر وعمر<sup>(٢)</sup> ، وزعموا  
أيضا أن الوليد بن عقبة صلى بالناس الصبح وهو أمير عليها أربع ركعات وهو  
سكران ثم قال لهم : إن شئتم أن أزيدكم ركعة زدتم . فلما بلغ عثمان ذلك  
لم يسرع إلى إقامة الحد عليه بل أخر ذلك<sup>(٣)</sup> .

قد تكون هذه الأسباب التي تذرع بها الثأرون مبالغ فيها أو غير  
صحيحة . وإن صححت فهي في الواقع أسباب لا تستدعي الثورة ضد  
الخليفة ، وقد قيل عن عثمان إنه قد عيبت عليه أشياء لو فعلها عمر بن  
الخطاب ما عيبت عليه<sup>(٤)</sup> ، وربما أطمع الناس فيه دماء خلقه وليته .

ولم يغفل فيلسوف المؤرخين ابن خلدون<sup>(٥)</sup> ما انطوت عليه هذه الثورة ،  
فقد أوضح أن المسألة لم تكن مسألة عثمان إنما كانت عود إلى الجاهلية ونزاع  
بين القبائل على السيادة ، وأنفة بعض القبائل العربية مثل بني بكر بن وائل  
وعبد القيس وربيعة والأزد وكندة وتميم وقضاعة وغيرهم ، من سيادة

(١) ابن تينية : الأمامة والسياسة ج ١ ص ٣٦ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى ص ٨٦ .

(٣) ابن تينية : الأمامة والسياسة ج ١ ص ٣٦ .

(٤) ابن تينية : الأمامة والسياسة ج ١ ص ٣١ .

(٥) العبر وديوان الميتنا والخبر ج ٢ ص ١٣٨ - ١٣٩ .

المجاهدين والأنصار من قريش وسهواهم ، فأظهروا الطعن في ولاية عثمان وفي الخليفة نفسه ، فلما وصلت تلك الأخبار إلى الصحابة بالمدينة ارتابوا لها وحلوا عثمان على النظر في الأمر .

ومما يدل على أن المسألة كانت مسألة أعراض مختلفة مارواه الطبري (١) من أنه عندما حرض عبد الله بن سبأ أهل مصر على الطعن في أمراء عثمان « وإظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » أخذ أهل مصر يكتبون الكتب إلى الأمصار المختلفة في غيوب ولاتهم ، ويكاتبهم إخوانهم في مثل ذلك ، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يحدث ، حتى « أوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون ، فيقول أهل كل مصر إننا لفي عافية مما ابتلى به هؤلاء . إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا إننا لفي عافية مما فيه الناس » .

ويظهر أن الخليفة عثمان كان يجعل تلك الحركة في بادئ الأمر ، إذ أنها كانت حركة سرية . ويظهر أيضا أنها وصلت إلى مسامع الصحابة بالمدينة أولا فأعلموا عثمان بها وأشاروا عليه بأن يرسل رجلا ممن يثق بهم إلى الأمصار المختلفة ليتبين ذلك الأمر ففعل ، وأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة وأسامة بن زيد إلى البصرة وعبد الله بن عمر إلى الشام وعمار بن ياسر إلى مصر ، وأرسل غيرهم إلى سائر الجهات ، فلما عاد الرسل إلى عثمان أخبروه أن الحالة على ما يرام وأن أهل البلاد لا ينكرون شيئا وأن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم ، ولكن عمار بن ياسر الذي أرسله الخليفة إلى مصر تخلف ولم يعد إلى المدينة ، ولشد ما كانت دهشتهم عند ما أرسل إليها عبد الله بن سعد كتابا إلى المدينة يقول إن قوما استألوه ، منهم عبد الله بن سبأ

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٩٨ - ٩٩ .

وخالد بن ملحم وكنانة بن بشر<sup>(١)</sup>

ويجدد بنا الآن أن نعرف موقف الثائرين في مصر وكيف كانت هذه البلاد سبياً في تعجيل الحوادث وفي إشمال نار تلك الثورة التي انتهت بقتل الخليفة عثمان بن عفان ، والتي كانت سبياً في انقسام المسلمين على أنفسهم انقساماً طال أمده وتمددت مناحيه .

ذكرنا أن عبد الله بن سبأ طرد من البصرة والكوفة ولم يلق أى نجاح في الشام ، ثم قدم إلى مصر فوجدها متهيئة لقبول دعوته وللطنن في عثمان ، وهذا الأمر يستلفت النظر ويدعو الباحث إلى أن يتساءل عن السبب في ذلك ؟ فلم نجحت دعوة ابن سبأ في مصر نجاحاً كبيراً ؟ ولم لم يطرد منها كما حدث له في البصرة أو الكوفة مثلاً ؟ نحن لا نجد في المصادر القديمة ذكر السبب في ذلك ، ولكن إذا أعوزتنا الأدلة النقلية فلا بأس من أن نلجأ إلى الأدلة العقلية . ويظهر أن الدعوة ضد عثمان نجحت نجاحاً كبيراً في مصر لأن أفراد القبائل العربية التي لا تنتمي لقريش ومن بينهم بعض الصحابة والمجاهدين والذين استقروا بمصر رأوا فيها فرصة للقيام ضد الخلافة ، وهم في ذلك لم يقصدوا الخليفة عثمان نفسه وإنما أرادوا زعزعة سيادة قريش ، فقد كرهوا تلك السيادة التي زادت منذ ظهور الإسلام . وهذا سبب ذكره المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون كما رأينا . على أنه وجد أيضاً في مصر بعض القرشيين الذين ناروا ضد عثمان ، وعلى رأسهم محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، ولا يبعد أن يكون هؤلاء ممن طمعوا في الخلافة نفسها ، فهم يروون سيادة

(١) الطبرى ج ٥ ص ٩٩ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ١٣٩ ، خطط المقرئى ج ٢ ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

قريش بالطبع ، ولكن ربما حدثتهم أنفسهم وسط حركة التذمر التي صارت بين الناس أن يلقوا دلوهم في الدلاء عليهم يصلون إلى منصب الخلافة أو إلى أى منصب عظيم في الدولة الإسلامية . وضع عثمان عبد الله بن سبأ كان يكيده للإسلام والدولة الإسلامية . ومع أن تعاليمه الشيعة أبعد ما تكون عن الدين الإسلامي إلا أنه لا بد كان رجلا ماهرا ذا مواهب متعددة جعلته يجذب الكثيرين إلى تعاليمه الشيعة ، ولم يكن تأثيره عظيما على العامة فحسب ، بل نرى أيضا أنه استطاع بمهارته أن يجذب إليه رجلا من كبار الصحابة ومن أئمة الحديث وأن يؤلبهم على عثمان ، مثل الصحابي الكبير عمار بن ياسر الذي كان عثمان قد أوفده للاستفسار عن حقيقة ما قيل بصدد التذمر والثورة ولكنه تنكر للخليفة ولم يعد إليه .

واستطاع عبد الله بن سبأ أن يجذب إليه أيضا أحد كبار أئمة الحديث ، كان مقيا بالشام عند ما كان ابن سبأ يتنقل في الأمصار المختلفة ليثير الناس ضد عثمان ، ذلك هو أبو ذر الغفاري (١) . وكان هناك فريق من الصحابة يفضل عليا على غيره ، وطبيعي أن يكون في مصر فريق ممن يؤمنون بأن عليا أحق بالخلافة من عده .

وهكذا نرى أن الثورة ضد عثمان كان الباعث عليها اتجاهات وميول مختلفة ، فن تأثر يريد بخروجه السكيد للدين الإسلامي والدولة الإسلامية بوجه عام ، ومن متذمر من خلافة قريش وسيادتها ، ومن طامع في الخلافة ومن شيعي خرج مؤمنا بحق علي بن أبي طالب في الخلافة ، وقد تتجمع هذه العوامل المختلفة في بلد آخر غير مصر . ولكن يظهر أن الذي ساعد على نجاح تلك الحركة فيها والذي سهل على ابن سبأ القيام بمهمته هو انشغال

(١) الطبري ج ٥ ص ٦٦ .

والى مصر إذ ذاك ، عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، بالحروب الخارجية التي قام بها ، إذ غزا النوبة وعقد مع ملكها هدنة سنة ٣١ هـ وغزا إفريقية سنة ٢٧ هـ كما حارب الروم في وقعة ذى الصواري سنة ٣٤ هـ<sup>(١)</sup> ، وفي هذه الأثناء بالذات كان عبد الله بن سبأ يقوم بدعوته وفي سنة ٣٤ هـ كان الثائرون على عثمان في مصر والأمصار المختلفة يتكاثرون للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يدكرون أنهم تقموا عليه بسببه<sup>(٢)</sup> ، أى أن الثورة التي كان يدعو إليها ابن سبأ والتي كان مراكزها في مصر كانت قد اختمرت وخرجت إلى دور العمل والتنفيذ في السنة التي كان يقزو فيها عبد الله بن سعد الروم ، تلك الغزوة التي أسفرت عن انتصار العرب الباهر ضد البيزنطيين . ففي الوقت الذي كان عبد الله بن سعد مشغولا بغزوات وفتوحات عظيمة كان ابن سبأ يعمل في الخفاء ضد عثمان . ويظهر أن عبد الله بن سعد لم يعلم بأمر هذه الثورة إلا سنة ٨٣٥ بمدرجوعه من غزوة ذى الصواري كما يخبرنا بذلك أبو المحاسن<sup>(٣)</sup> ، فليس هناك ما يشير إلى أنه علم بهذه الحركة قبل ذلك الوقت وإلا لما تنافل أو تخاصم عنها وهو أخو عثمان في الرضاة وموضع ثقته .

وتذكر بعض المراجع المتأخرة أن الذى ساعد على نجاح تلك الحركة في مصر هو سخط أهلها على واليها عبد الله بن سعد لأنهم كرهوا أن يليهم بعد عمرو بن العاص ولأنه اشتغل عنهم بقتال أهل المغرب وغيرها<sup>(٤)</sup> ولكن عبارة « أهل مصر » هنا ليس معناها المصريين الوطنيين فهؤلاء

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٢ - ١٣

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٩٢ .

(٣) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٨٠ .

(٤) النجوم الزاهرة ص ٨٠ ، السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٠ .

لم يقوموا بتلك الحركة ولكن يقصد بها العرب الذين استقروا بمصر وكانوا  
أجناداً كما نعلم، فلعل الذين اشتركوا معهم في الفتح كرهوا أن يولى عليهم  
غير قائدهم الأول عمرو بن العاص . ولعل عمراً نفسه - وهو المعروف  
بدهائه العظيم - كانت له يد في إثارة الاضطراب بمصر ليفسد الأمر على  
خلفه عبد الله بن سعد . ولعل كثيراً من الجند العرب في مصر أصبحوا  
لا يرحبون بقتال أهل المغرب إما رغبة في الراحة أو استخفافاً بنتائج هذا القتال  
وما يصيبونه فيه من غنائم .

ولنرى الآن ماتم من أمر هذه الثورة وإلى أي حد نجح الثوار  
في ثورتهم .

وفد عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان بن عفان بالمدينة في رجب  
سنة ٣٥ هـ واستخلف على مصر عقبة بن حامر الجهني في قول ، أو السائب  
ابن هشام بن كنانة العامري في قول آخر<sup>(١)</sup>، ولكن خليفته عليا طرد من  
القساط في شوال من السنة المذكورة على يد محمد بن أبي حذيفة الذي أخذ  
يدعو الناس إلى خلع عثمان ويحرض عليه بكل الوسائل الممكنة للدرجة أنه  
كان كما يذكر القرظي<sup>(٢)</sup> يكتب الكتب على لسان أزواج الرسول عليه  
الصلاة والسلام ويدعى أمهن كتبها ويقراها في المسجد فإذا فيها الاستفاعة  
مما عمل في الإسلام وما صنع في الإسلام ، وبالطبع صدق أناس وكذب آخرون  
وبالطبع كان لثمان شيعة في مصر فناوأوا ابن أبي حذيفة وأرسلوا إلى عثمان  
من يخبره بصنيعه ، ومن بين شيعة عثمان في مصر معاوية بن حديج وخرجة

(١) الكنتى : الولاة والقضاة ص ١٣ - ١٤ ، خطط القرظي ج ٢

ص ٣٣٥ .

(٢) الكنتى ص ١٤ ، القرظي ج ٢ ص ٣٣٤ .

ابن حذافة ومسلمة بن مخلد وبسر بن أبي أرطاة وغيرهم كثير (١)

وأراد عثمان بن عفان ممالحة الموقف بالدين والسياسة لا بالنفذ والشدة ، خوفاً من إراقة دماء المسلمين فأرسل سعد بن أبي وقاص عليه يستطيع أن يصلح بين المصريين ويوصل إلى حل في المسألة . ولكن سرعان ما خطب ابن أبي حذيفة في أتباعه يحضهم على التماسك والأيام ينخدعوا الرسول عثمان بدعوى أنه جاء ليشتت أمرهم ويفل عزيمتهم ، وكان لكلامه أكبر الأثر في أتباعه إذ سار إلى سعد بن أبي وقاص نحو مائة شخص فأساءوا إليه واضطروه إلى العودة من حيث أتى . وما لبث عبد الله بن سعد أن أتى مصر إلا أنه لم يكذب جسر القانم حتى منعه أتباع ابن أبي حذيفة من الدخول فيها ، فطلب منهم أن يسمحوا له بالدخول ليخبر جنده بما أتى به ، ولكنهم أصروا على منعه فرحل إلى عسقلان وظل بها إلى أن توفي (٢) .

ولم تقف الثورة في مصر عند هذا الحد من عصيان الخليفة ، بل فكر ابن أبي حذيفة في إرسال جيش من مصر إلى عثمان بن عفان ، فأرسل ستائة رجل على كل مائة منهم رئيس أما قائدهم الأعلى فكان عبد الرحمن ابن عديس البلوي . وكانت النتيجة أن قتل عثمان رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ٣٥ هـ وعاد هذا الجيش ثانية إلى مصر (٣) . وهناك رواية أخرى تذكر أن وفد مصر ، وكان معهم الثائرون من البصرة والكوفة ، خرجوا متظاهرين بأن غرضهم العمرة (٤) ولكنهم كانوا يريدون الثورة على عثمان

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ١٥ ، خطط المقرئ ص ٢ ص ٣٣٥

(٢) الكندي ص ١٦ - ١٧ ، خطط المقرئ ص ٢ ص ٣٣٥ .

(٣) الكندي ص ١٧ ، خطط المقرئ ص ٢ ص ٣٣٥ .

(٤) العمرة : زيارة البيت الحرام في غير أوقات الحج ويسمى الحج الأصغر



ابن عثمان ، وكان من بينهم محمد بن أبي بكر الصديق فشكوا إلى عثمان بن عفان واليه على مصر عبد الله بن سعد وطلبوا منه عزله فأجابهم عثمان إلى طلبهم وكتب بتولية محمد بن أبي بكر على مصر وعزل عبد الله بن سعد فقفل ذلك الوفد راجعاً ، وبينما هم في الطريق رأوا راكباً ارتابوا في أمره ففتشوه وإذا معه كتاب من عثمان إلى عبد الله بن سعد يأمر فيه بقتل محمد بن أبي بكر ونفر ممن معه ، فأخذوا الكتاب ورجعوا ثانية إلى المدينة . وقرأوه على من فيها من الصحابة وقد أنكروا عثمان ذلك الكتاب وحلف لهم أنه لا يعلم من أمره شيئاً ، فظنوا أن الكتاب كتبه مروان بن الحكم كاتب عثمان وابن عمه وطلبوا إليه أن يسلم إليهم مروان فلم يرض عثمان بذلك إذ أن مروان حلف هو الآخر أنه لم يكتبه . فطلبوا إليه أن يمتثل لخلافه فأبى وتمسك بها ، ومالبت الثوار أن تطاولوا عليه وقتلوه أفضع قتلة وربما شجعهم على قتله ما علموا من استنجاهه بمعاوية بن أبي سفيان وعبد الله ابن عامر وإلى البصرة وأمراء الأجناد فأرادوا أن يشموا ثورتهم قبل وصول المدد إلى عثمان خوفاً من أن يقضى على حركتهم هذه بالفشل . وكان يدافع عن عثمان في داره مائة رجل من الصحابة وهو عدد قليل بالنسبة للثائرين ، ويقال إن محمداً بن أبي بكر هو أول من حرض الثوار على قتله وأول من دخل عليه ليقتله<sup>(١)</sup> .

قد تكون الرواية السابقة صحيحة وقد يكون خصوم عثمان دسوها دساً ليتهموه بالخديعة أو الفعلة ، خصوصاً إذا علمنا أن عبد الله بن سعد كان قد خرج من مصر قبل خروج الثائرين إلى عثمان ولم يضع قتل عثمان حداً لتلك الفتنة ، بل كان بداية الفتن والمنازعات التي حفل بها التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى .

(١) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج ١ ص ٤١ - ٤٨ ، ابن الأثير : الكامل

ب - أمر النزاع بين علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان في مصر

كان مقتل عثمان بن عفان كما يقول ابن خلدون<sup>(١)</sup> فتنة ابتلى الله بها الأمة ، فقد بويع علي بن أبي طالب من بعده بالخلافة في سنة ٣٥ هـ ولكن النزاع تجدد بين المسلمين حول هذه المسألة . إذ رأى علي ومن تبعه أن بيعته قد انقضت ولزمت من تأخر عنها وذلك لاجتماع من اجتمع عليها بالمدينة ، دار النبي صلى الله عليه وسلم وموطن الصحابة ، وأرجأ المطالبة بدم عثمان ربما يجتمع الناس وتتفق الكلمة فيتمكن حينئذ من ذلك . ورأى آخرون أن بيعته لم تنقذ لافتراق الصحابة ولا تكون البيعة صحيحة إلا باتفاق أهل الحل والمقد كما أنها لا تكون صحيحة بغيرهم أو بحضور أقلية منهم ، كذلك رأوا أن المسلمين كانوا حينئذ في فوضى واضطراب فيجب أولاً المطالبة بدم عثمان ثم الاتفاق على خليفة المسلمين . وكان على رأس هذا الفريق المعارض لخلافة علي ، معاوية بن أبي سفيان وإلى بلاد الشام من قبل عثمان بن عفان وابن عمه .

وقد بادر علي بعد توليه الخلافة بعزل ولاية عثمان وإرسال عماله إلى الولايات ، كذلك أرسل بيعته إلى جميع الأمصار . والظاهر أن البيعة جاءت من كل مكان إلا بلاد الشام التي كان يليها معاوية بن أبي سفيان ، فكان لا بد من نشوب النزاع بين الطرفين وبينهما يستمدان لذلك وقع على مسرح الخلاف السياسي حادث جديد . هو خروج طلحة والزبير وعائشة زوج

(١) المقدمة ص ١٧٩ ( فصل في ولاية العهد ) .

الرسول على خلافة على واشتبا بهم معه في موقعة الجمل التي انتهت بانتصار على وقتل طلحة والزبير وأسر السيدة عائشة في سنة ٣٦ هـ . وفي تلك الأثناء استطاع معاوية أن يستميل إليه رجلاً من أهم كبر دهاة العرب : هو عمرو ابن الماص . ويذكر اليعقوبي (١) أن عمرو بن الماص اشترط على معاوية بن أبي سفيان أن تكون ولاية مصر طعمة له نظير مساعدته له ضد علي فقبل معاوية ذلك .

سار علي بن أبي طالب في أواخر سنة ٣٦ هـ من الكوفة - التي اتخذها مقراً لخلافته بعد موقعة الجمل - نحو الشام لمحاربة معاوية وتقابل الفريقان في سهل صفين ، حيث نشب القتال بين الفريقين . وانتهت تلك الموقعة في صفر من سنة ٣٧ هـ بحيلة ارتآها عمرو بن الماص . إذ أشار على معاوية برفع المصاحف على الرماح والنداء بتحكيم القرآن بدلاً من تحكيم السيف فكان ذلك سبباً في فتور أكثر جند علي بعد أن كانوا قاب قوسين أو أدنى من الانتصار . وقد اختير عمرو بن الماص حكماً من قبل معاوية كما اختير أبو موسى الأشعري من قبل علي . وقيل إن هذا التحكيم انتهى باتفاق الحكيم علي خلع على معاوية ، فأعلن أبو موسى الأشعري خلعهما ، ثم قام عمرو فأعلن خلع علي وتثبيت معاوية لأنه ولي عثمان والطلاب بدمه وأحق الناس بأن يخلفه (٢)

وقد خرج معاوية من التحكيم أقوى مما كان فقد رضى أهل الشام بخلافته ، ولا بد أن فريقاً غيرهم من الناس اعتقد بصحة التحكيم وبصحة خلافة معاوية ، كذلك خرج فريق من أتباع علي عليه بسبب رضائه

(١) تاريخ ج ٢ ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٢) انظر الطبري ج ٦ ص ٣٧ - ٤٠ ، المسمودي : مروج الذهب . ج ٢

ص ٢٨ - ٢٣ ( ط . القاهرة ) .

بالتحكيم وهذا الفريق هو الذى يعرف بالخواارج ، كما أن فريقاً آخر من جند على ملوا الحرب والزراع . وقد عزم على على محاربة أهل الشام لاعتقاده أن الحكيمين حكما الهوى ولم يحكما القرآن ، وحث الناس على قتالهم فى سنة ٣٨ فتتاقلوا ولم يطيموه إذ كانوا قد ملوا الحرب وسموا القتال .

وقد اتفق ثلاثة من الخوارج على قتل على ومعاوية وعمرو فلم ينجح من هؤلاء الخوارج سوى عبد الرحمن بن مبلج الذى قتل علياً بالكوفة فى شهر رمضان من سنة ٤٠ هـ . وبقتله انتهى عهد الخلفاء الراشدين وبابيع المسلمون من بعده ابنه الحسن بن على ، ولكن خلافته لم تزد على بضعة أشهر ، إذ كان لا قبل له بمحاربة معاوية وجنده فتنازل له عن حقه فى الخلافة .

\*\*\*

تجلى النزاع بين على ومعاوية بأجل مظاهره فى مصر التى كانت مركزاً للثأرين على عثمان بن عفان . فبعد مقتله فى دى الحجة سنة ٣٥ هـ عاد الركب الذى كان قد خرج عليه إلى مصر ثانية ، ويوح أن نفراً منهم تحلفوا فى المدينة ومنهم محمد بن أبى بكر نفسه ، ويظهر أن أولئك الثأرين كانوا يتوقعون أن ينتقم منهم شبيعة عثمان أو أنهم كانوا كما دعتهم دائماً يمزجون السياسة بالدين ، وذلك لأنهم لما أتوا القسطنطينية ودخلوا المسجد صاحوا : « إنا لسنا قتلنا عثمان ولكن الله قتله <sup>(١)</sup> » أما شبيعة عثمان فى مصر فقد بايعوا معاوية بن حديج على الطلب بدم عثمان فسار بهم إلى الصعيد ، ولكن ابن أبى حذيفة أرسل إليهم من بحارهم والتقى الفريقان فى إحدى قرى البهنسا فكان النصر حليف شبيعة عثمان وهزم جيش ابن أبى حذيفة . ثم

(١) الكندى : الولاية والقضاء ص ١٨ خطط المقرئى ص ٢٣٥ .

سار معاوية بن حديج إلى برقة ولا تعرف لها إذا سار إليها - ثم رجع ثانية إلى الإسكندرية فأرسل إليه ابن أبي حذيفة جيشاً آخر على رأسه قيس بن حرملة اللخمي فاقتتل الجيشان بخرَّبًا (١) في أول شهر رمضان سنة ٣٦ هـ فقتل قيس بن حرملة وهزم جيشه (٢). وعلى هذا نرى أن شيعة عثمان في مصر انتصرت للمرة الثانية على الحزب الذي ثار على عثمان ولما يمض عام واحد على مقتله .

نرى إذن أن النزاع الذي كان يقوم في حاضرة الخلافة أو حول منصب الخلافة كان يؤدي إلى فوضى ونزاع في مصر حتى تكاد تنعدم سلطة الخليفة في تلك الظروف ، فنرى ابن أبي حذيفة يفتصب ولاية مصر لنفسه دون أن يعينه خليفة ، كما نرى شيعة عثمان وشيعة علي يقتتلان في مصر .

ويظهر أن انتصار شيعة عثمان على ابن أبي حذيفة شجع معاوية بن أبي سفيان على القدوم إلى مصر لثروتها وخيراتها الوفيرة ولوقوعها الجغرافي الممتاز فوصل في نفر من أصحابه إلى سلمنت من كورة عين شمس في شوال سنة ٣٦ هـ فخرج إليه ابن أبي حذيفة وأهل مصر (٣) ليمنعوه من دخولها ، فبعث معاوية - بما عرف عنه من الدهاء وحسن السياسة إلى ابن أبي حذيفة يقول لهم لم يجيئوا لقتال أحد وإنما جاءوا يطلبون القصاص لدم عثمان ويريدون القبض على قاتليه وهما عبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر اللذين كانا على رأس الوفد الذي ذهب إلى المدينة لقتل عثمان ، فلم يجب ابن أبي حذيفة

---

(١) خَرَّبًا . يفتح الحاء أو كسرهما كانت من كور الحوف الغربي بالقرب من الإسكندرية وهي الآن خراب لا يعرف ( ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٤١٦ )  
(٢) الكندي ص ١٨ - ١٩ ، خطط القرظي ج ٢ ص ٣٣٥ - ٣٣٦  
(٣) مصر هنا تعني القسطنطينية لأن معاوية بوصوله إلى عين شمس كان قد دخل القطر المصري فلا وليس القسطنطينية عاصمة مصر .

طلب معاوية وقال له لو طلبت منا جديا رطب السرة بعثمان ما دفعناه إليك !!  
وهنا لحا معاوية إلى الحيلة حزمة أخرى فرض على ابن أبي حذيفة وأتباعه  
بأن يعطوه رهنا لكي يتفادوا حربه ضدهم . فرضى ابن أبي حذيفة بذلك  
وخرج في الرهن هو وابن عديس وكنانة بن بشر وغيرهم من قتلة عثمان فلما  
بلغوا لد<sup>(١)</sup> سجنهم معاوية بها . وسار هو إلى دمشق فهربوا من السجن  
فتبهم صاحب فلسطين وقتلهم في ذى الحجة سنة ٣٦ هـ<sup>(٢)</sup>

واستطاع معاوية بمهارته وسياسته أن يقضى على معظم الحزب الملوي في  
مصر ، ولا سيما الذين كانوا قد تاروا على عثمان ، دون أن يكلفه ذلك حربا  
أو سفك دماء . ولم يلجأ إلى حربهم أو إلى دخول مصر عنوة في وقت كان  
يستعد فيه لحرب يتوقف عليها مصير الخلافة بينه وبين علي بن أبي طالب

ولما بلغ عليا نبأ قتل ابن أبي حذيفة أرسل إلى مصر قيس بن سعيد  
ابن عبادة الانصاري واليا عليها من قبله فدخلها في بداية ربيع الأول  
سنة ٣٧ هـ . ويظهر أن قيسا كان من أصحاب المقدرة السياسية الذين يعرفون  
كيف يستميلون الرجال حتى المعادين لآرائهم ومبادئهم ، فنراه يحسن إلى  
شيمة عثمان بنجرتنا ويكرمهم ويبعث إليهم بأعطياتهم . ولعل معاوية خشى أن  
يجعل سياسته هذه من مصر ولاية علوية لا تعرف غير علي والطاعة له  
فيقضى بذلك على حزب بنى أمية ، فعمل هو وعمرو بن العاص على إخراجه من  
مصر بأية وسيلة ، ولكنه امتنع مهما بالدهاء والمكيدة . وأخيرا لحا معاوية  
إلى مكيدة استطاع بها أن يجعل عليا يشك في إخلاص قيس بن سعد فكان

(١) هي الآن اللد Lydda في فلسطين على الطريق الذي يوصل بين مصر وسوريا  
(لد . بالضم والتشديد .. قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين) — ياقوت : معجم  
البلدان ج ٤ ص ٣٥٤ .

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ١٩ ، وخطط القرظي : ج ٢ ص ٣٣٦

معاوية يحدث رجلا من ذوى الرأي من قريش في هذا ويقول « ما ابتدعت من مكايده قط أعجب إلى من مكايده كدت بها قيس بن سعد حين امتنع منى قيس ». إذ تظاهر معاوية لأهل الشام بأن قيسا من شيعته وأن كتبه ونصائحه تأتيه منه. وكتب بذلك إلى شيعته في العراق ، فسمع بذلك جواسيس على في العراق ، وانتهى ذلك الخبر إلى علي وأراد أن يتحقق من صحته فأرسل إلى قيس يأمره بحاربة شيعة عثمان بخربتا فرض قيس مقاتلتهم معللا ذلك بأهم وجوه أهل مصر وأشرفهم فنهزم مسعدة بن مخلد وبسر بن أبي أرطاة ومعاوية بن حديج وقال إن معاملتهم بالحسن خير من قتالهم ؛ فقتلهم لا يجدى نفعاً وأنه في الواقع يكيد لهم بمعاملتهم بالحسن ، ثم كتب إلى علي : « إن كنت تهمني فاعزلي وابعت غيري » فعزله علي وكانت ولايته على مصر حوالى أربعة أشهر . وولى على مصر الأشرم مالك بن الحارث النخعي وهو من أعوان علي وكبار قواده حضر معه موقعي الجمل وصفين . وسار الأشرم إلى مصر حتى نزل القلزم في بداية رجب سنة ٣٧هـ ، وهناك شرب عسلا فمات مسموما . ولما سمع بذلك معاوية وعمرو قال عمرو : « إن لله جنودا من عسل<sup>(١)</sup> » ومن المحتمل أنه كان لمعاوية وعمرو يد في مقتله .

وكتب أبوالمحسن<sup>(٢)</sup> أن معاوية استاء من تولية الأشرم مصر لكفايته وشدهته فكتب إلى عامل القلزم يمنيه بوعود مختلفة على أن يهلك الأشرم بكل طريقة يقدر عليها ، فكان أن قدم عامل القلزم للأشرم طعاما وعسلا مسموما فمات لساعته .

(١) الكندي : الولاة والنضاة ص ٢٠ - ٢٤ ، خطط القرظي ج ٢ ص ٣٦٦

(٢) النجوم الزاهرة : ج ١ ص ١٠٣ - ١٠٤

لما علم على يموت الأشر أرسل إلى مصر محمد بن أبي بكر فكان حكمه  
بداية النهاية لحكم على بن أبي طالب في مصر ، ولا غرو فقد كان رجلا  
يجهل أمور السياسة والحكم ، وكانت تظلب على طبيعته روح الفوضى  
والثورة ، وفيه حب للرياسة والزهو ، وقد تجلت طبيعته هذه في ثورته ضد  
عثمان وفي سياسته في مصر عندما وليها .

قدم محمد بن أبي بكر إلى مصر في رمضان سنة ٣٧ هـ . ويقال إن قيس  
ابن سعد لقيه فنصحه عدة نصائح تختص بحكم مصر ، تذكرنا بساسة قيس  
قبل أن يمزله على ، ومن تلك النصائح أن يصانع شيمة عثمان في مصر ليكشف  
بعمالته الحسنة عن أمرهم وآرائهم ، كما نصحه بأن يحسن سياسته مع الشعب  
بوجه عام وبأن يتجنب إلى الناس وذلك بأن يمود المرضى ويشهد الجنائز ،  
وغير ذلك من النصائح التي تستحق التقدير . على أن محمد بن أبي بكر لم يفعل  
شيئا من ذلك ، بل كان أول ما عمله أن كتب إلى معاوية بن حديج ومن معه  
من شيعة عثمان يدعوهم إلى بيعته فلم يجيبوه فبعث إلى دورهم فهدمها ونهب  
أموالهم وسجن ذراريهم ، فهضت شيعة عثمان لمحاربتة ولما علم أنه لا قبل له  
بهم كف عنهم ثم صالحهم على أن يسيرهم إلى معاوية ففعلوا ولحقوا  
بمعاوية<sup>(١)</sup> . ويظهر أن ذلك جعل معاوية يتخذ خطة الهجوم وينهي خطة  
السياسة والمكائد ويرسل جيشا لفتح مصر .

في ذلك الوقت الذي عزم فيه معاوية على إرسال جيش لاستخلاص  
مصر من على ، كان قد اتفق هو وعلى على التحكيم عقب موقعة صفين ،  
ونعرف أن مدة التحكيم كانت بمثابة هدنة يوضع فيها الفريقان المتحاربان  
السلاح . وتذكر المصادر أنهما لما اتفقا على التحكيم غفل على أن يشترط

(١) الكندي ص ٢٦ - ٢٨ ، خطط المقرئ ص ٢ ص ٣٣٧ .



على معاوية ألا يقاتل أهل مصر<sup>(١)</sup> ، ولذا أصبح معاوية في حل من قتال أهلها . ويذكر أبو المحاسن<sup>(٢)</sup> أن معاوية طمع في مصر لما اختلف أهل العراق على علي ، وكان معاوية قبل ذلك يهاب مصر لكثرة الشيعة بها بالرغم من أن أهل خربتها كانوا عثمانيّة ، ويذكر أيضا أن معاوية قصد باستيلائه على مصر أن يستعين بها على حرب علي . ولأهمية تلك المسألة استشار معاوية خواصه ومن بينهم عمرو . فقال عمرو : « أمهك أمر مصر وخراجها الكثير وعدد أهلها فتدعوننا لنشير عليك فيها فاعزم وانهض ، في افتتاحها عزمك وعز أصحابك وكتب عدوك . فقال له معاوية . يا ابن الماص : « إنما أمهك الذي كان بيننا<sup>(٣)</sup> » وقد رأى بقية خواصه ما رأى عمرو . وفي تلك الأثناء كاتب معاوية شيعته في مصر وعلى رأسهم معاوية بن حديج ومسلمة ابن مخلد عندهم بقدم جيشه فكتبوا إليه : « أما بعد فعجل علينا بجيالك ورجلك ، فإن عدونا قد أصبحوا لنا هائبين فإن أانا المدد من قبلك يفتح الله علينا »

هذه هي الرواية التي يذكرها أبو المحاسن ويستفاد منها أن شيعة عثمان بمصر لم يخرجوا منها ، وأن معاوية لم يرسل جيشا لاستخلاص هذه البلاد إلا بعد أن تمهدت له الأمور في مصر .

وقد تكون شيعة عثمان في مصر قد خرجت حقا في ولاية محمد بن أبي بكر كما ذكرنا سابقا ، ولكن الأرجح أنها لم تخرج كلها بل ظل فيها طائفة منهم .

وقد أرسل معاوية سنة ٣٨ هـ جيشا إلى مصر بقيادة عمرو بن الماص .

(١) السكدي ص ٢٨ ، خطط المقرئ ص ٣٠٧

(٢) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٠٧ - ١٠٨

(٣) يشير معاوية بذلك إلى الاتفاق الذي كان بينه وبين عمرو على أن يعطيه

مصر طعمة له وذلك عند ما يتهاهد معه على قتال علي

وهنا يجب أن نتذكر أن عمراً لم يكن يستخلص مصر هذه المرة من أيدي البيزنطيين كما فعل سنة ٥٢٠ هـ وإنما كان يستخلصها من شيمة على ابن أبي طالب ، فكان جيش عمرو في تلك المرة يحارب مريقا من شمبه يدين يدينه ، لا شميا أجنبياً عنه ويدين يدين غير الدين الإسلامي . ففي سنة ٥٢٠ هـ وقف العرب كتلة واحدة أمام البيزنطيين ، وهنا في سنة ٥٣٨ هـ انقسم العرب على أنفسهم وأصبح حزب منهم يقا تل حزبا آخر . وكان جيش عمرو يتكون من أهل دمشق وعليهم يزيد بن أسد البجلي وأهل فلسطين وعليهم رجل من خشم وكان معاوية بن حديج على رأس شيمة عثمان ، وأبو الأعور السلمي على أهل الأردن . وتقابل جيش عمرو مع جيش محمد بن أبي بكر فأقتتلوا بالسنة (١) وهزم الجيش الذي كان يقوده محمد بن أبي بكر بعد أن تكبد الفريقان خسائر فادحة في الأرواح . وبين شدة القتال في تلك الموقعة ما قاله عمرو : « شهدت أربعة وعشرين زحفاً فلم أريوما كيوم المسناة ولم أو الأبطال إلا يومئذ » وبعد انتصار عمرو دخل هو وأهل الشام مدينة القسطنطينية (٢) .

هرب محمد بن أبي بكر بعد تلك الموقعة فأقبل معاوية بن حديج في رهط من أنصاره يبحث عنه فدلتهم على مكانه امرأة فسار إليه معاوية بن حديج وقتله وقال : يقتل كنفانة بن بشر ويترك محمد بن أبي بكر وإنما أمرهما واحد (٣) . ويقال إن محمدا طلب الصفون معاوية بن حديج فقال له معاوية : « قتلت ثمانين رجلا من قومي في عثمان وأتركك وأنت صاحبه ا » فقتله ووضعه في جيفة حمار ميت وأحرقه بالنار . فكانت ولاية محمد بن أبي بكر

(١) المسناة : مكان بين عين شمس وأم دين أي شمال القاهرة .

(٢) الكندي : الولاية والفضلة ص ٢٩

(٣) الكندي ص ٢٩

على مصر خمسة أشهر ومقتله في ١٤ من صفر سنة ٣٨ هـ وقيل أيضاً لأنه قطع رأسه وأرسله إلى معاوية بن أبي سفيان بدمشق وطيف به ، وهو أول رأس طيف به في الإسلام<sup>(١)</sup> ، وبذلك انتهى حكم الخلفاء الراشدين من مصر في صفر سنة ٣٨ هـ<sup>(٢)</sup> . وتقديراً لهذه الخدمات التي أداها عمرو بن العاص ولاة معاوية مصر صلاتها وخراجها وجعلها له طعمة بعد عطاء جدها والنفقة على إدارتها ، وهذه هي ولاية عمر بن العاص الثانية على مصر . ولم يلبث عمرو أن خرج للتحكيم الذي كان بين علي ومعاوية واستخلف على مصر ابنه عبد الله ، وقيل خارجة بن حذافة صاحب شرطته ، وبعد أن أدى مهمته في التحكيم كما رأينا عاد ثانية إلى مصر<sup>(٣)</sup> . وهكذا أصبحت مصر ولاية تابعة للدولة الأموية منذ سنة ٣٨ هـ بالرغم من أن علياً ظل خليفة حتى سنة ٤٠ هـ .

٢ - النزاع الذي قام حول التعرف على الخلفاء الراشدين (٤٠ -

١٣٢ هـ = ٦٦١ - ٧٥٠ م) :

١ - دعوة ابن الزبير لنفسه بالخلافة وأثر ذلك في مصر

طمع عبد الله بن الزبير في الخلافة كما طمع غيره وتجتأت أمنيته هذه منذ خروجه مع أبيه في موقعة الجمل<sup>(٤)</sup> ، على أن الفرصة لم تسكن قد حانت بعد لخروجه وادعائه للخلافة ، بل نراه يشترك في خدمة الدولة زمن معاوية

(١) خطط القرظي : ج ٢ ص ٣٣٧

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ١١٠

(٣) الكندي ص ٣١ ، خطط القرظي : ج ٢ ص ٣٣٧

(٤) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ١٦٩ ، ابن طباطبا :

الغزير ص ٧٦

ابن أبي سفيان ويخرج في الجيش الذي سار لغزو القسطنطينية سنة ٤٩ هـ بقيادة يزيد بن معاوية<sup>(١)</sup>. وعند ما أخذ معاوية قبيل وقاه البيعة لابنه يزيد، عارض في تلك البيعة نفر يسير من أهل المدينة منهم الحسين بن علي وعبد الله ابن الزبير. وقد حذره معاوية من هؤلاء النفر وخاصة من ابن الزبير إذ قال له «... وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراونك مراوغة الثعلب فإن أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فإن هو وثب عليك فظفرت به فقطمه إربا إربا واحقن دماء قومك ما استطعت<sup>(٢)</sup>». ولما ولي يزيد بن معاوية الخلافة (٦٠ - ٦٤ هـ = ٦٨٠ - ٦٨٣ م) امتنع الحسين والزبير عن مبايعته. فأما الحسين فقد خرج على يزيد وقتل في اليوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ بكر بلاء، وقتله خلا الجولان الزبير فدعا لنفسه بالخلافة في سنة ٦١ هـ وبايعه أهل تهامة والحجاز<sup>(٣)</sup>. وقد أرسل يزيد جيشا في سنة ٦٣ هـ لمحاربة ابن الزبير وأتباعه في المدينة ثم مكة، ومات يزيد ولما يتم إخضاع ابن الزبير. ثم ولي الخلافة معاوية الثاني ابن يزيد، إلا أن مدة خلافته لم تطل فقبل أنه ملك أربعين يوما وقيل ثلاثة أشهر، وحدثت بعد موته فترة هرج ومرج ونزاع حول منصب الخلافة، وفي تلك الأثناء اتسع نطاق دعوة ابن الزبير الذي بايعه أهل الشام كلهم إلا أهل الأردن، وكذلك بايعه أهل مصر كما غلب على أهل العراق والحجاز واليمن.

ولما بويع مروان بن الحكم بالخلافة في سنة ٦٤ هـ (٦٨٤ م) كان عليه أن يقضي على معارضة عبد الله بن الزبير. أما في الشام فقد انتصر على

(١) الطبري: ج ٦ ص ١٣٠

(٢) ابن طباطبا: الفخري ص ٩٨

(٣) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٢٦٠، الطبري ج ٦ ص ٢٧٣ - ٢٧٤

الضحاك بن قيس عامل عبد الله بن الزبير في موقعة مرج راهط وقتله وبذلك خلعت بلاد الشام لمروان ، وكذلك استولى مروان بن الحكم على مصر من عامل ابن الزبير كما سنرى ، ومات مروان في سنة ٦٥ هـ ( ٦٨٥ م ) وابن الزبير منتقل على الحجاز والعراق .

وفي عهد عبد الملك بن مروان ( ٦٥ - ٨٦ هـ = ٦٨٥ - ٧٠٥ م ) تم القضاء على ابن الزبير ، إذا تغلب بنو أمية على العراق في سنة ٧٢ هـ ، وعلى الحجاز في سنة ٧٣ هـ ، وانتهى الأمر بقتل ابن الزبير في هذه السنة .

\*\*\*

وقد مر بنا أن مصر أصبحت ولاية تابعة للدولة الأموية منذ سنة ٣٨ هـ وأصبح ولايتها منذ ذلك الحين يولون من قبل الخلفاء الأمويين ، ولم تظهر دعوة ابن الزبير في مصر إلا عقب وفاة الخليفة يزيد وذلك في ولاية سميد ابن يزيد عليها ( ٦٢ - ٦٤ هـ ) . وقد قام بتلك الدعوة الخوارج وكانوا يحسبون ابن الزبير على مذهبهم<sup>(١)</sup> . والواقع أن هذه الفرق المختلفة من الشيعة والخوارج كانت تؤيد جموع الناشرين على الخلافة عليها تستطيع الوصول إلى مآربها المختلفة دينية كانت أو سياسية . فلم يقل أحد بأن ابن الزبير كان يدين بمذهب الخوارج ، ولكن ربما ادعى الخوارج في مصر ذلك ، وساعدهم في دعوتهم هذه ما لاقوه من ترحيب ابن الزبير بهم واعتماده عليهم في نشر دعوته .

أوفد الخوارج في مصر وفدا إلى ابن الزبير - ليرسل إلى مصر أميرا من قبله يؤازرونه . كذلك خرج من مصر إلى ابن الزبير أناس من غير

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٤٠ - ٤١ ، خطط القرظي : ج ٢

الخوارج ، مهم أبو عبيدة وعياض ابنا عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري  
وأبو بكر بن القاسم بن قيس المذري وحيان بن الأعين الحضرمي وحجوة  
ابن الأسود الصدفي - ثم أرسل ابن الزبير واليا عن قبله على مصر  
هو عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم الفهري ، فقدم مصر في طائفة من  
الخوارج الذين قاموا ضد واليها سعيد بن يزيد فاعتزل الولاية سنة ٦٤ هـ  
ومن ثم بدأت ولاية عبد الرحمن بن جحدم في شعبان سنة ٦٤ هـ وأصبحت  
مصر ولاية تابعة لخلافة عبد الله بن الزبير . وقد بايحه الناس في مصر ومنهم  
شيمة بن أمية الذين بايعوه في الظاهر إلا أنهم كانوا مخلصين للأمويين  
وللحكم الأموي في الباطن<sup>(١)</sup> . فلما بويع مروان بن الحكم خليفة بالشام في  
ذي القعدة سنة ٦٤ هـ دعاه شيمته بمصر لاستخلاصها من عامل ابن الزبير .  
فقدم مروان بن الحكم إلى مصر وأرسل أمامه جيشا بقيادة ابنه  
عبد العزيز بن مروان وأمره أن يدخل مصر عن طريق أيلة . وقد  
أشار الخندق على ابن جحدم بحفر خندق حول القسطنطين للدفاع عن مصر ،  
فأمر بحفر هذا الخندق فحفر في شهر واحد ، وفي ذلك يقول ابن أبي زمرمة  
الخشني .

وما الجد إلا مثل جد ابن جحدم وما العزم إلا عزمه يوم خندق  
ثلاثون ألفا قد أناروا تراه وخدوه<sup>(٢)</sup> في شهر حديث مصدق  
وقد أعقب ابن جحدم ذلك بإرسال جيش إلى الشام أمر عليه السائب  
ابن كنفانة بن هشام العامري كما سير إليها حملة بحرية بقيادة الأكدر بن حمام

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٤٠ - ٤٢ ، خطط القريري ج ٢

(٢) خدوه : شقوه

اللعنمى . وأرسل إلى أيلة جيشا آخر بقيادة زهير بن قيس البلوى ليمنع عبد العزيز بن مروان من السير إليها . أما جيش السائب فقد انتصر عليه مروان بجدعة غربية إذ أخبره روح بن زباع بأن للسائب بفلسطين ولدا رضيعا فأخذه مروان ولسا التقي بجيش السائب أظهر له ابنه وهدده بقطع رأس ابنه إذا لم يرجع ، فرجع السائب دون قتال ولذلك سمى جيشه جيش الكرارين ، وأما المراكب التي سيرها ابن جحدم فقد هبت عليها ريح عاصف أغرقها ونجا أميرها الأكرد وعاد إلى الفسطاط . وقد التقي جيش زهير بن قيس بعبد العزيز على مقربة من أيلة وتقاتلا فانهزم زهير ومن معه (١) .

وسار مروان إلى مصر حتى نزل عين شمس فخرج إليه ابن جحدم في اتباعه وتجاروا يوما أو يومين ثم رجعوا إلى خندقهم . وأخذوا يحاربون مروان وهم في الخندق ، وقد سميت تلك الأيام بأيام الخندق والتراويح ، فكان أهل مدينة الفسطاط ، يتناوبون القتال فيخرج نفر للقتال ثم يرجع ثم يخرج غيرهم ، وهكذا وقد اشتد القتال بين الفريقين حتى قام نفر ليصلحوا بين المصريين ومروان وتم ذلك الصلح وكتب مروان كتابا أمن فيه المصريين ثم دخل الفسطاط في غرة جمادى الأولى سنة ٦٥ هـ (٢) . وانتهى في مصر حكم ابن الزبير بعد أن دام نحو تسعة أشهر وهي المدة التي ولى فيها عبد الرحمن بن جحدم .

وقد بايع المصريون مروان بن الحكم إلا نفرًا لم يرضوا بنكث بيعة ابن الزبير بعد أن بايعوه طائعين . ولما كان مروان يريد أن يقضى على خلافة

(١) الكندي ص ٤٢ - ٤٣ ، خطط القرظي ج ٢ ص ٢٢٧ - ٢٢٨

(٢) الكندي ص ٤٣ - ٤٥ ، خطط القرظي ج ٢ ص ٢٢٨

ابن الزبير نهائيا من مصر ، فقد اضطر إلى قتلهم بعد أن أبوا بيعته وكانوا ثمانين رجلا .

وأقام مروان بن الحكم بمصر شهرين ثم غادرها في أول رجب سنة ٦٥ هـ بعد أن وطد أمورها وأعادها ثانية إلى الحكم الأموي ، كما ولي عليها ابنه عبد العزيز بعد أن زوده بالنصائح الهامة التي تجعله متعاظما قادرا وتساعد على حكم مصر (١) .

على أن مصر بعد خروجها عن طاعة ابن الزبير لم تقف على الحياد في النزاع الذي كان بينه وبين الخلفاء الأمويين ، بل مدت يد المساعدة إلى الأمويين كي تعينهم على التخلص منه ، فأرسل عبد العزيز بن مروان إلى مصر ( ٦٥ - ٨٦ هـ ) في سنة ٧٢ هـ حملة بحرية إلى مكة لقتال ابن الزبير كان عدتها ثلاثة آلاف رجل ، وكان في هذا البعث رجل اسمه عبد الرحمن بن مجنس (٢) أحد موالى تميم يقال إنه هو الذي قتل ابن الزبير في جمادى الآخرة سنة ٧٣ هـ (٣) .

وقد رفعت خلافة ابن الزبير من شأن الخوارج بمصر لفترة يسيرة ، إلا أنهم ، كما يقول المقرئ (٤) ، انكفت ألسنتهم هم والعاوية بعد تغلب مروان على مصر . على أنهم عادوا إلى الظهور في ولاية قرة بن شريك على مصر ( ٩٠ - ٩٦ هـ ) في خلافة الوليد بن عبد الملك ، فيذكر الكندي (٥) والمقرئ (٦) أنه عندما خرج قرة إلى الإسكندرية في سنة ٩١ هـ اتفق

(١) الكندي ص ٤٧ - ٤٨

(٢) كتب الاسم في المصدر مجنس ويحتمل أن يكون ذلك الاسم « مجنس »

(٣) الكندي ص ٥١ ، خطط المقرئ : ج ١ ص ٢١٠

(٤) الخطط ج ٢ ص ٣٣٨

(٥) الولاة والفضاة ص ٦٤

(٦) الخطط ج ٢ ص ٣٣٨



الخواارج بالاسكندرية ، وكانت عديتهم نحو مائة ، على الفتك به وكان رئيسهم إذ ذاك المهاجر ابن أبي الثنى التجيبي أحد بني فهم ، وقد علم بذلك رجل يكنى بأبي سليمان فأبلغ قرّة ما عنزم عليه الخوارج فأخذهم بقتة قبل أن يتفرقوا وحبسهم وقد أقرّوا بما عنزموا عليه فقتلهم .

وبذلك انتهى ذلك الدور من أدوار النزاع حول الخلافة بعد أن ساهمت فيه مصر مساهمة ذات أثر لا ينفى . وقد ظلت مصر تقريبا طوال الحكم الأموي فيها ( ٣٨ - ١٣٢ هـ ) هادئة لا تشترك في أية منازعات أو حركات ظهرت في مقر الخلافة أو في غيرها من أنحاء الدولة الإسلامية إذا استثنينا تلك الفترة التي قامت فيها خلافة ابن الزبير في مصر كما تقدم . على أن مصر دخلت في أواخر ذلك العهد في النزاع الذي قام بين الأمويين والعباسيين والذي انتهى بقيام الدولة العباسية كما سنرى .

### ب - زوال الخلافة الأموية وأثر ذلك في مصر

تجمعت الظروف والعوامل التي أدت إلى زوال الخلافة الأموية وظهر أثرها بوضوح منذ أواخر القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني ، فمن شيمة يعملون على الكيد لبني أمية لينتصبوا الخلافة منهم ، ومن خوارج كانت مبادئهم وحركاتهم هادمة لخلافة قريش ، إلى موال كرهوا الدولة الأموية لتفضيلها العرب عليهم .

وهذه العناصر المناوئة للدولة وجدت منذ قيام الدولة الأموية ، ومع ذلك لم يظهر أثرها في إضعافها إلا بعد أن ظهر الضعف من جانب الدولة نفسها ، ولعل أهم مظاهر ذلك الضعف هو انقسام البيت الأموي على نفسه انقساما تاما منذ خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ( ١٢٥ - ١٢٦ هـ =

٧٤٣ — ٧٤٤ م) إلى أن ولي الخلافة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين في سنة ١٢٧ هـ (٧٤٤ م) ، إذ أصبح كل فرد من أفراد البيت الأموي يتخذ لنفسه حزبا يستعين به على الوصول إلى الخلافة ، مما شجع الطامعين من غير بني أمية على إلقاء دلوهم في الدلاء عليهم يصلون إلى ما يريدون . وكان صاحب النصيب الأكبر في هذه التفتية هم المباسيون .

كذلك وضع خطر المصيبة القبلية في أواخر عهد الدولة الأموية وما زاد في شقة الخلاف بين أفراد القبائل أن الخلفاء زجوا بأنفسهم في هذه المنازعات ، فتمصب بعضهم لعرب الشمال وتمصب آخرون لعرب الجنوب .

وقد استغل بنو المباس عم الرسول كل هذه الظروف السيئة التي أحاطت بالخلافة الأموية ، ويظهر أنهم بدأوا منذ أواخر القرن الأول الهجري ينظرون من جانبهم فيما طمح إليه الشيعة<sup>(١)</sup> فأخذوا يميلون لأنفسهم واستغلوا في حركتهم الشيعة والموالى استقلالاً كبيراً ؛ إذ كانوا يدعون لواحد من آل محمد وطبيعي أن هذا يشمل آل علي وآل المباس .

وفي الوقت الذي أثمرت فيه الدعوة المباسية كان حال الخلافة الأموية قد ساء إلى أقصى حد . وقد وجدت الدعوة المباسية في شخصية أبي مسلم الخراساني صاحب الفضل في إخراجها إلى حيز العمل والتنفيذ ، فهو كما يقول ابن طباطبا<sup>(٢)</sup> « رجل الدولة وصاحب الدعوة وعلى يده كان الفتح » . وقد نجح أبو مسلم في إظهار الدعوة المباسية ورفع راية المباسيين في خراسان سنة ١٢٩ هـ<sup>(٣)</sup> . وتمت الغلبة للمباسيين على الأمويين في خراسان

(١) السعدي : كتاب التنبية والإشراف ص ٣٣٨

(٢) الفخرى ص ١١٨

(٣) الطبري ج ٩ ص ٨٢ — ٨٤

والمراق ، وسار أبو مسمم بجندته من خراسان إلى الكوفة حيث بايع  
أبا العباس السفاح بالخلافة في سنة ١٣٢ هـ . وتبمه الناس من بعده . وقابل  
جيش العباسيين مع الجيش الأموي الذي كان يقوده سروان بن محمد عند نهر  
الزاب ( أحد روافد نهر دجلة ) ، وهناك كانت الغلبة للعباسيين في  
سنة ١٣٢ هـ ( ٧٥٠ م<sup>(١)</sup> ) وفر سروان بعد ذلك هاربا إلى مصر .

ولا نعرف على وجه التحقيق متى بدأت الدعوة العباسية في مصر لأن  
العباسيين كما عرفنا اهتموا بخراسان والمشرق لنشر دعوتهم فيها ولأن محور  
الحوادث منذ البداية كان في المشرق ، ولكن كان مقدرا أن تكون نهايتها  
في مصر التي فر إليها الخليفة سروان بن محمد ولقي فيها حتفه .

أولا ، ما نسمع عن الدعوة العباسية في مصر أيام خلافة هشام  
ابن عبد الملك ( ١٠٥ - ١٢٥ هـ ) وفي ولاية عبد الرحمن بن خالد عليها  
( ١١٧ - ١١٩ هـ ) إذ يذكر أبو المحاسن<sup>(٢)</sup> أن دعاة بني العباس أرسلوا  
إليه سرا فآكرمهم ووعدهم فبلغ ذلك هشاما ففره .

لكن مصر ظلت هادئة لم تتأثر عما كان يدور في المشرق حتى كانت  
خلافة مروان بن محمد ( ١٢٧ - ١٣٢ هـ ) فيبدأ الاضطراب في مصر منذ  
توليه الخلافة ونرى الجند لا يطعمون أوامر الخليفة في كثير من الأحيان ،  
كما نرى النزاع بين القيسية واليمينية يتجلى باجلى مظهره في مصر ولاغرو  
فقد عمت روح المصيبة القبلية إذ ذاك في جميع أنحاء الدولة الإسلامية ،  
فاليمينيون لا ينفذون أوامر الخليفة ، والقيسيون أو المضيرون في جانب  
الخليفة ، ولكن بعضهم يشقون عصا الطاعة ، كما يثور بعض أفراد

(١) الطبرى ج ٩ ص ١٣٠ - ١٣٢ ، ابن طباطبا : الفخرى ص ١٢٥ - ١٢٦

(٢) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٧٨

البيت الأموي تمسبا للخليفة مروان بن محمد وبعضهم يثور ضده ، كذلك يظهر الحوارج في مصر . أى أن ما يحدث في مقر الخلافة يقع مثله في مصر . وهنا نجد ظاهرة لم نهدا من قبل وهي ثورة الأهالى الوطنيين ومساعدتهم للمباسبين ضد الأمويين ، فالأهالى الوطنيون لم يشتركوا في المنازعات الخلافية من قبل ولكنهم لمبوا هنا دورا لا ينفل أثره ، فتهيأت بذلك الظروف للمباسبين ، كي يتموا نصرهم ضد الأمويين ، وكى ينشروا دعوتهم في مصر .

لما بوع مروان بن محمد بالخلافة في صفر سنة ١٢٧ هـ كان على ولاية مصر إذ ذاك حفص بن الوليد الحضرمى ، فلما أعلن بالفسطاط نبأ بيعة مروان ، كتب حفص إليه يستعفيه من ولايته على مصر فأعفاه مروان منها<sup>(١)</sup> وهنا يجدر أن نشير إلى أن حفصا هذا كان من عرب الجنوب ، أو من اليمنية الذين كانوا في ذلك الوقت في عداة مستحكم مع المضرية أى عرب الشمال المواليين للخليفة .

ولى مروان بن محمد حسان بن عتاهية على صلالة مصر ، وولى على الخراج عيسى بن أبى عطاء ، وهنا تتجلى العصبية القبلية بأجلى مظاهرها ، كما تتجلى حالة الفوضى التى وصلت إليها البلاد ، وكيف قطعت الدولة المباسية شوطا بعيدا وسط تلك الفوضى الشاملة التى عمت أنحاء الدولة الأموية إذ ذاك . فقد كانت سياسة مروان بن محمد تنطوى على الاتحاد مع القيسية أو المضرية ضد اليمنية ، فكان طبيعيا أن يثور اليمنيون في مصر ضد سياسة الخليفة . لذا نجد أن حسان بن عتاهية عندما قدم إلى مصر في ١٢ من جمادى الآخرة

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٨٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١

سنة ١٢٧ هـ يأمر بحل الفرق التي كان حفص بن الوليد<sup>(١)</sup> قد جندها على أن حسان لم يكده يستقر في ولاية مصر حتى تار قواد الفرق التي جندها حفص وأعلنوا عدم رضاهم إلا بحفص بن الوليد<sup>(٢)</sup>. وكان هذا في الواقع نزاعا بين اليمنية والمصرية ؛ إذ كان اليمنيون يشورون ضد عامل مروان بن محمد الذي كان يهيمه موالاة المصريين ، على أن الذي شجهم على عصيان الخليفة هو حالة الفوضى والاضطراب التي سادت أنحاء الدولة إذ ذاك ، إذ كان الخليفة في ذلك الوقت مشغولا محاربة الخارجين على الدولة من مختلف الطوائف والأحزاب ، حتى إنه يحجز عن عمل أى شيء ضد الدعوة العباسية .

ويظهر أن الدعوة العباسية في مصر كانت في ذلك الوقت قد قطعت شوطا بعيدا . إذ أرسل ثابت بن نعيم الجذامي — وكان ممن خرجوا على مروان بن محمد — كتابا إلى حفص بن الوليد يدعو فيه إلى خلع مروان ابن محمد . كذلك أتى إلى مصر رسول زامل بن عمرو الذي خلع مروان بحمص ودعاهم إلى مثل ما دعاهم إليه ثابت بن نعيم<sup>(٣)</sup> . والمهم هنا أن اليمنية وسائر الخارجين على مروان ساروا إلى دار حسان بن ثابت وحاصروه فيها وطلبوا منه أن يخرج من مصر فنزل على رغبتهم وأتجه إلى الشام ليلحق بمروان ، فكانت ولاية حسان بن ثابت على مصر ستة عشر يوما . كذلك أخرج الثأرون من مصر صاحب الخراج عيسى بن أبي عطاء . وولى الثأرون عليهم حفص بن الوليد<sup>(٤)</sup> . على أنه بالرغم من أن حفصا كان من اليمنيين إلا أنه كان رجل دولة بالمعنى الصحيح يعرف أن مصلحة الدولة فوق مصلحة القبيلة

(١) الكندى ص ٨٥

(٢) الكندى ص ٨٥

(٣) الكندى ص ٨٥ — ٨٦

(٤) الكندى ص ٨٦ ، أبو الجاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٠١

وأن طاعة الخليفة واجبة. ويتبين لنا ذلك مما قاله الكندي<sup>(١)</sup> إذ يذكر أنه  
ولى مصر في هذه المرة كرها وأن قواد الجند هم الذين أجبروه على ذلك .

وفي تلك الأثناء قدم حنظلة بن صفوان الكلبي من إفريقية إلى مصر  
وكان أهلها قد أخرجوه منها ، فنزل بالجيزة . وعند ذلك كتب مروان إلى  
أهل مصر بتولية حنظلة بن صفوان عليهم . ولكن المصريين عصوا أمر  
الخليفة مرة أخرى ، بل حاربوا حنظلة وأخرجوه من القسطنطينية إلى الحوف  
الشرقي ، وظل حفص بن الوليد واليا على مصر طوال سنة ١٢٧ هـ حتى  
أوائل سنة ١٢٨ هـ<sup>(٢)</sup>.

على أن الخليفة مروان بن محمد وجد أن تنفيذ أوامره في مصر لا يكون  
إلا بالقوة ، لذا عزل حفص بن الوليد عن ولايتها في المحرم سنة ١٢٨ هـ  
وولى عليها حوثة بن سهيل الباهلي وزوده بالجيش لقتال حفص وأهل  
مصر ، فسار حوثة إلى مصر يصحبه سبعة آلاف رجل من أهل حمص  
والجزيرة وقنسرين ، وهنا نجد حفصا مرة أخرى يلبي نداء عهده ولا يستمع  
لنداء المصيبة القبلية حين اجتمع إليه الجند وطلبوا منه أن يمنع حوثة من  
دخول مصر ، إذ أبي عليهم ذلك وسلم ما بيده إلى أبي الجراح الجرشي بشر  
ابن أوس الذي أرسله حوثة ريثما يحضر إلى مصر<sup>(٣)</sup>.

ولما دخل حوثة أرض مصر يصحبه الجنود ، خشى أهل مصر منه ،  
فأرسلوا إليه يزيد بن مسروق الحضرمي يسأله الأمان فلقبه بالبريش وأجابه  
إلى ما طلب ، وكتب إلى أهل مصر كتاب أمان فخرج إليه حفص بن

(١) الكندي ص ٨٦

(٢) الكندي ص ٨٧ ، أبو المحاسن ج ١ ص ٣٠٢

(٣) الكندي ص ٨٧

الوليد في وجوه الجند ، إلا أن حوثة لم يعبأ بالأمان الذي أعطاهم إياه فأمر بالقبض عليهم . ثم سار إلى الفسطاط في ١٢ من المحرم سنة ١٢٨ هـ . وعقب دخول حوثة الفسطاط بحث في طلب رؤساء الفتنة وكانوا من اليمينيين وتمكن من القبض عليهم وقتلهم ، ومنهم حفص بن الوليد ، وذلك سنة ١٢٨ هـ (١)

ولم يكد حوثة بتخلص من اليمنية في مصر ويمهد أمورها حتى ظهرت فيها حركة أخرى كانت صدى لحركة الخوارج بالحجاز . فعندما قام عبد الله ابن يحيى الملقب بطالب الحق في الحجاز ضد مروان بن محمد ودعا إلى نفسه بالخلافة ، قدم إلى مصر داعيته ودعا لمبايمته ، فأجابه نفر من نجيب وغيرهم ، ولما علم حسان بن عتاهية صاحب الشرطة بذلك قبض عليهم قتلهم حوثة بن سهيل (٢)

وما زال حوثة يمهد أمور مصر حتى استدعاه مروان بن محمد سنة ١٣١ هـ ليخرج إلى المراق لقتال الخراسانية دعاه بني العباس (٣)

ولى مصر بعد ذلك المنيرة بن عبد الملك الفزارى في جمادى الأولى سنة ١٣٢ هـ ثم عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير ، وفي تلك الأثناء كان مروان بن محمد قد هزم أمام جيش العباسيين في وقعة الزاب (جمادى الآخرة سنة ١٣٢ هـ) وفر إلى حران عاصمة الجزيرة . وكانت مصر البلاد التي فكر مروان في الهرب إليه عليه يستطيع منها أن يقضى على العباسيين ليسترد سلطانه المهدد بالضياع ، وذلك بما لها من مزايا عديدة من

(١) الكندي ص ٨٨ - ٩١ ، أبو الحسن ج ١ ص ٣٠٥

(٢) الكندي ص ٩٢ ، خطط القريرى ج ٢ ص ٣٣٨

(٣) الكندي ص ٩٢ ، أبو الحسن ج ١ ص ٣٠٥

حيث الموقع والثروة . ويقال إن مروان فكر أولاً وهو بجران في الهرب إلى بلاد الروم حيث يجمع أمره ويلم شمل جنوده ليحارب العباسيين ، واستشار في ذلك رجلاً من أخص الناس عنده وهو اسماعيل بن عبد الله القسرى . فكان ذلك رأى اسماعيل ، غير أنه تذكر معاداة مروان لليمنيين وتجاهله عليهم فصرفه عن هذا الرأى ، وقال له يا أمير المؤمنين : أعينك بالله أن تحكم أهل الشرك في نفسك وحرملك لأن الروم لا وفاء لهم (١) .  
وحين عاود الخليفة سؤاله قال : « الرأى أن تقطع الفرات وتستقرى (٢) مدن الشام مدينة مدينة فإن لك بكل مدينة صنائع ونصحاء ، وتضمهم جميعاً إليك وتسير حتى تنزل ببلاد مصر ، فهى أكثر أهل الأرض مالا وخيلاً ورجلاً فتجعل الشام أمامك وإفريقية خلفك ، فإن رأيت ما تحب انصرف إلى الشام ، وإن تكن الأخرى اتسع لك المهرب نحو إفريقية فإنها أرض واسمة نائية منفردة (٣) » وقد صادف هذا الرأى قبولاً لدى الخليفة ، إلا أن مروان عند ما وصل إلى مصر وجد أن الدعوة العباسية قد قطعت مرحلة كبرى فيها فكان أمامه محاربة العباسيين فى داخل مصر وخارجها ، وكانت النتيجة أن غلب على أمره فى النهاية .

لما وصلت الأخبار إلى مصر بانهزام مروان فى موقعة الزاب أخذ واليها عبد الملك بن مروان يستمد لقاومة العباسيين فصادر كل ما وجده من الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيره ليستعمل ذلك فى الصناعة وغيرها من الأمور اللازمة للدفاع . وقد اخترعت فى ذلك الوقت مادة من المقايير

(١) الديتورى : الأخبار الطوال ص ٣٤٦ - ٣٤٧

(٢) استقرى البلاد تتبعها وطاف بها

(٣) الديتورى ص ٣٤٧



تدهن بها المراكب كيلا تؤثر فيها النيران ، ويحدثنا أحد الرواة الأقباط بأنه شاهد تلك الظاهرة بنفسه وهي عدم تأثر المراكب بالنيران إذا مادنت بتلك المادة ، بل كانت النيران تنطفئ في الحال<sup>(١)</sup> . ولا بد أن أهالي مصر الوطنيين ومن بينهم الأقباط قد نالهم بلاء عظيم<sup>(٢)</sup> من جراء مصادرة أموالهم وأستخدامهم في كثير من الأمور اللازمة لمثل ذلك الدفاع . إلا أن الروالي كان مضطرا إلى ذلك إزاء الأزمة السياسية الخطيرة التي كان سيتوقف عليها مصير الخلافة الأموية نهائيا . ومن غير المحتمل أن ذلك كان بقضا خاصا للنصارى من جانبه ، كما يظن ساويرس بن المقفع<sup>(٣)</sup> .

ومن ثاروا على مروان في مصر عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان وتبعه في ذلك الدماحس بن عبد العزيز الكنانى في جمع من قيس ، فأرسل إليهم الوالى عبد الملك بن مروان جيشا قوامه سبعة آلاف شخص فرياسة موسى بن المهند ، وفي بلبس التقى هذا الجيش مع الثائرين الذين طلبوا الصلح ، فأجابهم موسى بن المهند إلى ما طلبوا ، ثم ظفر بعمر بن سهيل وحجسه في القسطنطينية<sup>(٤)</sup> . وحسبنا دليلا على الاضطراب الذى وصلت إليه مصر في تلك الفترة أن يثور على مروان بن محمد بعض أفراد البيت الأموى كعمرو ابن سهيل وأن يتبع هذا الثائر جزء من قبيلة قيس التى كانت موالية لمروان . ولما عزم مروان على السير إلى مصر اجتمع بعض الجند فيها على منعه من دخولها وأمروا عليهم عبید الله بن عبد الرحمن بن عميرة الحضرمى وهو

(١) ساويرس بن المقفع : سير الأباء البطارقة ص ١١٩  
(Patr. Orientalis t. V).

(٢) ساويرس ص ١١٨ — ١١٩

(٣) ساويرس ص ١١٨

(٤) السكندى ص ٩٤ ، أبو المحاسن ج ١ ص ٣١٦

— كما نرى من نسبه — ينتمى إلى عرب الجنوب الذين أصبحوا في عداد مستحکم مع الخلفاء الأمويين . وقد أرسل مروان على مقدمة جيشه ابنه عبید الله بن مروان ، فلما وصل إلى مصر دعا ابن عميرة الجند إلى النهوض معه فتشاقلوا عنه ولم يقوموا بشيء مما عرضوا عليه<sup>(١)</sup> ، ثم قدم مروان مصر لثمان بقين من شوال سنة ١٣٢ هـ فوجد أن أهل الحوف الشرقي قد أصبحوا من أعوان المباسيين ، كما وجد الأسود بن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري في الاسكندرية قد صار من أنصارهم ، وكذا عبد الأعلى بن سميد بن عبد الله ابن مروان الجيشاني بصعيد مصر ويحيى بن مسلم بن الأشج مولى بني زهرة باسوان<sup>(٢)</sup> . ومن هذا ندرك كيف نظمت الدعوة المباسية في مصر .

ونجح مروان في أن يخضع الاسكندرية والصعيد ولكنه لم يجز ثمار هذا النصر لأن صالح بن علي بن عبد الله العباسي وأبا عون تبعاه إلى مصر على رأس الجيوش المباسية فوصلوا إليها بعده بنحو شهر كما يحدثنا بذلك ساويرس<sup>(٣)</sup> أو بمد حجيثه بشهرين تقريبا أعنى في النصف من ذى الحجة كما تخبرنا بذلك المراجع التأخر<sup>(٤)</sup> . وقد زاد الحالة حرجا في ذلك الوقت ثورة أهل البشمور<sup>(٥)</sup> في وجه عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير والى مصر

(١) الكندي ص ٩٤ — ٩٥

(٢) الكندي ص ٩٥

(٣) سير الآباء البطارقة ص ١٥٦ ، ١٧٠

يذكر ساويرس أن مروان قدم إلى مصر في عشرين بثوثة سنة ٤٦٧ للشهداء ، وأن الجراسانيين وصلوا مصر في يوم ١٩ أيلول . وسويرس في الواقع أكثر ثقة من المراجع التأخر لأنه استمد معلوماته من الوثائق اليونانية والقبطية المعاصرة لتلك الحوادث والتي كانت محفوظة في الأديرة .

(٤) الكندي ص ٩٦ ، أبو الحسن ج ١ ص ٣١٧

(٥) إقليم البشمور أو البشرد كما في المراجع الغربية : هو المنطقة الرملية الواقعة على ساحل الدلتا بين فرعى دمياط ورشيد والمعروفة في التاريخ القديم =

قبل قدوم الخليفة إليها وقد امتنعوا عن دفع الخراج ، فغار بهم عبد الملك ولكنهم هزموه . ولما وصل مروان بن محمد إلى مصر وعلم بثورتهم ، أرسل يمرض عليهم الأمان ولكنهم لم يقبلوا ذلك منه وظلوا على ثورتهم ، وساعدهم على ذلك أن المنطقة التي ثاروا فيها كانت تحيط بها المستنقعات ، وتمييز حركة الجيوش المهاجمة . وفشلت الجيوش التي أرسلها مروان لمحاربتهم . ولما اقترب العباسيون من الحدود المصرية وبلغوا غزة صمم مروان على إحراق مدينة الفسطاط وأعلن وجوب إخلائها في ثلاثة أيام ، فهرب جميع أهلها إلى الجزيرة أو إلى جزيرة الروضة ثم أمر مروان بإحراقها . ولما علم بوصول الخراسانيين إلى الفرما أمر بإحراق جميع المراكب في مصر وإحراق ما يستطيع إحراقه من المدن والكور وتخريب ما يستطيع تخريبه في الوجه البحري ، وتم إحراق بعض المدن وتخريبها في شرق الدلتا . أما مروان نفسه فقد عبر إلى الضفة الغربية للنيل في مراكب هو وجنده بعد أن أحرق الفسطاط على الضفة الشرقية . ويذكر ساويرس أن مروان قام بحركة التخريب والإحراق لأنه ظن أن الخراسانيين إذا أتوا إلى الضفة الشرقية للنيل ووجدوها خالية من الناس والبهائم والغلات ولم يجدوا مراكب يركبون فيها رجعوا من حيث أتوا<sup>(١)</sup> والحق أن مروان فعل ما يفعله معظم المتحاربين عندما تصبح حالتهم الحربية في خطر ويتيقنون أنهم مغلوبون على أمرهم لا محالة فيقومون بتدمير ذخيرتهم وأسلحتهم وكل شيء يصح أن ينتفع به العدو .

---

= باسم بيكولى Bucolies التي حدثت فيها حرب الزراع في عهد الإمبراطور ماركس أورليوس (G.Wiet : Hist. de la Nation Egypt. t. I. V. p. 97)

(١) ساويرس بن المقفع : سير الآباء البطارقة ص ١٦٧ — ١٧٠

( Patro. Orient. V. )

فجر الإسلام - ( ١٠ )

وهنا نجد ظاهرة جديدة لم نعهدها من قبل وهي اشتراك الأهالي الوطنيين ونقصد هنا الأقباط الذين كانوا يكونون أغلبية الشعب المصري حينذاك ، في تلك الحركة التي أدت إلى زوال الخلافة الأموية . ذلك أن الأهالي الوطنيين لم يشتركوا في المنازعات الخليفية قبل ذلك وإنما في هذه المرة تراءم يرحبون بالمباسبين لأنهم أرادوا التخلص من الحكم الأموي .

ظل أهل البشمور على ثورتهم ، بل ساروا إلى القرما لمقابلة الخراسانيين يشكون إليهم من مروان بن محمد ومن اضطهاده الشعب القبطي على العموم<sup>(١)</sup> ولم يكن هذا شعور أهل البشمور فقط بل كان شعور القبط على وجه الإجمال ففي ذلك الوقت كان مروان قد قبض على بطرك الأقباط أنبا ميخائيل لأنه لم يقيم بدفع المال الذي طلبه منه كما أنه لم يعمل شيئا لردع أهل البشمور<sup>(٢)</sup> .

ويحدثنا أحد القساوسة الذين كانوا في السجن إذ ذاك مع البطرك عن المعاملة السيئة التي لقيها هذا الرئيس الديني على يد مروان ثم يقول إن الخراسانيين كانوا في الضفة الشرقية للنيل ينظرون ما حل بالبطرك ولو وجدوا سبيلا إلى العبور إلى مروان لقتلوه لما رأوا من ظلمه وقسوة قلبه<sup>(٣)</sup> . وهذا يظهر لنا شعور القبط إذ ذاك نحو الأمويين وأنهم كانوا يأملون في الخلاص على أيدي المباسبين .

لم يجحد المباسبون إذ ذاك مراكب يعبرون فيها إلى الضفة الغربية للنيل حيث كان مروان مقبها بالجيزة . وكان مروان قد أحرق الجسرين اللذين يصلان القساطط بجزيرة الروضة وبالجيزة . وكانت هناك مخاضات في النيل يمكن العبور منها بسهولة إلى الضفة الغربية ولم يكن المباسبون يعرفونها ،

(١) ساويرس سير الآباء البطارقة من ١٧٢ — ١٧٣

(Patr. Orient. t. V.)

(٢) ساويرس من ١٦٠

(٣) ساويرس من ١٧٣ — ١٧٤

ولكن دلم عليها قوم يعرفونها وعبروا معهم إلى الضفة الغربية واستولوا  
بعدها على مراكب مروان التي عبر فيها هو وجنده إلى الجزيرة .

ثم دارت وحى الحرب بين مروان وبين العباسيين وكتب النصر لهم ففر مروان  
حتى وصل إلى بوسير<sup>(١)</sup> ، وهناك لحق به صالح بن علي العباسي حيث قتله لسبع  
بقيين من ذى الحجة سنة ١٣٣ هـ<sup>(٢)</sup> وبذلك زالت الخلافة الأموية نهائيا ،  
وأعقب العباسيون ذلك بقتل كثير من أنصار بني أمية في مصر وأسر البعض

---

(١) بوسير أو أبو صيرة اسم لبلدان كثيرة في مصر . وهذا الاسم من بقايا  
التاريخ القديم إذ كان المصريون القدماء يسمون بلدانا كثيرة باسم الإله أوزيريس . وبوسير  
هذا مشتق من الاسم المصري القديم بروسرأى «مكان الإله أوزير» (سليم حسن بك :  
أقسام مصر الجغرافية . ص ١٨٧) . وكان هناك زمن مقتل مروان أربع قرى بمصر باسم  
بوسير ، فكان هناك بوسير قوريدس من أعمال الأشمونين وبوسير الصدر في كورة  
الجزيرة ، وبوسير ددفنو في كورة الفيوم ، وبوسير بنا في كورة سمنود (ياقوت معجم  
البلدان ج ١ ص ٧٦٠) وقد اختلف المؤرخون في السكان الذي قتل فيه مروان .  
فيذكر الكندي أنه قتل في بوسير من كورة الأشمونين (ص ٩٦) ويذكر ابن العميد  
في كتابه تاريخ المسلمين ص ٩٦ أنه قتل في بوسير قوريدس . ويذكر المقرئ في  
الخطوط ج ١ ص ٣٠٤ أبو المحاسن . ج ١ ص ٣١٧ أنه قتل ببوسير بالجزيرة . ويرى  
الأستاذ فييت أن مروان قتل في أبي صير الملق الحالية التي تقع الآن في مركز الواسطي  
في مديرية بني سويف وذلك لأنه يوجد هناك ضريح صغير باسم مروان يعمل له كل عام  
احتفال سنوي . كذلك نعلم أن مروان حمل معه ثروته إلى مصر . وقد اكتشف أخيرا  
في أبي صير الملق لإريقثم من الطراز الساساني يرجح أنه كان ملكا له (انظر :  
زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية ص ٢٧٠) . والأصح أنها كانت بوسير التي في  
أعمال الجزيرة . وبوسير الملق الحالية قريبة من الجزيرة وربما كانت ضمن كورة الجزيرة في  
العهد العربي . وساويرس يذكر أن الحراسانيين عبروا في آخر يوم من أيب أي بعد  
وصولهم إلى القسطنطينية بفترة أيام ويذكر أنهم عندما عبروا إلى الجزيرة قتلوا مروان  
(ص ١٨٣ ، ١٨٧) وإذا قارنا ذلك بما ورد في المصادر العربية بأن مروان قتل  
بعد وصول الجيش العباسي إلى القسطنطينية بنحو تسعة أيام . نرجح أن قتله كان قريبا من  
الجزيرة ونرجح أن أباصير هي أبو صير الملق الحالية لقربها من الجزيرة .

(٢) الكندي ص ٩٦ — ٩٧ ، أبو المحاسن ج ١ ص ٣١٧

الآخر ، ثم دخل صالح بن علي العباسي القسطنطينية في المحرم سنة ١٣٣هـ وبمسئ  
برأس مروان بن محمد إلى العراق (١) . ولم ينس العباسيون أن يكافئوا القبط  
الذين رحبوا بهم ، تخففوا عنهم الخراج وأخلوا سبيل أنبا ميخائيل الذي  
حبسه مروان ، ولما طلب البطريرك من قائد العباسيين في مصر أن يحمي أملاك  
الكنيسة في جميع البلاد ولا يتعرض لها ، أجابه إلى ما أراد . كذلك أعفى  
العباسيون البشامرة من دفع الخراج ومنحوهم مكافآت مالية (٢) .

وهكذا زالت الدولة الأموية نهائياً بعد انتصار العباسيين على مروان  
ابن محمد في مصر ، وأصبحت مصر منذ أواخر سنة ١٣٢هـ وأوائل سنة  
١٣٣هـ ولاية تابعة للخلافة العباسية بالعراق .

المرحلة السياسية والدينية منذ قيام الدولة العباسية إلى قيام الدولة  
الطولونية (١٣٢ - ٢٥٤هـ)

١ - موقف الأمويين والملويين في مصر من الخلافة العباسية

لم يكن زوال الخلافة الأموية ومقتل مروان معناه انتهاء المقاومة الأموية  
نهائياً ، فقد ظهر من وقت لآخر بعض أنصار البيت الأموي أو أفرادهم ؛ قاموا  
ضد الخلافة العباسية ولم يتهاون العباسيون في القضاء على المعارضين لهم حتى  
لو كان هؤلاء ممن ناصرهم من قبل .

ونلاحظ أيضاً أن قيام الدولة العباسية لم يكن معناه انتهاء مطالبه  
الملويين بالخلافة وتركهم مناوأة الحكومة القائمة ، فقد كان العباسيون

(١) السكندى ص ٩٧ ، أبو الحسن ج ١ ص ٣١٧

(٢) ساويرس ص ١٨٧ - ١٨٨

في نظر العلويين وشيقتهم مفتصين للخلافة كما كان الأمويون من قبلهم .  
لذا نجد أنه كلما قام خليفة عباسي ، قام علوي يدعو إلى نفسه بالخلافة .  
وقد استعمل العباسيون كل الوسائل من قتل وغدر للقضاء على المارضة  
العلوية ، ولا يكاد تاريخ أى خليفة يخلو من وقائمه مع العلويين ، وظلت  
فرق الشيعة من جانبها تأكيد للدولة العباسية في الخفاء أو تحاربها جهرا إن  
أمكن الجهر . والذي يهمنا الآن هو موقف الأمويين والعلويين بمصر  
من الخلافة العباسية وموقف الخلفاء العباسيين منهم .

في عهد الخليفة العباسي المهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ) وفي ولاية إبراهيم  
ابن صالح على مصر من قبل ذلك الخليفة (١٦٥ - ١٦٧ هـ) نسمع عن  
خروج أحد الأمويين وأنه دعا إلى نفسه بالخلافة ، ذلك الأموي هو دحية  
ابن مصعب بن الأصبح بن عبد العزيز بن مروان الذي خرج بالصعيد ، فلما  
بلغ ذلك وإلى مصر تراخى عنه ولم يحفل بأمره ولم يهتم بمحاربه للقضاء عليه  
وكان نتيجة سياسة هذا الوالي المتراخية أن استفحل أمر دحية وملك أغلب  
بلاد الصعيد وكاد أمره أن يتم وتخرج مصر من حكم العباسيين . فلما علم  
الخليفة المهدي بذلك سخط على الوالي وعزله سنة ١٦٧ هـ<sup>(١)</sup> .

ولى مصر بعد ذلك موسى بن مصعب بن الربيع الخثعمي (١٦٧ -  
١٦٨ هـ) فأرسل جيشا مكونا من خمسة آلاف محارب بقيادة عبد الرحمن بن  
موسى بن علي بن رباح الخثعمي ، إلى الصعيد لمحاربة دحية . وما لبث هذا  
الوالي أن قتل في ٧ شوال سنة ١٦٨ هـ أثناء محاربه قيسا واليمينية الذين ثاروا  
ضده في الحوف<sup>(٢)</sup> . ولى مصر بعد مقتله عسامة بن عمرو وافتتح أمرته

(١) الكندي ص ١٢٤ ، أبو المحاسن ج ٢ ص ٤٩

(٢) الكندي ص ١٢٦ ، أبو المحاسن ج ٢ ص ٥٤ - ٥٥

بموجب دحية الأموي بالصعيد ، وأرسل إليه الجيوش بقيادة أخيه بكار بن عمرو فحارب يوسف بن نصير الذي كان على مقدمة جيش دحية ، وقد عاد الجيشان دون أن يحدث بينهما ما يستحق الذكر<sup>(١)</sup> . وبعد ذلك بأيام يسيرة ورد الخبر بزمه عن ولاية مصر وتولية الفضل بن صالح بن علي العباسي عليها في آخر المحرم سنة ١٦٩هـ<sup>(٢)</sup> . وكان أمامه قبل كل شيء أن يقضى على دحية الذي تفاقم خطره وبأيمه كثير من الناس حتى كاتبه البعض ودموه إلى دخول القسطنطينية<sup>(٣)</sup> .

أتى الفضل إلى مصر ومعه جيوش من الشام استخدمها في قتال دحية في بويط<sup>(٤)</sup> ، وقد تقهقر أصحاب دحية أمامه وتوجه بمدنها دحية على رأس حامية من جنده إلى الواحات فبعث إلى أهلها - وكانوا من المسالمة<sup>(٥)</sup> والبربر الذين يدينون بمذهب الخوارج - يدعوهم إلى القيام معه فأبوا أن يقاتلوا معه حتى يتبين إذا كان يدين بمذهبهم فأجابهم بأنه على مذهبهم فخرجوا إليه وقاتلوا معه يوم الدير . وقد أرسل إليه الفضل بن صالح جيشا كبيرا بقيادة عبد الله بن علي فخرج إليه دحية في أهل الواحات فهزم عبد الله بن علي وقتل يومئذ عبد العزيز بن مروان بن الأصمغ ، على أن أهل الواحات مالبثوا أن تخلوا عن دحية لإيثاره العرب على الموالى وتقديهم على البربر ، كما أنه لم يرض بأن يتبرأ من عثمان فتبين لهم أنه على غير مذهب الخوارج فتركوه

(١) أبو المحاسن ج ٢ ص ٥٧

(٢) أبو المحاسن ج ٢ ص ٦٠

(٣) الكندي ص ١٢٩

(٤) بويط بالضم ثم الفتح قرية في مصر الوسطى قريبة من ديروط

(٥) المسالمة لفظ كان يطلق على القبط ( خطط المقرئ ج ١ ص ٥٠ ) أو من

يسلم حديثا من القبط أو اليهود ( خطط ج ١ ص ١١٠ )



وانصرفوا عنه ، فلما علم عبد الله بن علي بانصرافهم عنه أتى ثانية لمحاربة دحية فقتل يومئذ مروان بن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان<sup>(١)</sup> . وقد انتهى الأمر بأمر دحية وأتى به إلى القسطنطينية فحضره الفضل عنقه وصلب جثته وبعث برأسه إلى الهادي وكان قتله في جمادى الآخرة سنة ١٦٩هـ<sup>(٢)</sup> . وكان القضاء على دحية الأموي معناه انتهاء أول المحاولات وآخرها من جانب الأمويين في مصر لاسترداد الخلافة . على أنهم بعد ذلك كانوا أحيانا ينضمون إلى الثأرين على الخلافة العباسية من العلويين وذلك رغبة في الكيد للدولة العباسية .

وقد ظهرت الدعوة العلوية في مصر منذ عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦ — ١٥٨هـ) في أمانة حميد بن قحطبة (١٤٣ — ١٤٤هـ) قدم إلى مصر على بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب داعية لأبيه وعمه<sup>(٣)</sup> . وقد كان أبوه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي المعروف بالنفس الزكية قد دعا إلى نفسه سرا في خلافة المنصور وتلقب بأمير المؤمنين ، وفي سنة ١٤٥هـ ظهر بعد أن اختفى زمنا كان أشياعه يقيمون له الدعوة حتى كثرت أنصاره في خراسان واعترف الناس بإمامته في مكة والمدينة ، ومن ثم أرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة لنشر دعوته . على أن محمدا كان مصيره القتل على يد عيسى بن موسى ، فدعا أخوه إبراهيم إلى نفسه وقام لفصرته كثيرون من فقهاء البصرة وذوى الرأي والجاه . ولكن إبراهيم لم يثق به

(١) البكندى ص ١٢٩ — ١٣٠

(٢) أبو المحاسن ج ٢ ص ٦٠ — ٦١

(٣) خطط القرظي ج ٢ ص ٣٣٨

كأخيه علي يد عيسى بن موسى السباسي أيضا في موقعة باخرا<sup>(١)</sup> وذلك في أول ذي الحجة سنة ١٤٥ هـ .

أما ما كان من أمر هنة السعوية في مصر فهو أنه لما قدم علي بن محمد إليها يدعو لأبيه وعمه تواني حميد بن قحطبة في الأمر ولم يجد في القبض عليه ، وبث إلى أبي جعفر المنصور يقول إنه أرسل في طلبه فلم يجده . وكان ذلك سببا في سخط أبي جعفر المنصور على الوالي وعزله في ذي القعدة سنة ١٤٤ هـ . ولى مصر بعد ذلك يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ( ١٤٤ - ١٥٢ هـ ) وفي بدء ولايته كانت دعوة بني الحسن بن علي قد ظهرت في هذه البلاد وباع كثير من الناس لعل بن محمد ، وكان علي هذا أول علوي قدم مصر . وكاد أمر بني الحسن أن يتم في مصر حتى قدمت الخطباء إليها برأس ابراهيم بن عبد الله بن الحسن في ذي الحجة سنة ١٤٥ هـ فنصبوه في المسجد الجامع أياما<sup>(٢)</sup> . فتمدت تلك الحركة كما تممت في الحجاز والبصرة بمقتل زعمائها سنة ١٦٠ هـ . وأما علي بن محمد النفس الزكية فقد اختلف في أمره فزعم بعضهم أنه حمل إلى أبي جعفر المنصور وقيل إنه اختفى بمصر عند عسامة ابن عمرو حتى مرض ومات . وقد حمل عسامة إلى العراق وحبس زمانا حتى آلت الخلافة إلى المهدي فأمنه علي أن يصدقه عن علي بن محمد فأعترف بأنه مات في بيته<sup>(٣)</sup> وهكذا انتهت تلك الحركة في مصر وقد كان يزيد بن حاتم

(١) باخرا : موضع بين الكوفة وواسط وهو إلى الكوفة أقرب (إقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٤٥٨)  
(٢) الكندي ص ١١١ - ١١٤ ، خطط القرظي ج ٢ ص ٣٣٨ ، أبو الحسن ج ٢ ص ١ - ٢  
(٣) الكندي ص ١١٥

قد منع أهلها من الحج بسبب خروج هؤلاء الطويين فلما قتل إبراهيم  
ابن عبد الله الطوى أذن لهم في الحج<sup>(١)</sup>  
ويجدر بنا أن نشير إلى أن بعض أفراد البيت الأموى الذين بقوا في  
مصر كانوا ممن بايع لعلى بن محمد ومن هؤلاء مصعب ومنصور وزيد.  
أبناء الأصمغ بن عبد العزيز بن مروان .  
وحدث بعد ذلك أن آوت مصر أحد الملوين الذى استطاع بعد  
خروجه منها أن يقطع لنفسه جزءا من بلاد الدولة العباسية ويكون لنفسه دولة  
مستقلة ، ذلك الملوى هو ادريس بن عبد الله أخو محمد الملقب بالنفس الزكية .  
ففى عهد الخليفة الهادى (١٦٩ - ١٧٠ هـ) خرج الحسين بن على بن الحسن  
ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب بالمدينة يدعو إلى نفسه ومنها سار  
إلى مكة حيث التقى بجيش العباسيين فى فخ<sup>(٢)</sup> فقتل بعد أن أبلى بلاء شديدا .  
وكانت هذه الموقعة من الشدة بحيث قيل لم تكن مضيبة بعد كربلاء أشد  
وأجف من فخ . وكان ممن ناصر الحسين بن على فى حركته هذه يحيى وادريس  
ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على وقد هربا قبل هذه الموقعة . أما يحيى  
فقد ثار فى بلاد الديلم فى عهد هرون الرشيد وانتصر له أهل اليمن وغدا أمره  
من الخطر بحيث هدد سلامة الدولة العباسية وأقلق بال الرشيد فأنفذ إليه  
الفضل البرمكى ، فما زال به حتى رضى بالصلح على أن يكتب له الرشيد أمانا  
بيده ، ولكنه قتله ومداد الأمان لم يجف بعد .  
أما إدريس بن عبد الله فقد توجه إلى بلاد المغرب الأقصى وبايعه البربر  
فى سنة ١٧٢ هـ ، وكون هناك أول دولة للملوين وهى دولة الأدارسة .

(١) أبو الحسن ج ٢ ص ٢

(٢) فخ بفتح أوله وتشديد ثانيه ... وهو واد بمكة ( ياقوت معجم البلدان .

ج ٣ ص ٨٥٤ )

مر لإدريس بن عبد الله على مصر في طريقه إلى المغرب في ولاية علي  
ابن سليمان بن علي بن عبد الله العبّاسي (سنة ١٦٩ هـ - ١٧١ هـ) زمن  
هرون الرشيد . ويقال إنه لما قدم إلى مصر علم واليها بمكانه وقابله سرا ولم  
يفضح أمره حتى توجه إلى المغرب<sup>(١)</sup> . ويقول أبو المحاسن<sup>(٢)</sup> بأن واضح  
ابن عبد الله النصوري الذي كان واليا على مصر زمن المهدي سنة ١٦٣ هـ ،  
كان على برید مصر عند ما قدم لإدريس إليها ، وكان يعيل إلى العلوين فحمل  
إدريس على البرید إلى المغرب . أى أن مصر سهلت الطريق لإدريس بن عبد الله  
وساعدته في خروجه على الدولة العبّاسية . ولو قبض عليه واليها إذ ذاك أو  
أخبر عامل البرید بوجوده في مصر لما قامت تلك الدولة العلوية في المغرب  
بالرغم من أنف هرون الرشيد .

ويظهر أن تعقب العبّاسيين للملوين واضطهادهم إياهم قد ألبأهم إلى الفرار  
إلى الجهات البعيدة عن مقر الخلافة العبّاسية ولاسيما ما كان منها مرتعا خصيبا  
للمعارضة كبلاد البربر<sup>(٣)</sup> ، والذي يهمننا أن كثيرا من آل البيت قد أتوا إلى  
مصر ليكونوا بعيدين عن الاضطهادات والمضايقات التي نالهم على أيدي  
الخلفاء العبّاسيين . ولا تزال مصر حافلة بقبور آل البيت منذ ذلك العهد  
البعيد . ونحن أتى إلى مصر في ذلك العهد السيدة نفيسة رضي الله عنها بنت  
الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وزوجة اسحاق  
ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي  
ابن أبي طالب ، وقد أتت مع زوجها من المدينة إلى مصر هارين من

(١) الكندي ص ١٣١

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٤٠

(٣) أبو المحاسن ج ٢ ص ٦٨

اضطهاد العباسيين ، وقيل إنها كانت فيمن صلى على الإمام الشافعي عند موته سنة ٢٠٤ هـ وتوفيت في شهر رمضان سنة ٢٠٨ هـ<sup>(١)</sup> وقبرها لا يزال من المقابر المشهورة بالقاهرة ، يتبرك المسلمون بزيارتها ونعرف أن في دار الآثار العربية بالقاهرة قطعة خشبية عليها كتاب تاريخية من قبر السيدة نفيسة ونصها : « بسم الله الرحمن الرحيم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد . هذا مشهد السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن أمير المؤمنين الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين . توفيت السيدة نفيسة صلوات الله عليها في شهر رمضان المعظم سنة ثمان ومائتين<sup>(٢)</sup> » ولم نسمع بأن أحداً تعرض للمولين في مصر بسوء طوال ذلك العهد إلى أن كان زمن الخليفة المتوكل على الله العباسي (٢٣٢ هـ - ٢٤٧ هـ) ، وكان يبعض الموليين ، فأرسل كتاباً هو وابنه المنتصر - صاحب إقطاع مصر حينذاك - إلى والي مصر اسحاق بن يحيى (٢٣٥ - ٢٣٦ هـ) يأمره بإخراج آل علي بن أبي طالب من مصر فأخرجوا من القسطنطينية في رجب سنة ٢٣٦ هـ إلى العراق وهناك أمروا بالخروج إلى المدينة في شوال من سنة ٢٣٦ هـ<sup>(٣)</sup> ويذكر المقرئ<sup>(٤)</sup> أن الذين بقوا في مصر من الموليين اضطروا إلى الاختفاء .

أصبح الموليون والشيمية في مصر غير آمنين على أنفسهم من اضطهاد العباسيين منذ عهد المتوكل . وقد عمل والي يزيد بن عبد الله على استئصال

(١) خطط المقرئ ج ٢ ص ٤٤٠ - ٤٤١

(٢) (Répertoire Chronologique d'épigraphie Arabe. t. 1. p. 128).

(٣) الكندي ص ١٩٨ ، خطط المقرئ ج ٢ ص ٣٣٩ ، أبو الحسن ج ٢

ص ٢٨٣ - ٢٨٥

(٤) خطط ج ٢ ص ٣٣٩

شأنهم فمأقهم وأبادهم وحمل منهم جماعة إلى العراق على أفيح وجه<sup>(١)</sup> .  
ولما قتل التوكل في شوال سنة ٢٤٧ هـ وبويع ابنه المنتصر بالخلافة  
أرسل إلى يزيد بن عبد الله بقره على ولايته بمصر<sup>(٢)</sup> ثم ورد كتابه إلى يزيد  
بالأيقبيل<sup>(٣)</sup> علوى ضيعة ، ولا يركب فرساً ولا يسافر من الفسطاط إلى  
طرف من أطرافها ، وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد ، وإن  
كانت بينه وبين أحد من الطالبين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه  
فيه ولم يطالب ببينة<sup>(٤)</sup> .

توفي الخليفة المنتصر في شهر ربيع الأول سنة ٢٤٨ هـ وبويع المستعين  
بالله في شهر ربيع الآخر . وفي خلافته علم يزيد بن عبد الله بأن رجلاً يقال  
له محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بويع له ، فأخذه فاعترف  
بذلك كما اعترف عن أبيه ، فأخذ بعضهم فصرخوا بالسياط ثم أخرج العلوى  
في جمع من آل أبي طالب إلى العراق في شهر رمضان سنة ٢٤٨ هـ<sup>(٥)</sup> .

خلع المستعين من الخلافة في المحرم سنة ٢٥٢ هـ وبويع المعتز (٢٥٢ -  
٢٥٥ هـ) . فاضطربت الأمور في مصر لاضطراب أمر الخلافة<sup>(٦)</sup> بسبب  
تحكم الأتراك في شئون الدولة . والأتراك كما نعلم كانوا في البداية من الرقيق  
الذين اتخذهم الخلفاء العباسيون جنوداً ، ثم كثر عددهم وقوى نفوذهم منذ

---

(١) الكندى ص ٢٥٣ ، خطط القرظى ج ٢ ص ٣٣٩ ، أبو المحاسن ج ٢

ص ٣٠٩

(٢) أبو المحاسن ج ٢ ص ٣١٣

(٣) قبيل وقبيل قبالة . ضمن والترم ، قبيل المزارع الأرض . جله

يلتزمها بقدر . وقد تحدثنا عن قبالة الأراضى سابقاً .

(٤) الكندى ص ٢٥٤ ، القرظى ج ٢ ص ٣٣٩

(٥) الكندى ص ٢٥٣ - ٢٥٤

(٦) أبو المحاسن ج ٢ ص ٣١٤

أيام الخليفة المتصم الذي أكثر من شرائمهم ، إذ رأى فيهم قوماً أشداء  
يميلون إلى الحرب ، وليس لهم وطن أو مجد قديم يعملون على إحيائه وليست  
لهم عصبية العرب ، وإذا خصهم أحد بمنحه وعطاياه فلا يعرفون رئيساً إلا  
هو ، وقد بلغ من قوة نفوذهم في عهد المتصم نفسه أن اضطر إلى مغادرة  
بغداد حاضرة الخلافة العباسية وبناء حاضرة جديدة له ولجند الأتراك هي  
سامرا (٢٢٢١ هـ) ليكون بعيداً عن الجند العربي والفارسي ببغداد ، ثم تخوفه  
من أن يصطدم الأهالي بالأتراك<sup>(١)</sup> . على أن هؤلاء ما لبثوا أن تدخلوا على  
ممر الزمن في معامع السياسة ، وصاروا يولون ويعزلون من شاؤا من الخلفاء ،  
وأصبح بيدهم القوة المدنية والحربية في الدولة .

وكان هذا إيذاناً باضطراب الأحوال في الأقاليم المختلفة في الدولة الإسلامية  
كما كان فرصة لذوى الأغراض المختلفة للقيام ضد الخلافة العباسية ومن  
بينهم العلويون . ففي خلافة المعتز ثار في الإسكندرية جابر بن الوليد المدلجى  
في ربيع الآخر سنة ٢٥٢ هـ ، واشتد أمره وقويت شوكته وبسط سلطانه  
على بلاد كثيرة من الوجه البحرى وجبى منها الخراج ، ولم يستطع يزيد  
ابن عبد الله والى مصر إذ ذاك أن يجمع حركته ، فأرسل إليه للخليفة نجدة  
بقيادة مزاحم بن خاقان الذى قدم من المراق في عسكر عظيم ، ( رجب سنة  
٢٥٢ هـ ) وقد استطاعت جيوش الخليفة أن تهزم جابراً وتظفر به في النهاية ،  
ولما كتبوا إلى الخليفة بذلك ورد عليهم الجواب بصرف يزيد بن عبد الله

(١) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٢٥٦ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ١٦

١٢ وابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٦ ص ٣١٩ ، الدكتور زكى محمد حسن ،  
الإسلامى فى مصر ج ١ ص ٢٤ — ٢٥

عن امرأة مصر وتولية مزاحم بن خاقان بدلا منه (ربيع الأول سنة  
والذى يهمننا في حركة جابر بن الوليد ما كان من انضمام أحد  
تلك الحركة ، وهو عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن  
ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان يقال له ابن  
هزمت جيوش جابر بن الوليد بعد قدوم مزاحم بن خاقان ، أحد  
وأخرج إلى العراق في ربيع الأول سنة ٢٥٣ هـ . وفي ولاية  
على مصر (ربيع الآخر - رمضان سنة ٢٥٤ هـ) خرج  
بالصعيد وهو أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن طباطبا بن اسما  
ابن الحسن بن الحسين بن علي وكان يعرف باسم بقا الأ  
أصحاب أزجور ففر ثم مات .

كذلك خرج من العلويين بقا الأصغر واسمه أحمد بن  
ابن طباطبا فيما بين الإسكندرية وبرقة في موضع يقال له الك  
في شهر جمادى الأولى سنة ٢٥٥ هـ ثم سار في جمع إلى الك  
على يد أحمد بن طولون وقتل في الحرب وأتى برأسه إلى الك  
سنة ٢٥٥ هـ<sup>(٣)</sup> . كذلك ناز بصعيد مصر سنة ٢٥٣ هـ أحد ا  
ابن الصوفي العلوي ، ودخل إسنا في سنة ٢٥٥ هـ فنهبا و  
إليه أحمد بن طولون جيشا لقتاله ، وانتهى أمر ذلك العلوي  
المدينة النورية حيث قضى فيها بقية أيامه<sup>(٤)</sup> .

(١) الكندي ص ٢٠٥ - ٢١٠ ، خطط المقرئى

أبو المحاسن ج ٢ ص ٣١٤

(٢) خطط المقرئى ج ٢ ص ٣٢٩

(٣) الكندي ص ٢١٢ ، المقرئى ج ٢ ص ٣٣٩

(٤) الكندي ص ٢١٣ - ٢١٤ و Les Tulunides :



ومن ذلك نرى كيف تتابعت حركات العلويين في مصر منذ عهد الخليفة المتوكل العباسي . فكأن اضطهادهم وتضييقه عليهم هو ومن أتى بعده من الخلفاء لم يمنعهم من الخروج علانية بعد أن كانوا يكيدون للخلافة العباسية سرا ، عليهم بناولون حظا من السلطان ويتخلصون من الخلافة العباسية واضطهادها . كما شجعهم على الخروج في تلك الفترة أيضاً ضعف الخلافة العباسية نفسها وسوء حالة الخلفاء الذين أصبحوا العوبة في يد الأتراك .

### ب - أثر النزاع بين الأمين والمأمون في مصر

قام النزاع بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون بسبب نظام ولاية العهد فقد كان الخليفة هارون الرشيد قد أخذ البيعة من بعده لابنه الأمين ثم المأمون ، على أن يلي الأمين العراق والشام إلى آخر المغرب ويلي المأمون من همدان إلى المشرق على ألا يكون للأمين سلطان عليه<sup>(١)</sup> .

لكن الأمين أظهر منذ توليه الخلافة عدم رغبته في تنفيذ عهد الرشيد<sup>(٢)</sup> ، فخلع المأمون من ولاية العهد وبايع لابنه موسى ، وقامت الحروب لهذا بين الأمين والمأمون منذ سنة ١٩٥ هـ وانتهت بحصار جيش المأمون بغداد وقتل الأمين في سنة ١٩٨<sup>(٣)</sup> وبذلك انتهت خلافة محمد الأمين وآلت الخلافة لعبد الله المأمون ولم ينتقل المأمون بعد توليه الخلافة إلى بغداد بل ظل في مبدأ الأمر في مرو عاصمة خراسان .

كانت خلافة الأمين (١٩٣ - ١٩٨ هـ) ، أو بعبارة أخرى فترة

(١) الطبرى ج ١ ص ٥٣ ، ٦٩ - ٧٠ و ٧٣ ، أبو الحسن : النجوم

الزاهرة ج ٢ ص ٨١ ، ١٠٥ - ١٠٦ ، ١٠٩ - ١١٠

(٢) الطبرى ج ١٠ ص ١٢٤

(٣) الطبرى ج ١٠ ص ١٣٠ ، ١٣٨ - ١٣٩ ، ١٧٠ ، ١٧٤ -

النزاع بين الأمين والمأمون ، عهد فوضى واضطراب في جميع أنحاء الدولة الإسلامية . ولم تنته تلك الفوضى باعتلاء المأمون عرش الخلافة في سنة ١٩٨ هـ ، بل ظلت آثارها عدة سنين وحدثت ثورات مختلفة في أنحاء الدولة ، ثورات من جانب العلويين ، وأخرى من جانب الأمويين الذين استفلوا ذلك النزاع حول الخلافة لينالواهم أيضا حظا من السلطان .

وقد شملت هذه الفوضى مصر أيضا ، فتحزب فريق للأمين وتحزب فريق آخر للمأمون ، كما ظهرت في تلك الأثناء رغبة بمض الشخصيات في الاستقلال بمصر عن الخلافة ونجحوا في ذلك إلى حد ما ، واستطاع بمض الأندلسيين في تلك الفترة أن يؤسسوا لهم شبه جمهورية مستقلة عن الخلافة بالأسكندرية ، فكانت مصر في تلك الفترة يكاد لا يربطها شيء بالحكومة المركزية الإسلامية .

لما ولى الأمين الخلافة كان على ولاية مصر الحسن بن التختاخ<sup>(١)</sup> وقد بدأ اضطراب الجند في مصر عقب وفاة الرشيد مباشرة ونشب القتال بين الحسن هذا وبين الثأرين عليه ، وقتل من الفريقين جمع غفير قبل أن يسكن الأمر ، ثم أخذ بعد ذلك في جمع الحجاج ، وكتب إليه الفضل بن الربيع بأن يرسل الأموال إلى بغداد ، ولما مر الرسل الذين كانوا يحملونها بفلسطين وثب أهل الرملة عليهم وأخذوها منهم<sup>(٢)</sup> . وحسبنا مثل هذا الحادث دليلاً على الفوضى التي حلت إذ ذاك بالبلاد . وما لبث الخليفة الأمين أن عزل ابن التختاخ عن إمرة مصر (ربيع الأول سنة ١٩٤ هـ) وولى عليها حاتم ابن هرثة بن أعين ، الذي قدم من بغداد على رأس جيش قوامه ألف من

(١) في النجوم الزاهرة لأبي المحاسن ج ٢ ص ١٤١ أن اسمه الحسن بن البجاح

(٢) الكندي ص ١٤٦ ، أبو المحاسن ج ٢ ص ١٤١

الجنوة الفرس؛ وبزل بلبيس . وهناك اتفق معه أهل الجوف على أن يدفموا ما عليهم من الخراج ؛ ولكنهم ما لبثوا أن نقضوا ذلك الصلح واجتمعوا لقتال الوالي ، فبعث حاتم لمهاربهم جيشا أفلح في هزيمتهم<sup>(١)</sup> . ثم عزل الأمين حاتم بن هرثمة في جمادى الآخرة سنة ١٩٥ هـ . ولعل سبب ذلك أن والده هرثمة بن أعين انضم للمأمون ضد الأمين . وولى الأمين على مصر جابر ابن الأشعث الطائي . وكان جابر هذا لينا محببا إلى الناس من العامة والخاصة .

وقد ظهر الاضطراب في مصر عندما علم أهلها بخلع الأمين أخاه المأمون من ولاية المهدي . ففكر فريق من الجنود في خلع الأمين غضبا للمأمون وتزعم هذه الحركة السري بن الحكم بن يوسف فبعث إليهم والى مصر لينهاهم عما قاموا من أجله ويخوفهم عواقب القاتن . ولكن السري بن الحكم ظل يدعو الناس إلى خلع الأمين<sup>(٢)</sup> . وقد أتى السري إلى مصر زمن الرشيد إذ كان من جند الليث بن الفضل والى مصر حينئذ ( ١٨٢ - ١٨٧ هـ ) . ويقال إنه كان حامل الذکر ولم يرتفع شأنه إلا بقيامه في خلع الأمين<sup>(٣)</sup> ، وقد شجع السري بن الحكم على القيام بمحركته هذه ما بلغه من انتصار طاهر بن الحسين على جيوش الأمين<sup>(٤)</sup> .

ولم يهمل الخليفة المأمون من جانبه أمر مصر فكتب إلى وجوه القوم فيها بدعومهم إلى القيام بدعوته فأجابوه كلهم سرا ، ثم ورد كتاب قائده هرثمة بن أعين إلى عباد بن محمد بن حيان وكان وكيله على

(١) الكندي ص ١٤٧ ، أبو الحسن ج ٢ ص ١٤٤ .

(٢) الكندي ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٣) الكندي ص ١٤٨ .

(٤) أبو الحسن ج ٢ ص ١٥٠ .

ضياح هرثمة بمصر - يدعوهم إلى الدعوة للأمين ، فجمع الجند في المسجد وقرأ عليهم كتاب هرثمة ودعاهم إلى خلع الأمين فأجابوه بفرعظيم منهم فأعطاهم عبادرزقا يسيراً وبايعوا للأمين . وكان خلع الأمين بمصر في جمادى الآخرة سنة ١٩٦ هـ . وثار الجند على الوالي جابر بن الأشعث فأخرجوه من مصر في رجب من هذه السنة ثم ولي هذه البلاد عباد بن محمد من قبل المأمون<sup>(١)</sup> .

ولما علم الأمين بخلمه في مصر وإخراج واليه جابر بن الأشعث كتب إلى ربيعة بن قيس - وكان زعيم قبيلة قيس بالحوف - يبلغه اختياره إياه والها على مصر وكتب إلى بمض وجوه القوم في مصر يطلب إليهم أن يشدوا أزر ربيعة بن قيس ، فقام هؤلاء يدعون إلى خلع المأمون وساروا إلى الفسطاط لمحاربة عباد ، إلا أن عباد سرعان ما حفر خندقاً حول الفسطاط للدفاع منها فسار ربيعة بن قيس إلى الخندق في آخر ربيع الآخر سنة ١٩٧ هـ ووقعت الحرب بين الطرفين عند الخندق عدة أشهر دون أن ينتصر أحدهما ، فرأى عباد أن يحاربهم في الحوف فأرسل إليهم جيشاً بقيادة عبد العزيز ابن الوزير الجروى في ذى القعدة سنة ١٩٧ هـ فانهزم الجروى وبمضى في قومه من لحم وجذام إلى فاقوس<sup>(٢)</sup> . وهناك حرضه قومه على أن يدعو لنفسه وقالوا له : « لم لا تدعو لنفسك فإنت بدون هؤلاء الذين غلبوا على الأرض ؟ » . فصادف ذلك هوى في نفس الجروى وذهب إلى بلديس ومن هناك بعث عماله لجباية الخراج من مصر السفلى . وهكذا ترى أن النزاع في مصر لأجل الأمين أو المأمون بدأ يتطور إلى نزاع للاستئثار بالسلطة دون الخلافة .

(١) الكندي ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) الكندي ص ١٤٩ - ١٥١ .

وكانت آخر صرمة سار فيها أهل الحوف إلى القسطنطينية لمحاربة عباد في المحرم سنة ١٩٨ هـ ، فمقد عباد للسرى بن الحكم لمحاربتهم فاقْتتل الفريقان ، وفي تلك الأثناء وصل إلى مصر خير مقتل الأمين في المحرم وبيعة المأمون فتفرق أهل الحوف ، ثم عزل المأمون عبادا في صفر سنة ١٩٨ هـ وولى المطلب ابن عبد الله الخزاعي (١) .

ساد الاضطراب في مصر كما رأينا زمن الخليفة الأمين ولم ينته ذلك الاضطراب بمقتله وتولية أخيه المأمون للخلافة ، بل تطور الأمر في هذه البلاد إلى نزاع بين بعض القواد للاستئثار بالسلطة فيها والاستقلال بأمورها عن الخلافة ، فكان على المأمون أن يبذل جهداً خاصاً لإعادة مصر إلى سلطانه والقضاء على الفتن فيها .

ومما يدل على اضطراب الحالة في مصر حينئذ أن أعمال الشرطة فيها ولها خمسة رجال على التوالي في بضعة أسابيع (٢) . وقد عزل المأمون المطلب ابن عبد الله عن ولاية مصر في شوال سنة ١٩٨ هـ بعد أن وليها سبعة أشهر ونصف ، وولى مكانه العباس بن موسى ، وقد أرسل العباس ابنه عبد الله إلى مصر خليفة له ريثما يحضر هو ، فقدم عبد الله إلى مصر في شوال من هذه السنة ، وكان أول ما فعله هو القبض على المطلب بن عبد الله وزجه في السجن . وقد اشتد عبد الله فثار الجند عليه وقتلوه غير صرمة ، حتى هزموه في النهاية وأخرجوه من مصر ، ثم قصدوا المطلب بن عبد الله حيث أخرجوه من حبسه وولوه عليهم في المحرم سنة ١٩٩ هـ (٣) .

(١) الكندي ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) أبو الحسن ج ٢ ص ١٥٧ .

(٣) الكندي ص ١٥٣ - ١٥٤ ، أبو الحسن ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢ .

حدث كل ذلك ووالى مصر نغمه العباس بن موسى لم يحضر إليها فلما علم بما حدث لابنه عبد الله قدم من مكة إلى الحوف فنزل ببلبيس ولم يلبث إلا قليلا حتى توفى وذلك فى جمادى الآخرة سنة ١٩٩ . ومن هذا نرى أن والى الذى عينه الخليفة ، لم يستطع دخول الحاضرة كما لم يستطع الوقوف وجها لوجه أمام والى الذى انتخبه الجند ، ومن هذا ندرك أيضا كيف تلاشت سلطة الخليفة على ولاية مصر تقريبا .

بعد موت العباس ، كاتب المطلب أهل الحوف فبايعوه ، فولى على الوجه البحرى يزيد بن خطاب الكلبي ، وبعد ذلك بعث المطلب إلى الجروى بولايته على تنيس وأمره بالشخص إلى الفسطاط<sup>(١)</sup> ويظهر أن المطلب أراد بذلك أن يخدع الجروى ويوقع به لأنه عرف رغبته فى الاستقلال وطعمه فى ولاية مصر ، فالمسألة لم تعد تتمصل بالحكومة المركزية فى بغداد ، وإنما أصبحت مصر وسط هذه الفوضى غنيمة لمن غلب ، فالوالى الذى عينه الجند يرى أن طاعته واجبة على أهل مصر ، والجروى لا يرى نفسه أقل من والى كفاية . وبعد قليل نرى السرى أيضا ينضم إلى زمرة الطامعين فى مصر ويحاول أن يؤسس له ملكا وراثيا فيها ، كل هذا يحدث والخليفة المأمون مشغول بالقضاء على الثورات المختلفة التى قامت فى أنحاء الدولة الإسلامية .

لم يذهب الجروى إلى الفسطاط كما أمره المطلب ، وإزاء هذا بعث المطلب بوالى على تنيس ولكن الجروى أخرجه منها ، فبعث إليه السرى ابن الحكم فى جمع من الجند يسألونه الصلح فأجابهم إليه ، إلا أنه أراد التدر بهم ففطنوا إلى ذلك وحاربوه ، ثم عاد فدعاهم إلى الصلح واستطاع أن يقبض على السرى خدعة ويأسره ثم مضى به إلى تنيس حيث سجنه بها

(١) السكندى ص ١٥٦ .

(جمادى الأولى سنة ١٩٩ هـ) ويظهر أن بلاداً عدة في شرق الدلتا دخلت في حوزة الجروى إذ ذاك وزادت قوته نتيجة لذلك بدليل محديه قوة الوالى . فبعد أن سجن السرى بن الحكم ، ذهب لقائفة يزيد بن الخطاب ، عامل المطلب على الوجه البحرى ، واستطاع الجروى أن يهزمه فأرسل إليه المطلب جيشاً لمحاربتة بقيادة ابن عبد النفار الجمحى ولكن الجروى هزم ذلك الجيش وأسر ابن عبد النفار وذلك في أول رجب سنة ١٩٩ هـ<sup>(١)</sup> .

عزم المطلب إزاء هذا على أن يوجه كل قوته للقضاء على الجروى فلما علم الجروى بذلك أخرج السرى من سجنه وطأهده على أن يطلق سراحه ويدكر للمصريين أن كتاباً ورد من الخلافة بولايتة على مصر ، على شرط أن يقوم السرى بمحاربة المطلب ، فهاهده السرى على ذلك . وعند ذلك أطلقه الجروى وأعلن ولايتة إلى الجند ، فبايعه الجند من أهل خراسان وامتنع الجند العرب وقد وقعت حروب بين السرى وبين المطلب انتهت بأن طلب المطلب الأمان من السرى على أن يسلم إليه الأمر ويخرج من مصر . فأمنه السرى وخرج المطلب إلى مكة في رمضان سنة ٢٠٠ هـ .

وعقب ذلك ولى السرى بن الحكم مصر بإجماع الجند في مستهل شهر رمضان سنة ٢٠٠ هـ<sup>(٢)</sup> . وقد أدرك الماصرون من المصريين والوطنيين أن الذين ولوا مصر إذ ذاك كانوا خارجين على الخلافة ، فيذكر ساويرس<sup>(٣)</sup> نقلاً عن الوثائق المعاصرة أن الثوار استطالوا على مصر لاضطراب الأمور في بغداد وقام الخارجون بمباية الضرلثب لأنفسهم . ومن بين هؤلاء الخارجين عبد العزيز الجروى الذى استولى على شرق الدلتا من شطونوف إلى القرما ،

(١) السكندى ص ١٥٧ .

(٢) السكندى ص ١٥٩ - ١٦١ .

(٣) سير الآباء البطارقة ص ٤٢٨ (LX) .

والسرى بن الحكم الذى استولى على الوجه القبلى من مصر إلى أسوان .  
أما غربه الدلتا بما فى ذلك الاسكندرية وأعمالها ومرهوط والبحيرة جميعها  
فقد ملكها قبيلتا نخم وجذام .

هكذا قسمت مصر بين الخارجين على الخلافة كما يذكر ساويرس ،  
فالجروى كما رأينا سابقا كان صاحب السلطة الفعلية فى شرق الدلتا ، كما كان  
صاحب الفضل فى تولية السرى بن الحكم على مصر ليتخلص بذلك من  
المطلب بن عبدالله ، إلا أنه لى يتخلص من المطلب ، أوجد له منافسا آخر  
فى شخص السرى ، الذى سرطان ما طمع فى أن يكون صاحب السلطة  
الفعلية فى مصر كلها ، فبعد أن كان الجروى والسرى يحاربان لأجل الخليفة  
المأمون ، أصبح كل منهما يحارب الآخر ، وهذا أدى إلى النزاع بين  
الجروى والسرى نزاعا متواصلا فى السنين التالية ، بل إن هذا النزاع استمر  
بين أولادها بعد وفاة الاثنين .

أما منطقة غربى الدلتا ، ونمى منطقة الاسكندرية بوجه خاص ، فقد  
خزجت عن سلطة والى مصر منذ ولاية عباد بن محمد بن حيان ( ١٩٦ -  
١٩٨ هـ ) إذ تقلب بهلول النخعى على الاسكندرية فى ولايته . فلما ولى  
المطلب بن عبدالله مصر من قبل المأمون سنة ١٩٨ هـ ولى على الاسكندرية ،  
حديث بن عبد الواحد بن محمد بن عبدالرحمن بن مغارية بن حديث ، فثار ضده  
بنو مدلج بالاسكندرية ، فبعث إليهم المطلب بأخيه هرون فانهزم  
هرون أمامهم (١) .

ولما ولى المطلب بن عبدالله ولايته الثانية على مصر بإجماع الجند  
( سنة ١٩٩ هـ - ٢٠٠ هـ ) ولى على الاسكندرية محمد بن هيرة



ابن هاشم بن حديج ، فاستخلف محمد هذا عمر بن عبد الملك بن محمد  
ابن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج الذي يعرف باسم عمر بن هلال<sup>(١)</sup>  
فوليها عمر بن هلال ثلاثة أشهر ثم عزله المطلب وولى عليها أخاه الفضل  
ابن عبد الله<sup>(٢)</sup>

في تلك الأثناء كانت مراكب الأندلسيين قد رست عند الاسكندرية .  
وكثيراً ما كان الأندلسيون يأتون إلى الاسكندرية فيتبادلون التجارة مع  
الناس ، ولكن ولاية مصر كانوا لا يسمحون لهم بالدخول فيها<sup>(٣)</sup> . أما  
في هذه المرة فإن أهل الأندلس لم يأتوا للتجارة وإنما خرجوا من وطنهم  
مطرودين وذلك في عهد ملكهم الحكم بن هشام الأموي على أثر وقعة  
الربض بقرطبة في رمضان سنة ١٩٨ هـ<sup>(٤)</sup> . فرسا فريق منهم بالقرب من  
الاسكندرية وكان عددهم حوالي ١٥٠٠٠ شخص إذ استثنينا النساء  
والأطفال<sup>(٥)</sup> .

لما عزل عمر بن هلال ، كتب إليه عبد العزيز الجروي يأمره بالدعاء له  
فيها وبإخراج واليها من قبل المطلب فلم يجد عمر بن هلال بدأ من استدعاء  
هؤلاء القرطبيين ليساعدوه في ذلك وسرعان ما لبوا طلبه واستطاع أن  
يخرج واليها - الفضل بن عبد الله - ويدعو للجروي بالاسكندرية . إلا  
أن أهل الاسكندرية ثاروا ضد الأندلسيين وأخرجوهم من الاسكندرية إلى

(١) يذكر الكندي أنه عرف باسم عمر بن هلال ويذكر القرظي في الخطط  
١ ص ١٧٢ أنه عرف باسم عمر بن ملاك .

(٢) الكندي ص ١٥٧ ، خطط القرظي ج ١ ص ١٧٢ .

(٣) الكندي ص ١٥٨ ، خطط القرظي ج ١ ص ١٧٢ .

(٤) ابن الأثير ج ٦ ص ٢٠٩ - ٢١٠ وأبو المحاسن ج ٢ ص ١٥٨ .

Dozy: Histoire des Musulmans d'Espagne. t. 1. pp 296-300

Dozy : op. cit. p. 300. (٥)

مراكبهم بعد أن قتلوا منهم نفراً ، وألقموا عليهم الفضل ثانياً<sup>(١)</sup> .  
ثم عزل المطلب أخاه الفضل عن الاسكندرية وولى عليها إسحاق بن أبرهه  
ابن الصباح فسار إليه عمر بن هلال في شهر رمضان سنة ١٩٩ هـ ، فزله  
المطلب وولاهها أبا بكر<sup>(٢)</sup> بن جنادة بن عيسى المافرى<sup>(٣)</sup> . ولما انتصر السرى  
ابن الحكم على المطلب وولى مصر في رمضان سنة ٢٠٠ هـ بإجماع الجند ،  
سار عمر بن هلال إلى أبي بكر بن جنادة وأخرجه من الاسكندرية ودعا  
للجروى بها ، وكان الجروى والسرى إذ ذاك متسالمين ، فلما علم الأندلسيون  
بولاية ابن هلال على الاسكندرية قدموا إليه ، إلا أنه لم يعاملهم في تلك المرة  
كما عاملهم أولاً إذ بلغه عنهم بعض الفساد فأمر بإخراجهم من الاسكندرية  
إلى مراكبهم<sup>(٤)</sup> .

حقد الأندلسيون على ابن هلال ، وظهر في الاسكندرية في ذلك الوقت  
طائفة تعرف بالصوفية<sup>(٥)</sup> « بأمر من المعروف وينهون عن المنكر » فيما زعموا ،  
ويعارضون السلطان في أمره واتخذوا رئيساً لهم رجلاً منهم يقال له أبو عبد  
الرحمن الصوفى ، وقد اتحد الأندلسيون مع هؤلاء الصوفية كما تفقروا بقبيلة لخم  
وكانت أقوى من في ناحية الاسكندرية ، ثم ساروا إلى عمر بن هلال ليثأروا  
لأنفسهم منه فحاصروه وانتهى الأمر بقتله في ذى القعدة سنة ٢٠٠ هـ<sup>(٦)</sup> .  
وعقب مقتل ابن هلال انقلبت صداقة الأندلسيين واللخمين إلى عداوة

- 
- (١) الكندى ص ١٥٨ ، خطط القرزى ج ١ ص ١٧٢ .
  - (٢) في خطط القرزى ( ج ١ ص ١٧٣ ) يقول إن اسمه أبو ذكر بن جنادة .
  - (٣) الكندى ص ١٥٨ ، خطط القرزى ج ١ ص ١٧٣ .
  - (٤) الكندى ص ١٦١ - ١٦٢ ، القرزى ج ١ ص ١٧٣ .
  - (٥) يذكر آدم متر في كتابه المضارة الإسلامية ج ٢ ص ١٤ أن أول ظهور الطوائف الصوفية حوالى عام ٢٠٠ هـ وذلك في مصر مهد الرهبنة المسيحية .
  - (٦) الكندى ص ١٦٢ ، القرزى ص ١٧٣ .

ووقت الحرب بينهم . ولما رأى أهل الاسكندرية ما حدث بين القرظيين  
جرادوا سيوفهم وقتلوا من الأندلسيين نحو ثمانين نفياً ، فلما علم الأندلسيون  
بذلك بعد انتصارهم على اللخمين خرجوا لقتال كل من لا قوه من أهل  
الاسكندرية ، مسلمين كانوا أو نصارى أو يهود وأحرقوا كل موضع عثروا  
فيه على أحد من أصحابهم المقتولين<sup>(١)</sup> .

أصبح الأندلسيون أصحاب السلطة الفعلية في الاسكندرية منذ انتصارهم على  
عمر بن هلال وتأكد سلطانهم عندما هزموا اللخمين وملكوا الإسكندرية  
عنوة في ذى الحجة سنة ٢٠٠ هـ<sup>(٢)</sup> ، فولوا عليها أبا عبد الرحمن الصوفي ،  
إلا أن الأحوال في الاسكندرية اضطربت في عهده وعم القتل والنهب فيها  
فمزله الأندلسيون عنها وولوا عليها رجلاً منهم يعرف بالسكناني<sup>(٣)</sup> .  
وهكذا نرى أن الاسكندرية أصبحت شبه جمهورية مستقلة للأندلسيين ،  
وأصبحت مصر بمثابة قطائع مقسمة بين أفراد أو جماعات مختلفة ، كل منها  
مستقلة عن الأخرى وهي كلها مستقلة عن الخلافة .

بلغ الجرؤي مقتل ابن هلال وما فعله الأندلسيون بالاسكندرية فسار  
إليها في خمسين ألفاً وحاصرها وكاد يفتحها في المحرم سنة ٢٠١ هـ ولكن  
السرى خشى ازدياد نفوذ الجرؤي فبعث عمرو بن وهب الخزاعي على رأس  
جيش إلى مقره في تينيس ، فترك الجرؤي حصار الاسكندرية ورجع إلى  
تينيس حيث أخرج جيش السرى منها . ومن ثم تطورت المنافسة الخفية  
بين الجرؤي والسرى إلى نزاع علني بينهما .

(١) ساويرس : سير الأباء البطارقة - س ٢٠ - ٢١

(٢) atr. Orient. t. X)

(٢) السكندى ص ١٦٣

(٣) السكندى ص ١٦٣ - ١٦٤ ، خطط القرظي ج ١ ص ١٧٣ .

وربما خشي الاندلسيون على مصيرهم فأروا أن يتقوا بانضمامهم إلى  
الوالي ، لذلك نراهم يدعون في الاسكندرية للسرى بن الحكم سنة ٢٠١هـ (١)  
على أن السرى مالبت أن اختلف مع آل عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي ،  
وكانوا وجوه أهل خراسان بمصر ، فبايهم الجند على القيام ضد السرى  
وأظهروا كتابا من طاهر بن الحسين ( قائد المأمون ) بولاية سليمان بن غالب  
ابن جبريل البجلي على مصر ، فلم يكن من السرى إلا الرضوخ لهم وذلك  
في ربيع الأول سنة ٢٠١هـ فكانت ولاية السرى في هذه المدة ستة أشهر (٢)  
أمر سليمان بن غالب السرى بن الحكم بترك العاصمة والذهاب إلى  
أخميم . على أن السرى مالبت أن تقوى ثانية بانضمام بني مدليج وكثير من  
الناس إليه . فسار بهم يريد الفسطاط ، ولما علم سليمان بن غالب بذلك أرسل  
إليه جيشا لمحاربتة قبل أن يصل إليها فدارت الدائرة على السرى وأسر هو  
وابنه ميمون ، فأمر سليمان بردهما ثانية إلى أخميم وسجنهما . وذلك في جمادى  
الأولى سنة ٢٠١هـ (٣) ، ولا نعرف لماذا لم يقتل سليمان بن غالب السرى بعد  
أن ظفريه ، وربما دعاه إلى هذا التصرف خوفا من أتباع السرى ومن  
نورتهم ضده ، وما لبث أهل خراسان بمصر أن قاموا ضد سليمان بن غالب  
وذلك لتقديمه أتباعه وبطائنته عليهم ، وانتهى الأمر بأن خلعه الجند من  
ولاية مصر في شعبان من سنة ٢٠١هـ ثم لحق سليمان بالجزوى (٤) . بعد  
عزل سليمان ، ولي السرى بن الحكم مصر للمرة الثانية على أنه في هذه المرة

(١) الكندى ص ١٦٥ .

(٢) الكندى ص ١٦٥ .

(٣) الكندى ص ١٦٦ .

(٤) الكندى ص ١٦٦ - ١٦٧ .

لم يتولاها كالمرّة الأولى بمبايعة الجند له وإنما حولها بأمر من الخليفة المأمون<sup>(١)</sup> ويظهر أن اضطراب الحال في الدولة الإسلامية دعا المأمون إلى التسليم بالأمر الواقع في مصر ريثما تهدأ الأمور قولي السرى الذي كان له أتباع كثيرون إذ ذاك .

وحدث في سنة ٢٠١ هـ أن بايع المأمون لولاية عهده عليا الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق وسماه الرضا من آل محمد ، وأمر جنده بطرح السواد شعار العباسيين وليس ثياب الخضرة شعار العلويين ، وكتب بذلك إلى جميع الآفاق .

وقد ظن أهل بغداد أن هذا من عمل الفضل بن سهل الذي كان يدبر أمور المأمون في مرو . والفرس كما نعلم كانوا يميلون إلى العلويين . ولذا نجد أهل بسنداد يبايعون بالخلافة إبراهيم بن المهدي عم المأمون في سنة ٢٠١ هـ ويخلمون المأمون . اضطربت الأحوال في الدولة الإسلامية ، ولم يعلم المأمون بذلك إذ كتم الفضل بن سهل هذه الأخبار عنه ويقال إن الذي أعلمه بهذه الأمور عليا الرضا بل إنه أشار عليه بالرجوع إلى بسنداد تهدأ الحالة وليضبط الأمور بنفسه ، فسار المأمون إليها وفي طريقه إلى هناك مات الفضل بن سهل سنة ٢٠٢ هـ ثم مات علي الرضا في طوس سنة ٢٠٣ هـ . وأخيراً دخل المأمون بغداد في سنة ٢٠٤ هـ واختفى إبراهيم بن المهدي ، واستطاع المأمون بعد دخوله بغداد أن يقبض على ناصية الحال في الدولة الإسلامية ويقضى على الاضطرابات التي سادت فيها بعد أن تخلص من النفوذ الفارسي ومن النفوذ العلوي ، وقد استمطفه إبراهيم بن المهدي فصصح عنه .

(١) الكندي ص ١٦٧ .

أمل في مصر فإن أمورها في تلك الفترة كانت تسير دائما متأثرة بما يجري في الخلافة فينعكس عليها ما يحدث هناك وانما جليا . لذا نرى الخليفة المأمون يكتب إلى السري بن الحكم بأمره بالبيعة فيها لولي عهده علي الرضا في المحرم سنة ٢٠٢ هـ فيبيع له بها ، على أن المضرين انقسموا على أنفسهم كما حدث في بغداد وسائر الدولة الإسلامية ، إذ كتب إبراهيم بن المهدي إلى وجوه الجند بمصر يأمرهم بخلع المأمون وولي عهده ، والثورة ضد السري ، وكان من السهل أن يلتقي إبراهيم بن المهدي أنصارا له بمصر ، لاجبا في خلافته وانما طمعا من بعض الزعماء في السلطان أولئذ هم من ولاية السري أو غير ذلك من الأغراض المختلفة التي كانوا يسترونها وراء قيامهم بالدعوة لأحد الخلفاء أو لأحد الخارجين على الخلافة . فقام بالدعوة لإبراهيم في مصر الحارث بن زرعة بن قحزم بالفسطاط ، وعبد العزيز بن الوزير الجروي بالدلتا وسلامة ابن عبد الملك الأزدي الطحطاوي بالصعيد ، وسليمان بن غالب بن جبريل الذي كان منضيا إلى الجروي . وعقدوا الولاية لعبد العزيز بن عبد الرحمن الأزدي ، على أن السري حاربه حتى ظفر به ، وقتله في صفر سنة ٢٠٣ هـ<sup>(١)</sup> وانضم بعد ذلك كل من كره بيعة علي الرضا إلى الجروي لمظم سلطانه إذ ذاك ، فسار الجروي إلى الإسكندرية للمرة الثانية لحرابة الاندلسيين بها فحاصرها وانتهى الأمر بأن اصطالح الاندلسيون على فتح حصن الإسكندرية والدعوة للجروي بها . ثم دعى للجروي بالصعيد أيضا .

وعندما علم الجند بموت علي الرضا وانخزال إبراهيم بن المهدي أظهروا بيعة المأمون والدعوة إليه ، وقد ورد كتاب المأمون إلى السري بذلك وبفسل المنابر التي دعى عليها لعلي الرضا ففسلت<sup>(٢)</sup> . وانتهز الاندلسيون أيضا هذه

(١) الكندي ص ١٦٨ .

(٢) الكندي ص ١٧٠ .

الفرصة فأخرجوا عامل الجروى بالإسكندرية منها وأغلقوا الحصن دونه وخلعوا الجروى ودعوا إلى السرى بن الحكم ، فسار إليهم الجروى فى رمضان سنة ٢٠٣ هـ . على أن القبط بسخا ناروا ضده وانضم إليهم بنو مدليج فهزمهم الجروى وهرب بنو مدليج ثم بعث الجروى بجيوش إلى الإسكندرية لمحاصرتها (١) . وربما دعا القبط إلى الثورة ضد الجروى ما أتاه من أفعال ؛ إذ يذكر ساويرس (٢) أن الجروى كان يذأب على قتل الناس وأخذ أموالهم وكان يدفن فى الأرض ما يأخذه من أموال ، وإذا دفن المال يقتل الذين ساعدوه على دفنه كي لا يبيحوا بسره . وكذلك جمع الجروى قبح أرض مصر جميعها ووضعه فى الأهراء تحت تصرفه ، حتى ندر القمح وعن وجوده ، فحدثت مجاعة كبيرة بسبب ذلك ولا سيما بالإسكندرية ، وكان يرى من وراء ذلك إلى أن تسلم إليه البلاد جميعها .

لكن السرى بن الحكم أفسد على الجروى خططه فأرسل جيشاً فى ذى القعدة سنة ٢٠٣ إلى بلاد الصعيد لاستخلاصها منه ، فتم سلامة ابن عبد الملك الطحطاوى حليف الجروى بالصعيد ، وأسر هو وابنه إبراهيم وأرسل إلى القسطنطينية حيث قتل هناك فى المحرم سنة ٢٠٤ هـ (٣) .

وفى تلك الأثناء سار عبد العزيز الجروى لحصار الاسكندرية للمرة الرابعة فأغلق الأندلسيون حصنها ولكن الجروى حاصرهم حصاراً شديداً وأخذ يضرب الحصن بالمجانيق وظل على ذلك سبعة أشهر من بداية شعبان سنة ٢٠٤ هـ إلى آخر صفر سنة ٢٠٥ هـ . وانتهى الأمر بأن قتل الجروى

(١) الكندى ص ١٧٠ .

(٢) سير الآباء البطركية . ص ٤٠٥ - ٤٠٦ . (Pat. Orient. t. X).

(٣) الكندى ص ١٧١ .

أثناء الحصار . ومات السرى بن الحكم بعده بثلاثة أشهر في الفسطاط  
في آخر جمادى الأولى سنة ٢٠٥ هـ بعد أن ولى مصر ثلاث سنين  
وتسعة أشهر .

بويج بولاية مصر بمسد السرى بن الحكم ابنه أبو نصر بن السرى ،  
ولم يكن معنى ذلك القضاء على المنازعات التي قامت حول ولاية مصر ، إذ  
ورث أبناء السرى والجروى نزاع والديهما . فكان بيد أبي نصر من أرض  
مصر الفسطاط والصميد وغربي الدلتا وكان بيد علي بن عبد العزيز الجروى ،  
بقية الوجه البحرى بما في ذلك الحوف الشرقى ، وقد وقعت الحروب بينهما ،  
ثم اصطلحا على أن يكف أحدهما عن الآخر . وأخيراً توفى أبو نصر في  
٨ شعبان سنة ٢٠٦ هـ بعد أن ولى مصر أربعة عشر شهراً<sup>(١)</sup> .

بايع الجند عبيد الله بن السرى بولاية مصر بمسد وفاة أخيه في شعبان  
سنة ٢٠٦ هـ ولم يتعرض كل من عبيد الله وعلي بن الجروى للآخر حتى انتهت  
سنة ٢٠٦ هـ ، حين عقد المأمون ولاية مصر لخالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى  
وبعثه إليها في جيش من ربيعة فلما دخل الحدود المصرية أرسل إلى عبيد الله  
يلمه بذلك فاستنفع عبيد الله عن التسلم له واحتج بأن كتاب المأمون قد ورد  
إليه بولايته هو ، واستعد عبيد الله لحرب خالد فخر خندقاً حول الفسطاط  
وجند الجنود ، فسار خالد إلى خندق عبيد الله وهناك وقع القتال بينهما  
وانتهى بأسر خالد بن يزيد فأكرمه عبيد الله بن السرى وخيره بين المقام  
في مصر أو الرحيل حيث شاء فاختار الذهاب إلى مكة عن طريق القلزم<sup>(٢)</sup> .  
ويظهر أن الأمور في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية شلت المأمون حتى ذلك

(١) الكندى ص ١٧٢ — ١٧٢ .

(٢) الكندى ص ١٧٣ — ١٧٦ .



الوقت عن التفرغ للقضاء على الفوضى في مصر وإرجاعها ثانية إلى حظيرته، فأرسل رسولا من قبله يقر عبيد الله على ما بيده من أرض مصر ويقر عليا ابن الجروى على ما بيده (١).

حدث بعد ذلك نزاع بين عبيد الله بن السرى وبين علي بن الجروى وسببه أن قوما من أهل الحوف ممنوا ابن الجروى من جباية الخراج وكتبوا إلى عبيد الله بن السرى يطلبون منه المساعدة ضد علي الجروى ، فأمدم بما طلبوا وبعث إليهم أخاه أحمد بن السرى في سنة ٢٠٧ هـ فوقمت حروب بينهما كان نتيجةها أن دخل عبيد الله تليس ، مقر ولاية الجروى ، وهرب ابن الجروى إلى الفرما ثم العريش في ربيع الأول سنة ٢٠٩ هـ (٢) ، أى أن مصر كلها خضعت لعبيد الله بن السرى إذا استثنينا الاسكندرية التي كانت تحت سلطة الأندلسيين . على أنه لم يكن من السهل أن يتخلى ابن الجروى عن ولايته في مصر السفلى . تحدثت مناوشات وحروب بينه وبين ابن السرى (٣) ، وبينهما كذلك قدم عبد الله بن طاهر بن الحسين من الشام موفداً من قبل الخليفة المأمون ليقتضى على تلك الفوضى التي سادت في مصر منذ نحو إحدى عشرة سنة ، كادت مصر في أثناءها تكون مستقلة عن الخلافة ، لا ترسل إليها الخراج والأموال ولا ترضخ فيها لأوامر الخليفة ولا تقبل المال الذين يوليهم وقد تغلب على كل ناحية فيها قائد أو زعيم .

سار عبد الله بن طاهر إلى مصر فاستقبله علي بن الجروى بالأموال والأنزال وانضم إليه ، ثم أرسل ابن طاهر إلى عبد الله بن السرى يدعوه إلى

(١) الكندى ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٢) الكندى ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٣) الكندى ص ١٧٨ - ١٧٩ ، خطط القرظى ج ١ ص ١٧٩ .

الطاعة ولكن عبيداً أخذ يستمه لحرية فخر خندقه وأعد سفنه وأحكم  
أموره وكانت النتيجة أن اشتبك الفريقان ووقعت الحرب بينهما فانهزم عبيد  
وقتل معظم أصحابه حتى أشرف على الهلاك فطلب الأمان . فكتب ابن طاهر  
إلى الخليفة المأمون كتاباً يسأل فيه أمان عبيد فأجاب الخليفة إلى ذلك . ثم  
كتب عبد الله بن طاهر لمبيد كتاب أمان شهد فيه شهوداً من الجند  
والفقهاء وأشرف أهل مصر في صفر سنة ٢١١ هـ وخلص عليه ابن طاهر  
وأجازه بمشرة آلاف دينار وأمره بالخروج إلى المأمون<sup>(١)</sup> وبذلك خلصت  
معظم مصر للخلافة على يد عبد الله بن طاهر وكان أمامه أن يقضى على  
الجمهورية التي أقامها الأندلسيون بالاسكندرية منذ عشر سنوات .

سار عبد الله بن طاهر في قواده إلى الاسكندرية في بداية صفر  
سنة ٢١٢ هـ وحاصرها في شهر ربيع الأول فطلب أهلها الأمان ، وصالح  
الأندلسيين على أن يسيرهم من الاسكندرية حيث أحبوا فخرجوا إلى جزيرة  
أقريطش ( كريت ) وملكوها وكان أميرهم أبو حفص عمر بن عيسى ، ثم  
ولى ابن طاهر على الإسكندرية الياس بن سامان ، ورجع ثانية إلى القسطنطينية  
في جمادى الآخرة سنة ٢١٢ هـ<sup>(٢)</sup> .

وهكذا عادت مصر بفضل مجهودات عبد الله بن طاهر ولاية خاضعة  
لخلافة بعد أن سادت فيها الفوضى وكادت تخرج من حكم الخليفة وتستقل  
بأمورها ، منتهزة فرصة النزاع بين الأمين والمأمون ثم الاضطراب الذي قام  
في أوائل حكم المأمون . ويجدر بنا أن نلاحظ أن السرى بن الحكم ،  
الخراساني الأصل ، استطاع أن يكون لنفسه ولأسرته من بعده ملكاً شبه

(١) الكندي ص ١٨٠ - ١٨٢ .

(٢) الكندي ص ١٨٣ - ١٨٤ ، خطط المقرئ ص ١٧٣ .

مستقل دام نحو عشر سنوات ولم تسيطر هذه الأسرة على مصر طوال هذه المدة وإنما سيطرت على العاصمة دائماً وعلى الوجه القبلي في الغلب . ونلاحظ أيضاً أن أسرة السرى كانت كغيرها من الأسرات التي استقلت بمصر فيما بعد ، مثل الطولونيين والأخشيديين ، أى أنه لم يكن لها أساس قوى في البلاد التي اتخذتها مسرحاً لنشاطها . فهذه الأسرات التي قامت في مصر الإسلامية لم تكن نتيجة لحركات قومية وإنما كانت حركات فردية قام بها ذوو الشخصيات الطموحة القوية . ولذا لم يكن من المنتظر أن تعمر طويلاً بعد وفاة مؤسسها ، وخاصة إن كان خلفاء هؤلاء المؤسسين لا تتوفر لديهم القوة والشخصية التي كانت لأسلافهم . ويصح أن تعتبر أسرة السرى أول أسرة شبه مستقلة في مصر الإسلامية . وكانت هذه الأسرة مقدمة لأسرة ابن طولون التي استقلت بمصر استقلالاً فعلياً في الواقع وذاتياً في الظاهر .

### ج - مصر والمحنة بخلق القرآن

مسألة خلق القرآن هي إحدى المسائل التي أثارها المعتزلة حين ظهرت بتمايها كما ظهر غيرها من الفرق والمذاهب .

ولا يميننا هنا أن نبحث في آراء المعتزلة الدينية وامتدادهم وإنما يهمنا أن الدولة العباسية في وقت ما اتخذت الاعتزال مذهباً رسمياً لها ، وحلت جميع رعايا دولتها على اعتناق ذلك المذهب مستمثلة في ذلك جميع وسائل القوة والعنف ، وكانت مصر ممن حمل على اتخاذ ذلك المذهب . كانت مسألة خلق القرآن هي المسألة التي ركز فيها الاعتزال في تلك الفترة (٢١٨ - ٢٣٤هـ) لكثرة القول والجدل فيها ، ولأنها مبنية على أكبر أصل من أصولهم وهو

التوحيد وعدم تعدد صفات الله<sup>(١)</sup>.

وقد أظهر المأمون القول بخلق القرآن في سنة ٢١٢ هـ<sup>(٢)</sup>، إلا أنه لم يحمل الناس على اتباعه إلا في سنة ٢١٨ هـ قبيل وفاته وهو خارج بفساد لغزو الروم، إذ كتب إلى والي بفساد إسحق بن إبراهيم يطلب منه أن يمتحن القضاة والفقهاء والمحدثين في خلق القرآن ويماقب من لا يقر بخلقه. على أن المأمون توفي بعد ذلك بنحو أربعة أشهر (رجب سنة ٢١٨ هـ) فحمل هذا الأمر من بعده أخوه المتعمم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) ثم الواثق (٢١٧ - ٢٣٢ هـ) وقد عذب كثير ممن امتنعوا عن القول بخلق القرآن نذكر منهم الإمام أحمد بن حنبل، وقتل البعض الآخر، وتقدر ما كان الخلفاء يشتدون في تلك المسألة كان العلماء والشعب يعارضون فيها<sup>(٣)</sup>، وقد أصبحت كلمة المحنة تسمى اختبار العلماء في القول بخلق القرآن وما لاقوه في ذلك من عذاب<sup>(٤)</sup>، وهكذا أصبحت الدولة الإسلامية كلها موضوع محاكمة. وبهنا ما كان من أمر مصر في هذه المسألة.

في ولاية كيدر نصر بن عبد الله على مصر (٢١٧ - ٢١٩ هـ) ورد عليه كتاب المتعمم (صاحب إقطاع مصر حينذاك) في جمادى الآخرة سنة ٢١٨ هـ يأمره بأخذ الناس بالمحنة بخلق القرآن وأن يمتحن قاضي مصر إذ ذاك هرون بن عبد الله الزهري وأمن يمتحن المحدثين والفقهاء والشهود، وأن يعزل القاضي إن لم يقر بخلق القرآن، وكذلك طلب منه

(١) أحمد أمين بك: ضحى الإسلام ج ٣ ص ١٦٥.

(٢) الطبري ج ١٠ ص ٢٧٩.

(٣) أحمد أمين بك: ضحى الإسلام ج ٣ ص ١٥٦ - ١٨٢.

(٤) المرجع نفسه ص ١٦٦.

الا يأذن لأحد في حديث أو فتوى أو شهادة إلا إذا أقر بخلق القرآن<sup>(١)</sup> .  
ويظهر أنه لم تقم في مصر في أول الأمر معارضة شديدة للقول بخلق القرآن ،  
كما قامت في العراق مقر الخلافة ، ولم تتمرض مصر لما تعرضت له العراق  
من قتل وتعذيب واضطهاد لهذا السبب ، وربما أقر المصريون القول بخلق  
القرآن تقية فكفاهم هذا شراً كثيراً . فيذكر الكندي أنه حين ورد  
كتاب المعتصم على كيدر يأمره بأخذ الناس بالحنة أحضر هرون بن عبد الله  
القاضي ودعاه إلى هذا فأجاب إليه وواقفه على ذلك عامة اليهود ومن عرف  
بالعدالة كما أجاب أكثر الفقهاء إلا من هرب منهم وكذلك كان هرون  
ابن عبد الله يوقف شهادة من لا يقول بخلق القرآن ويقبل شهادة من يقر  
بخلقه<sup>(٢)</sup> .

ظل هرون بن عبد الله يلي قضاء مصر إلى أن ورد عليه كتاب الخليفة  
المعتصم في سنة ٢٢٦هـ يأمره بالتوقف عن الحكم . وولى القضاء بعده محمد  
ابن أبي الليث الخوارزمي . ولعل المصريين لم يقوموا بمعارضة شديدة ضد الخنة  
طالما لم يؤخذوا فيها بالشدّة ، فيذكر الكندي<sup>(٣)</sup> أن أمر الخنة كان سهلاً  
في خلافة المعتصم ، « فلم يكن الناس يؤخذون بها شاءوا أو أبوا حتى مات  
المعتصم وقام الواثق سنة سبع وعشرين ومائتين فأمر أن يؤخذ الناس بها  
وورد كتابه على محمد بن أبي الليث بذلك وكأنها نار أضرمت » . فالخليفة  
الواثق (٢٢٧ - ٢٣٣هـ) كان يقول بخلق القرآن عن عقيدة كما قال به  
الأمون ، لذا منحه يرسل إلى قاضي مصر محمد بن أبي الليث يأمره بامتحان

(١) الكندي ص ١٩٣ ، ٤٤٥ - ٤٤٧ ، أبو الحسن : النجوم الزاهرة

ج ٢ ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٢) الكندي ص ٤٤٧

(٣) الكندي ص ٤٥١ .

الناس جميعا حتى لم يبق أحد من فقيه أو محدث أو مؤذن أو معلم حتى أخذ بالحنفة ، وعندئذ عارض كثير من المصريين الحنفة وثاروا ضدها . ففلت السجون منهم كما هرب الكثيرون .

وقد أمر ابن أبي الليث أن يكتب على المساجد لا إله إلا الله رب القرآن المخلوق ، كما منع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي من الجلوس في المسجد وأمرهم أن لا يقربوه وقد اختص أصحاب مالك والشافعي بالمنع لأنه لم يكن للمذاهب الأخرى أتباع في مصر حينذاك .

وكان ممن هرب بسبب الحنفة أحد علماء مصر المشهورين في ذلك الوقت وهو ذو النون بن إبراهيم الأحمسي لكنه وقع في يد القاضي ابن أبي الليث فأقر بخلق القرآن<sup>(١)</sup> ، وممن امتنع عن القول بخلق القرآن أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي المصري صاحب الإمام الشافعي رضى الله عنه<sup>(٢)</sup> ، فقد حمل إلى بغداد وظل ممتنعا عن القول بخلق القرآن ولم يزل محبوسا هناك إلى أن توفي سنة ٢٣١ هـ .

وعلى وجه الإجمال نلاحظ أن أمر الحنفة في مصر كان سهلا خفيف الوطأة على المصريين فلم يقاسوا بسببها إلا بضع سنوات في عهد الخليفة الواثق ففلت السجون منهم ، كما تحمل البعض الآخر مشقة الرحيل عن وطنهم . ولكننا لا نسمع عن كثير من حوادث قتل أو تعذيب كما كانت الحال في العراق . فلما ولي الخليفة المتوكل العباسي وجد أن المسألة طال أمدها فأبطل هذه الحنفة من مصر ومن جميع أنحاء الدولة الإسلامية . ففي شهر جمادى الآخر سنة ٢٣٤ هـ ورد كتاب المتوكل على هريثة بن النصر الجبلي

(١) الكندي ص ٤٥٣ .

(٢) أبو الحسن ج ٢ ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

نائب مصر إذ ذاك من قبل صاحب إقطاعها إيتاخ (٢٣٣ - ٢٣٤ هـ) يأمره بترك الجدل في القرآن وبإبطال المحنة<sup>(١)</sup>، وفرح الناس بهذا فرحا عظيما وعظموا التوكل ومدحه الشعراء، وبلغ من الثناء عليه وتمظيمه أن قال قائلهم: الخلفاء ثلاثة. أبو بكر الصديق رضى الله عنه يوم الردة، وعمر ابن عبد العزيز في رد مظالم بنى أمية، والتوكل في إحياء السنة<sup>(٢)</sup>. وربما دعاهم إلى هذا ما لاقوه من اضطهاد وتمذيب وضيق زمن المحنة حتى أولوا الخليفة التوكل احتراما كبيرا لإبطال تلك المحنة التي كانت سببا في تفريق كلمة المسلمين.

---

(١) الكندي ص ١٩٧، الهريري: الخطط ج ١ ص ٣١٢، أبو المحاسن ج ٢ ص ٢٦٥.

(٢) أبو المحاسن ج ٢ ص ٢٧٥، السيوطي: تاريخ الخلفاء. ص ٢٣٠.

## الباب الثالث

### انتشار الإسلام وتعريب مصر

#### العرب والقبط

كان للفتوحات العربية أثر ملحوظ في سرعة انتشار الدين الإسلامي في كافة الأقاليم التي فتحها العرب خارج شبه الجزيرة العربية . فدخل الدين الإسلامي في هذه البلاد بدخول العرب فيها وما لبث أن تقلب على الأديان التي وجدت قبله وأصبح المسلمون أغلبية فيها . ومع ذلك كله فالثابت أن الدولة العربية التي قامت على أساس الدعوة الدينية والتي كان شعارها حماية ذلك الدين والقيام لنصرته لم تضطهد أبداً من أهل الذمة أو ترغمه على ترك دينه . ذلك أن القرآن لا يرضى الإكراه للدخول في الدين الإسلامي . وفي هذا يقول تعالى : ( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي (١) ) . ويقول سبحانه مخاطباً الرسول : ( ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تسكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (٢) ) . وإلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة التي تفيد هذا المعنى . وقد رأينا العرب في مصر وفي غيرها من البلاد التي فتحوها يخبرون أهالي البلاد المفتوحة بين ثلاثة أمور : الإسلام أو الجزية أو الحرب . ولم يشترط العرب في تقدير الجزية ، بل راعوا في تقديرها ثروة الفرد ، فالغني لا يجبي منه مثل الفقير أو متوسط

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦

(٢) سورة يونس آية ٩٩



الحال . ويقول الكونت دى كاستري<sup>(١)</sup> « إن الإسلام لم يكن له دعاة مخصوصون يقومون بالدعوة إليه وتعليم مبادئه كما في الديانة المسيحية ولو أنه كان للإسلام أناس قوامون لسهل علينا معرفة السبب في انتشاره السريع فإنا شاهدنا الملك شارلمان يستصحب معه على الدوام في حروبه ركبا من القسس والرهبان ليباشروا فتح الضمائر والقلوب بمد أن يكون هو قد بأشر فصح الدائن والأقاليم بجميوشه التي كان يصل بها الأمم جريا يحمل الولدان شيئا ولكننا لا نعم للإسلام محمدا دينيا ولا رسلا وأخبارا وراء الجميوش ولا رهينة بمد الفتح فلم يكره أحد عليه بالسيف ولا باللسان » .

تلك كانت سياسة العرب الدينية العامة في مصر وفي غيرها من الدول التي فتحوها ، لكن الذي نعتى به هنا هو ما كان من أمرهم في مصر . فقد دخل الإسلام فيها لأول مرة بدخول العرب فأميين . ويلاحظ هنا النقيوسى<sup>(٢)</sup> أنه منذ دخول العرب مصر وقبل أن يتم فتحها نهائيا أسلم كثير من المصريين وحاربوا المسيحيين بمد إسلامهم ومن هؤلاء يوحنا أحد رهبان ديرسينا .

وقد أخذ الدين الإسلامى ينتشر تدريجيا في مصر كلما تقدم العهد بالعرب فيها . على أنه وجدت فترات معينة كان التحول فيها إلى الدين الإسلامى بكثرة وما ذلك إلا تحت تأثير ظروف وعوامل مختلفة ناشئة عن سياسة الخلفاء وولاتهم الذين يمثلون تلك السياسة . وقبل أن نبدأ في تفصيل ذلك الموضوع يجدر بنا أن نبين أولا كيف كان موقف القبط من الفتح العربى .

(١) الإسلام خواطر وسواغ ص ٣٩ — ٤٠

(٢) تاريخ ص ٥٨٥

كان معظم المصريين في ذلك الوقت من الأقباط الذين تسميهم بعض المراجع « اليمامة » والذين غلب عليهم بعد ذلك اسم الأقباط الأورثوذكس وفيما عدا ذلك كانت مصر تحوى طوائف وأفرادا ينتمون إلى عدة شعوب وأقوام كان أهمها قبيل الفتح العربي طائفة الروم المسكانين أى الذين يدينون بالمذهب الميكاني — وكانوا في عداوة مع الأقباط — وطائفة اليهود . وكان هناك أيضا أفراد من الأقباط يدينون بالمذهب الميكاني أو الخلقدونى<sup>(١)</sup> . ولكن هذه كانت أحوالا شاذة . ونحن إذا تحدثنا عن المصريين في ذلك العصر إنما نتحدث عن الأقباط الأورثوذكس .

كان العرب في فتحهم لمصر يحاربون البيزنطيين لا المصريين . وكان المصريون إذ ذاك قد أنهكتهم الأعباء المالية والاضطهادات الدينية حتى أن للورخين المصريين المسيحيين في المصور الوسطى يشعروننا بأن انتصار المسلمين هو غضب من الله على الروم . كذلك يجعل لنا من ثنايا كتاباتهم مدى العداوة بينهم وبين الروم . فيقول حنا النقيوسى<sup>(٢)</sup> أن جميع الناس يذكرون أن سبب انتصار المسلمين على الروم هو استبداد هرقل والاضطهادات التي أنزلها بالأورثوذكس والتي كان قبرس الآلة المحركة لها . كذلك يذكر ساويرس<sup>(٣)</sup> أن الله كان يخذل جيوش الروم أمام المسلمين بسبب عقيدتهم الخلقدونية الفاسدة .

لهذا لا نجد إذ رحب المصريون بالعرب واعتبروهم منقذين لهم من حكم البيزنطيين الجائر . على أننا لا نجد في المراجع القديمة ما يشير إليه بعض

(١) ساويرس ص ٢٢٦ — ٢٢٧ (t. 1.)

(٢) تاريخ ص ٨٤ .

(٣) ص ٢٢٨ — ٢٢٩ (t. 1.)

المحدثين - مثل ميزبشر Butcher من أن الأقباط استنجدوا بممر بن الخطاب لينقذهم من ظلم الروم<sup>(١)</sup> أما فيما يختص بترحيب المصريين بالعرب ففي المصادر القديمة إشارات كثيرة تفيد هذا المعنى . بل لقد كتب حنا النقيوسى<sup>(٢)</sup> أن المصريين الذين تركوا الدين المسيحي وأسلموا صحبوا جيوش العرب أثناء الفتح .

ونحن لا نعرف إذا كان هؤلاء قد انضموا إلى العرب بسبب كراهتهم للبيزنطيين أو بدافع الحماسة لنصرة الدين الجديد أو للسببين معا .

ويذكر ابن عبد الحكم<sup>(٣)</sup> ومن نقل عنه من المؤرخين مثل المقرئى<sup>(٤)</sup> وأبو المحاسن<sup>(٥)</sup> والسيوطى<sup>(٦)</sup> أنه كان « بالإسكندرية أسقف للقبط يقال له أبو ميامين<sup>(٧)</sup> فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر كتب إلى القبط يعلمهم أنه لا تكون للروم دولة وأن ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلق عمرو فيقال إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ أعوانا لعمرو .

ثم يعود ابن عبد الحكم<sup>(٨)</sup> صفة ثانية فيذكر أنه عندما فرغ عمرو ابن العاص من فتح حصن بابليون وعقد الصلح مع القوقس خرج إلى الإسكندرية مع المسلمين حين أمكنهم الخروج ، « وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم الطرق وأقاموا لهم الجسور والأسواق

(١) انظر تاريخ الأمة القبطية وكنيتها للسيدة بوتشر ج ٢ ص ١٠٤

(٢) تاريخ ص ٦٥٠

(٣) فتوح مصر - طبعة المعهد الفرنسى ص ٥٣ - ٥٤

(٤) خطط ج ١ ص ٢٨٩

(٥) التيجوم الزاهرة ج ١ ص ٧

(٦) حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٦

(٧) يقصد بالأسقف أبو ميامين هنا البطرك بنيامين الذى كان معاصرا للفتح

(٨) فتوح مصر - طبعة المعهد العلمى الفرنسى ص ٦٦

وصارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم»  
فهذه الروايات تدل على أن القبط ساعدوا العرب منذ دخولهم الأراض  
المصرية حتى أعما فتح مصر . وإن كنا لا نستطيع أن نأخذ بكل ما  
فيها إذ أن بطرك القبط بنيامين كان في ذلك الوقت مختفيا في الصعيد وليد  
في الإسكندرية . وجدير بالذكر أن وجود مصريين كثيرين في جند  
البيزنطيين المدافع عن مصر كان من أسباب فشله في حمايتها من العرب لأنه  
لم يخلصوا في الدفاع عنها

على أننا لا نستبعد أن يكون هناك فريق من المصريين قد وقف موقه  
الحياة لأنهم يعرفون أن ترحيبهم بالعرب معناه انتقامهم من تبعية إلى تبعه  
أخرى فإنهم لم يكونوا في موقف يستطيعون معه طرد البيزنطيين والعرب  
في وقت واحد . وقد حارب فريق من الشعب المصري ممن كانت صنيا  
للبيزنطيين في صفهم أو ربما حارب معهم منتظرا أن يكون النصر للبيزنطيين  
لا للعرب .

فيذكر المقرئ (١) « أنه كان على تينيس رجل يقال له أبو ثور من  
العرب المنتصرة فلما فتحت دمياط سار إليها المسلمون فبرز إليهم نحو عشرين  
ألنا من العرب المنتصرة والقبط والروم فكانت بينهم حروب آلت إلى وقوع  
أبي ثور في أيدي المسلمين وانهزام أصحابه » ولكن الروح السائدة من جانب  
المصريين بوجه عام كانت روح الترحيب بالعرب كما تبين من النصوص السابقة  
ذلك هو موقف الأقباط بالنسبة للفتح العربي ولنبحث الآن كيف كانت  
معاملة العرب لهم .

لم يكتف العرب بانتصارهم على البيزنطيين في مصر وإخراجهم منه

فزارهم يتجيبون إلى الأقباط وهم أهل البلاد كي يضمّنوا ولاهم وإخلاصهم  
إذ لم يكن العرب غزاة أتوا للسلب والنهب وإنما كانوا فاتحين يستعمرون  
البلاد استعماراً منظماً ويعرفون كيف يوطدون مراكزهم في البلاد التي  
فتحوها فلم يترك العرب أثراً للمسلمين في فتوحاتهم إلا ما كان لا بد منه في  
كل حرب وقتال (١).

ويذكر الرواة أن الرسول عليه الصلاة والسلام أوصى بقبط مصر في  
عدة أحاديث نذكر منها قوله « إن الله عز وجل سيفتح عليكم بمصر مصر  
فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لهم منكم صهراً وذمة » إذ كانت هاجر زوج  
إبراهيم الخليل عليه السلام وأم ولده اسماعيل منهم كما كانت مارية القبطية  
زوج الرسول عليه الصلاة والسلام منهم أيضاً (٢). ولنا نعرض هنا لصحة  
هذا الحديث ، فإنه يشهد ، على كل حال ، بموقف المسلمين من القبط في فجر  
الإسلام وحين جمعت الأحاديث .

فيبعد أن تم استيلاء عمرو بن العاص على الإسكندرية ودخول الجيش  
العربي فيها نقل سانوتيوس (٣) إلى عمرو بن العاص قصة بطرك القبط بنيامين  
الذي اختفى هرباً من اضطهاد الروم ولما كان الموضع الذي اختفى فيه الأب  
بنيامين غير معروف بالضبط فقد كتب عمرو إلى جميع أقاليم مصر كتاباً  
يقول فيه « الموضع الذي فيه بنيامين بطرك النصارى القبط له المهدي والأمان

(١) دى كاسترى : الإسلام ص ٣٥ .

(٢) المقريزي ج ١ ص ٢٤ - ٢٥ ، أبو المحاسن ج ١ ص ٣٣ .

(٣) يقول ساويرس عن سانوتيوس « سانوتيوس التمس المؤمن » والتكس  
يعني بها الدوق duke . وسانوتيوس هذا كان عميد الأقباط يوم دخول العرب فتول  
إدارة شؤون الكنيسة مدة اخفاء بطرك بنيامين . وأحسن إدارتها وجمع كلمة الأمة  
بعد أن كانت الحوادث قد جعلتها أشتاتاً

والسلامة من الله فليحضر آمنًا مطمئنًا ويدبر حالة بيئته وسياسة طائفته<sup>(١)</sup> وعند ما علم الأب بنيامين بذلك عاد إلى الإسكندرية مسرورًا بعد غيبة دامت ثلاثة عشر عامًا أمضى منها عشر سنين أثناء حكم هرقل وثلاث سنوات أثناء الفتح العربي إلى أن فتح المسلمون الإسكندرية .

وقد طرب أهل مصر جميعًا لمودة راعيهم . ولما أبلغ سانوتيوس عمرو ابن العاص مقدم بنيامين أمر عمرو بإحضاره إليه معززا مكرما فلما مثل بين يدي عمرو أكرمه وبالغ في حفاوته وأعطاه الحرية ليشرف على الكنائس ويرعى أحوال الأقباط<sup>(٢)</sup> .

وكان من نتائج عودة بنيامين إلى كرسى البطركية أن رجع كثير إلى المذهب الأرثوذكسى بعد أن كانوا يندوه نتيجة لاضطهاد هرقل . كما عاد الذين كانوا قد اختفوا خوفا من هذه الاضطهادات<sup>(٣)</sup> وبمد أن تم لبنيامين جمع قومه من القبط ولم تشتمهم أبجحه إلى بناء ما كان هرقل قد هدمه من الكنائس والأديرة .

ولا عجب إذ عم السرور والفرح أهل مصر جميعًا . ولا يستبعد أن يكون القبط قد وقفوا من وراء راعيهم يشدون أزر العرب ضد الروم حينما أغاروا على الإسكندرية سنة ٢٥ هـ . وقد ذكرنا سابقا أن أهل مصر الحوّا على عثمان بن عفان في سنة ٢٥ هـ أن يرسل عمرو بن العاص إليهم لطرد الروم لأنه أعلم الناس بحربهم ومدافعهم .

وكتب القريزى<sup>(٤)</sup> أنه كان بوادى هيب ( الذى يقع بين صربوط

(١) ساورس من ٢٣١ — ٢٣٢ (١. ١).

(٢) ساورس من ٢٣٢ .

(٣) ساورس من ٢٣٣ .

(٤) الخط ج ١ ص ١٨٦ .

والغيريم ويمرّف أيضاً باسم وادى النطرون وهو الاسم الحالى له ( مائة دير للنصارى وأنه خرج منه سبعمون ألف راهب<sup>(١)</sup> فلقوا عمرو بن العاص بالطرانة بالقرب من الإسكندرية وسألوه الأمان لأنفسهم وأديارهم فيكتب لهم بذلك أمانا ببقى عندهم .

لم يجد الأقباط إذاً فى العرب عدواً لدينهم ولا لمذهبهم الدينى كما كان البيزنطيون ، بل كفل لهم العرب الحرية التامة فى إقامة شعائر دينهم واتباع مذهبهم الأرثوذكسى . وكما أن روح الإسلام الحقّة هى التى حفزت العرب إلى اتباع سياسة التسامح الدينى نحو المصريين فقد كان أيضاً للموامل السياسية أكبر الأثر فى حملهم على ترك مقاليد الأمور فى يد أهل مصر من الأقباط محتفظين لأنفسهم بالسيادة العليا وتنفيذ أحكام الدين . أى أن الأقباط أصبحوا يتمتعون بحرية تامة فى الدين كما أصبح لهم نصيب كبير فى إدارة بلادهم ربما لم يصلوا إليه قبل الفتح العربى . ولا شك أن القبط حلوا محل الروم الذين غادروا مصر والذين كانوا يشغلون كثيراً من الأعمال فيها . وقد رأينا فى الباب الأول كيف كانت نظم الحكم التى اتبعها العرب فى مصر ولما أى حد كان الأقباط يتمتعون بإدارة بلادهم .

ونضيف إلى ما ذكرنا سابقاً أنه كان فى الحكومة المركزية بالفسطاط

---

(١) طبعى أن هذا العدد مبالغ فيه فإن معناه أن كل دير كان يسع حوالى ٧٠٠ راهب وهذا العدد الكبير يصعب تموينه فى الصحراء . والآن فى العصر الحديث التى زادت فيه سرعة وسائل المواصلات وتعددت لا يزيد عدد رهبان الدير على ٣٠ أو ٤٠ راهباً كما يجد الرهبان مشقة فى تموين أنفسهم . ولاشك أن الرهبان قديماً كانوا أكثر من الرهبان الحالىين وربما كانت كثرة عدد رهبان الأديرة حينذاك ترجع إلى فرارهم من الانضباطات البيزنطية كما أن المسيحية فى ذلك الوقت كانت هى السائدة فى مصر . والرجحة كما نعلم من أصول المسيحية الأولى

أو حلوان كاتبان قبطيان لإدارة مصر العليا ومصر السفلى وقد أشار ساويرس<sup>(١)</sup> أستف الأشمونيين إلى الكاتين الأرتودكسيين اثناسيوس واسحق في عهد عبد العزيز بن مروان .

وكان هؤلاء الكتاب أو الرؤساء السيجيون خاضمين للوالى بطبيعة الحال والظاهر أن رؤساء المالية كانوا قبطا طوال العصر الأموى وقد أشار ساويرس<sup>(٢)</sup> إلى ظهور رئيسين من المسلمين في بداية العصر العباسى .

ونلاحظ أيضاً أنه في نهاية ولاية عبد العزيز بن مروان كان والى الصعيد قبطياً اسمه بطرس على أنه اعتنق الإسلام بعد ذلك<sup>(٣)</sup> . وكان حاكم ميروط قبطياً اسمه تاوفانس<sup>(٤)</sup> . كذلك ولى المأمون حين قدم مصر على مدينة بورة وما حولها قبطياً من أهلها فبنى ذلك القبطى كنائس كثيرة بها<sup>(٥)</sup> .

ونلاحظ أن الفتح العربى ساعد أولاً على إحياء اللغة القبطية على حساب اللغة اليونانية التى كانت اللغة الرسمية منذ عهد البطالسة . فالدروس الدينية التى كانت تقرأ باليونانية وتشرح باللغة القبطية ، سارت لا تقرأ إلا باللغة القبطية . كذلك نجد أن البلاد والأقاليم التى كانت تغلب عليها الأسماء اليونانية ، أصبحت تعرف بأسمائها القبطية التى ترجع إلى الأسماء المصرية القديمة . فمثلاً نجد اسم أخميم بدلاً من يانوبوليس Panopolis

(١) سير الآباء البطارقة ص ١٢ . Patr. Orient. t.v.

(٢) سير الآباء البطارقة ص ١٨٨

(٣) ساويرس ص ٥٢

(٤) ساويرس ص ٥٢

(٥) سعيد بن بطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ج ٢

ص ٥٨ — ٥٩ ، آدم منز : الحضارة الإسلامية ج ١ ص ٨٧



وأهناسيا بدلا من هيراكليوبوليس Héracléopolis والأشمونين بدلا من هرموبوليس . على أن هذا كله كان بمثابة تقديم لم يندثر تماما فإن اللغة القبطية أو الأسماء المصرية كانت قد غلبت على أمرها حينما من الهرم استمدت مكانتها بعد الفتح العربي . والمعروف أن الأسماء العربية لكثير من بلدان القطر المصري الآن مأخوذة من الأسماء المصرية القديمة<sup>(١)</sup> كما أننا نستعمل في الوقت الحالى كثيراً من الألفاظ العامية التى ترجع إلى اللغة المصرية القديمة وإلى اللغة القبطية التى اشتقت منها<sup>(٢)</sup> .

وقد كان لوالى مصر حق الإشراف على انتخاب البطاركة بوصفه رئيس الحكومة ويمثل الخليفة فى مصر . ويظهر من النصوص أن الأساقفة كانوا يستشيرون الوالى قبل انتخاب البطررك كما أن البطررك والأساقفة كانوا يذهبون من الإسكندرية مقر البطاركة إلى العاصمة لمقابلة والى مصر بعد الانتخاب للبطرركية<sup>(٣)</sup> ويظهر أن هذه كانت مجرد مسائل شكلية إذ لم يعرف عن الولاية أنهم عارضوا فى انتخاب أحد البطاركة ما دام الأساقفة يقيمون القوانين الكنسية . ونعرف أن عبد العزيز بن مروان أبطل انتخاب أحد البطاركة بعد ما علم أن البطررك المتوفى كان قد أوصى بشخص غير الذى انتخب وتم للوالى ما أراد فمينا إسحق بطرركا بدلا من جرجة الذى كان قد انتخب<sup>(٤)</sup> .

وقد بنيت عدة كنائس فى ظل الحكم العربى ووجدت كنائس أخرى

(١) سليم حسن بك : أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى ص ١٥٤

٢١٩ -

Dr. George Sobhy : The Survival .... pp. 65-69

(٢)

(٣) ساويرس ص ٢٢ - ٢٣ ( t. V. ) ص ٤٨١ - ٤٨٢ T. X.

(٤) ساويرس ص ٢٣ - ٢٤ ( t. V. )

ففي أيام البطرك أغاثون (٦٦١ - ٦٧٧ م = ٤١ - ٥٨ هـ) عمرت  
كنيسة أبي مقار<sup>(١)</sup>. ويذكر ابن المميد<sup>(٢)</sup> والقريزي<sup>(٣)</sup> أن البطرك أغاثون  
بنى كنيسة القديس مرقس بالاسكندرية في ولاية عمرو بن العاص الثانية  
وقد ظلت هذه الكنيسة قائمة إلى أن هدمها السلطان العادل أخو صلاح الدين  
الأيوبي في القرن السابع الهجري.

كذلك بنيت أول كنيسة في فسطاط مصر أثناء ولاية مسلمة بن مخلد  
عليها<sup>(٤)</sup>. ويذكر سميد بن بطريق<sup>(٥)</sup> أنه في ولاية عبد العزيز بن مروان بنيت  
كنيسة مار جرجس وكنيسة « أبو قير » في داخل قصر الشمع. وقد  
جدد البطرك إسحق كنيسة القديس مرقس وبنى كنيسة بجلوان<sup>(٦)</sup> كذلك  
بنيت كنائس أخرى في حلوان وذلك في ولاية عبد العزيز بن مروان وقد  
عهد الوالي بمهارتها إلى أغريغوريوس أسقف القيس<sup>(٧)</sup>.

ويذكر الكندي<sup>(٨)</sup> أن الوليد بن رفاعه (١٠٩ - ١١٧ هـ) أذن  
لنصارى ببناء كنيسة بالجرهاء تعرف بأبي مينا.  
ويخبرنا أبو صالح الأرمني<sup>(٩)</sup> عن بناء كنائس عدة في مصر في خلافة

(١) ساويرس ص ٦ T. V.

(٢) تاريخ المسلمين ص ٥٠

(٣) خطط ج ٢ ص ٤٩٢

(٤) ابن عبد الحكم - طبعة تورى ص ١٣٢ ، السيوطي : حسن المحاضرة

ج ٢ ص ٥

(٦) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ج ٢ ص ٤١

(٧) ساويرس ص ٢٤ T. V.

(٨) ساويرس ص ٤٢ T. V. وفي معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٢١٥ :

القيس كانت بمصر وقد خربت الآن وكانت في غرب النيل بعد الجزيرة

(٩) الولاية والقضاة ص ٧٧

هشام بن عبد الملك بوجه خاص وفي الخلافة الأموية بوجه عام كما يذكر لنا  
كنيسة جددت في عهد الخليفة المأمون ، قام بتجديد عمارتها خدام الخليفة  
نفسه وهي المعروفة بكنيسة الروم بالقرب من قبة الهواء<sup>(١)</sup>

وقد أذن موسى بن غيسى في ولايته الأولى على مصر ( ١٧١ -  
٨١٧٢ ) للنصارى ببناء الكنائس التي هدمها الوالى الذى سبقه . وفي ذلك  
يقول الكندى<sup>(٢)</sup> « فبنيت كلها بمشورة أليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة  
وقالا : هو من عمارة البلاد ، واحتجا أن عامة الكنائس التي بمصر لم تبني  
إلا في الإسلام في زمن الصحابة والتابعين » وهذا لا يكشف سياسة الوالى إزاء  
السيحيين فقط بل يبين لنا أن هذين الحجتين في الفقه الإسلامى كانا يقولان  
ببناء الكنائس وتمييرها ويمدان هذا من مظاهر التمييز في البلاد .

وجدد أنبا ميخائيل البطررك ( ٧٤٤ - ٨٦٨ م = ١٢٧ - ٨١٥١ )  
كنيسة الإسكندرية وأصلحها وبنى غيرها في شرق البلد وغربها<sup>(٣)</sup> .

هذه أمثلة ترينا مدى الحرية الدينية التي تمتع بها الأقباط في ظل الحكم  
العربى . ويجدر بنا أن نشير أيضا إلى أن الأقباط ظلوا يحتفلون بأعيادهم الدينية  
التي يمددها لنا القريزى<sup>(٤)</sup> في خططه . ولم نعرف أن العرب فعلوا شيئا يحد  
من حرية الأقباط في احتفالاتهم الدينية بتلك الأعياد ، وإن كان ولاية مصر  
في ذلك العهد لم يشتركوها في الاحتفالات الرسمية بهذه الأعياد كما كان يحدث

(١) قبة الهواء هذه هي التي بناها والى مصر حاتم بن هرثمة ( ١٩٤ - ٨١٩٥ )  
فوق سفح القطم ليقم فيها وموضعها الآن القلعة الحالية شمريا . أبو الهامس ج ٢ ص ١٤٤  
و Wiet : Hist. de la Nation Egypt. t. IV, p. 65

(٢) الولاة والقضاة ص ١٣٢

(٣) ساويرس ص ١٤٩

(٤) الخطط ج ١ ص ٢٦٤ - ٢٦٩

مثلا في عهد الأخشيديين والخلفاء الفاطميين<sup>(١)</sup> ولعل السبب في ذلك هو أن مصر كانت جزءاً من الخلافة فلم يحرص الولاة على أن يتقربوا للشعب بعكس الأخشيديين الذين كانوا يتقربون إلى الشعب ليماونهم في استقلالهم عن بغداد كذلك كان الفاطميون يتوددون إلى الشعب كي يتقووا به ضد خلافة بغداد . أما المصريون المسلمون فلم يجدوا غنصاضة في ذلك لأن الكثير منهم كان من أصل قبلي . وربما اكتفى ولاة مصر في ذلك العهد بمشاركة الأقباط في الاحتفال بوفاء النيل كل عام ، ذلك الاحتفال الذي ظل منذ عهد الفراعنة إلى الآن لأن النيل مصدر ثروة مصر ورخائها . وطبعا كانت هذه الاحتفالات تختلف من حيث البهجة والمظلمة باختلاف الأزمنة ومن أقدم ما نعرفه عن هذه الاحتفالات في العهد الإسلامي ما كتبه ابن رسته في كتابه الذي ألفه سنة ٢٩٠ هـ<sup>(٢)</sup> .

ويذكر ابن عبد الحكم<sup>(٣)</sup> ومن نقل عنه من المؤرخين<sup>(٤)</sup> أنه لما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها إليه في شهر بؤونه فقالوا له . « أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها فقال لهم : وما ذلك . قالوا : إنه إذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبيها فأرضينا أبيها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل . فقال لهم عمرو إن هذا لا يكون في الإسلام وأن الإسلام يهدم ما قبله .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ١ طبعة مصر ص ٢١٢ - ٢١٣ ، خطط  
المريزي ج ١ ص ٢٦٤ - ٢٦٩ p. 148 Wiet: Précis t. 11  
(٢) الاعلاق النفيسة ص ١١٦  
(٣) فتوح مصر طبعة توري ص ١٥٠ - ١٥١  
(٤) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٦٥ ، القلقشندي : صبح الأعمى ج  
٣ ص ٢٩٥ وخطط المريزي ج ١ ص ٥٨ وأبو المحاسن ج ١ ص ٣٥ - ٣٦

فأقاموا بؤونه وأيبب ومسرى لا يجرى قليلا ولا كثيراً حتى هموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر : قد أصبت . فإن الإسلام يهدم ما كان قبله وقد بنت إليك ببطاقة فالتقىها في داخل النيل إذا أتاك كتابي فلما قدم الكتاب على عمرو فتخ البطاقة فإذا فيها « من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك » فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب<sup>(١)</sup> بيوم وقد تهبأ أهل مصر للجلاء والخروج لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً في ليلة وقطع تلك السنة السوء عن أهل مصر .

هذه الرواية انفرد بذكرها ابن عبد الحكم ثم نقل عنه المؤرخون . على أنه لا يعقل أن تبقى المسيحية على مثل هذه العادة إن كانت قد وجدت في عهد الفراعنة وقد ثبت أيضاً أن الفراعنة لم يتبعوا هذه العادة وهي إلقاء فتاة مزينة على قيد الحياة في النيل . ومسألة « عروس النيل » معروفة منذ القدم ؛ ولكن المؤرخين الإسلاميين اعتبروها حقيقة لا مجازاً . والحق أن المصريين في العصر القديم كانوا يزوجون تماثيل النيل بتماثيل عروسه<sup>(٢)</sup> فالمسألة كانت مسألة رمزية لاحقيقية . إذ كان الشعب المصري في كل المصور يرى من الواجب عليه أن يقدم هدية ثمينة إلى نهر النيل الذي يجلب لبلاد الخيرات الواسعة .

(١) عيد الصليب كان يحتفل به الأقباط في يوم ١٧ توت (خطط المغربي ص ١٦٦) ويذكر الأستاذ فييت أن المسيحيين جعلوا للاحتفال بالنيل معنى دينياً فكانت الكنيسة تحتفل في يوم ١٧ توت الذي كان يوافق ١٤ سبتمبر قبل الإصلاح الجمهوري في القوم بذكرى إعلاء الصليب القدس 177-178 pp. Hist. de la Nation Egypt. t. IV.

(٢) Wiet: Précis t. 11. p. 144

ونعرف أن الأقباط في مصر كانوا يحتفلون بعيد الشهيد في اليوم الثامن من بشنس ويزعمون أن النيل لا يزيد في كل سنة حتى يلقوا فيه تابوتا من خشب فيه أصبع من أسابع أسلافهم الموتى ، ولكن هذا العيد أبطل في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٢ - ٧٣٨ هـ) ثم التي نهائيا في سنة ٧٥٥ هـ<sup>(١)</sup> .

وفي عهد الولاة الذي نتحدث عنه كان المسلمون يشتركون مع الأقباط في الصلاة من أجل النيل إذا ما أتى النيل ناقصا في موعد فيضانه بحيث تصبح مصر في خطر من قلة المياه ، فكان المسلمون يصلون صلاة الاستسقاء - كذلك كان الأقباط يصلون من أجله ففي ولاية حفص بن الوليد الثانية لي مصر من قبل هشام بن عبد الملك حدث قحط بمصر فاستسقى حفص بالناس ودعا الله سبحانه وتعالى وصل<sup>(٢)</sup> . ويذكر ساويرس<sup>(٣)</sup> أن المسلمين والأقباط صلوا من أجل النيل عندما نقصت مياهه في ولاية أبي عون على مصر (١٣٢ - ١٣٦ هـ) .

وقد انتصر المسلمون لليعاقبة القبط على الكنيسة المملوكية فاسترد اليعاقبة أو أخذوا عددا من الكنائس والأديرة التي كانت في يد أعدائهم المملوكيين . كما انتهزوا فرصة حسن علاقتهم بالمسلمين لكي يجذبوا إلى مذهبهم كثيرا من المملوكيين<sup>(٤)</sup> بل حدث في عهد قررة بن شريك أن فرض على المملوكيين جزية مضاعفة<sup>(٥)</sup> .

(١) خطط الفريزي ج ١ ص ٦٨ - ٧٠

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٩١

(٣) سير الآباء البطركة ص ١٩٤ - ١٩٦ (٤٧٠)

(٤) انظر سعيد بن بطريق : التاريخ ج ٢ ص ٤٥ - ٤٦ وابن السعيد :

تاريخ المسلمين ص ٨٣ - ٨٤ .

(٥) Becker: Historische Studien pp. 864-865, Wiet: Art. Kibt p.399 (٥)

أى أنه أصبح مضيقا على الملكانيين كما ضيقوا هم على الأقباط قبل الفتح .  
ولم يتمتع الملكانيون ببعض الحرية إلا في فترات معينة . ففي خلافة يزيد  
ابن معاوية استطاع تاوذوروس أحد أتباع المذهب الملكاني في مصر —  
بعد أن قدم أموالا طائلة للخليفة — أن يتسلط على الإسكندرية ومربوط  
وكل ما يليها كما سيطر على البطرك أغاثون وألزمه بدفع جزية سنوية مقدارها  
سنة وثلاثون دينارا سنويا كما ألزم البطركية اليمقوية بالإفناق على الأسطول<sup>(١)</sup>  
كذلك نجد الخليفة هشام بن عبد الملك — على أثر الاتفاق الذي حدث  
بينه وبين الأمباطورية البيزنطية<sup>(٢)</sup> — يرسل إلى عبید الله بن الحبحاب يأمره  
بأن يسلم للملكانيين كنائسهم التي كانت في يد اليماقبة كما نصب بطركا لهم  
بعد أن كانوا قد أقاموا بغير بطرك منذ الفتح<sup>(٣)</sup> كذلك عندما منح بليطيان  
— البطرك الملكاني في مصر — في تطيب جارية للرشيد وهب له الخليفة  
مالا كثيرا وكتب له منشورا ليسترده كنائس الملكانيين التي تغلب عليها  
اليماقبة فاسترد بليطيان من اليماقبة كنائس كثيرة<sup>(٤)</sup> .

ولم ينكر أحد زمن الفتوحات الإسلامية التسامح الديني الذي جرى  
عليه العرب في معاملتهم لأهل الذمة . وليس أدل على ذلك مما كتبه أحد  
الأساقفة النسطوريين بعد بدء الفتوحات العربية بنحو خمسة عشر عاما إذ  
قال : « إن العرب الذين وهبهم الله السيادة في أيامنا قد أصبحوا سادة لنا  
ولكنهم لا يحاربون الدين المسيحي قط بل يحافظون على ديننا ويحترمون

(١) ساورس ص ٥ — ٦ (T.V.)

(٢) Wiet : Hist. de la Nation Egyptienne t. IV p. 58

(٣) سعيد بن بطريق : التاريخ ص ٤٥ — ٤٦ ، ابن العسدي : تاريخ المسلمين

ص ٨٣ — ٨٤

(٤) ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ج ١ ص ٨٣

الأساقفة والقديسين ويقدمون هدايا لكنائسنا وأديرتنا<sup>(١)</sup>  
وهكذا نرى أن العرب تركوا القبط أحراراً في دينهم وفي ثقافتهم  
وجعلوا لهم نصيباً وافراً في إدارة بلادهم . على أن الأقباط كانوا عرضة أحياناً  
لبعض المضايقات التي حملت بعضهم على ترك دينهم كي يتخلصوا منها  
ويصبحوا على قدم المساواة مع المسلمين . فالعرب كانوا يشعرون بعد هذه  
الفتوحات العظيمة بتفوق شعبهم على الشعوب الأخرى كما كانوا يعترفون بنبلية  
دينهم على الأديان الأخرى . ولم تكن هذه النزعة قوية في السنوات الأولى  
للفتوحات العربية حينما كانت تغلب عليهم روح البساطة والتواضع ،  
ولكنها سرعان ما وضحت بعد غلبتهم على الشعوب الأخرى ، كما حدث للرومان  
من قبلهم . وليس أدل على هذه الروح الجديدة مما ذكره القرظي<sup>(٢)</sup> عن  
معاوية بن أبي سفيان فقد أرعنه أنه قال : « وجدت أهل مصر ثلاثة أصناف  
فثلث ناس وثلث يشبهه الناس وثلث لا ناس فأما الثلث الذين هم الناس  
فالعرب والثلث الذين يشبهون الناس فالوالي والثلث الذين لا ناس المسألة  
يعنى القبط » .

وقبل أن نسردهم بعض ما كان يحدث للأقباط من مضايقات  
وشدة يجب أن نقول إن هذه المضايقات التي كانت تقع على أقباط مصر  
لم تكن دائمة وإنما حدثت في فترات متقطعة كما أنها لم تكن ذات بال إذا  
قورنت باضطهاد المسيحيين في مصر أيام الإمبراطور الوثني دقلديانوس<sup>(٣)</sup>

(١) Wtet Précis t.11 p. 181 (٢) خطط ج ١ ص ٥٠

(٣) هول سنز بتصرف في كتابها تاريخ الأمة القبطية وكنيستها ج ٢ ص ١٠٤  
« أن الأقباط منذ الفتح العربي ظلوا يذوقون من العرب من العذاب ويسامون أنواع  
الظلم والصف وضطهدون اضطهاداً لا ينكر بجانبه اضطهاد دقلديانوس وثيرون »  
ولكنها بالرغم من قولها هذا لم تذكر حادثة واحدة قام بها العرب ضد الأقباط تقارن  
باضطهادات دقلديانوس للمسيحيين . وقد عرض الأستاذ ثيبب هذه المسألة في مقاله عن القبط ،  
في دائرة المعارف الإسلامية ، عرضاً يتناز بالانصاف والدقة العلمية .



(٢٨٤-٣٠٥ م) أو باضطهادهم أيام الأباطور هرقل السيجي . كذلك لم تكن تلك المضايقات أيام العرب لتقارن مثلاً باضطهاد كاثوليك أسبانيا للبروتستنت والمسلمين واليهود ولا تزال ذكرى محاكم التفتيش في اسبانيا باقية ما بقى التاريخ . ولنستعرض الآن بعض هذه المضايقات في العهد العربي ففي ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر زاه بهم اهتماما بالغا بتعرف العلاقات التي كانت بين بطركية مصر وبين الحبشة والنوبة على أثر ما كتبه البطررك إلى ملكي الحبشة والنوبة ليزيل سوء التفاهم الذي كان بينهما . ذلك أن قوما من أهل السمايات وشوا بالبطرك لدى عبد العزيز حتى ساء ظنه به ولشدة غضبه أمر بكسر جميع الصلبان التي في مصر وكتب عدة رقاع أمر بوضعها على أبواب الكنائس وفيها « محمد رسول الله <sup>(١)</sup> » .

وكان الأصبح بن عبد العزيز بن مروان يبلي كثيراً من أمور مصر في ولاية أبيه ولكنه كما يقول ساويرس <sup>(٢)</sup> كان مبنغضاً للنصارى سفاكاللدماء وكان يصحب شماساً اسمه بنيامين كثيراً ما كان يطلمه على أسرار النصارى حتى أنه ترجم له الإنجيل باللغة العربية ، وعدة كتب دينية أخرى وذلك ليعرف المسلمون إذا كان في هذه الكتب ما يعمس الدين الإسلامي بسوء .

أى أن العرب بدأوا ينظرون نظرة شك إلى الأقباط وقد دعاهم إلى هذا عدم معرفتهم للغة القبطية . ويحتمل أن التفكير في جعل اللغة العربية ، اللغة الرسمية في مصر يرجع إلى هذا العهد كي يضطر القبط إلى ترك لغتهم التي لم يفهمها العرب <sup>(٣)</sup> وقد حدث فعلاً أن جملت اللغة العربية لغة الدواوين

(١) ساويرس ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) المرجع نفسه ص ٥٠ - ٥١ .

(٣) Wiet : Hist. de la Nation Egyptienne t. IV. p.43

الرسمية في مصر وذلك في سنة ٨٨٧ (٧٠٦م) في ولاية عبد الله بن عبد الملك  
وفي خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ — ٩٦هـ) إذ أمر عبد الله بتدوين  
اللوامين في مصر باللغة العربية بحد أن كانت تكتب باللغة القبطية<sup>(١)</sup> فجاء  
هنا الصل في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك تنمة لسابدا الخليفة عبد الملك  
ابن مروان في أنحاء الدولة الإسلامية .

ولعل كثيراً من أهل الامة اضطروا إلى التخلي عن مناصبهم للعرب أو إلى  
المصريين الذين تعلموا اللغة العربية . وربما دهاهم ذلك إلى تعلم اللغة العربية كي  
يمودوا ثانية إلى المناصب التي فقدوها . وقد حاول الخليفة عمر بن عبد العزيز  
(٩٩ — ١٠١هـ) لإحلال المسلمين محل المسيحيين حتى في الوظائف  
الضنيرة<sup>(٢)</sup> ويحدثنا ساويرس<sup>(٣)</sup> عن عمر بن عبد العزيز بأنه كان يفعل خيراً  
عظيماً أمام الناس ويفعل السوء أمام الله ، إذ أمر بإعفاء الأساقفة والكنايس  
من الخراج وعمر المدن التي خربت وأبطل الجبايات<sup>(٤)</sup> فماش الأقباط في  
أمن وهدوء ، ولكنه ما لبث أن أرسل كتاباً يأمر فيه الأقباط بالتخلي عن  
أعمالهم في الدولة ما داموا على دينهم أما من يريد منهم الاحتفاظ بمهله  
فليكن على دين محمد . ولهذا سلم الأقباط ما يهدم من الوظائف والأعمال إلى  
المسلمين . ويقول الكندي<sup>(٥)</sup> أنه في خلافة عمر بن عبد العزيز « نزع

(١) الكندي . ص ٥٨ — ٥٩ . والمريزي . خطط ج ١ ص ٩٨ وأبو الحسن  
ج ١ ص ٢١٠

(٢) Becker: Historische Studien p. 365

(٣) سير الآباء البطارقة ص ٧١ — ٧٢ . t.V.

(٤) الجبايات معناها الضرائب المستحقة

(٥) الولاة والقضاة ص ٦٩

موازيت<sup>(١)</sup> القبط عن الكور واستعمل المسلمون عليهم .  
وربما أدى قرار عمر بن عبد العزيز إلهم إسلام كثيرين إذ ذاك كي  
لا يتركوا مناصبهم . مع أن القرار ذاته لا يمكن أن يكون قد استمر كثيراً  
بعد وفاته ؛ لأن الأقباط ظلوا يشغلون كثيراً من مناصب الدولة . وظل بعض  
الموازيت يختارون من القبط . وحسبنا أن إحدى الأوراق البردية المعروفة  
في هيدلبرج وتاريخها سنة ١٧١ هـ فيها اسم مازوت قبطي<sup>(٢)</sup> .  
وقد أمر الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥ هـ) في سنة ١٠٤ هـ  
بكسر الصلبيان في كل مكان وبمحو الصور والتماثيل التي في الكنائس<sup>(٣)</sup> .  
ولذا نرى ساويرس<sup>(٤)</sup> يصفه بأنه سلك طريق الشيطان وحاد عن طرق الله .  
وفد شمل هذا القرار اللا إيقوني (أو حركة كسر الصور) جميع بلاد  
الدولة الإسلامية وكان من نتائج هذه الحركة في مصر أن كبرت التماثيل  
والصلبيان ومحيت الصور ولم تنج في هذه الحركة بعض الآثار الفرعونية من  
الهدم والتخريب<sup>(٥)</sup> .  
ويظهر أن تلك الحركة ساءت المصريين كثيراً لأنها لا تتفق ومذهبهم  
الديني وقد حدث بعد ذلك بنحو مائة عام أن احتج بطرك اليماقبة في مصر

(١) موازيت أى رؤساء القرى هي القراءة الصحيحة لهذه الكلمة وليست

موازيت كما جاء خطأ في طبعة كتاب الكندي

(٢) Papyri Schott Reinhardt Inv. 481

(٣) الكندي ص ٦١ . ساويرس ص ٧٣ ، T.V. ، خطط القرزي  
ص ٢٥٣

(٤) سير الآباء البطارقة . ص ٧٢

(٥) الدكتور زكي محمد حسن : الفنون الايرانية في مصر الاسلامي ص ٨٢ ،  
وأحمد تيمور باشا وزكي محمد حسن : التصوير عند العرب ص ١٣٠ - ١٣١

Wiet : Hist. de la Nation, Egypt. t. IV. pp. 55, 56.

ضد الامبراطور تيوقيل بن ميخائيل (٨٢٩-٨٤٢ م = ٢١٤-٢٢٨ هـ)  
في مشروعه اللاتيني وناظره فيه<sup>(١)</sup>.

ويجدر بنا أن نشير إلى أن الامبراطور البيزنطي ليو الأيسوري أصدر  
قراراً بحظر الصور والتماثيل الدينية مشابها لقرار يزيد بن عبد الملك وبمد  
قراره بنحو أربع سنوات أعني في سنة ٧٢٦ م (١٠٨ هـ). ويحتمل أن  
الدولة البيزنطية كانت متأثرة في ذلك بجارتها الدولة الإسلامية<sup>(٢)</sup>.

وقد أصاب أقباط مصر كثير من الأذى أثناء الفتن التي قامت من أجل  
النزاع حول الخلافة. فعند ما أتى الخليفة مروان بن محمد هاربا إلى مصر،  
عاث جنده في البلاد فساداً فقتلوا جماعة من رجال الدين ونهبوا أموالهم  
وسبوا نساءهم كما أحرقوا ديارات عدة وهدموا كثيراً من الكنائس واعتدوا  
على كثير من الراهبات<sup>(٣)</sup> وفي أيام الفتنة بين الأمين والمأمون اعتدى على  
الأقباط في الإسكندرية وأحرقت مواضع عديدة لهم كما أحرقت ديارات وادي  
النطرون ونهبت فلم يبق بها من رهبانها إلا نفر قليل<sup>(٤)</sup>.

وعند ما بنى الخليفة المتوكل مقياساً للنيل في جزيرة الروضة (سنة  
٢٤٧ هـ) أمر بمزل النصراني عن قياسه، فعين يزيد بن عبد الله التركي (والى  
مصر من قبله) للإشراف على المقياس أبا الرِّدَّاد المُسَلَّم وكان من أهل البصرة  
ثم قدم مصر وحدث بها. وكان يتقاضى سبعة دنانير كل شهر نظير قيامه

(١) خطط القرظي: ج ٢ ص ٤٩٤

(٢) Michel le Syrien, t. 2 p 491 وأحمد تيمور باشا والدكتور زكي محمد

حسن: التصوير عند العرب ص ١٣٠

(٣) ساويرس ص ١٦٣ — ١٦٤، أبو صالح الأرمي ص ٩٧، ١٠٧ —

١٠٨، ابن العميد ص ٩٩، خطط القرظي ج ٢ ص ٤٩٣

(٤) خطط القرظي ج ٢ ص ٤٩٣

بقياس النيل . ولم يزل المقياس في يده حتى توفى سنة ٢٢٦ هـ ثم صار في يد أولاده من بعده حتى عصر الماليك<sup>(١)</sup> .

على أن هنالك أموراً كان يجب على أهل الذمة إتباعها من حيث بناء الكنائس ومن حيث لباسهم وزينهم والدواب التي يركبونها وغير ذلك مما يميز بينهم وبين المسلمين من الناحية الاجتماعية والأدبية . ولنستعرض الآن بعض آراء الفقهاء فيما يختص بذلك ثم نرى ما حدث فعلاً في مصر . فيذكر أبو يوسف<sup>(٢)</sup> أنه ينبغي أن تحتم رقابهم في وقت جباية جزية رؤوسهم حتى يفرغ من عرضهم ثم تكسر الخواتيم كما فعل بهم عثمان بن حنيف إن سألوا كسرهما وأن يتقدم في أن لا يترك أحد منهم يتشبه بالمسلمين في لباسهم ولا في مركبه ولا في هيئته وأن يجعل في أوساطهم الزنارات<sup>(٣)</sup> مثل الخيط الغليظ يعقده في وسطه كل واحد منهم ، وبأن تكون فلانهم مضرية<sup>(٤)</sup> وأن يتخذوا على سروجهم في موضع القرايس<sup>(٥)</sup> مثل الرمانة من خشب ، وبأن يجعلوا شرك<sup>(٦)</sup> نعلهم مثنية ولا يحذوا على حذو المسلمين ، وتمنع نساؤهم من ركوب الرحائل<sup>(٧)</sup> ويمنعوا من أن يحدوا بناء بيعة أو كنيسة في المدينة إلا

- 
- (١) الكندي ص ٢٠٣ والقلقشندي ج ٣ ص ٢٩٩ ، خطط القريري ج ١ ص ٥٨ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣١٠ — ٣١١
- (٢) كتاب الحراج ص ٧٢ — ٧٣
- (٣) الزنار والزنارة والجمع زنابير ما يشد على الوسط ، أو الحزام الخاص بأهل الذمة Dozy: Dictionnaire des noms des Vêtements p. 28
- (٤) مضرية مخيطة بالقطن أي منجدة
- (٥) القربوس حشو السرج ، أي قسمة القوس المرتفع من قدام القعد ومن مؤخره . وهما قربوسان والجمع قرايس
- (٦) الشرك سير النمل على ظهر القدم
- (٧) الرحالة السرج من جلود لا خشب فيه والجمع رحائل

ما كانوا صلحوا عليه وصاروا ذمة وهي بيعة لهم أو كنيسة فإكان كذلك تركت لهم ولم تهدم ، وكذلك بيوت النيران ، ويتركوا يسكنون في أمصار المسلمين وأسواقهم ، يبيعون ويشترون ولا يبيعون خمرأ ولا أخنزيراً ولا يظهرون الصلبان في الأمصار ، ولتكن قلائسهم طوالاً مضربة .

ويذكر الماوردي<sup>(١)</sup> أنه يشترط على أهل الذمة في عقد الجزية شرطان مستحق ومستحب . أما المستحق فستة شروط أحدها أن لا يذكروا كتاب الله تعالى بظمن فيه ولا تحريف له . والثاني أن لا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيب له ولا ازدراء . والثالث أن لا يذكروا دين الإسلام بدم له ولا قدح فيه والرابع أن لا يصيبوا مسلمة بزنا ولا باسم نكاح والخامس أن لا يفتنوا مسلماً عن دينه ولا يتعرضوا لماله ولا دينه . والسادس أن لا يعينوا أهل الحرب ولا يودوا أغنياءهم . فهذه الستة حقوق ملزمة فتزهمم بغير شرط وإنما تشتترط إشماراً لهم وتأكيداً لتفليظ العهد عليهم ويكون ارتكابها بعد الشرط نقضاً لمهدم .

وأما المستحب فستة أشياء أحدها تغيير هياتهم بلبس الفيار<sup>(٢)</sup> وشد الزنار والثاني أن لا يملوا على المسلمين في الأبنية ويكونون إن لم ينقصوا مساوين لهم والثالث أن لا يسمعون أصوات نواقيسهم ولا تلاوة كتبهم ولا قولهم في عزيز والمسيح . والرابع أن لا يجاهروهم بشرب خورهم ولا بإظهار صلبانهم وخنازيرهم . والخامس أن يخفوا دفن موتاهم ولا يجاهروا بنذب عليهم ولا نياحة . والسادس أن يمنعوا من ركوب الخليل عتاقاً

(١) الأحكام السلطانية ص ١٣٨ - ١٣٩

(٢) الفيار علامة أهل القمة كالزنار للمجوس ونحوه

وهجانا<sup>(١)</sup> ولا يمنعوا من ركوب البغال والحير . وهذه الستة المستحبة لا تنزم بمقد الزمة حتى تشتراط فتصير بالشرط ملتزمة ولا يكون ارتكابهم بعد الشرط نقضاً للمهد لكن يؤخذون بها إجباراً ويؤدبون عليها زجراً ولا يؤدبون إن لم يشترط ذلك عليهم .

هذا هو رأى اثنين من فقهاء المسلمين فيما يجب أن يكون عليه أهل الزمة من حيث زيهم وملابسهم وما يفعلونه ليميزوا عن المسلمين وما يجب عليهم اتباعه إزاء المسلمين وإزاء بناء الكنائس وغير ذلك مما ذكرناه . وأبو يوسف عاش في زمن الخليفة هرون الرشيد أى عند ما كانت الخلافة العباسية في أوج عزها وقوتها . أما الساوردى فقد عاش في عصر انحلال الدولة العباسية . وعادة تنشأ الأشياء أولاً ثم يأخذ الفقهاء والعلماء في بحثها بحثاً نظرياً بحتاً أو بحثاً نظرياً عملياً . فأبو يوسف عند ما يتحدث عن أهل الزمة إنما يريد أن يتبع الخليفة هرون الرشيد قوله الناتج من دراسات لنظم قد اندثرت ولم تمد الخلافة تعمل بها . فتراه يخاطب الخليفة بقوله : « فر عمالك أن يأخذوا أهل الزمة بهذا الزى ، هكذا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر عماله أن يأخذوا أهل الزمة بهذا الزى وقال حتى يعرف زيهم من زى المسلمين<sup>(٢)</sup> » .

فهل اتبع مع أهل الزمة في مصر هذه الشروط التي ذكرها أبو يوسف والماوردى ؟ عرفنا مما سبق أن عمرو بن العاص في صلح بابلين الأول أمن الأقباط ومن يريد أن يدخل في عهدهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وأراضيهم على أن يدفعوا الجزية حتى يصيروا أهل ذمة ولكنه لم يذكر شيئاً

(١) العناق الخيل الأصيلة والهجان الخيل الغير منسبة

(٢) أبو يوسف من ٧٣

فيما يختص بلباسهم وزيمهم وما يستحدث من الكنائس وغير ذلك مما ذكره أبو يوسف والماوردي . فلم يذكر الطبري أو مؤرخو مصر الإسلامية شيئاً من هذه الشروط الواجبة على أهل الذمة ضمن العهد الذي أعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر ولكننا نجد المؤرخين<sup>(١)</sup> يذكرّون في موضع آخر أن عمرو بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص « أن يحتم في رقاب أهل الذمة بالرصاص وأن يظهرها مناطقمهم<sup>(٢)</sup> ويجزوا نواصيمهم<sup>(٣)</sup> ويركبوا على الأكف<sup>(٤)</sup> عرضاً ولا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليهم الواسى ولا يضربوا على النساء ولا على الولدان ولا يدعوهم يتشبهون بالمسلمين في لبوسهم » .

وهالك نص كتاب من نصارى أهل الشام ومصر إلى الخليفة عمر بن الخطاب يذكرّون فيه ما عاهدوا المسلمين به من التزام الحدود وبمقبه زيادات من الخليفة عمر فقد ذكر النويري<sup>(٥)</sup> أنه وقف على كتاب « الدر الثمين في مناقب المسلمين ومثالب المشركين » تصنيف محمد بن عبد الرحمن بن محمد الكاتب ونقل منه نص كتاب أرسل إلى عمر بن الخطاب عن أهل الذمة . قال : قال عبد الرحمن بن عثمان كتبنا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في نصارى أهل الشام ومصر . « لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرائنا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا على أنفسنا

(١) ابن عبد الحكم طبع تورى من ١٥١ ، خطط القرظى ج ١ من ٧٦ ،

السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ من ٦٣

(٢) تنطق وانطق وتعنطق شد وسطه بمنطقة ، المرأة شدت نطاقها على وسطها

(٣) يجزوا نواصيمهم يحلقوا نواصيمهم والناصية مقدم الشعر أو الرأس

(٤) أكاف الحمار بردعته . جمها أكفة وأكف

(٥) نهاية الأرب ج ٩ من ١٣٣٠ - ١٣٣١ (من المخطوط بدارالكتب)



أن لا نحدث في مداخلنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا صومعة راهب ،  
ولا نهدم ما خرب منها ولا ما كان في خطط المسلمين وأن نوسع أبوابها  
للجارة ولبنى السبيل ، وأن ينزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطمعهم ،  
ولا نأوى في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوساً ، ولا نكتم عينا للمسلمين ،  
ولا نعلم أولادنا القرآن ، ولا نظهر شرعنا ولا ندعو إليه أحداً ، ولا نمنع  
أحداً من ذوى قرابتنا الدخول في دين الإسلام إن أرادوا ، وأن نوقر  
المسلمين ونقوم لهم في مجالسنا إذا أرادوا الجلوس ، ولا تشبه بهم في شيء من  
ملابسهم في قلنسوة ولا عمامة ، ولا تتسمى بأسمائهم ، ولا تتكفى بكناهم ،  
ولا نركب بالسروج ، ولا نتقلد السيوف ، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ،  
ولا نحمله منا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ، وأن نجز مقدم رؤوسنا ،  
ونلزم زيننا حيث كنا ، وأن نشد الزنابير على أوساطنا ولا نظهر صلباننا ،  
ولا نفتح كنفنا في طرق المسلمين ولا أسواقهم ، ولا نضرب بنواقيسنا في  
كنائسنا في شيء من حضرة المسلمين ، ولا نخرج شعباننا ولا طاغوتنا ،  
ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ، ولا نوقد النيران في طرق المسلمين ولا أسواقهم  
ولا نجاورهم بموتانا ، ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ،  
ولا نطلع في منازلهم ، ولا تملو منازلنا منازلهم . فلما أتيت أمير المؤمنين  
عمر بالكتاب زاد فيه : ولا نضرب أحداً من المسلمين ، شرطنا ذلك على  
أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الأمان ، فإن نحن خالفنا في شيء مما شرطناه  
لكم علينا وضمنناه عن أنفسنا وأهل ملتنا ، فلا ذمة لنا عليكم ، وقد حل بنا  
ما حل بغيرنا من أهل الساندة والشقاق .

قال عبد الرحمن بن عثمان: «وأجمع العلماء بعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أنه متى نقض الذي عهده بمخالفة شرط من هذه الشروط المأخوذة عليهم ، فالأمام غير فيه بين القتل والأسر ويلزمهم مع ذلك أن يتميزوا عن المسلمين في اللباس والزي ولا يتشبهون بهم في أمر من الأمور ويشدون الزنابير في أوساطهم ، ويكون في رقابهم خواتم رصاص أو نحاس أو جرس يدخل معهم الحمام ، وليس لهم أن يلبسوا المهائم والطيلسان<sup>(١)</sup> . وأما المرأة فتشد الزنار من تحت الأزار وقيل من فوق الأزار وهو الأولى ، ويكون في عنقها خاتم رصاص يدخل معها الحمام ، ويكون أحد خفيها أسود ليقى مشتهراً ظاهراً والآخر أبيض ويركبون الحجير ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يبتئون بالسلام ويلجئون إلى أضييق الطرق ويعتمون أن يملوا بناتهم على أبنية المسلمين وتجاوز المساواة ، وقيل لا تجوز ، بل يمنون ، ويحمل الأمام عليها رجلاً يكتب أسماءهم ويستوفي عليهم ما يأخذون به من هذه الشرائط .

وقال أبو هريرة . « أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهدم كل كنيسة استجدت بعد الهجرة ، ولم يبق إلا ما كان قبل الإسلام وسير عمرو بن محمد فهدم الكنائس بصنماء وصانع القبط على كنائسهم بحصر وهدم بعضها ولم يبق من الكنائس إلا ما كان قبل بمثة النبي صلى الله عليه وسلم » .

(١) ولكن من المتعذر أن تثبت تماماً أن هذا التمييز بين المسلمين وأهل القمعة في الزي يرجع إلى عصر عمر . فإن المراجع التي تشير إلى هذا متأخرة بعض الشيء . ولعلها سجل ما كان متباً في العصر العباسي . ومن ثم فقد ذهب بعض العلماء إلى أن هذه التفرقة ظهرت في عصر هارون الرشيد . انظر مادة « غيار » في دائرة المعارف ومادة « قبط » للأستاذ عثيمين في المرجع نفسه

وهكذا يظهر أنه منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترط على أهل الذمة شروط خاصة أهمها ما يتعلق بزيتهم ولباسهم كي يتميزوا عن المسلمين . كذلك منعموا من بناء كنائس أو أديرة أو صوامع مستحدثة ومن تجديد ما خرب منها .

لكن مؤرخي مصر الإسلامية وإن كانوا قد ذكروا ذلك إلا أنهم لم يذكروا إلى أي حد اتبعت تلك الشروط ونفذت مع أهل الذمة والأرجح أن الخلفاء في فجر الإسلام لم يلزموا أهل الذمة بتنفيذها لأننا رأينا أن هناك كنائس وأديرة بنيت في مصر في العهد الإسلامي كما جدد بناء كنائس أخرى . ويذكر ابن عبد الحكم<sup>(١)</sup> أن أول كنيسة بنيت في فسطاط مصر كانت أيام مسلمة بن مخلد (٤٧ - ٦٢ هـ) ولكن الجند أنكروا عليه ذلك وكهوت تقع فتنة بينه وبينهم .

على أننا نجد الخلفاء أو الولاة يأمرون أحيانا بإقفال حانات الخمر وبهدم الكنائس المستحدثة بعد الإسلام . ففي ولاية أيوب بن شرحبيل على مصر (٩٩ - ١٠١ هـ) عطلت حانات الخمر وكسرت بأمر أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز<sup>(٢)</sup> وفي ولاية علي بن سليمان العباسي في مصر (١٦٩ - ١٧١ هـ) من قبل الخليفة الهادي ثم الرشيد منع الملاهي والخمر وهدم الكنائس المحدثه بمصر .

وكتب الكندي أن نصرانيا بمصر سب النبي صلى الله عليه وسلم في ولاية علي بن سليمان وكان قاضي مصر إذ ذاك الفضل بن فضالة ، فكتب فيه

(١) فتوح مصر طبعة تورى ص ١٣٢

(٢) الكندي ص ٦٨ وأبو الحسن ج ١ ص ٢٣٨

المفضل بن فضالة إلى مالك بن أنس رحمه الله يسأله عن قتله فكتب مالك يأمر بقتله وثم هذا القتل<sup>(١)</sup>. ولسنا ندري هل كان القضاء مكلفين باستشارة أهل الفتوى أم أن القاضي استشار الإمام في هذه المسألة خوفاً من أن ينفرد برأيه فيها لخطورتها .

وقد تهاون معظم الخلفاء في تنفيذ الشروط التي ينسب إلى عمر بن الخطاب أنه ألزم أهل الذمة بالتباعها . كما أصدر بعض الخلفاء شروطاً مثلها بعضها يخص أهل الذمة في جهة معينة وبعضها يخص أهل الذمة في جميع أنحاء الدولة الإسلامية . ومن بينها مصر . فيذكر أبو يوسف<sup>(٢)</sup> أن عمر بن عبد العزيز ( ٩٩ - ١٠١ هـ ) كتب إلى عامل له . « أما بعد فلا تدعن صليبا ظاهرا إلا كسر ومحق ، ولا تركبن يهودى ولا نصرانى على سرج وليركب على الكاف ، ولا تركبن امرأة من نسايمهم على رحالة ، وليكن ركوبها على الكاف ، وتقدم في ذلك تقدما بليغا وامنع من قبلك فلا يلبس نصرانى قباء<sup>(٣)</sup> ولا ثوب خز<sup>(٤)</sup> . ولا عصب<sup>(٥)</sup> » وقد ذكر لي أن كثيراً ممن قبلك من النصارى قد راجعوا لبس المهائم وتركوا المناطق على أوساطهم واتخذوا الجمام<sup>(٦)</sup> والوفر ، وتركوا التقصيص . ولعمري لأن كان يصنع ذلك فيما قبلك إن ذلك بك لضعف وهجز ومصانعة ، وإنهم حين يراجعون ذلك

(١) الكندي ص ٣٨٢

(٢) كتاب الخراج ص ٧٣

(٣) القباء — ثوب يلبس فوق الثياب . الجمع أقبية والقباء كالفرجية في أيامنا ويلبس تحته الجبة (Dozy : Dictionnaire des Vêtements p 852)

(٤) الخز — الحرير . ما نسج من صوف وحرير . الجمع خزوز

(٥) العصب — المهامة . والعصبة والحصبة ربما كانت تعني قديماً نوعاً

من العامام (Dozy : op. cit. p. 300-301)

(٦) الخبيصة — مجتمع شعر الرأس . الجمع جم ، والجمعة مظم الفىء أو الكثير منه

ليملون ما أنت ، فانظر كل شيء مهيت عنه فاحسم عنه من فعله والسلام »  
ولا يذكر أبو يوسف العامل الذي وُجّه إليه هذا الكتاب ؛ ولكننا نتبين  
منه أن عمر بن عبد العزيز شعر في عهده أن الشروط التي كان أهل الذمة قد  
الزموا باتباعها نقضت فأراد إلزامهم بها ثانية . ولا نعرف إذا كانت مصر  
في ذلك الحين قد شملها هذا القرار أم لا . ولكن يظهر أن أوامر عمر بن  
عبد العزيز شملت أنحاء الدولة الإسلامية وإن لم يذكر لنا مؤرخو مصر  
الإسلامية ذلك ، فقد رأينا أن هذا الخليفة أمر بتعطيل حانات الخمر في مصر  
كما أمر بعزل الأقطاع عن تولى مناصب الدولة ولا نستبعد أن تكون شروط  
تمييز أهل الذمة عن المسلمين في زيجهم وركوبهم قد روعيت تماما في عهده  
ولا أدل على مبلغ كراهية نصارى مصر له من تلك الكلمات التي يصفه  
بها ساويرس<sup>(١)</sup> إذ يقول إنه كان يصنع خيرا عظيما أمام الناس ويفعل السوء  
أمام الله .

وقد جاء في الطبري أن الخليفة هرون الرشيد أمر ( ١٧٠ - ١٩٣ هـ )  
في سنة ١٩١ هـ بهدم الكنائس بالثغور وكتب إلى السندی بن شاهك يأمره  
بأخذ أهل الذمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين في لباسهم  
وركوبهم<sup>(٢)</sup> .

وكانت أوامر الرشيد كما يظهر من النص قاصرة على كنائس الثغور  
وعلى أهل الذمة ببغداد أي أن مصر ومعظم الدول الإسلامية لم تدخل  
ضمن هذا القرار . ولا نعرف إذا كان الرشيد في أوامره هذه أراد أن يحدد  
ما يسب إلى عمر بن الخطاب أو أن ذلك كان بمثابة رد على اعتداء الدولة

(١) سير الآباء البطارقة ص ٧١ (Patr. Orient. t. V.)

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١٠ ص ١٠٠

البيزنطية على الثغور الإسلامية ونحن نرجح الرأى الثانى لأن الرشيد عرف بالتسامح ، كما بنيت فى عهده عدة مآبد مسيحية فى بيت المقدس على نفقة الامبراطور شارلمان الذى كان محالفا للخليفة الرشيد (١).

ويظهر أن أقباط مصر أو أهل الذمة على وجه الاجمال من أقباط ويهود وغيرهم ، لم يضيّق عليهم فى الزى والركوب وبناء الكنائس وغير ذلك مما ينسب بدهءه إلى عمر بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز إلا فى النادر . إلى أن جاء الخليفة المتوكل على الله العباسى (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) . ففى سنة ٢٣٥ هـ « أمر المتوكل بأخذ أهل الذمة بلبس الطيالة العلية والزناير وركوب السروج بركب الخشب ويكون السروج كهيئة الأوكف ، وعلى رؤوسهم القلائس المختلفة الألوان ، وأن تخطيط الرقاق على ظهورهم وصدورهم كل رقعة قدر أربع أصابع ولونها عسلى ، وأزر نسائهم عسلى ، وملبس مما ليكهم مثلهم ويمنعوا من لبس المناطق وهدم بيهم المحدثة ، وأخذ العشر من منازلهم فان كان الموضع واسما صير مسجدا وأن كان لا يصلح أن يكون مسجدا صير فضاء وأمر أن تجمل على باب دورهم أساطين (٢) وقيل شياطين من خشب مسمورة تفريقا بين منازلهم ومنازل المسلمين ، ونهى أن يستعان بهم فى الدواوين وأعمال السلطان التى تخالف أحكامهم فيها أحكام المسلمين ونهى أن يتعلم أولادهم فى كتابيب المسلمين وأن يعطهم مسلم ، ونهى أن يظهروا فى أعيادهم وشمانينهم صليبا وأمر أن تسوى قبورهم بالأرض لئلا تشبه قبور المسلمين وكتب الكتب إلى عماله فى الآفاق بذلك . (٣)

(١) G. Wiet: Hist. de la Nation Egypt. t.IV. p. 25

(٢) الأسطوانة : السود والجمع أساطين

(٣) بيبس الدوادار — زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ج ٤ ص ١٧٣ ب

— ١١٧٤ وخطط القرىزى ج ٢ ص ٤٩٤

« ثم أمر أهل الزمة في سنة ٢٣٩ هـ بلبس دراعتين<sup>(١)</sup> عسليتين على الدرايع والأقبية ، وبالاقتصار في مراكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والرازين<sup>(٢)</sup> »  
ولم تكن أواصر التوكل جديدة ، وإنما كانت تجديداً لما سبق كما رأينا . فالدميون أزموا قبله بأمر تمييزهم عن المسلمين في الزي والركوب وبشروط خاصة ببناء الكنائس وغير ذلك مما ذكرنا . ولكن الخلفاء وولاتهم في مصر كانوا يتساهلون في تنفيذها في معظم الأحيان . وقد حدث في عهد هرون الرشيد أن ولي القضاء محمد بن مسروق الكندي ، وتعامل على أهل مصر فأمنوا في الطمن فيه ، ودعوا عليه في المساجد . فوقف على باب المقصورة وصاح قائلاً : « أين أصحاب الأكسية العسلية ، أين ... ؟ لم لا يتكلم متكلم بما شاء حتى يرى ويسمع ؟ فأتكلم أحد بكلمة<sup>(٣)</sup> » . وربما قصد القاضي بقوله « أصحاب الأكسية العسلية » التحقير من شأن أهل الزمة الذين انحدر منهم المصريون المسلمون .

ولكننا نلاحظ على وجه الإجمال أن هذه الأوامر كانت تنفذ في حين صدورها بدقة ، ولكن التمسك بها كان يقل تدريجياً ، وكثيراً ما كان يتسامح مع أهل الزمة في بناء الكنائس وفي الاحتفال بأعيادهم . بل نجد الخلفاء في عصر متأخر يشاركون أهل الزمة في الاحتفال بأعيادهم الدينية . ومما يشهد بهذا التسامح أننا قرأنا في كتاب أحد بطاركة بيت المقدس بعد المراسيم التي أصدرها التوكل بنحو عشرين سنة ، أي في سنة ٨٦٩ م

(١) الدراعة والجمع دراريع جبة مشقوفة المقدم

(٢) البرذون — الترك من الخيل

(٣) الكنى : الولاة والقضاة ص : ٣٩

(٢٥٥ - ٢٥٦) - مانعه « إن المسلمين يظهرون كثيراً من العطف نحونا بالسباح لنا ببناء كنائسنا » .

"Multam Benevolentiam ostendunt (Saraceni) in nos, licentiam nobis praebentes aedificandi ecclesias nostras."<sup>(١)</sup>

والواقع أن العصبية الدينية تغلبت على العرب بعد الفتح وتغلب عليهم الشمرورهمزتهم وتفوقهم على غيرهم من الشعوب بعد أن أنشأوا امراطوريتهم الإسلامية بحد السيف فأرأوا أن يتميزوا عن غيرهم في اللباس والزي والركوب وغير ذلك مما يشعر في الوسط الاجتماعي بأنهم هم السادة وغيرهم دونهم . كما أنهم ، وقد أصبحت البلاد التي فتحوها ملكا للمسلمين ، رأوا أن ليس عليهم أن يبنوا كنائس فيها ، ويكفهم أن يبقوا على ما وجدوه منها ، وألا يتدخلوا في شئون أهل الذمة الدينية .

وربما كانت هذه الامتيازات الاجتماعية والأدبية للمسلمين على أهل الذمة سبباً كما قلنا في أن كثيراً من المسيحيين أقدم على اعتناق الدين الإسلامي ، ولا يمكننا القول بأن إسلام هؤلاء الذين يريدون التخلص من تلك المضايقات كان صحيحاً ؛ ولكن ذريتهم كانت تنشأ في الوسط الإسلامي فيعتزون بدينهم الإسلامي ويندمجون في الجماعة الإسلامية تماماً .

وقد كتب المستشرق آدم متر<sup>(٢)</sup> أن مسألة ختم رقاب أهل الذمة عادة قديمة ترجع إلى عصر الأشوريين الذين كانوا يملقون في رقاب المبيد قطعة من الفخار اسطوانية مكتوباً عليها اسم المبد واسم سيده . وكان اليهود في عهد التلمود يملقون عبيدهم بالحنم على الرقبة أو الثوب . وفي سنة ٥٠٠ بعد الميلاد كان حاكم مدينة الرها يملق إلى رقبة الفقراء الذين يأخذون

(١) Wiet : Hist. de la Nation Egypt. t. IV. p. 25

(٢) الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٧٧



رطل خبز كل يوم قطعة من الرصاص مغمومة  
ويظهر ان عادة ختم الرقاب أو الذراع لم تكن مستهجنة ولم تكن  
موجبة للمار في المصور الوسطى إذا ما اتبعت مع أصحاب الطبقات الوضيعة  
ويذكر ابن بطوطة (١) في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)  
عند وصفه لمدينة دمياط أنه « إذا دخلها أحد لم يكن له سبيل إلى الخروج  
عنها إلا بطابع الوالي ، فمن كان من الناس معتبراً طبع له في قطعة كاغد  
يستظهر به الحراس بابها ، وغيرهم يطبع على ذراعه فيستظهر به » .  
وهكذا يرى أن أهل التمة عوملوا معاملة الطبقات الدنيا مهما كانت  
رتبتهم أو مراكزهم في الدولة مما حمل الكثير على الرغبة في التخلص من  
تلك المضايقات .

### الأقباط والنظام المالي

كانت سياسة الخلفاء بوجه عام ترى إلى استغلال مصر استغلالاً منظماً ،  
وإن اختلف بعضهم عن البعض الآخر من حيث درجة الاستغلال ، إذ بينما يرى  
بعض الخلفاء أو ولايتهم يشتت في جمع الضرائب ترى البعض الآخر يرى  
أن من مصلحة الراعي أن يقصص صوف غنمه وليس من مصلحته أن يسلمها .  
وحسبنا أن نشير في هذه المناسبة إلى ما ذكره الماوردي (٢) من أن  
« الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مروان يستأذنه في أخذ الفضل من أموال  
السواد فنعمه من ذلك وكتب إليه : لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص  
منك على درهمك المتروك وأبق لهم لحوماً يقدون بها شحوماً » فإن هذا

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٦٠

(٢) الأحكام السلطانية ص ١٤٣

مثل يرينا كيف كانت سياسة هذا الخليفة ترمي إلى عدم تحميل البلاد فوق ما تحتمل كيلا يجيف معينها ويؤثر ذلك على مالية الدولة ولكن بعض الخلفاء لم يراع هذا المبدأ وراحوا يبتزون كل ما تملك البلاد ، ففدى الخليفة سليمان بن عبد الملك (٥٩٦ - ٥٩٩ م) يكتب إلى أسامه بن زيد التنوخي متولى خراج مصر « أحلب الدر حتى ينقطع وأحلب الدم حتى ينصرم <sup>(١)</sup> » وقد ظهر اهتمام الخلفاء بثروة مصر عقب الفتح مباشرة ، فيذكر ابن عبد الحكم <sup>(٢)</sup> عن هشام بن أبي رقية اللخمي أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال للقبط : إن من كتمنى كنزا عنده فقدرت عليه قتلته . وسمع عمرو بأن أحد أهالي الصعيد يقال له بطرس عنده كنز فلما سأله أنكر ذلك ، وعندما تبين لعمرو ابن العاص صحة ما سمعه عنه أمر بقتله . فلما سمع بذلك الأقباط أخرجوا كنوزهم خوفاً من القتل . ولا نستطيع أن نتبين من هذا النص هل كان هذا نوعاً من الاغتصاب ، وهذا ما نستبده وخاصة زمن الفتح ، أو كان الغرض من معرفة الكنوز حساباً ذلك في تقدير الجزية ، أم كان القبط ملزمين بتقديم جزء من كنوزهم للمساهمة في أمور الدولة ولتقدير ما يفرض عليهم من الضرائب الأخرى غير الجزية . كل هذا لا نستطيع استخلاصه من المصادر التي بأيدينا .

ويظهر أن العنصر المالى الرئيسى الذى كان يهتم به العرب هو الجزية . ولذا كانت الجزية سبباً في إسلام كثير من الأقباط الذين أرادوا التخلص منها وهذا طبعاً معناه نقص في دخل الدولة . وربما حدا هذا بالخلفاء إلى مضاعفة مقدار الجزية على من بقى من الأقباط على دينه حتى لقد قيل إن

(١) أبو الحسن ج ١ ص ٣٣١

(٢) فتوح مصر — طبعة تورى — ص ٨٣

الخليفة عمر بن عبد العزيز أرسل إلى حيان بن سريح عامله على خراج مصر أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم<sup>(١)</sup>. وإذا كان هذا النص صحيحاً وإذا كان الأقباط الأحياء يكلفون بجزية من مات منهم فلا نستبعد أن يجعلهم الخلفاء يتحملون جزية من أسلم منهم. ولا نستطيع أن نعرف بالتقريب ما هي نسبة نقص الجزية بسبب احتناق الأقباط الدين الإسلامي لأن المؤرخين كثيراً ما يجمعون بين الجزية والخراج فيقال إن عمرو بن العاص جبي من مصر ١٢ مليون دينار وجباها عبد الله بن سعد بن أبي سرح في خلافة عثمان بن عفان ٢٤ مليون دينار وقد سر عثمان بن عفان من ذلك وعاتب عمرو بن العاص في هذه الكلمات :

« يا أبا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الأول فقال عمرو :  
« أضررتم بولدها » ويذكر آخرون أنه قال : « ذلك أن لم يمت الفصيل<sup>(٢)</sup> »  
ويذكر القرظي<sup>(٣)</sup> أن الذي جباها عمرو ثم عبد الله إنما هو من الجاجم<sup>(٤)</sup>  
خاصة دون الجراج .

وعندما زاد التحول إلى الدين الإسلامي بلغ خراج الأرض مع جزية الروم في أيام معاوية بن أبي سفيان خمسة ملايين دينار وبلغ في أيام هرون الرشيد أربعة ملايين دينار وبعد ذلك أصبح ما يجبيه الخلفاء حوالي ٣ ملايين

(١) ابن عبد الحسك . طبعة توري . ص ١٥٤ وخط المقيزي ج ١ ص ٢٧ يقول الماوردي في كلامه عن أهل الذمة والجزية « ومن مات منهم فيها أخذ من تركته بقدر ما مضى منها ومن أسلم منهم كان ما لازم من جزيته ديناً في ذمته يؤخذ بها . وأسقطها أبو حنيفة بإسلامه وموته » الأحكام السلطانية ص ١٣٩  
(٢) ابن عبد الحسك : فتوح مصر - طبعة توري ص ١٦١ وخط المقيزي

ج ١ ص ٩٨

(٣) المخطوط ج ١ ص ٦٨

(٤) يقصد بالجاجم هنا جزية الروم

دينار<sup>(١)</sup> إذا استثنينا فترات ممعنة .

ولشهد الكتاتيب التي دارت بين الخليفة عمرو بن الخطاب وعمرو بن الماص عقب الفتح مباشرة على مدى الاهتمام بجباية أموال مصر ؛ فمعد ما بلغ عمرو بن الخطاب أن المقوس جباها قبل عمرو بستة وعشرين مليون دينار وأن عمرو جباها اثني عشر مليون دينار كتب الخليفة إلى عمرو يستبطنه في الخراج . وهذا ما دار بينهما من الكتاتيب :

كتب الخليفة إلى عمرو يقول : « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن الماص . سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإني فكرت في أمرك والذي أنت عليه فإذا أرضك أرض واسعة عريضة رقيقة قد أعطى الله أهلها عددا وجلدا وقوة في بر وبحر وأنها قد جالجتها الفراغنة وعملوا فيها عملا محكما مع شدة عتوم وكفرهم فمجتبت من ذلك وأعجب مما عجبت أنها لا تؤدي نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جذب ، ولقد أكثرت في مكاتبتك في الذي على أرضك من الخراج وطننت أن ذلك سيأتينا على غير نزر ، ورجوت أن تفيق فترفع إلى ذلك فإذا أنت تاتيني بمعاريض نعبأ بها لا توافق الذي في نفسي . ولست قابلا منك دون الذي كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك . ذلست أدري مع ذلك ما الذي أنفرك من كتابي وقبضك ؟ فلئن كنت مجزئا كافئا صحيحا إن البراءة لنافعة ولئن كنت مضيقا نطقا إن الأمر لعل غير ما تحدث به نفسك . وقد تركت أن أبلي ذلك منك في العام الماضي رجاء أن تفيق فترفع إلى ذلك . قد علمت أنه لم يمنك من ذلك إلا أن عمالك عمال السوء وما توالس عليه وتلفف اتخذوك كهفا وعندي بأذن الله

(١) اليعقوبي : البلدان ص ٣٣٩

دواء فيه شفاء عما أسألك فيه فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتمطاه فإن النهر يخرج الدر والحق أبلج ودعنى وما عنه تلجلج فإنه قد برح الخفاء والسلام<sup>(١)</sup> .

فكتب إليه عمرو بن العاص . « بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص . سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فقد بلغتنى كتاب أمير المؤمنين فى الذى استبطأنى فيه من الخراج والذى ذكر فيه من عمل الفرائعة قبلى وإعجابهم من خراجها على أيديهم ونقص ذلك منها منذ كان الإسلام ، ولمعرى للخراج يومئذ أوفر وأكثر والأرض أعمر لأنهم كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب فى عمارة أرضهم منا منذ كان الإسلام وذكرت أن النهر يخرج الدر فخلبها حلباً قطع ذلك درهما وأكثر فى كتابك وأنت وعرضت ووثبت وعلت أن ذلك عن شئ تخفيه على غير خبر فحث لمعرى بالمفطعات المقذعات ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق وقد عملنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولن بعده فكنا بحمد الله مؤدين لأمانتنا حافظين لما عظم الله من حق أئمتنا زى غير ذلك قبيحاً والمعمل به سيئاً فيعرف ذلك لنا ويصدق فيه قيلنا ، معاذ الله من تلك الطعم ومن شر الشيم والاجترأ على كل مآثم . فأقبض عملك فإن الله قد زهنى من تلك الطعم الدنية والرغبة فيها بعد كتابك الذى لم تستبق فيه عرضاً ولم تكرم فيه أخوا . والله يا ابن الخطاب لأننا حين يراد ذلك منى أشد لنفسى غضباً ولها إزهاها وإكراماً وما عملت من عمل أرى على فيه متملقاً ولسكنى حفظت ما لم تحفظ

(١) ابن عبد الحكم - طبعة تورى - ص ١٥٨ - ١٥٩ وخط المقرئى

ج ١ ص ٧٨ والسيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٦٤

ولو كنت من يهود يثرب ما زدت يفر الله لك ولنا وسكت عن أشياء  
كفت بها علما وكان اللسان بها منى ذلولا ولكن الله عظم من حقاك ما لا  
يجهل والسلام<sup>(١)</sup>.

ولم تقف المسكات بين عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص فيما يختص  
بالخراج عند هذا الحد . فقد عارده عمر بن الخطاب الكتابة فكتب إلى عمرو  
« سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فقد عجت  
من كثرة كتبي إليك في إبطائك بالخراج وكتابك إلى بنيات الطرق  
وقد علمت أني لست أرضى منك إلا بالحق البين ، ولم أقدمك إلى مصر  
أجلها لك طعمة ولا لقومك ولكني ونجتهك لما رجوت من توفيرك  
الخراج وحسن سياستك فإذا أتاك كتابي فأجل الخراج فإنما هو فيء المسلمين  
وعندي من قد تعلم قوم محصورون والسلام<sup>(١)</sup> . »

فكتب إليه عمرو بن العاص . « بسم الله الرحمن الرحيم . لعمر بن  
الخطاب من عمرو بن العاص . سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله  
إلا هو . أما بعد فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يستبطنني في الخراج ويزعم  
أنني أعيد عن الحق وأنك عن الطريق وأني والله ما أرغب عن صالح  
ما تعلم ولكن أهل الأرض استنظروني إلى أن تدرك غلثهم فنظرت المسلمين  
فكان الرفق بهم خيرا من أن يخرق بهم فيصيروا إلى بيع ما لا غنى بهم  
عنه والسلام<sup>(١)</sup> . »

هذه الرسائل ترينا إلى أي حد كان الخليفة يهتم بخراج مصر وأنه كان  
يريد أن يجبي مثلما كان يجبيه الروم من قبل . ولذا نجد أن المصريين سرعان

(١) ابن عبد الحكم ، ص ١٥٩ — ١٦١ طبعة تورى وخط القرظي

ج ١ ص ٧٨ و ٧٩ والسيوطي : حسن المحاضرة ص ٦٤ — ٦٥

ما عادوا إلى ما كانوا فيه تحت حكم الروم فوقوا تحت الأعباء المالية الكثيرة التي تطلبها الخلافة وأصبح المطلوب منهم توفير المال اللازم لبيت المال وللمنتفعين من الولاية والموظفين أيضاً . ونلاحظ أن انتفاع مصر بدخلها في العصر الأموي كان أكثر منه في العصر العباسي لأن الولاية كانوا أكثر استقراراً من ولاية العصر العباسي . أما في العصر العباسي فقد اضطربت الأحوال المالية وذلك لكثرة تغيير الولاية وبسبب إقطاع مصر لبعض قواد الترك أو أولياء العهد فكان همّ الوالي جمع ما يمكن جمعه من المال لنفسه أولاً وللخلافة أو لصاحب الإقطاع ثانياً .

ولنستعرض الآن الفترات التي أشدّت التحول فيها إلى الدين الإسلامي بسبب المشاكل المالية ولنبداً بولاية عبد العزيز بن مروان الذي كان يمثل الخليفة عبد الملك بن مروان في مصر ( ٦٥ - ٨٦ هـ ) .

كان عهد عبد العزيز بن مروان عهد رخاء ويسر في مصر . فقد اهم بترقية شئون البلد وأدخل فيها اسلحات كثيرة . كما عرف بالجود والكرم وكان يقول . « واهبنا من مؤمن يوقن أن الله يرزقه ويوقن أن الله يخلف عليه كيف يدخر مالا عن عظيم أجر أو حسن سماع <sup>(١)</sup> ! » ويقال إنه كان لعبد العزيز بن مروان ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره وكانت له مائة جفنة تحمل على العجل ويطاف بها على قبائل مصر . وفي ذلك يقول الشاعر :

كل يوم كأنه يوم أنجى      عند عبد العزيز أو يوم فطر  
وله ألف جفنة ممرطات      كل يوم تعدها ألف قدر <sup>(٢)</sup>  
ولا ريب أن مثل هذا الشعر وغيره يشهد بما كان له من جود وافر على

(١) أبو الحسن ج ١ ص ١٧٥

(٢) الكندي ص ٥١ - ٥٢

ما فيه من مبالغة صريحة ليست غريبة عند المؤرخين في العصور الوسطى .  
وقد بنيت كنائس عدة في عهد عبد العزيز كما عرفنا سابقاً ، كذلك  
جدد عبد العزيز بناء المسجد الجامع وزاد فيه <sup>(١)</sup> ، كما أنفق مالا كثيراً  
في بناء مدينة حلوان ، يقال إنه بلغ مليون دينار <sup>(٢)</sup> وقد زيدت أعطيات  
الجند في عهده <sup>(٣)</sup> كما اشتركت مصر في القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير  
وقد تطلب هذا كله كثرة الإنفاق والأموال الكثيرة حتى قيل إن  
عبد العزيز بن مروان كان يجبي خراج مصر أسبوعياً خوفاً من فتنة تنزل  
به يحتاج فيها إلى المال . ولم يزل علي ذلك حتى قتل عبد الله بن الزبير وتم  
الأمر لمبد الملك بن مروان <sup>(٤)</sup>

وكانت نتيجة حاجة هذا الوالي إلى المال أن توجه إلى شيء لم يتجه  
إليه أحد من قبل ، فأمر بإحصاء <sup>(٥)</sup> جميع الرهبان في كل الكور وفي  
وادي النطرون وسائر الأماكن وفرض ديناراً جزية على كل راهب وأمر  
الراهب أن يترهب أحد بعد من أحصاه ، وكانت هذه أول جزية أخذت من  
الرهبان <sup>(٦)</sup> . ويقال إنه أُلزم أساقفة الكور أن يؤدوا ألفي دينار سنوياً

(١) الكندي ص ٥١

(٢) سعيد بن بطريق : التاريخ ج ٢ ص ٤٠

(٣) الكندي ص ٤٩

(٤) سعيد بن بطريق ج ٢ ص ٤١ Wiet : Histoire de la Nation

Egyptienne p. 47.

(٥) ونذكر هنا أن بعض المخطوطات كان فيها تصحيف في كلمة « أحصى »  
أو أن خطأ أدى إلى قراءتها « أنصى » فشاء بعض المستشرقين أن يستنبط منها توحش  
المسلمين في هذه المناسبة . ولكن فطن إلى هذا الخطأ مستشرقون آخرون كالأستاذ فيت  
في مقاله Kibt في دائرة المعارف الإسلامية . أنظر ساويرس t.V. p.51

(٦) ساويرس ص ٥١ (t.V.) وخطط القرظي ج ٢ ص ٤٩٢

Wiet : art. Kibt (Encyclopaedia of Islam) p. 998.



بالإضافة إلى خراج أملاكهم<sup>(١)</sup> ، ويُذكر أن ببيامين الشماس الراهب الذي كان مصاحباً للأصبغ بن عبد العزيز هو الذي كان يحرثه على كل بلاء ضد الأقباط .

ونحن نعلم أن الرهبنة كانت منتشرة حينذاك ، وقد ساعد على انتشارها ما وقع للمصريين من ظلم واضطهاد زمن الرومان ، بفضل الكثيرون أن يعيشوا في عزلة عن العالم منفردن أو جماعات في أديرة . ولما كان الراهب لا يملك شيئاً ويعيش في عزلة عن العالم ، لذا لم تفرض عليه أى ضريبة . على أن الأديرة التي كانت تزاد كثرة على مر الأيام ما لبث أن وقف عليها أملاك كثيرة وزادت ثروتها ، ولكن الحكومة في عهد الرومان والبيزنطيين لم تكف باعفاها من الضرائب ، بل كانت تدفع لها قدراً مميئناً من الإيرادات المالية<sup>(٢)</sup> .

فلما فتح العرب مصر حافظوا على ما كان موجوداً قبلهم من التقليد الذي يحرم فرض أية ضريبة أو جزية على الرهبان . وبذلك وجدت تحت حكم العرب من أول الفتح طبقة متميزة من المسيحيين لا تقع تحت طائلة الأعباء المالية . وقد لجأ كثير من الأقباط إلى هذه الأديرة كي يتخلصوا من الضرائب<sup>(٣)</sup> . ففطنت الحكومة إلى ذلك وبادرت بإحصاء الرهبان ، وفرضت عليهم جزية الدينار التي أشرنا إليها .

ولما احتاج عبد العزيز بن مروان إلى المال لجأ إلى الأديرة التي أصبحت تملك ثروات ضخمة . ففرض على رهبانها جزية سنوية كي يسد بذلك مجز

(١) ساويرس ص ٧٠ (١.٧.)

(٢) Munier : L. Egypte Byzantine. p. 77

(٣) Wiet : 'Precis de L'hist. d'Egypte. t. 11. p. 132

ميزانية النولة<sup>(١)</sup> ، وكان من أثر هذا أن اعتنق الكثيرون الدين الإسلامي .  
وبعد وفاة عبد العزيز ولى مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان ،  
وذلك في جمادى الآخرة سنة ٨٦ هـ ولم تمض بضعة أشهر حتى توفي الخليفة  
عبد الملك بن مروان ، وبويع بعمه بالخلافة ابنه الوليد بن عبد الملك (٨٦ -  
٩٦) فأقر الوليد أخاه عبد الله على ولاية مصر حتى سنة ٩٠ هـ . وقد تشدد  
عبد الله بن عبد الملك على الأقباط في الأمور المالية . فألزم البطرك بدفع  
ثلاثة آلاف دينار أو يمتقله فلقى البطرك مشقة عظيمة في جمع هذا المال  
من الأساقفة والرهبان والأقباط على العموم ، كذلك زاد عبد الله الخراج  
على المصريين ، فمن كان يدفع ديناراً خراجاً ألزمه بدفع ديناراً وثلثين ، حتى  
أن كئناثس كثيرة سرى إليها الخراب لهذا السبب<sup>(٢)</sup> ، وقد زاد وطأة  
ذلك الوالى على المصريين ما حدث في أيامه من الغلاء ، وذلك على أثر  
انخفاض النيل<sup>(٣)</sup> في سنة ٨٧ هـ .

والظاهر أن هذا الوالى محمد إلى ابتزاز الأموال ، ولا سيما من القبط  
وربما أسلم نفر منهم ليتخلص من هذه الأعباء ، وقامت في عهده حركة  
مقاومة مسلحية ضد هذه السياسة المالية من جانب الذين ضايقتهم الأعباء  
المالية والذين لم يريدوا تغيير دينهم بسببها . فأخذ بعض الأفراد يهربون  
إلى مناطق أخرى غير تلك التى كانوا مقيدين فيها بعد أن وجدوا الأفادة

---

(١) ذكر أبو يوسف في كتاب الخراج ( ص ٧٠ ) أن الترهين إذا كان لهم  
يسار أخذت منهم الجزية ، وإن كانوا مساكين يصدق عليهم أهل اليسار منهم  
لم تؤخذ منهم

(٢) ساويرس ص ٥٤ - ٥٥ (T.V.)

(٣) السكندى ص ٥٩ والمريزى : إغاثة الأمة ص ١١ . وأبو الحسن

من الاعتصام في الأديرة . غير أن هذا الوالى ومن جاء بعده تشددوا في مراقبة هذه الحركة التي كانت تثير الفوضى في البلاد ، فضلا عن تأثيرها في مالية الدولة . فأمر عبد الله بن عبد الملك بوسم الغبراء الذين وجدوا في الأقاليم المختلفة على أيديهم وجباههم وأرسلهم إلى مواضع مختلفة (١) .

وروى مصر بمسد عزل عبد الله بن عبد الملك في سنة ٩٠ هـ قرّة ابن شريك ، وظل على ولايتها إلى أن مات بها في سنة ٩٦ هـ . ويذكر ساويرس أن قرّة أنزل بلايا عظيمة بالمسلمين والنصارى على السواء ، وبالكنائس والرهبان (٢) . وكتب المقرئى عن قرّة أنه « أنزل بالنصارى شدائد لم يبتلوا قبلها بمثلها » (٣) . وتكثر النصوص والروايات من التحدث عن ظلم قرّة بن شريك وصفه ، فيذكر أبو الحسن أن قرّة كان سىء التدبير ، خبيثا ظالما غشوما فاسقا مهتكا (٤) . وقيل إن عمر ابن عبدالعزيز رضى الله عنه ذكر عنده ظلم الحجاج وغيره من ولاة الأمصار أيام الوليد بن عبد الملك ، فقال : « الحجاج بالعراق ؛ والوليد بالشام ؛ وقرّة بن شريك بمصر ؛ وعثمان بالمدينة ؛ وخالد بمكة ؛ اللهم قد امتلأت الدنيا ظلما وجورا فأرح الناس » (٥) . ولكن أوراق بردى كوم اشقاو ، التي عثر عليها في سنة ١٩٠١ تشهد بأن هذه الروايات غير صحيحة في مجملها فإن قرّة لم يكن بالرجل الظالم أو الفاسق . وقد رأينا في كلامنا عن النظام الإدارى في مصر كيف كان قرّة يهتم بمدالة حكام الأقاليم المختلفة وعدم

(١) معاويرس ص ٥٦ (T.V.)

(٢) ساويرس ص ٥٧

(٣) الخطط ج ٢ ص ٤٩٢

(٤) إنجوم الزاهرة ج ١ ص ٢١٧ . في طبعة دار الكتب « منهكا »

(٥) المرجع نفسه ص ٢١٨

الإجحاف بأهل الذمة . فيأمر عماله في الأقاليم ألا يقدرُوا على أهل الذمة ضرائب فوق طاقتهم أو أقل مما يستطيعون أداءه<sup>(١)</sup> ، كما يهدد عماله بـعقابهم أشد العقاب إذا ظلموا الأهالي في تقدير الضرائب المفروضة عليهم<sup>(٢)</sup> ، كذلك يحذر عماله من قبول الرشوة من الأهالي<sup>(٣)</sup> ، وفضلاً عن ذلك فقد كان قرّة بن شريك يتدخل في كل كبيرة وصغيرة ، ويراقب الأمور في البلاد مراقبة شديدة ، ويجتهد في المحافظة على نشر الأمن في البلاد والعدل بين الرعية . كما كان يهتم بمراقبة التوطين في البلاد ، فنراه يجتهد ، منع غلاء الطعام بالفسطاط<sup>(٤)</sup> ، ونجده يتجاوز أحياناً عن بعض ما كان يدفع كل عام من الجزية ، فيقبل من أهل الذمة أقل مما اعتادوا دفعه كل عام رفقاً بهم<sup>(٥)</sup> . ومع ذلك نراه يشدد في طلب المتأخر من الجزية التي لم تدفع منذ عهد والي الذي سبقه<sup>(٦)</sup> ، ويأمر عماله على الأقاليم بأن يقدموا له سجلات بأسماء القرى والأقاليم المختلفة ، وإحصاء الرجال والجزية الواجبة عليهم وما يملكه كل رجل من الأراضي والخدمات التي يؤديها<sup>(٧)</sup> . ولكننا نراه أحياناً يفرض ضرائب غير عادية<sup>(٨)</sup> .

وكان جباة الضرائب من أهل الذمة<sup>(٩)</sup> كما كان حكام السكورات

Bell : Translation of the Greek Aphrodito Papyri (Der (١)  
Islam, Band 11.) p. 282.

Bell : op. cit. p. 270 (٣) Bell : op. cit. p. 282 (٢)

Becker : (Der Islam. Band 11.) p. 256, Grohmann : Arabic (٤)

Papyri vol. 111. p. 8

Becker : op. cit. pp. 253-254, Grohmann : op. cit. p. 16-17 (٥)

Becker : op. cit. d.267, Grohmann : op. cit. p. 48 (٦)

Bell : op. cit. p. 272 (٧)

Bell : op. cit. p. 272 (٨)

Bell : op. cit. (Der Islam, Band 1V) p. 92 (٩)

المختامة منهم . وقد رأينا أن العرب تركوا معظم وظائف الدولة في أيدي  
الذميين على أن هذا النظام لم يكن من مميزات حكومة قرة أو العهد  
الأموي ، وإنما كان من مميزات النظام المالي نفسه ، الذي تركه البيزنطيون  
لخلفائهم العرب<sup>(١)</sup> .

ويذكر ساويرس<sup>(٢)</sup> أن قرة فرض على البلاد مائة ألف دينار سوى  
خراجها المعروف وقد استمرت في عهد قرة حركة الحرب التي بدأت في ولاية  
عيد الله بن عبد الملك بل إنها اتخذت في عهده شكلا واسما فكانت أسرات  
بأسرها رجالا ونساء وأطفالا تهرب من مكان إلى مكان ، لا تستقر في مكان  
معين وذلك فراراً من دفع الضرائب . واضطر قرة إزاء هذا إلى إنشاء هيئة  
خاصة لوقف تلك الحركة وإعادة كل شخص إلى موضعه<sup>(٣)</sup> .

وتلقى أوراق بردى كوم اشقاو شعاما من النور على هذه الحركة التي  
كان محورها الزراع أو الجالية<sup>(٤)</sup> وكان الوالي يأمر باعادتهم إلى قراهم  
الأصلية<sup>(٥)</sup> . فنراه يكتب إلى صاحب أشقوه أنه علم بوجود جالية بأرضه  
ويطلب منه أن يرد الجالية — أي الهاربين — إلى أرضهم الأصلية<sup>(٦)</sup> ونراه

(١) Lammens : Un Gouverneur Omayyade. p. 116.

(٢) سير الآباء البطارقة ص ٦٤ (T.V.).

(٣) المرجع نفسه ص ٦٤

(٤) قيل لأهل الذمة الجالية لأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أجلاهم عن جزيرة  
العرب ولزمهم هذا الاسم أيما حلوا ثم لزم كل من لزمته الجزية من أهل الكتاب  
بكل بلد وإن لم يجلووا عن أوطانهم . ويقال استعمل فلان على الجالية أى على جزيرة  
أهل الذمة (لسان العرب)

(٥) لم يكن هذا جديداً في التاريخ المصري فكثيراً ما كان الفلاحون يهجرون  
قراهم في مصر البيزنطى فراراً من دفع الضرائب . أنظر Lammens: Un Gouverneur  
Omayyade... p. 107

(٦) Grohmann : Arabic Papyri. vol. 111 p. 24

يرسل مندوبين للنظر في حركة الهرب ويطلب من صاحب الكورة أن يبسر مهمتهم وأن يرسل معهم رجالات ثقات يعرفون الكتابة ليقوموا في حضرتهم بكتابة أسماء الهاربين وألقابهم وليبينوا أيضاً من أين هرب كل شخص وإلى أى جهة ذهب . وذلك لحصر الذين عادوا إلى قراهم والذين سمع لهم بالاستقرار على أن يؤدوا الضرائب ، وليقوموا على وجه الإجمال بالاستفسار عن كل ما يجب أن يعرف . ثم يمود قرّة فيطلب من صاحب الكورة أن يأمر هؤلاء الرجال بالعمل في هذه المسألة بجد ونشاط وألا يقبل أحد منهم هدية أو رشوة من أى شخص وإلا فسيعجل العقاب بصاحب الكورة كما سيحل بالرجل المذنب<sup>(١)</sup> وفي كتاب آخر لقرّة نراه يطلب من صاحب أشقوه أن يرسل إليه الهاربين مع عائلاتهم وكل ما معهم من أشياء وأن يمد سجلاً يكتب فيه أسماء الأشخاص الذين أرسلوا ، وفي أى موضع من كورته هربوا ، وأملك كل شخص ، والوقت الذى أمضاه كل شخص فى كورته ، وكل شىء يعرفه عن الهاربين دون كذب أو محاباة ، وأن يرسل لكل الأشخاص وهذه المعلومات مع المندوب الذى أرسله قرّة لهذا الغرض ، ويهدده بأشد العقاب الجثمانى والمالى إن هو تولى عن النظر فى هذه المسألة وتغافل عن أحد الهاربين كما يهدد الأشخاص الذين يوجد بينهم أحد الهاربين بغرامة مالية كبيرة فوق مقدورهم<sup>(٢)</sup> .

وظل قرّة يتابع تلك الحركة بنشاط حتى يقضى عليها إلى أن مات سنة ٩٦ هـ . وفى عهد خلافة سليمان بن عبد الملك كان المتولى على خراج مصر

Bell : Translations of the Greek Aphrodito Papyri (Der (١) .  
Islam, Band 11.) p. 270

Bell : op. cit. pp. 274-275 (٢)

أسامة بن زيد التنوخي فكتب إليه سليمان بن عبد الملك « احلب الدر حتى ينقطع »، واحلب الدم حتى ينصرم<sup>(١)</sup> « أى أن سياسة هذا الخليفة كانت سياسة استغلال لموارد مصر إلى أقصى حد ممكن وقد وجد من أسامة خير منفذ لأوامره . وقيل إن سليمان بن عبد الملك قال يوما وقد أحجبه فمل أسامة ابن زيد : « هذا أسامة لا يرثى ديناراً ولا درهما » . فقال له ابن عمه عمر ابن عبد العزيز بن مروان : « أنا أدلك على من هو شر من أسامة ولا يرثى ديناراً ولا درهما » . قال سليمان : « ومن هو ؟ » قال عمر : « عدو الله إبليس » فغضب سليمان وقام من مجلسه<sup>(٢)</sup> .

نفذ أسامة بن زيد تعليمات الخليفة بكل دقة واشتد في طلب الخراج والجزية وأمر عماله ألا يتوانوا في جمع الضرائب فأسلم الكثيرون في عهده كي يتخلصوا من الأعباء المالية ولكن حركة الحرب استمرت من جانب الذين أنفقت كاهلهم الأعباء المالية ولم يرغبوا في اعتناق الدين الإسلامى . وقد أمر أسامة ألا يأوى أحد غريباً في الكنائس أو الفنادق أو السواحل . ولشدة الخوف منه طرد الناس من كان عندهم من الغرباء أو الهاربين<sup>(٣)</sup> . ولكي لا يتمكن أحد من الهرب من منطقة إلى أخرى عملت سجلات للأهالى أشبه بجوازات السفر اليوم passport فالزم كل شخص يريد الانتقال من جهة إلى جهة في أنحاء القطر المصرى أو يريد ركوب سفينة أو النزول منها أن يحمل معه سجله وقد أمر الوالى بالقبض على أى شخص يرى ماشياً في موضع ما أو عابراً من موضع إلى موضع وليس

(١) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٢١

(٢) المرجع نفسه ص ٢٢٢

(٣) ساويرس : سير الأباء البطركية ص ٦٨ (T.V.)

معه سجله . وإذا وجد شخص راكبا مركبا أو نازلا منها وليس معه سجله  
تنهب المركب وتحرق بالنار . أما من فقد سجله أو أتلفه فقد أزمه الوالي  
بالحصول على سجل آخر مقابل دفع غرامة قدرها خمسة دنانير<sup>(١)</sup> .

وقد عمل أسامة بن زيد إحصاء ثانيا للرهبان بعد الإحصاء الأول  
الذي تم في عهد عبد العزيز بن مروان وأمر الرهبان ألا يقبلوا في الرهينة  
من يأتي إليهم وأمر بوسم كل راهب بحلقة حديد في يده اليسرى ليكون  
معروفاً ، ووسم كل واحد منهم بإسم بيئته وديره والتاريخ المجرى وفرض  
على كل واحد منهم ديناراً جزية . أما من وجد هاربا أو غير موسوم فقد كان  
يلقى عقاباً قاسياً<sup>(٢)</sup> ويقال إن أسامة بن زيد من جبي مصر في خلافة سليمان  
ابن عبد الملك اثني عشر مليون دينار<sup>(٣)</sup> وقد يكون في هذا القول مبالغة  
ولكنه يدل على أن أسامة اشتد في جباية خراج مصر إلى حد كبير .

ولما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز ( ٩٩ - ١٠١ هـ ) أظهر رغبته  
الشديدة في نشر الإسلام . ويظهر أن نفرا كثيرا كان قد اعتنق الدين  
الإسلامي حينذاك بدليل أن حيان بن سريج متولى خراج مصر كتب إلى  
عمر بن عبد العزيز يقول . « أما بعد فإن الإسلام قد أضر بالجزية حتى سلفت  
من الحارث ابن ثابتة عشرين ألف دينار وتمت عطاء أهل الديوان فإن  
رأى أمير المؤمنين أن يأمر بقضائها فمل » وكان هذا الوالي يرى أن تبقى الجزية  
على من يسلم . وقال عمرو بن رده : « ... فضع الجزية عن أسلم ، قبح الله رأيك  
فإن الله إنما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ولم يبعثه جانياً ، ولم يمرى

(١) المرجع نفسه ص ٧٠

(٢) المرجع نفسه ص ٦٨ و ٧٠ وخطوط القرظي ج ٢ ص ٤٩٢ - ٤٩٣

(٣) خطوط القرظي ج ١ ص ٩٩



لمر أحقر من أن يدخل الناس كلهم الإسلام على يديه (١) « وبهذه المناسبة  
نذكر أن أول من أخذ الجزية ممن أسلم من أهل القدمة الحجاج بن يوسف ،  
ثم كتب عبد الملك بن مروان إلى عبد العزيز بن مروان وإلى مصر من قبله  
أن يضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة فكلمه ابن حنبل في ذلك وقال  
« أعينك بالله أيها الأمير أن تكون أول من سن ذلك بمصر . فوالله أن أهل  
القدمة ليتحملون جزية من ترهب منهم فكيف تضعها على من أسلم منهم ؟ »  
فتركهم عند ذلك (٢) .

وكتب عمر بن عبد العزيز أيضا إلى حيان بن سريح أن يجعل جزية  
موتى القبط على أحيائهم (٣) كما ذكرنا من قبل وربما كان هذا الأمر هو  
الذي بعث ساويرس على أن يقول إن عمر بن عبد العزيز أمر بأن تؤخذ  
الجزية من سائر الناس الذين لا يسلمون حتى في الحالات التي لم تجر عاداتهم  
بالقيام بها .

ويظهر أن سياسة إعفاء الذين يمتنعون الإسلام من الجزية لم تستمر  
بصفة دائمة بعد عهد عمر بن عبد العزيز ، بدليل أنه بعد ذلك العهد نرى  
أن قرار أى خليفة برفع الجزية عن من أسلم كان يشجع الكثيرين على اعتناق  
الدين الإسلامى . وفضلا عن هذا فإننا لا نعرف تماما متى بدأ أخذ الجزية من  
أسلم . والظاهر أن هذا بدأ قبل عهد عمر بن عبد العزيز (٥)

ويمتلق السير توماس ارنولد (٦) Thomas Arnold على قرار عمر بن

(١) ابن عبد الحكم من ١٥٦ طيبة تورى — خطط القرظى ج ١ ص ٧٨

(٢) ابن عبد الحكم من ١٥٦ ، خطط القرظى ج ١ ص ٧٧ — ٧٨

(٣) ابن عبد الحكم من ١٥٤ ، خطط القرظى ج ١ ص ٧٧

(٤) سير الآباء البطارقة من ٧٢ (T.V.)

(٥) ابن عبد الحكم من ١٥٦ و القرظى من ٧٧

(٦) The Preaching of Islam p. 103

عبد العزيز هذا بقوله . « ولكن الولاة المتأخرين اعتبروا أن مثل هذه السياسة تضر بمالية الدولة واستمروا في فرض الجزية على الذين أسلموا . وبالجملة لم يكن هناك استمرار في مثل هذه السياسة بل كان الولاة يتبعون في ذلك سياسات مختلفة على حسب أهوائهم دون السير على وتيرة واحدة ، وعلى كل حال فإن سياسة عمر بن عبد العزيز التي تنطوي على تشجيع من يعتقد الدين الإسلامي جذبت إلى الإسلام كثيرين من الأقباط .

ثم حدث أن الخليفة يزيد بن عبد الملك ( ١٠١ — ١١٥هـ ) أخذ المسيحيين بالشدّة من الوجهة السالية فأعاد الخراج الذي كان عمر بن عبد العزيز قد رفعه عن الكنائس والأساقفة . وبدلنا على مبلغ كراهية المسيحيين له تلك الكلمات التي يصفه بها مؤرخ البطارقة إذ يقول « إنه سلك في طريق الشيطان وحاد عن طرق الله <sup>(١)</sup> »

ولما بويع هشام بن عبد الله الملك ( ١٠٥ — ١٢٥هـ ) بالخلافة تفاءل المسيحيون خيرا . ويصفه مؤرخ البطارقة بأنه رجل يخاف الله مخلص للأرثوذكسيين ومحب لسائر الناس <sup>(٢)</sup> . وقد أمر هشام بأن يعطى كل من يدفع خراجا ايضا لا باسمه كيلا يظلم أحد في مملكته <sup>(٣)</sup> .

على أن سياسة هشام بن عبد الملك المالية كانت كسياسة غيره من الخلفاء . وليس أدل على ذلك من أن عامله على خراج مصر وهو عبيد الله بن الحبحاب ظل في هذا المنصب منذ أن ولي هشام الخلافة إلى سنة ١١٦هـ <sup>(٤)</sup>

(١) ساويرس : سير الآباء البطارقة . ص ٧٢ (T. V)

(٢) ساويرس ص ٧٣

(٣) ساويرس ص ٧٤

(٤) خطط القرظي ج ١ ص ٢٠٨

أولى سنة ١١٤ هـ<sup>(١)</sup> في قول آخر ، بينما تعاقب على حكم البلاد في زمنه خمسة ولاه ، وكان يتمتع أثناء ذلك بنفوذ كبير لا يجد ؛ يولى من شاء من الموظفين ويعزل من يشاء . بل إنه نجح في عزل اثنين من الولاة ، وهما الحسّ بن يوسف ، وحفص بن الوليد . وجعل إليه الخليفة أمر اختيار من أحب من الولاة ، فاختار عبد الملك بن رفاعه<sup>(٢)</sup> . وكان له الأمر أيضاً في تولية القضاة ، فقد قام بأمر توبة بن عمر الحضرمي حتى ولى القضاء في سنة ٢١٦ هـ<sup>(٣)</sup> . وطبيبي أن من الأسباب التي حصل بها ابن الحبّاب على هذه السلطة الواسعة أنه كان يمثل سياسة الخليفة المالية أحسن تمثيل . أما قوام هذه السياسة فننتبئه من بعض أخبار هذا العامل على الخراج . فإننا نعرف مثلاً أنه لما ولى خراج مصر أمر بأن تحصى الناس والبهائم ، وأن تقاس الأراضي الزراعية والأراضي البور وبني أميالاً أي علامات للمسافات في حقول مصر على الحدود والطرق ، وضاعف الخراج وأمر بأن تحتم رقاب الناس بالرماح من سن العشرين إلى ما فوق ذلك كما وسم أيدي النصارى بسمة الأسد<sup>(٤)</sup> ، وذلك لتسهيل معرفة هؤلاء الذين تجب عليهم الجزية والضرائب . ويذكر القرظي<sup>(٥)</sup> أن الخليفة هشام ابن عبد الملك أوصى عبيد الله بن الحبّاب بالعمارة ، فيقال إنه لم يظهر في خراج مصر بعد تناقصه كثرة إلا في وقتين ، أحدهما في خلافة هشام ابن عبد الملك عند ما ولى الخراج عبيد الله بن الحبّاب ، والوقت الثاني

(١) أبو الحسن ج ١ ص ٢٧٣

(٢) الكندي ص ٧٤ - ٧٥

(٣) الكندي ص ٣٤١ - ٣٤٢

(٤) ساورس : سير الآباء البطارقة ص ٧٥

(٥) الخطط ج ١ ص ٩٨ - ٩٩

في إمارة أحمد بن طولون لما تسلم أرض مصر من أحمد بن محمد بن مدبر ،  
فبعد أن كان خراج مصر دون الثلاثة ملايين دينار خرج ابن الحبحاب  
بنفسه ومسح العامر من أرض مصر والعامر<sup>(١)</sup> فراكها كلها وأصلحها ،  
واستطاع أن يجبي من مصر أربعة ملايين دينار .

ويذكر الكندي<sup>(٢)</sup> والمقرئزي<sup>(٣)</sup> أنه في أمرة الحر بن يوسف  
( ١٠٥ - ١٠٨ هـ ) كتب عبيد الله بن الحبحاب إلى هشام بن عبد الملك  
بأن أرض مصر تتحمل الزيادة ، فزاد على كل دينار قيراطاً<sup>(٤)</sup> .

وإزاء هذه الأعباء المالية الثقيلة بدأ الأقباط للمرة الأولى يتكون  
سبيل المقاومة السلبية ويقاومون حكومة العرب مقاومة إيجابية . فثار  
الأقباط في سنة ١٠٧ هـ في الوجه البحري فبعث إليهم الحر جيشاً لمحاربتهم  
فقتل منهم نفر كثير<sup>(٥)</sup> .

وعند ما ولي مصر الوليد بن رفاعة من قبل هشام بن عبد الملك  
( ١٠٩ - ١١٧ هـ ) خرج ليحصى أهلها ، وينظر في تعديل خراجهم ،  
واسطخب معه جماعة من الكتاب والأعوان ليساعدوه في مهمته هذه ،  
فأقام بالصعيد ستة أشهر حتى بلغ أسوان ، وأقام بالوجه البحري ثلاثة  
أشهر ، فأحصوا من القرى أكثر من عشرة آلاف قرية ، ولم يحصى في

(١) العامر الأرض الخراب أو البور

(٢) الولاية والقضاة ص ٧٣

(٣) الحفظ ج ١ ص ٧٩

(٤) القيراط نوع من العملة المستعملة حينذاك فكان الدينار ينقسم إلى ٢٤

قيراطاً ( ابن عبد الحكم - طبعة توري ص ١٥٣ )

(٥) الكندي ص ٧٣ - ٧٤ وساويرس ص ٧٦ ( T.V. ) وخط المقرئزي

أصغر قرية منها أقل من خمسمائة رجل ممن تفرض عليهم الجزية (١) .  
وقد تتابعت ثورات القبط ، فنار أقباط الصعيد وحاربوا عمال  
الحكومة في سنة ١٢١ هـ ، فبعث إليهم حنظلة بن صفوان والى مصر  
(١١٩ - ١٢٤ هـ) جيشاً لمحاربتهم ، فانتصر عليهم وقتل منهم عدداً  
كبيراً (٢) وفي ولاية حفص بن الوليد الثالثة على مصر (١٢٧ - ١٢٧ هـ)  
أعلن إعفاء كل من يسلم من الجزية ، فاعتنق نحو أربعة وعشرين ألفاً من  
الأقباط الدين الإسلامي (٣)

ومع ذلك فقد تتابعت ثورات القبط فخرج ثأر منهم بسمنود ، يدعى  
يحنس ، فبعث إليه عبد الملك بن مروان ابن موسى بن نصير ، والى مصر  
إذ ذاك جيشاً لمحاربتهم ، وكان ذلك في سنة ١٣٢ هـ ، فقتل يحنس مع  
كثير من أصحابه (٤)

ثم نار القبط برشيد في سنة ١٣٢ هـ ، فأرسل إليهم مروان بن محمد  
جيشاً لمحاربتهم ، وذلك حينما دخل مصر فاراً من بنى العباس فهزموهم هذا  
الجيش (٥) ، كذلك نار ضده أهل البشروود ولكنه لم يستطع القضاء على

---

(١) ابن عبد الحكم — طبعة تورى ص ١٥٦ وخط المقيزي ج ١ ص ٧٤  
والسيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٦٣ — ٦٤ في مجموعة الارشيدوق رينر  
بالمكتبة الأهلية في فينا وثيقة بردية تشير إلى احصاء سكان مصر في ولاية الوليد بن  
رفاعة . وتفصل هذه الوثيقة البيانات التي كان على الموظفين جمعها عن كل شخص . راجع  
Papyrus Erzherzog Rainer. Führer durch die Ausstellung (Wien 1894),  
No 599 p 152.

(٢) خطط المقيزي ج ١ ص ٧٩  
(٣) ساويرس : سير الآباء البطارقة ص ١١٦ — ١١٧  
(٤) الكندي ص ٩٤ وخط المقيزي ج ١ ص ٧٩  
(٥) الكندي ص ٩٦ وخط المقيزي ج ١ ص ٧٩

ثورتهم ، إذ سرعان ما هاجمه العباسيون وقضوا عليه (١) .  
ولما قامت الدولة العباسية في مصر تفاعل الأقباط خيراً وخدمت ثورة  
الشموريين من أجل ذلك (٢) ، إلا أن المشكلة المالية لم تنته وعادت إلى  
ما كانت عليه زمن الأمويين ، بل فاقت العهد السابق فلم تمض ثلاث سنوات  
على قيام الدولة العباسية بمصر حتى ضوعف الحراج على الأقباط ولم يتم ما  
وعدوا به من التخفيف عنهم (٣) .

ولكن حدث من ناحية أخرى أن قرّر الخليفة السفاح أن يعفى من  
الجزية كل من يعتنق الدين الإسلامي ويقم شعائره ، فتخلى كثير من  
المسيحيين ، أغنياء كانوا أو فقراء ، عن دينهم واعتنقوا الدين الإسلامي  
بسبب فداحة الجزية والأعباء الملقاة عليهم (٤) . وسرعان ما عاد القبط الذين  
بقوا على دينهم إلى الثورة فثار الأقباط بسمنود في سنة ١٣٥ هـ في ولاية  
أبي عون الأولى على مصر (١٣٣ — ١٣٦ هـ) فبعث إليهم أبو عون  
جيشاً لمحاربتهم فهزموا وقتل أبو مينا زعيم تلك الثورة (٥) .

ثم ثار القبط في سخا سنة ١٥٠ هـ في ولاية يزيد بن حاتم بن قبيصة  
على مصر (١٤٤ — ١٥٢ هـ) وانضم إليهم أهل البشروود وبعض جهات  
الوجه البحري ، ولكن العرب انهزموا أمام القبط في هذه المرة (٦) . ثم  
خرج القبط في سنة ١٥٦ هـ في ولاية موسى بن عيسى بن رباح اللخمي

(١) ساويرس ص ١٥٦ — ١٥٧ و١٦٢ و١٨٨

(٢) ساويرس ص ١٨٨ (t. V.)

(٣) ساويرس ص ١٨٨ — ١٨٩

(٤) ساويرس ص ١٨٩ — ١٩٠

(٥) الكندي ص ١٠٢ وأبو المحاسن ج ١ ص ٣٢٥ — ٣٢٦

(٦) الكندي ص ١١٦ وخط المقرئ ج ١ ص ٧٩

(١٥٥ - ١٦١ هـ) فأرسل إليهم الوالي جيشاً هزمهم (١).  
وكثيراً ما ثار العرب ضد الحكومة بسبب الخراج بعد أن زاد عددهم  
وأصبحوا يملكون الأراضي في البلاد، وكثيراً ما اشتركوا مع الأقباط  
في ثوراتهم. وكانت آخر ثورة للأقباط تلك التي حدثت في جنادى الأولى  
سنة ٢١٦ هـ زمن الخليفة المأمون أثناء ولاية عيسى بن منصور على مصر  
من قبل المعتصم (٢١٦ - ٢١٧ هـ) إذ ثار أهل الوجه البحرى كلهم  
سواء في ذلك العرب والقبط - فطردوا عمال الحكومة، وقدم الأفشين  
قائد المأمون من برقة لمحاربتهم، فسار إلى الحوف وهزمهم وأرسل القواد  
وعيسى بن منصور إلى مختلف جهات الوجه البحرى لمحاربة الثائرين. ثم  
أقبل الأفشين في جنوده إلى الإسكندرية فهزم كل من اعترضه في طريقه  
إلى أن دخلها في ذى الحجة سنة ٢١٦ هـ، ثم سار بعد فتحها إلى أهل  
البشرد، فامتنعوا عليه حتى قدم المأمون إلى مصر (٢).

وقد عرف أهل البشرد أو البشور بغلظة طباعهم وحبهم للمصيان  
والثورة منذ التاريخ القديم، وقد شجعتهم طبيعة المنطقة التي يعيشون فيها  
على ذلك فإن هذه المنطقة الرملية على ساحل الدلتاين فرعى رشيد ودمياط (٣)  
كانت تحيط بها المستنقعات والأوحال التي تعيق حركة الجند (٤) وقد ثاروا  
زمن المأمون لكثرة الخراج الواقع على كاهلهم والقسوة التي كانت تستعمل  
في جبايته (٥) وقبل مجيء المأمون إلى مصر كتب البطرك أنبا يوساب إليهم

(١) الكندى ص ١١٩ وخط المقيزى ج ١ ص ٧٩

(٢) الكندى ص ١٩٠ - ١٩١

(٣) Wiet : Hist. de la Nation. Egypt. t. IV. p. 73

(٤) ساويرس : سير الآباء البطارقة ص ٤٨٧ (t. X.)

(٥) ساويرس ص ٤٨٦ - ٤٨٧

كتبنا ينصحهم بأن يرجعوا عن ثورتهم ويحذرهم من قوة السلطان فلم يرجعوا ، ولما رأى الأفشين تهادى البشموريين في ثورتهم كتب إلى الخليفة المأمون يعلمه بما حدث<sup>(١)</sup> فرأى المأمون أن يأتي إلى مصر لإخماد تلك الثورة فجاء في جيشه وصحب معه البطرك ديونوسيوس بطرك أنطاكية<sup>(٢)</sup> في المحرم سنة ٢١٧هـ وقد سخط الخليفة على الوالي عيسى بن منصور وقال : « لم يكن هذا الحدث العظيم إلا عن فعلك وفعل عمالك ، حملتم الناس مالا يطيقون وكنتموني الخبير حتى تفاقم الأمر واضطربت البلد<sup>(٣)</sup> » .

وقد حاول المأمون أولاً أن يخمد ثورة البشموريين باللين فأرسل إليهم البطرك أنبا يوساب والبطرك ديونوسيوس ووعدهم إلا يعاقبهم إن هم رجعوا عن ثورتهم ولكن البشموريين لم يجيبوا البطركين فسير المأمون إليهم الأفشين : عنده ولكنهم قاوموا جند الأفشين بشدة فلما علم المأمون بذلك سار إليهم بجيشه وركز جميع قواته ضدهم إلى أن سلم البشموريون فأعمل فيهم أنبيس سيف وأحرقوا مساكنهم وهدموا كنائسهم<sup>(٤)</sup> وغادر الخليفة مصر في ١٦ سفر سنة ٢١٧ بعد أن مهد أمورها وزار بعض البلدان فيها ، وكانت مدة إقامته بمصر تسعة وأربعين يوماً<sup>(٥)</sup> .

وبعد ثورة البشموريين التي كانت آخر ثورة للأقباط في عهد الولاة ، أصبح المسلمون أغلبية في مصر وعلى الأخص في الوجه البحري إذ يظهر

(١) ساويرس ص ٤٨٨ — ٤٩٠

(٢) ساويرس ص ٤٩٢

(٣) الكندي ص ١٩٢ — خطط القرظي ج ١ ص ٨١

(٤) ساويرس ص ٤٩٢ — ٤٩٥ (٤. X)

(٥) الكندي ص ١٩٢ — خطط القرظي ج ١ ص ٨١ — أبو المحاسن



أن عدداً كبيراً من الأقباط أسلم في ذلك الوقت (١).

وقيل في مناسبة زيارة المأمون لمصر إنه لما سار في قري مصر، كان يقيم في القرية يوماً وليلة فر بقرية يقال لها طاء النمل ولم يدخلها لصغرها فلما تجاوزها خرجت إليه مجوز اسمها مارية القبطية وهي تسيح . فظنها المأمون مستغيثة متطلمة فوقف لها فطلبت منه السيدة أن يشرفها بالزيارة في ضيعتها فأجابها المأمون إلى طلبها وكان معه أخوه المتصم وابنه العباس وأولاد أخيه الواثق والمتوكل ، ويحيى بن أكرم والقاضي أحمد بن أبي دواد عدا قواده وعساكره فأكرمهم كرماً كثيراً « ثم أحضرت للمأمون من فاخر الطعام ولذيذة شيئاً كثيراً فلما أصبح وقد عزم على الرحيل جاءت معه عشر وصيفات مع كل وصيفة طبق ، وفي كل طبق كيس من ذهب فاستحسن ذلك وأمرها بإعادته . فقالت : لا والله لا أفعل . فتأمل الذهب فإذا به ضرب عام واحد كله فقال هذا والله أعجب ، ربما يمجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت يا أمير المؤمنين لا تكسر قلوبنا ولا تحتقرنا . فقال . إن في بعض ما صنعت الكفاية ولا نحب التثقيب عليك ، فردى مالك بارك الله فيك . فأخذت قطعة من الأرض وقالت : يا أمير المؤمنين . هذا ، وأشارت إلى الذهب ، من هذا ، وأشارت إلى الطينة التي تناولتها من الأرض ثم من عدلك يا أمير المؤمنين وعندى من هذا شيء كثير . فأمر به فأخذ منها وأقطعها عدة ضياع وأعطاهم من قريتها طاء النمل مائتي فدان بنير خراج وانصرف متعجباً من كبر مروءتها وسعة حالها » (٢).

وهكذا نرى أن المصريين أو الأقباط قبلوا تبعيتهم للعرب وقبلوا

(١) خطط الفريرى ج ١ ص ٧٩ - ٨٠

(٢) خطط الفريرى ج ١ ص ٨١

النظام المالى الذى فرضه الخلفاء حتى سنة ١٠٧ هـ ثم بدأوا يقاومون حكومة العرب مقاومة علنية دموية ظلت أكثر من قرن لاسيما في منطقة الدلتا. على أن ثورات القبط كان يقضى عليها سريعا . وكان يتبع إخمادها في العادة تحوّل جزء كبير من الأقباط إلى الدين الإسلامى. ولم تكن هذه الثورات حركات قومية بالمعنى الصحيح وإنما كانت حركات غير منظمة لم يعرف فيها القبط كيف يوحّدون أنفسهم وكيف يتخذون لهم قيادة حكيمة . وكان هدفها خفض الضرائب أو الحرب من دفعها. فبينما نجد أن الاضطهاد الدفليديانوسى ضد المسيحية في مصر قد زاد من قوتها وولد حركة قومية بين المسيحيين نجد أن القبط يفتنون على أمرهم في ثوراتهم ضد العرب . ومنذ سنة ٢١٧ هـ تبدأ الفترة الثالثة من ذلك العهد وأصبح الأقباط أقلية في القطر المصرى .

### القبائل العربية في مصر

امتاز العرب على غيرهم من فتحوا مصر في مختلف العصور بأنهم اندمجوا في الشعب المصرى وامتزجوا به امتزاجا قويا وكان لهذا الامتزاج أكبر الأثر في تغلب الثقافة الإسلامية والدين الإسلامى في وادى النيل .

وقد شجع الخلفاء وفود القبائل العربية إلى مصر فزاد المسلمون في مصر لتزايد العرب فيها باستمرار بما كان يرد من القبائل بعد الفتح وبتحوّل القبط إلى الدين الإسلامى .

ويمكننا أن نقدر جيش الاحتلال الذى استقر في مصر بعد الفتح بنحو ستة عشر ألفا من الرجال ، ولا نعرف تماما عدد سكان مصر حينذاك . وقد كتب ابن عبد الحكم<sup>(١)</sup> أنه كان هناك أكثر من ستة مليون رجل ممن

(١) ابن عبد الحكم ، طبعة المعهد العلمى الفرنسى ص ٥٦

تجب عليهم الجزية - أى باستثناء الشيوخ والنساء والأطفال - وإذا فرضنا أن هؤلاء الذين وجبت عليهم الجزية يكونون تلك السكان ، رأينا أنه كان بمصر إذاك نحو ١٨ مليون نسمة . ولكننا نرى أن هذا الرقم مبالغ فيه . فإن سكان مصر في العهد البيزنطى أى قبل الفتح كانوا ٧ مليون نسمة باستثناء الإسكندرية التى كان يبلغ عدد سكانها ٣٠٠.٠٠٠<sup>(١)</sup> .

وكان الفاتحون كما رأينا أقلية ضئيلة بالنسبة لأهل البلاد وفضلا عن ذلك فإنهم لم يختلطوا بهم وإنما اختلطوا لهم مدينة عربية إسلامية فى وسط المحيط المصرى القبطى . وقد كان تخطيط المدن من أهم الظواهر التى سارت جنبا إلى جنب مع الفتوحات العربية وذلك رغبة فى إنشاء مراكز إدارية وحريرية ودينية فى البلاد الجديدة التى فتحتها العرب .

وقيل إن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها ، هم أن يسكنها وقال : مساكن قد كفيناها . وكتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى ذلك . فسأل الخليفة رسول عمرو : هل يحول بينى وبين المسلمين ماء ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل . فكتب عمر إلى عمرو : إني لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف . فتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية إلى القسطنطينية .

وقيل كذلك إن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبى وقاص وهو نازل بمدائن كسرى وإلى عامله بالبصرة وإلى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية : أن لا تجمعوا بينى وبينكم ماء ، متى أردت أن أركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت . فتحول سعد من مدائن كسرى إلى

Munier : L'Egypte Byzantine. p. 84 (١)

الكوفة — وتحول صاحب البصرة من المكان الذى كان فيه . فنزل  
البصرة وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية إلى الفسطاط<sup>(١)</sup> .

أى أن المؤرخين العرب يرجعون عدم اختيار الاسكندرية عاصمة للعرب  
إلى خوف عمر بن الخطاب من ركوب البحر؛ ولكن الواقع أن الاسكندرية  
متطرفة وبعيدة عن أن تكون قاعدة متوسطة صالحة للحكم .

ولا ننسى أن الاسكندرية عند فتح العرب لها كانت مدينة يونانية  
بمعنى الكلمة ، يونانية فى سكانها وعاداتها وميولها فلم يكن من المنتظر أن  
يتخذها العرب عاصمة لهم .

أما عن كيفية اختيار موقع الفسطاط فيذكر المؤرخون العرب أن عمرو  
ابن العاص لما أراد التوجه لفتح الاسكندرية بمد استيلائه على حصن بابليون  
أمر بنزع فسطاطه فإذا فيه يمام قد فرخ فقال عمرو : لقد تحرم بنا ، وتركه  
ولما عاد المسلمون من الاسكندرية وقالوا أين نزل ؟ قال : الفسطاط ،  
لفسطاطه الذى كان قد خلفه<sup>(٢)</sup> .

وقال الجوهري : الفسطاط بيت من شعر . قال ومنه فسطاط مدينة مصر  
وذكر ابن قتيبة أن العرب تقول لكل مدينة فسطاط ولذلك قيل لمصر  
فسطاط<sup>(٣)</sup> . وقال الزمخشري . الفسطاط اسم لضرب من الأبنية ، والذى

---

(١) ابن عبد الحكم — طبعة تورى — ص ٩١ وخطط القرزى ج ١ ص  
٢٩٦ — السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٧  
(٢) ابن عبد الحكم — طبعة تورى — ص ٩١ وابن دقاق : الانتصار  
لواسطة عقد الأمصار ج ٤ ص ٢ — القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٣٠ —  
خطط القرزى ج ١ ص ٢٩٦ — السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٧  
(٣) ابن دقاق ج ٤ ص ٢ والقلقشندي ج ٣ ص ٣٣٠ وخطط القرزى ج ١  
ص ٢٩٦

عليه الجمهور أنه ينسب بذلك لمكان فسطاط عمرو بن العاص رضي الله عنه  
يعنى خيمته<sup>(١)</sup>.

على أن الرواية التي يذكرها المؤرخون عن تسمية الفسطاط واختيار  
موقعها أقرب إلى الخيال منها للحقيقة . فالؤرخون ينسجون كثيراً من  
الخيال حول حوادث فتح العرب لمصر كأن المصادفة والحظ قادا العرب دائماً  
إلى ما هو حسن .

ولكن الواقع الهامة في أنحاء العالم عرفها الانسان منذ القدم وإن  
تغيرت أسماء تلك المواقع بتغير الأزمان ، وقد عرف المصريون القدماء ومن  
أتى بعدهم على مر الزمن مزايا موقع منف والمنطقة المحيطة به ، وإن اتخذ  
هذا الموقع أسماء مختلفة باختلاف الأزمنة مثل الفسطاط والقاهرة . ويمتاز  
هذا الموقع بتوسطه بين مصر السفلى ومصر العليا وله عدة مزايا تجارية  
وسياسية وحرية . ويذكر سترابو أن حصن بابليون الذي يقع قريباً من  
موقع منف كانت فيه إحدى الحاميات الثلاث في مصر<sup>(٢)</sup> وقد عرف  
العرب كما عرف غيرهم أهمية ذلك الموقع فاختلفوا مدينة الفسطاط في الفضاء  
الواقع شمالي بابليون . ويذكر القرظي<sup>(٣)</sup> أن موضع الفسطاط كان فضاء  
ومزارع فيما بين النيل وجبل المقطم الذي يقع في شرقي مصر ، ولم يكن  
فيه من البناء والعمارة سوى حصن بابليون أو قصر الشمع ، فلما فتح عمرو  
ابن العاص مدينة الإسكندرية فتحها الأول نزل بجوار هذا الحصن واختط

(١) القلشندي ج ٣ ص ٣٣٠

(٢) Quatremère: Mémoires Géog. et Hist. sur l'Égypte. t.1. p.46

(٣) الخطط ج ١ ص ٢٨٦

جامعه واختطت قبائل العرب من حوله فصارت مدينة عرفت بالفسطاط ونزل الناس بها .

أما اسم فسطاط فالراجح أن أصله غير عربي وأنه مشتق من اللفظ اليوناني ποδδατον « قُسَّاطُنْ » ذلك اللفظ الذي اشتق من اللفظ اللاتيني fossatum<sup>(١)</sup> الذي كان يطلقه الرومانيون على معسكراتهم الحربية . وتؤيد أوراق البردي ذلك القول؛ ففي إحدى الأوراق البردية المكتوبة باللغتين العربية واليونانية بتاريخ سنة ٥٩٠ هـ وفي أخرى مشابهة بتاريخ سنة ٩١ هـ نجد اسم باب اليون ποδδατον والفسطاط ، فاسم فسطاط كان موجودا قبل تأسيس الفسطاط . وقد احتفظ العرب بتلك التسمية بعدما احتلوا المعسكر الحربي<sup>(٢)</sup> وقد اتخذت كل قبيلة من القبائل العربية التي فتحت مصر خطة في الفسطاط أى أن كل قبيلة نزلت في جهة معينة أو قسم من تلك المدينة التي اختطوها . ويذكر المقرئ<sup>(٣)</sup> أن الخطط التي كانت بمدينة فسطاط مصر هي بمنزلة حارات القاهرة في زمنه أى في القرن التاسع الهجري . وقد عرفت كل خطة باسم الجماعة التي نزلت فيها فقليل مثلا خطة تجيب وخطة مهرة الخ .

ولما اختط العرب مدينة الفسطاط في سنة ٢١ هـ تنافست القبائل في المواضع فانتدب عمرو بن العاص من خطط الخطط فن تلك الخطط خطة أهل الراية وهم جماعة من قريش والأنصار وأسلم وغفار وجهينة وبنسبون لراية عمرو بن العاص ويقال إن الراية قريش فقد كانت معهم راية عمرو بن

(١) كلمة fossatus, fossatum اللاتينية معناها معسكر أو فندق ، كلمة (٢) fossa' ac معناها خندق والفعل fossa, ari, avi, atum أى يحفر الخندق

(٢) Leone Caetani : Annali dell'Islam vol. IV. pp. 544 — 545

(٣) الخطط ج ١ ص ٢٩٦

الماص والأرجح أنهم سموا أهل الراية لأن قوما من أفناء القبائل من العرب كانوا قد شهدوا الفتح مع عمرو بن الماص ولم يكن من قومهم عدد فيقفوا مع قومهم تحت رايتهم وكرهوا أن يقفوا تحت راية غيرهم فقال لهم عمرو : أنا أجعل راية لا أنسبها إلى أحد أكثر من الراية تقفون تحتها ، فرضوا بذلك .

ومن تلك المخطط خطة مَهْرَة وخطة تُجِيب وخطة لُخْم وجُدَام وخطة بنى بحر وهم قوم من الأزد وخطة تَقِيف وخطة غَافِق وخطة حِزْرَمُوت وخطة يَحْصِب وخطة المَافِر وخطة سَبَأ وخطة بنى وائل وخطة القَبِيز وخطة مَذْحِج وخطة بنى عَطِيف وبنى وَعَلان وخطة بَيْلَى وخطة خَوْلان وخطة المِصَدِف وخطة عُنْت وخطة سَلامان وخطة السُّلَاف وخطة رُعَيْن وخطة الكَلَاع وخطة نَافِع وخطة مَراء وخطة الجَراوات والفارسيين ذلك أنه دخل مع عمرو بن الماص قوم من غير العرب يقال لهم الجراء والفارسيون ، فأما الجراء فقوم من الروم فيهم بنو يَنْسَة وبنو الأذرق وبنو روبيل والفارسيون قوم من الفرس وزعموا أن فيهم قوما من الفرس الذين كانوا بصنعاء إلى غير ذلك من المخطط التي درست<sup>(١)</sup>

وصفوة القول أن مدينة الفسطاط قسمت إلى خطط ، كل خطة تسكنها قبيلة . ومن المخطط من كان يسكنها من هو من أصل فارسي أو رومي وهؤلاء كانوا أقلية ضئيلة أما الأكثرية العظمى فكانوا من العرب ولاسيما عرب الجنوب أو اليمنية .

(١) ابن عبد الحكم — طبعة توري — ص ٩٨ — ١٢٩ — ابن دقاق ج ٤ ص ٣ — ٥ ، القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٣٣١ — ٣٣٢ ، خطط القرظي ج ١ ص ٢٩٧ — ٢٩٨

وقد نشأت مدينة الفسطاط صغيرة بسيطة في أول الأمر وما لبثت أن اتسعت وكثر العمران فيها . ويدلنا على بساطة البناء في ذلك العهد أن خارجة بن حذافة بنى غرفة فيها ( أى دارا علوية أو بناء مرتفعا ) فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فكتب إلى عمرو بن الماص « سلام . أما بعد فإنه بلغنى أن خارجة بن حذافة بنى غرفة ولقد أراد خارجة أن يطلع على عورات جيرانه فإذا أتاك كتابى هذا فاهدمها إن شاء الله والسلام <sup>(١)</sup> » .

على أن العرب ما لبثوا أن تخطوا عهد البساطة وتوسعوا في البناء فبنى عبد الله بن سعد بن أبي سرح في خلافة عثمان بن عفان قصره الكبير الذى يعرف بقصر الجن . ولفخامة ذلك القصر إذ ذاك قال له المقداد : إن كان من مال الله فقد أسرفت وإن كان من مالك فقد أفسدت . فقال عبد الله بن سعد : لولا أن يقول قائل أفسد مرتين لهدمتها <sup>(٢)</sup> وبنى في الفسطاط الحمامات والأسواق وبنى عبد العزيز بن مروان القيساريات مثل قيسارية المسل وقيسارية الحبال وقيسارية الكباش والقيسارية التى يباع فيها البز وهى التى تعرف بقيسارية عبد العزيز ، وبنى هشام بن عبد الملك قيساريته التى تعرف بقيسارية هشام <sup>(٣)</sup> .

وبعد أن كان البناء في أول أمره باللبن والدار من طبقة واحدة يحدثننا الاصطخرى <sup>(٤)</sup> الذى عاش في القرن الرابع الهجرى بأن الفسطاط في غاية العماره وأن بها قبائل وخطط للعرب تنسب إليهم محالها ومعظم بنائهم بالطوب وهو عبارة عن طبقات وربما بلغت طبقات الدار الواحدة ثمانى

(١) ابن عبد الحكم طبعة تورى ص ١٠٤

(٢) ابن عبد الحكم ص ١١٠

(٣) ابن عبد الحكم ص ١٣٦

(٤) كتاب مسالك المالك ص ٤٩



طبقات . وقد اثبتت الحفائر الحديثة في أطلال الفسطاط أن بيوتها كانت غنية بوسائل الترف وعلى رأسها المياه الجارية<sup>(١)</sup> .

وقد عني العرب منذ تخطيط الفسطاط ببناء مسجد جامع لهم . وكان تأسيس المساجد الجامعة يسير جنباً إلى جنب مع تخطيط المدن في البلاد المفتوحة ، فبنى عمرو بن العاص المسجد الجامع في الفسطاط سنة ٢١ هـ ولما كان هذا المسجد أول جامع بنى في مصر الإسلامية فقد عرف باسم تاج الجوامع والجامع العتيق وجامع عمرو بن العاص وكان المسلمون يقيمون في المسجد الجامع شعائرهم الدينية فيقيمون فيه الصلوات الخمس ويحرمون الجمع ، كذلك كان المسجد الجامع بمثابة مدرسة دينية يتعلم فيه الناس الدين الإسلامي كما كان مركزاً للقضاء<sup>(٢)</sup> وقد ظل جامع عمرو بن العاص المسجد الجامع الوحيد في مصر في عهد الولاة إلى أن بنى الفضل بن صالح بن علي العباسي في ولايته على مصر من قبل الخليفة المهدي جامع المسكر في سنة ١٦٩ هـ في مدينة المسكر التي اختطها العباسيون في سنة ١٣٣ هـ . وبعد عهد الولاة كثر بناء الجوامع في مصر وخاصة في عهد المهاليك . على أن جامع عمرو وهو أقدم جامع في مصر ظل موضع عناية حكام مصر في عصورها المختلفة . فبالرغم من أن بناءه كان بسيطاً جداً في أول عهد الفتح زى أن ولاية مصر وحكامها في العصور المختلفة يهتمون بتوسيعه وإقامة المنازير والحاربي له وتزيينه

(١) على بهجت بك والبير جبريل : كتاب حفريات الفسطاط

(٢) انظر Johns. Pedersen : Art. Msadjud, Ecnyclopaedia of Islam

Vol. III. pp. 325-331, 346-350

وفي هذا المقال يتكلم عن المسجد باعتباره مكاناً دينياً للعبادة يعلى فيه الناس ويحرمون الجمع ويتلى فيه القصص الدينية والخطب وباعتباره مركزاً للإدارة العامة فبه كان يجلس عامل الخراج كما كان يعتبر مركزاً للقضاء وممهداً علمياً ومكتبة أيضاً

بشتى الزخارف المعارية إلى غير ذلك مما بين لنا تطور الفن الإسلامى فى مصر كما بين لنا عناية حكام مصر بأول جامع بنى فيه .

كذلك اختط العرب مدينة الجيزة . فمندا ما اختطت القبائل الفسطاط نزلت همدان موضع الجيزة . وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب إليه عمر « كيف رضيت أن تفرق أصحابك ولم يكن ينبغى لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينك وبينهم بحر لا تدرى ما يفحام فملكك لا تقدر على غيائهم حين ينزل بهم ما تكره فاجمعهم إليك فإن أبوا عليك وأعجبهم موضعهم بالجيزة وأحبوا ما هنالك فابن عليهم من فى المسلمين حصناً » فلما عرض عليهم عمرو بن العاص رأى أمير المؤمنين فضلوا البقاء بالجيزة فبنى لهم عمرو بن العاص الحصن بالجيزة فى سنة ٢١ هـ و فرغ من بنائه سنة ٢٢ هـ واختلوا فى الجيزة خططا عرفت بهم مثل خطط الفسطاط<sup>(١)</sup>

ونزل قوم من العرب فى الإسكندرية ، على أن الإسكندرية لم يكن فيها خطط وإنما كانت « أحاذث » ، أى من أخذ منزلاً نزل فيه ، ويقال إن الربير بن العوام اختط بالإسكندرية<sup>(٢)</sup> .

وهكذا نرى أن العرب الذين استقروا فى مصر وممطهم من النخبة كانوا يقيمون فى الفسطاط أو الجيزة أو الإسكندرية . وقد حرم عليهم عمر ابن الخطاب الاشتغال بالزراعة أو امتلاك الأرض فلم يكونوا يعنون بغير السياسة والحكم والحرب ولذا لم يختلط العرب بالمصريين فى البداية ولم يكن لهم تأثير يذكر على القبط سواء أ كان هذا التأثير من ناحية انتشار الدين

(١) ابن عبد الحكم — طبعة تورى ص ١٢٨ — ١٢٩ وخطط القرزى

ج ١ ص ٢٠٦ والسيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٩

(٢) ابن عبد الحكم ص ١٣٠ والسيوطى : حسن المحاضرة ص ٥٨

الإسلامي أو اللغة العربية . وكان اختلاط القبائل العربية بأهل مصر عن طريق التزاوج أو الولاء نادراً في أول الأمر وكان العرب أقلية ضئيلة في مصر في ذلك العهد .

على أن أغلب الولاة الذين حكموا مصر في فجر الإسلام كانوا يصحبون معهم جيوشاً عربية حتى نهاية العهد الأموي أو عربية ومن شعوب أخرى غير العرب كالحرسانيين والآتراك في العصر العباسي . فكانت القبائل العربية تغد باستمرار إلى مصر إما مع الولاة أو يبعث بها الخلفاء لتتميز الجند واستيطان البلاد ، ولذا نرى أن عدد الجند في مصر أيام معاوية بن أبي سفيان بلغ أربعين ألفاً<sup>(١)</sup> .

وكانت الأغلبية في مصر من عرب اليمنية أو عرب الجنوب ، وكانت قيس<sup>(٢)</sup> أو عرب الشمال عامة أقلية بمصر . فبعد ما وتى مروان بن الحكم ابنه عبد العزيز بن مروان على مصر في سنة ٦٥ هـ قال عبد العزيز : يا أمير المؤمنين كيف المقام ببلاد ليس به أحد من بني أبي<sup>(٣)</sup> ؟ فلما جاء عهد هشام ابن عبد الملك ( ١٠٥ - ١٢٥ هـ ) حدث تطور في تاريخ القبائل العربية بمصر ، ذلك أنه في ولاية الوليد بن رفاعة الفهمي ( ١٠٩ - ١١٧ هـ ) نقلت إلى مصر بطون كثيرة من قيس . ولم يكن للقيسية قبل ذلك عدد كبير في وادي النيل<sup>(٤)</sup> . وقد حدث هذا النقل حين وفد عبید الله بن الجحباب

(١) ابن الحكم . طبعة تورى ص ١٠٢ والمقریزی ج ١ ص ٩٤

(٢) غلب اسم قيس على سائر العدنانية أو عرب الشمال حتى جعل في النثل مقابل عرب اليمن فأطبة فيقال قيس ويمن ( الفلقشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ٣٣٩ )

(٣) الكندي ص ٤٧

(٤) ويخالف ما كما يكل Maemichael المؤرخين العرب في ذلك فيرى أنه بين

سنتي ٧٠٩ - ٧٢٧ ( ٩١ - ١٠٩ هـ ) حكم مصر ثلاثة من الحكام القيسيين =

على الخليفة هشام بن عبد الملك في سنة ١٠٩ هـ وسأله أن ينقل إلى مصر  
بيوتا من قيس إذ لم يكن في مصر حتى ذلك الوقت إلا نفر قليل منهم ، فأذن  
له هشام في ترحيل ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم إلى مصر على ألا ينزلهم  
الفسطاط . فقدم بهم ابن الحبحاب وأزلم الحوف الشرق وفرقهم فيه (١)

وقد جاء في الكندي أن عبيد الله بن الحبحاب لما ولاء هشام على  
مصر قال : « ما أرى لقيس فيها حظاً إلا لناس من جديدة ، وهم فهم  
وعدوان . فكتب إلى هشام : إن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرف  
هذا الحى من قيس ونمشهم ورفع من ذكركم ، وإني قدمت مصر فلم أر  
لم فيها حظاً إلا آبياتاً من فهم ، وفيها كور ليس فيها أحد وليس يضر  
بأهلها نزولهم معهم ، ولا يكسر ذلك خراجاً ، وهى بلبيس ، فإن رأى  
أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحى من قيس فليفعل . فكتب إليه هشام .  
أنت وذلك . فبعث إلى البادية ، فقدم عليه مائة أهل بيت من بنى نصر ، ومائة  
أهل بيت من بنى عامر ، ومائة أهل بيت من أبناء هوازن ، ومائة أهل  
بيت من بنى سليم . فأزلم بلبيس وأمرهم بالزرع ، ونظر إلى الصدقة

== قبل الوليد بن رفاعة الفهمى : اثنان من فهم وواحد من عيس ولا بد أن يكون صحب  
هؤلاء أعداد كثيرة من قبائلهم كذلك كان في الفسطاط زمن الفتح خطة لكنانة فهم  
وتحسب سلم بأنه كانت هناك خطة في الفسطاط لكنانة فهم وأنه بين سنتي ٩١ —  
١٠٩ هـ ولى مصر قرعة بن شريك العيسى (٩٠ — ٩٦ هـ) ثم عبد الملك بن رفاعه  
ابن خالد بن ثابت الفهمى (٩٦ — ٩٩ هـ) وولى عبد الملك بن رفاعه مرة ثانية سنة  
١٠٩ هـ حوالى خمسة عشر يوماً . ولكن ذلك ليس معناه أن قبائل قيس بمصر كانت  
عديدة . وقد رأينا من تخطيط الفسطاط أن معظم القبائل تكاد تكون كلها يمنية .  
ولم نسمع أى ذكر عن قبائل قيس بمصر قبل زمن هشام بن عبد الملك ولذا نرى أن  
نأخذ بكلام المؤرخين العرب في هذه المسألة وربما حل الخليفة هشام على ألا ينزل قيساً  
بالفسطاط وجود اليمنية بها غفى الخليفة من وقوع المنازعات بينهم .  
(١) الكندي ص ٧٦ والمريزي : البيان والإعراب ص ٥٠ .

من المشور فصرفها إليهم ، فاشترؤا إبلا . فكانوا يحملون الطعام إلى القلزم ، وكان الرجل يصيب في الشهر العشرة دنانير وأكثر وأقل . ثم أمرهم باشتراء الخيول ، فجعل الرجل يشتري المهر ، فلا يمكث إلا شهراً حتى يركب ، وليس عليهم مؤونة في إعلاف إبلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم . فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحمل إليهم خمسمائة أهل بيت من البادية ، فكانوا على مثل ذلك ، فأقاموا سنة فأتاهم نحو من خمسمائة من أهل بيت ، فات هشام ببليس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس <sup>(١)</sup> .

أى أن العرب في زمن الخليفة هشام بن عبد الملك أخذوا يتخلون عن السياسة التي اتبعوها منذ الفتح وهي سياسة الترفع عن الاختلاط بالأهالي وعن الاشتغال بالزراعة . وقد وافق قدوم هذه البطون القيسية إلى مصر في سنة ١٠٩ هـ قيام ثورات الأقباط التي بدأت في سنة ١٠٧ هـ . وقد يكون الخليفة أراد بنقل هذه البطون إلى مصر والسماح لها بالاشتغال بالزراعة أن يتقوى المسلمون بالعرب ضد الأقباط الذين بدأوا ثوراتهم ، أو أن يحل العرب محل من يموت من الأقباط في هذه الثورات ، أو من يهجر أرضه ، وذلك حتى لا يصيب الزراعة ضرر . وقد ساعد وجود العرب في القرى واشتغالهم بالزراعة على الاختلاط بالأهالي ، وكان لهذا الاختلاط أثره في انتشار الإسلام بمصر نتيجة للتزواج أو للموالاتة بينهم وبين أهالي البلاد . ولذا يقول المقرئ <sup>(٢)</sup> « ولم ينتشر الإسلام في قرى مصر إلا بعد المائة من تاريخ الهجرة عند ما أنزل عبيد الله ابن الحبحاب مولى سلول قيسا بالحوف الشرق . فلما كان بالمائة الثانية من سنى الهجرة كثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها » .

(١) الكندي : ص ٧٦ — ٧٧ ، والمقرئ : البيان والإعراب ص ٥٠ — ٥١

(٢) المخطط ج ٢ ص ٢٦١

وبذكر لين بول<sup>(١)</sup> أن الذي دعا عبيد الله بن الحبحاب إلى إحضار قيس إلى مصر هو ما رآه من عدم انتشار الإسلام بين الأقباط . ولكننا لا نعرف مرجعاً قديماً يؤيد هذا القول .

أخذت القبائل العربية بمد ذلك فقد إلى مصر وتستقر في القرى المصرية . ويذكر المؤرخون أنه في زمن مروان بن محمد عند ما ولي الحوثة ابن سهيل الباهلي مصر (١٢٨ - ١٣١ هـ) مالت إليه بطون قيس ، فات مروان وبها ثلاثة آلاف أسرة منهم ، ثم توادوا وقدم عليهم من البادية كثير من ذرى قريتهم<sup>(٢)</sup>

ويظهر أن القبائل العربية أخذت تقد إلى مصر باستمرار ، وأخذت تصاهر أهل البلاد ، ومن قدم إلى مصر في ذلك العهد أولاد الكنز ، وأصلهم من ربيعة بن معد بن عدنان ، أى من عرب الشمال . وكانوا يزلون اليامة ، وقد قدم كثير منهم إلى مصر في خلافة التوكل على الله العباسي (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) بعد سنة ٢٤٠ هـ ، وانتشروا في أنحاءها ، ونزلت طائفة منهم بأعلى الصعيد ، وكانت البجة تشن الفارات على القرى الشرقية في كل وقت حتى أخربوها ، فقامت بطون ربيعة تصدمهم ، ثم تزوجوا منهم واستولوا على معدن الذهب بوادي العلاقي ، فكثرت أموالهم وأصبحوا في سعة من العيش . وبلاد البجة كما يذكر المقرئى<sup>(٣)</sup> تمتد من صحراء قوص إلى أول بلاد الحبشة ، ولم يهتم العرب عندما فتحوها مصر بإخضاعها .

(١) A History of Egypt in the Middle Ages p. 28

(٢) الكندي ص ٧٧ والمقرئى : البيان والإعراب ص ٥١

(٣) المقرئى : البيان والإعراب ص ٣٨

(٤) خطط المقرئى ج ١ ص ١٩٤

ويذكر المؤرخون أن عبد الله بن سعد عند ما قفل من غزو النوبة سنة ٤٣١ هـ تجمع له البجة على شاطئ النيل ، فسأل عنهم وهان عليه أمرهم ، فتركهم ولم يكن لهم عقد ولا صلح ، وأول من صالحهم عبید الله بن الحبحاب<sup>(١)</sup> ، ولكنهم كثيراً ما كانوا يغيرون على مصر فخاربهـم الخليفة المأمون ، وأصبحت بلاد البجة تابعة للخلافة بمقتضى عهد عقد بين الخليفة وبين رئيسهم في سنة ٢١٦ هـ ، ولكنهم ما لبثوا أن عادوا إلى الإغارة على صعيد مصر ، فخاربهـم الخليفة المتوكل العباسي ، وسار رئيسهم إلى الخليفة المتوكل بسر من رأى في سنة ٢٤١ هـ ليقدّم إليه فروض الولاء والطاعة . ولما تسامح الناس بوجود معدن التبر في أرض البجة وفدوا إلى أرضهم ، فقدم عليهم أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمري بعد محاربه النوبة في سنة ٢٥٥ هـ ومعه بطون من ربيعة وجهينة وغيرهم من العرب<sup>(٢)</sup> .

على أن ازدياد القبائل العربية بمصر سبب كثيراً من الاضطرابات فيها ، فمن منازعات قبلية بين القيسة والحنينية ، ومن منازعات بين العرب وأهالي البلاد الأصليين ، فضلاً عن أن العرب بمصر كثيراً ما كانوا يشتركون في المشاكل التي قامت حول الخلافة كما بينا سابقاً ، ويقدر زيادة عددهم بمصر بقدر ما كانت تزيد مشاكلهم واضطراباتهم فيها

كذلك لما أصبح للعرب في مصر حق امتلاك الأرض وزراعتها وجب عليهم دفع الخراج ، فكان ذلك سبباً لبعض الثورات . وقد بدأ العرب في مصر يشتغلون بالزراعة في أواخر العهد الأموي ، وقامت ثوراتهم

(١) ابن عبد الحكم طبعة توري ص ١٨٩ وخطط القرظي ج ١ ص ١٩٥

(٢) خطط القرظي ج ١ ص ١٩٥ - ١٩٦

من أجل الخراج في العهد العباسي ، وتمددت تلك الثورات ، ففي ولاية موسى بن مصعب الخثعمي على مصر من قبل الخليفة المهدي (١٦٧ - ١٦٨ هـ) تشدد في جباية الخراج ، وزاد على كل فدان ضعف ما كان يجبي عليه وجعل خراجاً على أهل الأسواق وعلى الدواب حتى قال الشاعر :

لو يعلم المهدي ماذا الذي يفعله موسى وأيوب

بأرض مصر حين حلابها لم يتهم في النصح يعقوب

وقد ثار أهل الحوف من أجل ذلك وطرّدوا عمال الوالي ، ولم تهدأ ثورة الحوف إلا في ولاية الفضل بن صالح بن علي العباسي سنة ١٦٩ هـ<sup>(١)</sup> .

وفي خلافة هارون الرشيد ولي مصر إسحاق بن سليمان العباسي (١٧٧ - ١٧٨ هـ) فزاد الخراج على المزارعين زيادة أجهفت بهم ،

وآثارت أهل الحوف ، فبعث إليهم جيوشاً لم تنل منهم شيئاً ، فأرسل إلى هارون الرشيد يخبره بذلك ، فبعث الخليفة بجيش على رأسه هرثمة ابن أعين . وكانت النتيجة أن رضخ أهل الحوف وأدوا الخراج<sup>(٢)</sup> .

وثار أهل الحوف أيضاً في ولاية الليث بن الفضل (١٨٢ - ١٨٧ هـ)

ذلك لأن الليث بمسح بمساح يمسخون الأراضي الزراعية ، فانتقصوا من القصبه أصابع ، فتظلم الناس إلى الليث فلم يسمع منهم ، فساروا إلى الفسطاط لمحاربة الوالي ، فخرج إليهم الوالي سنة ١٨٦ هـ فانهزم أولاً ، ولكن ما لبثت الدائرة أن دارت على أهل الحوف ، غير أنهم مع هذا منعوا الخراج ، فخرج الليث إلى أمير المؤمنين في المحرم سنة ١٨٧ هـ ،

(١) الكندي ص ١٢٥ - ١٢٩

(٢) الكندي ص ١٣٦ وخطب القرظي ج ١ ص ٨٠ وأبو الحسن: النجوم

الزاهرة ج ٢ ص ٨٧ - ٨٨



وطلب منه أن يرسل معه جيشاً يساعده في جباية الخراج ، ولكن عفووظ ابن سليمان ضمن للتخليفة جباية الخراج كله بلا سوط ولا عصا فولاه الرشيد الخراج وصرف الليث عن صلاة مصر وخراجها<sup>(١)</sup> .

وفي ولاية الحسين بن جميل ( ١٩٠ - ١٩٢ هـ ) على مصر امتنع أهل الحوف عن أداء الخراج ، وقاموا بأعمال كثيرة في التخريب والنهب وقطع الطريق ، وأغاروا على قرى من فلسطين ، فبعث الخليفة الرشيد يحيى بن معاذ على رأس جيش أفلح في إخضاعهم سنة ١٩١ هـ .

وقد تتابعت ثورات القبائل العربية في مصر من أجل الخراج ، فقامت ثورة في ولاية عيسى بن يزيد الجلودي على مصر ( ٢١٢ - ٢١٤ هـ ) ، وهزم الثوار جيوش هذا الوالي سنة ٢١٤ هـ .

وعزل بعدها عيسى بن يزيد عن إمارة مصر وولى عمير بن الوليد من قبل المتصم في صفر سنة ٢١٤ ، فأرسل جيشاً لمحاربة أهل الحوف ليردهم إلى الطاعة ، وفي تلك الأثناء أراد الخليفة المأمون أن ينهي ثورتهم عن طريق السلم لا عن طريق الحرب ، فأرسل أبا خالد المهلبى إلى اليمنية ومحمد ابن دوالة العيسى إلى العبسية أو القيسية لمفاوضة الثائرين في أمر الصلح ، ولكنهما لم يفلحا في مهمتهما السلمية ، وأقبل أهل الحوف على القتال ، وقد قتل الوالى عمير أثناء محاربتهم لهم في ربيع الآخر سنة ٢١٤ هـ بيد أن ولى مصر ستين يوماً<sup>(٢)</sup> ، فأرجع المتصم عيسى بن يزيد الجلودي إلى منصب الوالى ( ٢١٤ - ٢١٥ هـ ) وسير عيسى جيوشه لمحاربة أهل الحوف ، وحدثت بينه وبينهم وقائع انتهى أمرها بأن فر الوالى منهزماً إلى القسطنطينة

(١) الكندى ص ١٤٠ وخطط المقرئى ج ١ ص ٨٠

(٢) الكندى ص ١٨٥ - ١٨٦

في رجب سنة ٢١٤ هـ . قدم المعتصم صاحب إقطاع مصر على رأس جيش من أرسه آلاف من جنده الترك لإخماد تلك الثورة ، وانتصر على أهل الحوف انتصاراً باهراً ، وقتل زعماءهم ، ثم خرج من مصر في المحرم سنة ٢١٥ هـ .

وكانت آخر ثورات العرب بمصر من أجل الخراج تلك التي قامت في سنة ٢١٦ هـ في ولاية عيسى بن منصور والتي اشترك فيها العرب مع الأقباط وانتهت بقدم المأمون إلى مصر لإخضاعها<sup>(١)</sup>

وكان العرب إلى عهد الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) يتميزون عن الأقباط الذين أسلموا ، فكانوا يأخذون المطاء ، بينما يحرم منه أهل البلاد الذين يمتنعون الإسلام .

وكثيراً ما كان أهل البلاد يشعرون بأنهم دون العرب مهما أسلموا ، فتذكر الروايات أن نفرأ من العرب كانوا يتخرشون بأهل الحرس<sup>(٢)</sup> ، ويؤذونهم ، فذهب أهل الحرس إلى زكرياء بن يحيى كاتب العمري قاضي مصر إذ ذاك من قبل الخليفة هارون الرشيد (١٨٥ - ١٩٤ هـ) وكان هذا الكاتب منهم ، فقالوا له : حتى متى تؤذى ويظمن في أنسابنا ؟ فأشار عليهم زكرياء بجمع مال يدفعونه إلى العمري - وكان ذلك القاضي من عرفوا بقبول الرشوة - ليسجل لهم سجلاً بإثبات أنسابهم ، فجمعوا له ستة آلاف دينار ، وشهد جماعة لهم بأنهم عرب<sup>(٣)</sup> .

ويقال إنه لما ولي قضاء مصر هاشم بن أبي بكر البكري من قبل

(١) الكندي س ١٩٠ - ١٩٢

(٢) حرس بالتحريك قرية في شرق مصر (ياقوت . معجم البلدان ج ٢ ص ٢٣٩) والظاهر أن أهلها كان يشك في عربيتهم وكانوا يبدون من القبط الذين أسلموا .

(٣) الكندي س ٣٩٧ - ٣٩٩

الأمين (١٩٤ - ١٩٦ هـ) بث بعض العرب في مصر وفدأ إلى الخليفة وذكروا ما فعل العمري مع أهل الحرس ، وأنه ألحقهم بالعرب ونسبهم إلى حوتكة بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، فبث الأمين إلى البكري بكتاب يذكر فيه أنه لا يمنع أحداً من غير العرب اللحاق بالعرب ويأمره أن يردم إلى ما كانوا عليه من أنسابهم ، فرجع الوفد بذلك . ودعا البكري أهل الحرس بالسجل الذي دونه العمري لهم ، فأتوه به فزقه وقال لهم : العرب لا تحتاج إلى كتاب من قاض ، إن كنتم عرباً فليس ينازعكم أحد<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وقد تم اندماج العرب بالمصريين زمن الخليفة المتعمم العباسي إذ كانت سياسة هذا الخليفة منذ كان ولياً للمهد تنطوي على الاعتماد على الأتراك وعدم الثقة بالعرب أو الفرس . فلما بويع بالخلافة أرسل إلى والي مصر كيدر نصر ابن عبد الله (٢١٦ - ٢١٩ هـ) يأمره بإسقاط من في الديوان من العرب وقطع أعلياتهم فتم ذلك<sup>(٢)</sup> . ويظهر أن الاختلاط في ذلك الوقت كان قد عظم بين العرب وبين أهل البلاد ، بدليل أن قرار المتعمم بصرفهم عن ديوان الجند لم يكن له رد فعل عنيف . فعند ما قطع كيدر العطاء ثار يحيى ابن الوزير الجروي في جمع من لحم وجذام وقال : « هذا أمر لا تقوم في أفضل منه لأنه ممننا حقنا وفيئنا » . ولكن لم يتبمه أكثر من خمسمائة رجل . ومات كيدر في ربيع الآخر سنة ٢١٩ هـ فخرج مظفر بن كيدر والي مصر من بعده إلى يحيى بن الوزير وقاتله في بحيرة تليس فأسر يحيى بن الوزير ، وتفرق عنه أصحابه في جمادى الأولى سنة ٢١٩ هـ<sup>(٣)</sup> .

(١) السكندى ص ٤١٢ - ٤١٥

(٢) السكندى ص ١٩٣ وخطط القرظي ج ١ ص ٩٤

(٣) السكندى ص ١٩٤ وخطط القرظي ج ١ ص ٩٤

ونلاحظ أن العرب في مصر احتفظوا بالانتساب لقبائلهم حوالى قرنين من الزمان ، فإننا نرى في معظم شواهد القبور التي اكتشفت حديثاً في مقابر أسوان والفسطاط أن أسم الميت يتبع باسم قبيلته في خلال القرنين الأولين للهجرة ، ولكن في خلال القرن الثالث الهجرى نجد أن اسم القبيلة قد حل محلها اسم الجهة أو الاقليم الذى ينتسب اليه المتوفى ، فيكتب فلان الكوفى أو المصرى الخ<sup>(١)</sup> ...

وهذا يدل على أنه في القرن الثالث الهجرى أصبح العرب في مصر لا يتميزون عن أهل البلاد . ولم يكن هناك بعد قرار المتصم ما يحسد عليه العرب من نسل الفاتحين . إذ أنه بعد ما فقد العرب مركزهم الساسى فى الدولة الإسلامية ، اضطروا إلى الانتشار فى الريف والاختلاط بالمصريين والتزوج من بناتهم والاشتغال بالزراعة والصناعة والتجارة ، وغير ذلك من الأعمال التى كانوا يترفعون من قبل عن الاشتغال بها . فكان هذا العمل الذى قام به المتصم ضد العرب مما أفاد الإسلام فى مصر وساعد على انتشاره بين المصريين كما كان له أكبر الأثر فى انتشار اللغة العربية بمصر وقضاؤها على اللغة القبطية .

والحق أن انتشار الإسلام بمصر لم يكن كله راجعاً إلى تأثير الحكومة المركزية بدار الخلافة ، بل انتشر الإسلام منذ أول الفتح بتأثير عوامل أخرى . فلقد اعتنق بعض الأقباط الدين الإسلامى منذ البداية حباً فى الانتماء إلى دين الطبقة الحاكمة والتمتع بما لها من حقوق ، والمغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب ، على حد قول ابن خلدون .

ولا وب في أن فريقاً من القبط أقبلوا على إعتناق الدين الإسلامي عن إيمان وإقتناع ، ولعل فريقاً كان قد ملأ الخلفاء الدينية التي كانت تقسم العالم المسيحي في ذلك الوقت ، والاضطهاد الذي كان يتعرض له أصحاب المذهب الذي لا تؤيده الحكومة السائدة .

وقد تبع انتشار الإسلام في مصر انتشار اللغة العربية فيها أيضاً ، فأصبحت لغة الكتابة ولغة التخاطب . على أن انتشار اللغة العربية بمصر كان أبطأ من انتشار الدين الإسلامي فيها . وقد عرفنا مما سبق كيف كان احتلال العرب سبباً في إنعاش اللغة القبطية في أول الأمر ، بعد أن كانت اللغة اليونانية حتى الفتح العربي هي اللغة الرسمية للحكومة وللكنيسة والتعليم وللتجارة وللملاقات الخارجية . ولا نعرف بالضبط متى أصبحت اللغة العربية لغة التخاطب بين المصريين ، وإنما لا بد أن الذين اعتنقوا الدين الإسلامي كانوا يتلمون اللغة العربية ، لغة القرآن . كذلك اضطروا الأقباط الذين كانت تستخدمهم الحكومة العربية إلى تعلم تلك اللغة منذ أن أصبحت لغة الدواوين الرسمية سنة ٨٨٧ هـ فضلاً عن أن هجرة القبائل العربية إلى مصر واستقرارها بها قد ساعد على جعل تلك اللغة لغة التخاطب بين أهل البلاد .

ويذهب القس رنودو Renaudot إلى أنه بعد فتح العرب لمصر بنحو قرن ، تلاشت اللغة القبطية نهائياً في معظم القطر المصري ، ولم تعد تعرف إلا بين العلماء الذين كانوا يدرسون تلك اللغة دراسة خاصة<sup>(١)</sup> .

ولكننا نستبعد ذلك الرأي . ففي عهد الخليفة المأمون الذي أصبح

Quatremere : Recherches sur la langue et la littérature de (١)

فيه الشعب المصري ، يدين معظم أفراده بالإسلام ، كانت اللغة القبطية لا تزال لغة التخاطب بين المصريين . وبدلنا على ذلك ما ذكره القرزى<sup>(١)</sup> في كلامه عن زيارة المأمون لمصر إذ يقول : « وكان لا يعشى أبداً إلا والتراجم بين يديه من كل جنس »

ولكننا نرى البطرك الممكاني سعيد بن بطريق يكتب كتابه في التاريخ باللغة العربية ، وذلك في القرن الرابع الهجري . وكذلك نرى ساويرس أسقف الأثمنيين يؤرخ للبطاركة في أواخر القرن الرابع الهجري باللغة العربية ، ويقوم بجمع الوثائق اليونانية والقبطية وترجمتها ، مما يدلنا على أن اللغة العربية أصبحت لغة الكلام ولغة التخاطب بين المصريين عامة ولم تمد اللغة القبطية تفهم بين عامة الشعب .

وبدأ كرمز أن القبط لم يبدأوا في ترك لغتهم القبطية إلا حوالي أواخر القرن الرابع الهجري<sup>(٢)</sup>

ولكن ليس معنى هذا أن اللغة القبطية اندثرت أو زالت نهائياً وإنما بقيت محصورة في نطاق ضيق ، ولا زالت تدرس إلى اليوم ، كما أن كثيراً من الكلمات العامية التي نستعملها اليوم ترجع إلى اللغة القبطية<sup>(٣)</sup> .

ولاريب في أن انتشار اللغة العربية في مصر ميزة للعرب على غيرهم من الفاتحين ، فإن الشعوب المختلفة التي توالى على مصر قبل العرب لم تستطع القضاء على لغة المصريين .

وهذه ظاهرة تستحق إيمان النظر ، لأن تنازل شعب عريق في اللدنية

(١) المخطوط ج ١ ص ٨١

(٢) الحضارة الإسلامية ج ١ ص ٨٩

(٣) Dr. Georgy Sobhy bey : The Survival of Ancient Egypt

كالشعب المصري ، عن لفته ، وأتخاذ لغة شعب لا يوازيه في الحضارة أمر غير عادي .

ولم يقف الأمر عند انتشار اللغة العربية بل إننا نجد مصر في أواخر عصر الولاية تشارك في الحياة الأدبية العربية مشاركة تبدو واضحة منذ آخر القرن الثاني الهجري فيظهر فيها من له شأن في العلم باللغة العربية وآدابها إذ نسمع حين قدوم الإمام الشافعي إلى مصر ، وهو الإمام في العربية وعلوم الدين ، أنه التقى رجلا من أهل مصر يعرف باسم « سرج النول » ، وكان هذا الرجل حجة في اللغة ، وكان الإمام الشافعي شديد الأئس به ، يقول لتلميذه الربيع بين حين وآخر . « يا ربيع ادع لي سرجا » فيأتي به ويبدأ كره الشافعي وينظره ويمجّب بفزارة علمه حتى يقول بعد انصرافه . « يا ربيع نحتاج أن نستأنف طلب العلم . »<sup>(١)</sup>

ونيف في مصر في القرن الثاني الهجري وبداية الثالث مثل أبي عبد الله أحمد بن يحيى التجيبي ولأء ، المصري ، المحافظ النحوي ، أحد الأئمة الذي كان من أعلم أهل زمانه بالشعر والأدب والتاريخ وعلوم الدين « وفي هذا ما يشهد بلشترك مصر في الحركة الأدبية العربية اشتراكا قويا منذ ذلك العهد »<sup>(٢)</sup>

وكانت مصر إحدى الأمم القليلة التي تخلت نهائيا عن ماضيها الوطني وعن لغتها القديمة ومرت بنفسها في أحضان الإسلام والمدنية الإسلامية فلم يقض فتح العرب لإيران والمهند على لغتهما القومية ولم يقض على العقائد

(١) السيوطي : بنية الرواة في طبقات اللغويين والنحاة ص ٢٥٢

والأستاذ أمين الحولي : مصر في تاريخ البلاغة ص ٨

(٢) مجلة كلية الآداب — المجلد الثاني ج ١ سنة ١٩٣٤ م

(٣) الأستاذ أمين الحولي ، المرجع نفسه ص ٨

الدينية التي وجدت فيهما قبل الفتح قضاء تاما . ولم يمنع اعتناق الأتراك للدين الاسلامي من الاحتفاظ بلغتهم القومية . ونرى الأندلس ، التي كانت تزدهر فيها حضارة إسلامية بمد أن فتحها العرب ، تلب على أمرها في أواخر العصور الوسطى وتمود ثانية دولة مسيحية الدين بمسدة عن اللغة العربية (١).

ونجد مصر في الفترة ما بين الفتح العربي والفتح المنياني لا تصبح دولة إسلامية فحسب بل تزعم العالم الإسلامي كله ، فبعد أن كانت مصر خاضعة للخلافة في عهد الولاة نجدها تصبح مركزاً للخلافة الفاطمية ( ٣٦٢ - ٥٦٧ هـ ) التي نافست الخلافة المباسية في وقت ما ، ثم نجد مصر تصبح مركزاً للخلافة العباسية بمد زوالها من بغداد على أيدي المنول في سنة ٦٥٦ هـ وانتقالها إلى مصر في عهد الظاهر بيبرس سنة ٦٦١ هـ ، تلك الخلافة التي ظلت قائمة بها إلى الفتح المنياني سنة ٩٢٣ هـ ، أي أن مصر في هذه المرة بمد فتح العرب لها خرجت نفورة بمحاربتها الإسلامية وبزعامتها للمسلم الإسلامي أجمع . وحسبنا دليلا على علو مركز مصر في العالم الإسلامي منذ العصور الوسطى أن نذكر قول ابن خلدون . « ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم وإيوان الإسلام ، وينبوع العلم والصنائع (٢) » .

(١) الدكتور زكي محمد حسن : مصر والحضارة الإسلامية ص ٢٤  
(٢) المقدمة . ص ٤٨١ (فصل في أن حلة العلم في الإسلام أكثرهم من العجم)



## الباب الرابع

### حضارة مصر في فجر الاسلام

#### ١ - الزراعة

تعتمد مصر اعتماداً رئيسياً في ثروتها على الزراعة وكانت الزراعة مصدر خيراتها الوفيرة . ولم يختلف العرب عن غيرهم من الفاتحين الذين تابعوا على البلاد المصرية منذ القدم فقد جاءوا لفتحها وهم يطمون بثروتها وخيراتها . وكثيراً ما أظهروا إعجابهم بتلك الخيرات والتمن التي خص بها الله مصر والمصريين . ومن هذه الخيرات الوفيرة كانت مصر تقدم للفاتحين المال والطعام فلا عجب إذا قال عمرو بن العاص : « ولاية مصر جامعة<sup>(١)</sup> ، تعدل الخليفة<sup>(٢)</sup> » .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : من أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر إلى مثلها في الدنيا فلينظر إلى أرض مصر حين ينحضر زرعها وتُسَوَّر ثمارها<sup>(٣)</sup> . ولعل أبداع وصف ، وصفه العرب لمصر ، ما جاء في الكتاب الذي ينسب إلى عمرو بن العاص أنه كتبه إلى الخليفة عمر بن الخطاب حين بعث إليه الخليفة يسأله أن يصف له مصر ، فقال : « اعلم يا أمير المؤمنين أن مصر قرية غبراء ، وشجرة خضراء ، طولها شهر وعرضها عشر ، يكتنفها

- (١) يقصد إذا اجتمعت الامارة والولاية على الحراج لشخص واحد ، فضم إلى الادارة العامة النظر في الأمور المالية
- (٢) ابن عبد الحكم — طبعة توري — ص ١٩٢ وخطط القرظي ج ١ ص ٢٧
- (٣) خطط القرظي ج ١ ص ٢٥ .

جبل أعبر ، ورمل أعفر ، يخط وسطها نيل مبارك السنوات ميمون الروحات  
تجري فيه الزيادة والتقصان كجري الشمس والقمر له أوان ، يدرك حلابه ،  
ويكثر فيه دبابه ، تمدد عيون الأرض وينابيمها حتى إذا ما اضلختم مجاجه  
وتعظمت أمواجه ، فاض على جانبيه فلم يمكن التخلص من القرى بعضها إلى  
بعض إلا في سفار الراكب ، وخفاف القوارب ، وزوارق كأنهن في الخايل  
ورق الأمائل ، فإذا تسكامل في زيادته ، نكص على عقبيه كأول ما بدأ  
في جريته ، وطما في درته ، فمئذ ذلك تخرج أهل ملة محقورة ، ودمه مخفورة  
يحرثون باطن الأرض ويبنون بها الحب ، يرجون بذلك النماء من الرب ،  
لئيرم ما صنعوا من ككلام ، فثاله منهم بغير جدم ، فإذا أحدق الزرع  
وأشرق ، سقاء الندى وغذاء من تحته الترى ، فينبأ مصر يا أمير المؤمنين  
لؤلؤة بيضاء ، إذا هي عنبرة سوداء ، فإذا هي زمردة خضراء فإذا هي ديباجة  
قشاه ، فتبارك الله الخالق لما يشاء ، الذي يصلح هذه البلاد وينميتها ويقر  
طانيها منها ، ألا يقبل قول خسيسها في رئيسها ، وألا يستأدى خراج عمرة  
إلا في أوانها وأن يصرف ثلك ارتفاعها<sup>(١)</sup> في عمل جسورها وترعها ، فإذا  
تقرر الحال مع الحال في هذه الأحوال ، تضاعف ارتفاع السال ، والله تعالى  
يوفق في المبدأ والمآل .

وزعمرا أن الخليفة حين ورد عليه هذا الكتاب قال : لله درك يا ابن  
العاص ! لقد وصفت لي خبراً كأنى أشاهده<sup>(٢)</sup> .

(١) الارتفاع . ثمنه الحراج أو ما يجي من البلد .

(٢) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٢ — ٣٣ يشك بعض الأدباء

المحدثين في نسبة هذا الكتاب إلى عمرو بن العاص . انظر كامل حسين :

(في الأدب المصري الإسلامي ص ٨٨ — ٩٠) .

ولا يشهد هذا الوصف بثروة مصر الزراعية فحسب ، بل يدل أيضاً على أن العرب كانوا يظنون أنه يجب عليهم حفر الترع وعمل الجسور وغير ذلك من الأمور التي تضمن كثرة الحراج ودوام تلك الثروة .

والواقع أن مصر كان لها مكانة خاصة عند المسلمين منذ البداية فقد ذكرت في القرآن في عدة مواضع كما ذكرت في الأحاديث النبوية . وقد كانت بعض الأحاديث التي تنسب إلى النبي عن « فضائل مصر » نواة لفصول في هذا الصدد كتبها المؤرخون والمؤلفون المصريون في المصور الوسطى ، بل ألفت كتب مستقلة عن فضائل مصر منها كتاب فضائل مصر لمعمر بن محمد الكندي وفضائل مصر لابن زولاق<sup>(١)</sup> .

ولاريد في أن العرب كانوا يقدرون مصر بسبب خيراتها الوفيرة الناتجة من الزراعة . وكانت مصر كما هي الآن تنتج الحبوب بكثرة وخاصة القمح وكذلك الخضروات والفواكهة ، وكان يزرع فيها الكتان بكثرة . فكثيراً ما نرى الإشارة إلى زراعته في أوراق البردي<sup>(٢)</sup> التي ترجع إلى عصر الولاة . وتشير أوراق البردي التي ترجع إلى القرن الثاني الهجري إلى زراعة قصب السكر فيها<sup>(٣)</sup> . وقد نسب إلى الأمام الشافعي ، الذي عاش بمصر في أواخر القرن الثاني ، أنه قال : « لولا قصب السكر ما أقت بمصر<sup>(٤)</sup> » .

(١) أنظر . التويري : نهاية الأرب ج ١ ص ٣٣٤ - ٣٤٣ ، خطط المغريزي ج ١ ص ٢٣ - ٣٠ الدكتور زكي محمد حسن : مصر والحضارة الإسلامية . ص ٣٠ ونذكر بهذه المناسبة أن هناك نسخة خطية لكتاب فضائل مصر للكندي بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٢ كما أن هناك نسخة خطية لكتاب ابن زولاق بمكتبة الأزهر تحت رقم ٦٦٩ .

(٢) Grohmann : Arabic Papyri, vol. 2 p.p. 44, 46-48.

(٣) وانظر أيضاً آدم مترن : الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٢٦١ PapyrusErzherzog Rainer. Führer durch die Ausstellung p. 183

(٤) السيوطي : حسن المحاضرة (ج ٢ فصل ذكر الفواكه)

الروحان ،  
حلابه ،  
تم بحاجه  
مضها إلى  
في الخايل  
لما بدأ  
ة مخفورة  
الرب ،  
الزرع  
المؤمنين  
ديباجة ،  
ها ويقر  
اج ثمرة  
ا ، فإنا  
له تعالى

يا ابن

الأدباء  
حسين :

وكان القمح أهم ما ترسله مصر إلى الخلافة بعد الفتح فبعد أن كانت ترسل القمح سنويا إلى روما ثم بيزنطة ، أصبحت بعد الفتح العربي ترسل القمح إلى الحجاز . وقد استمرت عادة إرسال القمح إلى الحجاز حتى بعد أن انتقل مركز الخلافة من الحجاز إلى الشام ثم إلى العراق . بل استمرت تلك المادة إلى اليوم . لذا يذكر المؤرخون أن من فضائل مصر أنها تميز الحرمين الشريفين وتوسع على أهلها<sup>(١)</sup> .

ولا نعرف أن العرب ، في فجر الإسلام ، أدخلوا أسنانا جديدة من المزروعات في مصر ، أو طرقا جديدة للزراعة والري غير تلك التي كانت موجودة في مصر . والواقع أن طريقة زراعة الأراضي في مصر ظلت كما هي منذ عهد الفراعنة ، وإن كانت قد تقدمت نوعا في عهد الرومان إلا أنها ظلت على حالها من غير تغييرات أخرى حتى أوائل القرن التاسع عشر<sup>(٢)</sup> .

وقد كانت الطريقة الشائعة للري حتى القرن التاسع عشر ، هي طريقة ري الحياض ، اللهم إلا في بعض الجهات التي كان يمكن ريهاريا دائما مثلما كان يحدث مثلا في أراضي الحدائق بالفيوم<sup>(٣)</sup> . ومن الزراعات الشتوية في مصر القمح والكتان والشعير والفول والعدس . ومن الزراعات الصيفية . القطن وقصب السكر والقلقاس والسمن واللوبيا والبطيخ والكرم والتين والتفاح والتوت واللوز والخوخ<sup>(٤)</sup> .

وعرف العرب أن واجبهم ، كواجب أي حكومة تحكم البلاد المصرية ،

(١) النويري : نهاية الأرب : ص ٣٤١ - ٣٥٤ (في الطبعة الأولى) خلط القرينزي ج ١ ص ٢٨

(٢) Munier : L'Egypte Byzantine p. 81

(٣) Johnson: Roman Egypt vol. 2, p. 7.

(٤) خلط القرينزي ج ١ ص ١٠١ - ١٠٣

أن يشرفوا على أمور الري والزراعة . فإن نظام الري والزراعة هو الذى جعل مصر أسبق الأمم منذ المصور القديمة ، إلى الوحدة والنظام وإلى الخضوع لحكومة منظمة موحدة ، تنظم الإنتاج ، وتنظم الري ، وتخفف الترع ، وتقسم الأحواض ، وتهتم بالجسور ، وتدفع خطر الفيضان وغير ذلك من الأمور التى تتطلبها هذه البلاد ، والتى لا يستطيع الأفراد القيام بها من غير هيئة عليا تشرف عليها وتقوم بالنفقات التى تلزم لها .

ويذكر المؤرخون أنه عقب الفتح مباشرة كانت حكومة العرب تباشر حفر الترع ، وإقامة الجسور ، وبناء القناطر ، وغير ذلك مما يلزم للري والزراعة . وكان يقوم بذلك العمل صيفاً وشتاءً حوالى ١٢٠٠٠ عام<sup>(١)</sup> .

ولا تعطينا كتب التاريخ شيئاً مفصلاً عن مدى عناية العرب وإشرافهم على الري والزراعة طوال عصر الولاة . ولكن لا نستبعد أن يكون الخلفاء وولاة مصر قد حدوا حدو عمر بن الخطاب وعمر بن العاص فى هذا الشأن .

كذلك زجج أن المهال الذين كانوا يكلفون بالعناية بالترع والجسور ، وإقامة القناطر كانوا يملون بطريق السخرة ، كما كان الحال قبل الفتح العربى . وكما كان بعد الفتح حتى المصور الحديثة . بل إن السخرة ظلت تفرض على الأهالى فى مصر فى أوقات الفيضان ( ويعرفها الأهالى باسم المونة ) للعناية بالجسور والمحافظة عليها حتى ألغيت فى عام ١٩٣٧ م ، وأصبح الأهالى يتقاضون أجوراً عن أعمالهم بعد أن كانوا يعملون بدون أجر .

(١) ابن عبد الحكم - طبعة تورى - ص ١٥١ . خطط القرى ج ١

ص ٧٦ ، السيوطى : حسن المحاضرة . ج ١ ص ٦٣ .

وهناك بصفة عامة نوعان من الجسور ، جسور رئيسية تهم البلاد كلها وجسور محلية تهم أهل الجهة دون الأخرى . وكان يطلق على الجسور الرئيسية في زمن القرظى الجسور السلطانية ، وكان يطلق على النوع الآخر من الجسور ، الجسور البلدية . ويذكر القرظى<sup>(١)</sup> أن الجسور السلطانية من القرى بمثابة سور المدينة ، الذى يتعين على السلطان الاهتمام بمبارته ، وكفاية الرعية أمره . أما الجسور البلدية فكانها الدور التى من داخل السور ، فيزيم صاحب كل دار أن يصلحها ويزيل ضررها .

ويذكر القرظى<sup>(٢)</sup> أيضاً أنه كان يفرض على كل ناحية مال معلوم ليصرف فى عمل الجسور والمحافظة عليها ، وأن ذلك بطل فى زمانه . ونحن لانستبعد أن يكون العرب بعد الفتح قد جبوا ضريبة الجسور ، وأن ذلك كان استمراراً لما كان قبل الفتح ، إذ كانت تجبى ضرائب من المصريين للمحافظة على الجسور .

وقد اهتم العرب عقب الفتح مباشرة ببناء مقاييس للنيل لمعرفة مقدار الزيادة والنقصان فى مياهه ، ليكون ذلك مميّاراً صادقاً للزراعة والرى والضرائب فى كل عام . على أن العرب لم يكونوا أول من بنى مقاييس للنيل فى مصر ؛ وإنما عرفت مقاييس النيل منذ التاريخ القديم . ورغم وجود مقاييس للنيل قبل الفتح العربى زى الخليفة عمر بن الخطاب يهتم ببناء مقاييس جديدة ، وكانت مقسمة على أساس الذراع ، وكل ذراع ينقسم إلى أربعة وعشرين أصباً<sup>(٣)</sup> ، وقد بنى عمرو بن العاص مقاييس

(١) المخطوط ج ١ ص ١٠١

(٢) المخطوط ج ١ ص ١١٠

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٩٩ ، خطط القرظى ج ١ ص ٥٨

— ٥٩ أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣١٢ — ٣١٣ ،

السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٩٧

بجلوان وأسوان وندرة ، ثم بنى في أيام معاوية بن أبي سفيان مقياساً  
بأنصنا<sup>(١)</sup> . ثم بنى عبد العزيز بن مروان في ولايته على مصر مقياساً  
بجلوان التي اتخذها عاصمة للديار المصرية . وفي خلافة سليمان بن عبد الملك  
بنى أسامة بن زيد التنوخي عامل الخراج مقياساً بجزيرة الروضة سنة ٩٧ هـ  
ثم بنى الخليفة المتوكل مقياساً بجزيرة الروضة في سنة ٢٤٧ هـ . وكان  
يعرف في ذلك العهد بالجديد<sup>(٢)</sup> . وقد عثر على مقياس المتوكل في جزيرة  
الروضة ، وقد كتبت عليه السنة ، وهي سنة ٢٤٧ هـ كما كتب عليه  
« بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد  
سيد المرسلين أمر عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ببناء  
هذا المقياس الهاشمي لتعرف به زيادة النيل ونقصانه ، وأطال الله بقاء  
أمير المؤمنين ، وأدام له المزمز والتكفين والظفر على الأعداء وتتابع الإحسان  
والنماء وزاده في الخير رغبة وبالرعية رافة ، وكتبه أحمد بن محمد الحاسب  
في رجب سنة سبع وأربعمائة ومائتين » . وكتب في موضع آخر أن الماء  
بلغ في السنة التي بنى فيها هذا المقياس المتوكل سبعمائة ذراعاً وثمانية  
عشراً أصبغاً<sup>(٣)</sup> .

وطبيعي أن العرب عملوا على كل ما من شأنه زيادة الإنتاج ، لأن ذلك

(١) أنصنا وهي مدينة من نواحي الصعيد على شرق النيل (ياقوت معجم البلدان

ج ١ ص ٣٨١) .

(٢) القلقشندي : ج ٣ ص ٢٩٨ وخطط القرظي ج ١ ص ٥٨ وأبو الحسن

ج ٢ ص ٣١٠ - ٣١١

(٣) أنظر Van Berchew : *Materiaux pour un Corpus Inscriptionum*

*Arabicarum. Egypte. I p. 21; Répertoire Chronologique*

*d'epigraphie Arabe. t. 2. d.p.4,4 53, 55-56*

يكفل لهم كثرة المال وكثرة التمتع . ونرى في عقود إيجار الأراضي في ذلك العهد أن المؤجر يشترط على المستأجر شرطاً هذا نصه : « وما بورت فمليك خراجة<sup>(١)</sup> » أى أنه يلزمه بدفع الخراج عن الأراضي التي يتركها دون زرع حتى تصبح أراضي بور ، وطبيعى ألا يرضى المزارع أن يدفع خراجاً عن الأراضي البور التي لا يستفيد منها ، فكان هذا الشرط يحمل المزارعين على الانصراف إلى الزراعة ، وعدم إهمال الأرض . ولعل هذا الشرط الذى اعتاد المؤجرون أن ينصوا عليه ، كان بسبب حرص الحكومة على زراعة الأرض وعدم إعفاء الأرض البور من الخراج .

وقد كانت الأراضي بمصر تقاس بالفدادين<sup>(٢)</sup> كما هو الحال الآن وكان إيجار الأراضي يدفع نقداً أو نقداً وعيناً ، ولكننا لم ننتهز لأن على أوراق بردية تدلنا على أن الإيجار كان يدفع عينا فقط . وكان إيجار فدان القمح يتراوح في ذلك العهد الذى نتحدث عنه بين دينار ودينارين وأحياناً يزيد على الدينارين أو ينقص عن الدينار فيكون الإيجار ½ دينار أو ⅓ دينار<sup>(٣)</sup> .

ولاشك في أن الثورات التى كانت تحدث بمصر من وقت إلى آخر كانت تسبب أضراراً كثيرة بالزراعة إذ كانت تقل بسببها الأيدى العاملة كما كان المزارعون يهجرون قراهم أحياناً . ولكن حكومة العرب عملت على قمع مثل تلك الحركات بشدة لتلافى الخطر الناتج عنها . كذلك رأينا كيف كان قررة ان شريك يتتبع حركة الحرب ليقضى عليها دون هوادة . كما أن الخلافة

(١) Grohmann : Arabic Papyri. vol.. 2. pp. 45-48.

(٢) Grohmann : op. cit. pp. 32. 44. 45. 48 etc..

(٣) op. cit. pp. 32-34.



منذ عهد هشام بن عبد الملك أخذت تشجع القبائل العربية على الوفود إلى مصر والاشتغال بالزراعة .

فصر كانت إذاً معينا فياضاً للأموال والنلال ولم تكن الخلافة لتنفل أمرها إذ أن كل ضرر يحيق بها لا بد وأنه كان يؤثر من ناحية أخرى فيما يجيبه الخلافة منها .

وحسبنا دليلاً على رخاء مصر وازدهار زراعتها في فجر الإسلام ما كتبه النويري في الكلام على فضائل مصر (نهاية الأرب ج ١) ، فقد جاء فيه : « وقال سميد بن عقبة : كنت بحضرة المأمون حتى قال ، وهو في قبة الهواء : لمن الله فرعون حين يقول : « أليس لي ملك مصر » فلو رأى العراق ! . فقلت : يا أمير المؤمنين لا تقل هذا فإن الله عز وجل قال : « ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » فاظنك يا أمير المؤمنين بشيء دمره الله ، هذا بقيته ؟ قال : ثم قلت : لقد بلغني أن أرضنا لم تكن أعظم من مصر ، وجميع أهل الأرض يحتاجون إليها . وكانت الأنهار بقناطر وجسور وتقدير حتى إن الماء يجري تحت منازلهم وأفئتهم : يجبسونه متى شاءوا ويرسلونه متى شاءوا . وكانت البساتين بحافتي النيل من أوله إلى آخره ، ما بين أسوان إلى رشيد إلى الشام متصلة لا تنقطع . ولقد كانت الأمة توضع المکتل على رأسها فيمتلئ مما يسقط من الشجر . وكانت المرأة تخرج حاسرة لا تحتاج إلى خمار لكثرة الشجر »

## ٢ - الصناعة

اشتهرت مصر منذ التاريخ القديم بمدة صناعات بالرغم من أن ثروتها الرئيسية تتوقف على الزراعة. فازدهرت فيها صناعات هامة مثل صناعة البناء والورق والزجاج والنسيج والديباغة وصناعة الخشب والفنون الدقيقة كالحلج وأدوات الزينة، وصناعة الزيوت والمطور والفخار. ونلاحظ أن الصناعات التي نشأت بها كانت تعتمد في معظم الأحيان على المواد الخام المنتجة في البلاد ولكن مصر كانت تضطر إلى استيراد بعض المواد الخام من الخارج مثل الحديد والخشب والجلود والحرير.

وقد كان حكامها المختلفون يشجعون هذه الصناعات، فلما فتحتها العرب وجدوا بها صناعة مصرية راقية وأساليب فنية زاهرة. على أن العرب الذين أتوا إلى مصر لم يكونوا من البدو الذين لا حضارة لهم ولا فن، وإنما كان معظمهم من المنصر المبني الذي اشتهر منذ القدم بحضارته الراقية وبفنونه الرائعة، ولو أن هذه الحضارة كانت قد اضمحلت عند قيام الإسلام إلا أنه كان عندهم استعداد لقبول الحضارة وكان عندهم ملكة واسعة في التصور والذوق الفني نتيجة اتصالهم الدائم بالشعوب الأخرى مثل البيزنطيين والفرس والأحباش والمصريين في أثناء رحلاتهم للتجارة.

لذا نجد أنه بعد فتح مصر نشأت صناعة إسلامية مصرية وفن إسلامي مصري كان للمصريين اليد الكبرى فيه، وإن كان العرب قد أفلحوا في طبعه بطابع دينهم، وفي إظهار شخصيتهم فيه بحيث تميزت الصناعات والفنون الإسلامية عما كان موجوداً في مصر قبل الفتح، كما كان عمادها من المصريين لا العرب.

وكان معظم الصناع بمصر في فجر الإسلام من المصريين ، سواء أ كانوا ممن بقى على دينه من الأقباط أم ممن أسلم منهم . فالعرب في أول ذلك العهد كانوا لا يتدخلون في الصناعات وغيرها من المهن ، وإنما كان بيدهم السياسة والحكم والحرب . وحتى بعد أن بدأ العرب يختلطون بالأهالي ويملكون الأراضي ويشتغلون بالزراعة منذ أوائل القرن الثاني الهجرى لم يصبحوا الأغلبية بين الصناع في مصر . ولا شك في أن كثيراً منهم اشتغلوا بالصناعة وخاصة بعد أن أمر الخليفة المتصم بإسقاطهم من الديوان ، ولكن المصريين كان لهم الغلبة والكثرة المدددة على إخوانهم من العرب .

#### البناء

عرف المصريون منذ القدم بتقدمهم في صناعة البناء وفي فن العمارة وتشهد بذلك آثارهم في مختلف العصور . فلما جاء العرب اختطوا مدينة الفسطاط وبنوا فيها المسجد الجامع إلا أن أبنيتهم كانت بسيطة جداً وذلك بحكم عيشة الخشونة التي كانت تغلب عليهم في أول الأمر ثم ما لبث الرخاء أن طغى عليهم وتدفقت الثروة إليهم من كل جانب فبدأوا ينزعون عنهم عيشة البساطة وينعمون في حياتهم وفي مساكنهم . وأسرعوا إلى تذوق الحضارة الراقية والترف والنعيم وبدأ ذلك واضحاً جلياً في العمارة الإسلامية في جميع أنحاء الدولة الإسلامية ولما يمض على الفتوحات الإسلامية قرن من الزمان . ولا زالت العمارات التي بنيت في ذلك العهد المتقدم باقية إلى اليوم ، مثل قبة الصخرة التي بناها في بيت المقدس عبد الملك ابن مروان ومثل الجامع الأموي الذي بناه في دمشق الوليد بن عبد الملك وأسرف في تزيينه .

تقدمت العمارة الإسلامية في جميع أنحاء المملكة دون استثناء ومن بينها

مصر . فسرطان ما نمت مدينة الفسطاط ودب فيها العمران والحضارة وبنيت فيها الحمامات والأسواق كما بنيت الدور العالية بعد أن كان البناء بسيطاً . وقد عرفنا أنه في خلافة عثمان بن عفان بنى عبد الله بن سعد قصراً كبيراً عرف باسم قصر الجن<sup>(١)</sup> وفي أثناء الشهرين اللذين أقامهما في مصر مروان ابن الحكم أمر ببناء الدار البيضاء ليسكنها وقال إنه لا ينبغي تخليفة أن يكون ببلد ليس له فيها دار<sup>(٢)</sup> . كذلك أمر عبد العزيز بن مروان ببناء الدار المذهبة سنة ٦٧ هـ في غربى المسجد الجامع وكانت تدعى المدينة<sup>(٣)</sup> . وحسبنا هذه التسمية لتعرف مبلغ تلك الدار من العظمة والفضامة .

وبنى عبد العزيز الدور والمساجد في حلوان التي اتخذها عاصمة له ، وعمرها أحسن عمارة وغرس فيها الأشجار والنخيل ، حتى قيل إنه أنفق في بنائها مليون دينار<sup>(٤)</sup> .

وهكذا نرى أن العمارة الإسلامية أخذت تتقدم بسرعة في مصر . ولما سقطت الدولة الأموية وجاءت دولة نبي العباس ، اختط العباسيون مدينة المسكر وبنوا فيها جامع المسكر . أما جامع عمرو بن العاص فقد ناله من التحسينات والزيادات والتزيين بقدر ما نال العمارة الإسلامية من التقدم في ذلك العهد . فتذكر الروايات أنه لم يكن لجامع عمرو في بادية الأمر محراب مجوف ويقال إن أول من جعل المحراب قرة بن شريك<sup>(٥)</sup> . وكان جامع عمرو في بادية الأمر طوله خمسون ذراعاً وعرضه ثلاثون ذراعاً . وكان

(١) ابن عبد الحكم — طبعة توري — ص ١١٠

(٢) السكندى ص ٤٥

(٣) السكندى ص ٤٩

(٤) سعيد بن بطريق : التاريخ المجموع ج ٢ ص ٤٠

(٥) خطط المفريزى ج ٢ ص ٢٤٧

هناك بابان في شرق المسجد يقابلان دار عمرو بن العاص ، وجعل له بابان في شماليه وبابان في غربيه وكان سقفه واطناً جداً ولا يحتم له وكان بينه وبين دار عمرو سبع أذرع . ويقال إن عمرو بن العاص اتخذ منبراً فيه فكتب إليه عمر بن الخطاب يأمره بكسره لأنه لا يرضى أن يكون عمرو قائماً والمسلمون جلوس تحت عقبيه ، فكسره عمرو<sup>(١)</sup> .

ولكن المسلمين لم يتركوا ذلك الجامع بسيطاً كما كان ؛ ففي ولاية مسلمة ابن مخلد الأنصارى على مصر من قبل معاوية بن أبي سفيان (٤٧ - ٦٢ هـ) ضاق المسجد بأهله وشكوا ذلك إلى مسلمة فكتب مسلمة فيه إلى معاوية ، فأمره معاوية بالزيادة فيه ، فزاد فيه مسلمة في سنة ٥٣ هـ من شرقيه ومن شماليه وجعل له رحبة في شماليه وطلاء بالجص وزخرف جدرانها وسقوفه ولم يكن قبل ذلك فيه طلاء أو زخرف . كذلك أمر ببناء منار المسجد فجعل مسلمة للجامع أربع صوامع أو مآذن في أركانها الأربعة . وهو أول من جعلها فيه ، كذلك فرش الجامع بالحصر وكان قبل ذلك مفروشاً بالحصباء<sup>(٢)</sup> . وفي ولاية عبد العزيز بن مروان أمر بالزيادة في هذا الجامع فهدم كله وزاد فيه من جوانبه كلها وذلك في سنة ٧٧ هـ<sup>(٣)</sup> . وفي ولاية عبد الله بن عبد الملك أمر برفع سقف المسجد وكان واطناً وذلك في سنة ٨٩ هـ . ثم هدمه قرة بن شريك سنة ٩٢ هـ بأمر الوليد بن عبد الملك وابتدأ في بنيانه في شعبان من السنة المذكورة<sup>(٤)</sup> وجعل على بناؤه يحيى بن حنظلة مولى نبي طامر بن

(١) المرجع نفسه ص ٢٤٧ و ٢٤٨ Creswell : Coptic Influences on Early Muslim Architecture p.29.

(٢) خطط القرظي ج ٢ ص ٢٤٧ - ٢٤٨

(٣) ابن عبد الحكم - طبعة توري - ص ١٣١ والكندى ص ٥١

(٤) عثر على نص يدل على أن إصلاح جامع عمرو تم في ولاية قرة بن شريك في رمضان سنة ٩٢ هـ

لؤى وكانوا يجمعون الجمعة في قيسارية المسل حتى فرغ من بنائه وذلك في شهر رمضان سنة ٨٩٣ هـ. ونصب المنبر الجديد في سنة ٩٤٤ هـ ونزع المنبر الذي كان في المسجد. وقيل إن المنبر القديم هو منبر عمرو بن العاص، وقيل هو منبر عبد العزيز بن مروان، وذكر أنه حمل إليه من بعض كنائس مصر، وقيل إن ملك النوبة أهدها إلى عبد العزيز بن مروان وبث معه نجاره الذي ركبته واسمه بقطر من أهل دندرة. ولم يزل هذا المنبر في المسجد حتى زاد قرة بن شريك في الجامع فنصب منبراً سواه. ولم يكن يخطب في القرى إلا على العصى إلى أن ولي عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير مصر من قبل مروان بن محمد فأمر في سنة ١٣٢ هـ بأخذ المنابر في القرى<sup>(١)</sup> ويذكر الأستاذ كريزول أن شكل المنبر الإسلامي مشتق من المنبر المسيحي الشرق<sup>(٢)</sup>

وهكذا نرى أن ولاية مصر وحكامها أخذوا يتمهدون جامع عمرو بن العاص بالزيادة والزخرفة والتحسينات. وتكرر هنا أن العرب لم يشتغلوا في أول الأمر بالصناعة في مصر وإنما قام ببناء المهارة الإسلامية فيها معماريون وبناءون من أهالي البلاد وصنفتها الفاتحون بصيغة دينهم. ولا شك في أن المهارة القبطية كانت متقدمة حين فتح العرب مصر، وقد نقل العرب من العباد والكنائس القديمة كثيراً من الأعمدة والتيجان، استخدموها في مساجدهم وبيوتهم كما يتجلى من وجود الأعمدة القبطية في جامع عمرو<sup>(٣)</sup>. ونجد كثيراً من أعمدة الكنائس الرخامية في معظم المساجد، ولكن لا يجب

(١) خطط القريري ج ٢ ص ٢٤٨. Creswell : op. cit. p. 80.

(٢) Creswell : op. cit. p. 30.

(٣) الدكتور زكي محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية في الفنون

أن يتطرق إلى أذهاننا أن الكنائس خربت عمداً لتسد حاجة البشاء في المساجد وخاصة في العهد الأول للإسلام ، إنما كان من السهل أن يأخذ العرب بقايا ما خربه الفرس أثناء غزوهم لمصر قبيل الفتح العربي<sup>(١)</sup> . وقد اتخذ العرب كثيراً من كنائس النصارى ، مساجد لهم بعد أن غلبوا على القرى في عهد الخليفة المأمون<sup>(٢)</sup> وهذا نتيجة منتظرة لانتشار الإسلام وازدياد عدد المسلمين فضلاً عن أنه لم يكن جديداً في التاريخ ، فإنه لما أصبحت المسيحية في القرن الرابع للبلاد الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية حول النصارى في مصر الهياكل إلى كنائس بأن نقشوا الصليبان على أبوابها وأعمدتها وأبادوا الأصنام وغطوا ما كان منقوشاً على جدرانها من صور الآلهة القديمة بطبقة من الجص رسموا عليها صور السيد المسيح والرسول والقديسين ، وبنوا مذابح لإقامة القداس ، ولا تزال آثار ذلك ظاهرة إلى يومنا هذا بأغلب معابد الوجه القبلي . كما نرى في بعض هذه الكنائس والأديرة أحجاراً انتزعت من المعابد الفرعونية القديمة استخدمها القبط في أدينتهم الجديدة<sup>(٣)</sup> . كذلك نرى البطريرك كيرلس يهدم بعض بيوت اليهود ويستعمل الأخرى كنائس<sup>(٤)</sup> .

ومهما يكن من شيء فإن العمارة الإسلامية أخذت عن القبط بعض العناصر المعمارية ؛ فكثيرون من العلماء يظنون أن الحراب مأخوذ عن « الحنية » التي توجد في صدر الكنيسة إلى جهة الشرق ، وأن ماكن

Mrs. Devonshire : L'Egypte Musulmane p. 11. (١)

خطط المقرئى ج ٢ ص ٢٦١ - ٢٦٢ (٢)

الدكتور زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية ص ٨ (٣)

وما ذكره من صحاح

Wiet : Hist. de la Nation Egyptienne. T. IV. p. 28. (٤)

الجوامع الإسلامية مأخوذة عن أبراج الكنائس (١).

كذلك أخذ المسلمون عن القبط في زخرفة المباني كثيراً من الموضوعات الزخرفية النباتية والهندسية كما أخذوا عنهم طلاء المباني بطبقة من الجص (٢).

ولم يقتصر الأمر على استخدام العرب للصناع المصريين في بناء أبنيتهم في هذه البلاد بل كثيراً ما استخدموهم في الأبنية التي أنشئت في غير مصر . ففي كتاب قرة بن شريك إلى صاحب كورة أشقوه نراه يحدد أجر أحد العمال الذي سيرسلي للعمل بجامع دمشق لمدة ستة أشهر (٣) . وفي كتاب آخر منه نراه يطلب عدة رجال من أما كن مختلفة للعمل في بناء قصر الخليفة الوليد ابن عبد الملك (٤) . وفي كتاب ثالث يطلب أحد العمال ويحدد أجره للعمل لمدة ستة أشهر في جامع بيت المقدس (٥) . ونجد كتاباً آخر من قرة يختص بالنفقة على أربعين من مهرة العمال الذين استخدموا في بناء جامع دمشق (٦) . ونجد كتاباً آخر يختص بالنفقة على الفعلة والعمال المهرة الذين يعملون في جامع بيت المقدس وفي قصر أمير المؤمنين (٧) . وهناك كتب أخرى تختص

(١) الدكتور زكي محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية  
ص ٩ وما ذكره من مراجع

(٢) المرجع نفسه ص ١٠

(٣) Bell : Translations of the Greek Aphrodito Papyri (Der  
Islam vol. 2) p. 274.

(٤) Bell : op. cit. p. 274.

(٥) Bell : (Der Islam vol. IV) p. 93.

(٦) Bell : (Der Islam 8) p. 133.

(٧) cf. Bell : op. cit. p. 388.



بالصرف على العمال الذين يعملون في بيت المقدس أو دمشق أو قصر أمير المؤمنين<sup>(١)</sup>.

ويذكر البلاذري<sup>(٢)</sup> أن الخليفة الوليد بن عبد الملك كتب إلى عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة يأمره بهدم المسجد وبنائه ، وبعث إليه مال وقسيفساء ورخام وثمانين صائنا من الروم والقيبط من أهل الشام ومصر ، فبناه عمر بن عبد العزيز وزاد فيه وكان ذلك في سنة ٨٧ هـ ويقال في سنة ٨٨ هـ . وهذا يدلنا على مدى تقدير العرب لمهارة المصريين في فن البناء والمهارة وكيف كانوا يستخدمونهم في مصر وفي غيرها من البلاد الإسلامية . فمصر كانت تابعة للخلافة الإسلامية سياسيا ولا بد أنها آثرت وتأثرت بالخلافة من الناحية الفنية أيضا .-

### المنسوجات

ومن الصناعات التي ازدهرت بمصر في فجر الإسلام صناعة المنسوجات ، صوفية كانت أو تيلية أو حريرية أو قطنية<sup>(٣)</sup> . ولم تكن هذه الصناعة أو غيرها من الصناعات التي اشتهرت بها مصر في عهد الولاة شيئا أحدثته الخلافة . وإنما كانت مما اشتهرت به مصر منذ القدم . فاستمرت صناعة النسيج زاخرة في عهد الولاة واستغلتها الخلافة كثيرا لسد حاجاتها المختلفة ،

(١) Bell, (Der Islam 3) p. 133, 137, (Der Islam IV) p. 95, (Der Islam XVIII) p. 6.

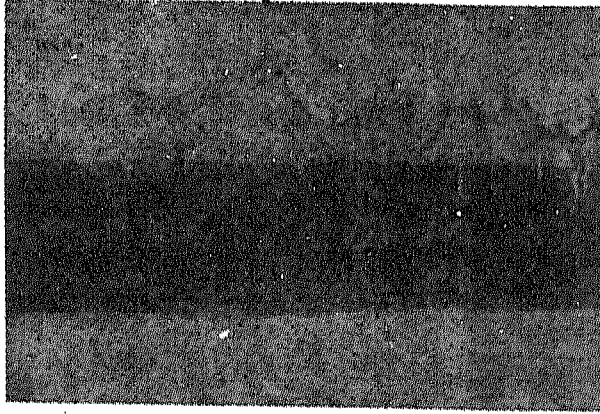
(٢) فتوح البلدان ص ٧٢. ٧٠ Creswell : op. cit. p. 32. ٧  
(٣) يشك الأستاذ Lamm في إنتاج القطن في مصر في ذلك العهد الذي نتحدث عنه ولكنه لا يجزم بذلك لأن القطن كان ينمو حينذاك في كل البلاد الإسلامية تقريبا ولا بد أنه كان ينمو في مصر أيضا أنظر . C. J. Lamm : Cotton in Mediaeval Textiles of the Near East pp. 4-6

كما أن القامعين بتلك الصناعة كانوا من المصريين ، شأنهم في ذلك شأن أصحاب الصناعات الأخرى في ذلك العهد . إلا أن الأقباط حملوا لواء هذه الصناعة لمدة طويلة لم يشاركهم فيها أحد ، ويدلنا على ذلك أن العرب كانوا يطلقون على المنسوجات المصرية اسم قباطي<sup>(١)</sup> ، ولا بد أن هذه التسمية نسبة إلى قبط مصر الذين أظهروا مهارتهم الفنية في ميدان النسيج ، كذلك يذكر ياقوت<sup>(٢)</sup> القتي عاش حتى أوائل القرن السابع الهجري أن ناسجى الثياب في دمياط وتنبس من القبط . وعلى كل حال فإن المراكز الرئيسية لصناعة النسيج في العصر الإسلامي كانت ، في أغلب الأحيان ، المدن التي اشتهرت بالنسيج في العصر القبطي . وكان عدد كبير من سكانها لا يزالون على دينهم المسيحي<sup>(٣)</sup> ، وقد كانت صناعة النسيج زاهرة في عهد الفراعنة ثم تقدمت تقدماً كبيراً في العصر القبطي . فكانت مصر تصدر إلى بيزنطة وإلى بابوات رومة كثيراً من الأقمشة النفيسة التي كان يذهب جزء كبير منها إلى الكنائس المسيحية<sup>(٤)</sup> . ويذكر Pliny أن مصر في العهد الروماني كانت تستورد سلع بلاد العرب والهند في نظير تصديرها للمنسوجات السكتانية التي كانت مطلوبة جد الطلب للتجارة الشرقية<sup>(٥)</sup> .

أما في العصر الإسلامي فقد تطورت صناعة المنسوجات وزخرفتها تطوراً عظيماً غير فجائي . وكان العرب منذ الفتح يميلون في الزخرفة إلى

- 
- (١) الأزرق : أخبار مكة ج ١ ص ١٣٧-١٦٨ ، المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٠٣ ، خطط القريزي ج ١ ص ١٨١  
(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٦٠٢  
(٣) الدكتور زكي محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية ص ١٦  
(٤) الدكتور زكي محمد حسن : الفن الإسلامي في مصر ج ١ ص ٨٣ ، ٩٧  
(٥) Johnson : Roman Egypt vol. 2. p. 338

العناصر الهندسية والنباتية لكراميتهم تصوير الانسان والحيوان (شكل ١).



( شكل ١ ) قطعة نسيج محفوظه بدار الآثار العربية في القاهرة  
ولمها من صناعة مصر أو سورية في فجر الاسلام

وكان هذا الميل نفسه قد دب إلى الفنون القبطية منذ منتصف القرن الخامس  
الميلادي ، فأصبحت الرسوم الآدمية والحيوانية في زخارف المنسوجات  
القبطية محورة عن الطبيعة إلى حد بعيد (شكل ٢) . وهكذا لم يجد المصريون  
صعوبة كبيرة في إرضاء الفاتحين وإنتاج التحف الفنية التي تتفق ومزاجهم .  
وعلى كل حال فإن صناعة النسيج لم تطبع في مصر بطابع إسلامي ظاهر إلا  
في العصر الفاطمي ، وحتى حين أصبحت صناعة المنسوجات في العصر  
الفاطمي إسلامية بحتة لم تخل في زخارفها مما يدل على بعض العلاقة بماضيها  
في وادي النيل (١) .

وكانت مصر مشهورة على الأخص بنسيج الكتان لوفرة زراعته ،

(١) الدكتور زكي محمد حسن : الفن الإسلامي في مصر ج ١ ص ٩٥ ، بعض



وكذلك كان يصنع فيها المنسوجات الصوفية  
والقطنية والحريية . وإن كنا نرجح أن القطن  
والحرير الخام في مصر لم يكفيا الاستهلاك المحلي  
والتصدير وأن مصر استوردت في استيرادها كما  
كان الحال قبل الفتح العربي . بينما كانت مصر  
تنتج من الصوف ما يكفي حاجتها ، فيذكر  
المقريزي<sup>(١)</sup> أن أرض الصعيد كثيرة المواشي من  
الضأن وغير ذلك ، لكثرة نتاجه . وفضلا عن  
ذلك فإن العرب الذين استقروا في مصر عنوا برعى  
الإبل والماشية كما كان الحال في بلادهم ؛ ويذكر

(شكل ٢) قطعة قماش من  
الصوف محفوظة بدار الآثار  
العربية في القاهرة وهي من  
صناعة مصر في القرن الثالث  
الهجرى (٢٩٠ م)

ابن الفقيه<sup>(٢)</sup> أن أهل مصر يقولون : « الصوف  
والكتان لنا ، ليس لأحد من أهل البلدان مثلها » .  
وكانت أهم مراكز النسيج في الوجه البحري ،

كما كانت توجد أيضاً مراكز هامة للنسيج في مصر الوسطى والعلية .  
وذاعت شهرة الاسكندرية في هذه الصناعة . ويذكر المقريزي<sup>(٣)</sup> أن الثياب  
المنسوجة بالاسكندرية لانظير لها ، وتحمل إلى أقطار الأرض ، وأن في ثياب  
الاسكندرية ما يباع الكتان منه إذا عمل ثياباً ، يقال لها الشرب ، كل  
زنة درهم بدرهم فضة .

واشتهرت تيسر أيضاً بالثياب الفاخرة والفرش ، وكان معظم أهلها

(١) المخطوط ج ١ ص ١٩٠

(٢) مختصر كتاب البلدان ص ٦٩

(٣) المخطوط ج ١ ص ١٦٣

يشتغلون بالنسج ، وكان يحاك بها الثياب المعروفة بالشرب . ومما يدل على عظيمة تنيس في النسج أنه كان يصنع بها للخليفة ثوب يقال له البدنة ، لا يدخل فيه من الغزل سداة ولحمة<sup>(١)</sup> غير أوقيتين ، وينسج ببقية الذهب بصناعة محكمة لا تحتاج إلى تفصيل ولا خياطة . وتبلغ قيمة هذا الثوب ألف دينار . وظل ذلك التصدير من تنيس إلى ما بعد سنة ٣٦٠ هـ ، حين ولي وزارة الفاطميين يعقوب بن كلس فنع الإصدار<sup>(٢)</sup> . وإلى جانب هذه الثياب الجيدة كان يوجد ثياب رقيقة « مهلهلة النسج كأنها المنخل<sup>(٣)</sup> ، وهي المسماة بالقصب ، وكان هذا القصب بلون ، وكان الملون منه ينسج بتنيس ، ولم ينسج في أى مكان آخر قصب ملون مثله ، وكان يعمل منه عمامم للرجال وملابس للنساء ، أما الأبيض فكان ينسج بدمياط<sup>(٤)</sup> . إذ يذكر المقدسي<sup>(٥)</sup> أن من تنيس الثياب الملونة لا من دمياط .

وكانت دمياط تقارب تنيس في شهرتها في النسج ، وكان يعمل بها الثياب الشرب والقصب . ويذكر الأدرسي أن الثياب التي كانت تعمل بها من السكتان ، وربما بلغ الثوب من ثيابها إذا كان مذهبا ألف دينار ونحو ذلك ، ومالم يكن فيه ذهب المائة والمائتين ونحوه<sup>(٦)</sup> .

(١) السدى من الثوب خلاف اللحمة وهو مامد من خيوطه . واللحمة ما نسج

عرضا من الثوب وهو خلاف سده

(٢) ابن رسته : الأعلاق النفيسة ص ٩٠ ، المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٠٣ الأدرسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ص ١٥٦ ، ياقوت :

معجم البلدان ج ١ ص ٢٨٢ ، خطط القريري ج ١ ص ١٧٧

(٣) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٨٩٠

(٤) آدم متر : الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٢٩٧ — ٢٩٨

(٥) أحسن التقاسيم ص ٢٠٣

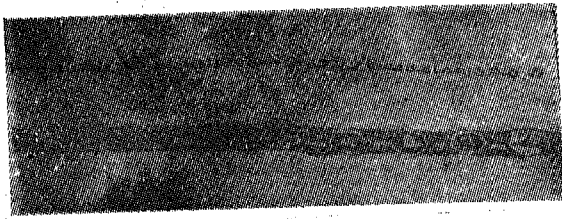
(٦) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٠٣ ، الأدرسي صفة المغرب ... ص ١٥٦

— ١٥٧ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٦٠٢ — ٦٠٣ ، خطط القريري

ج ١ ص ١٧٧ .

وقد اشتهر في النسيج أيضاً من بلدان مصر السفلى شطاً ودميرة وتونة وكلها قريبة من تينيس ودمياط<sup>(١)</sup>. وقد اشتهر في النسيج من بلدان مصر الوسطى والعليا مدينة البهنسا ، فكان ينسج بها الصوف والقطن ، وكان إذا صنع بها شيء من الصوف أو القطن كتب عليه اسم المتخذ له ، وقد اتخذوا ذلك عادة لهم جيلاً بعد جيل<sup>(٢)</sup>. وقد كانت الكتابة ذات شأن في صناعة المنسوجات في العصر الإسلامي ؛ ففي دار الآبار العربية قطعة من الكتان الأبيض تشبه كثيراً الأقمشة القبطية وعليها شريط من زخارف فيه رسوم طيور محوّرة عن الطبيعة ومنسوج على هذه القطعة بالخط الكوفي البسيط سطر بالحرير الأحمر نصه :

« هذه الهامة لسمويل بن موسى . عملت في شهر رجب من الشهور الحمديّة من سنة ثمان وثمانين<sup>(٣)</sup> » (شكل ٣) .



( شكل ٣ ) قطعة قماش من الكتان الأبيض محفوظة بدار الآثار العربية في القاهرة . ومؤرخة من سنة ٨٨ هـ ( ٧٠٧ م )

واشتهرت القيس أيضاً بثياب الصوف وأكسية المرعش<sup>(٤)</sup> التي لم يكن

- (١) الأدرسي : صفة الغرب ص ١٥٦ ، خطط القرظي ج ١ ص ١٧٧ و ٢٢٦
- (٢) اليقوي : كتاب البلدان . ص ٣٣١ ، خطط القرظي ج ١ ص ٢٣٧
- (٣) الدكتور زكي محمد حسن : الفن الإسلامي في مصر ج ١ ص ٨٦
- (٤) المرعش الذين من الصوف .

لها مثيل والقيس كما نعرف ، على مقربة من البهنسا ، من أعمال مديرية  
النبار<sup>(١)</sup>

وكان هناك مصانع للنسج في الأشمونين<sup>(٢)</sup> وأسيوط وإخميم وأهناس<sup>(٣)</sup>  
وبوصير قريدمس<sup>(٤)</sup> وغيرها من بلاد الوجه القبلي .  
وكانت هذه المنسوجات تنسب في العادة إلى البلاد التي تعمل فيها ،  
فيقال الثياب الشطوية والقيسية ، ويقال التنيسي والبمياطي الخ ..

أما نسج الحرير فقد ازدهرت صناعته في مصر في فجر الإسلام . ومن  
المدن التي قامت فيها هذه الصناعة مدينة ديبق<sup>(٥)</sup> وقد عثر في أخميم على  
لباس من الحرير كتب عليه اسم الخليفة مروان . ولسنا نعرف هل المقصود  
هنا مروان بن الحكم أو مروان بن محمد<sup>(٦)</sup>

وهناك أيضا منسوجات حريرية من إخميم في المتحف البريطاني نسجها  
الصناع القبط وترجع إلى هذا العهد الذي نتحدث عنه أو بعده بقليل<sup>(٧)</sup>  
ويتجلى فيها الميزات القبطية والعربية . والحق أن زخارف المنسوجات  
لمصرية بين الفتح العربي وقيام الدولة الفاطمية كانت لا تزال محتفظة بقسط  
وأفر من روح الزخارف في المنسوجات القبطية (شكل ٤) ، وتعتبر عصر

(١) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٣١ ، خطط المقرئى ج ١ ص ٢٣٧

(٢) الأصطخرى : مسالك الممالك ص ٥٣

(٣) اليعقوبي : البلدان ص ٣٣١

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٠٢

(٥) خطط المقرئى ج ١ ص ٢٢٦

Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t. 1, No. (٦)

36 p. 28.

(٧) انظر Butler : Islamic Pottery p. 31

انتقال بين الطراز القبطي والنسوجات ذات الزخارف الإسلامية الخالصة  
في العصر الفاطمي .



(شكل ٤) قطعة قماش من الصوف والسكتان محفوظة بدار الآثار العربية  
في القاهرة . وهي من صناعة مصر في القرن الثالث الهجري (٩ م)

ولم يكن الفضل في اتساع نطاق فن النسيج في مصر في العصور  
الوسطى راجعاً إلى الأهالي فقط. وإنما كان يرجع إلى الحكومة أيضاً فقد  
كانت تسيطر على مصانع النسيج ، والواقع أن هذه السيطرة نظام لم ينشئه  
السلعون في مصر بل أخذوه عن بيزنطة ، فالراجح المحتمل أن يكون  
البيزنطيون قد أنشأوا فيها مصانع حكومية للنسيج إلى جانب المصانع  
الأهلية ، فلما جاء السلعون أبقوا على هذا النظام<sup>(١)</sup> .

ولفظ طراز مشتق من الفارسية « ترازيدن » و « تراز » بمعنى التطريز  
وعمل المدج broderie ثم أصبح يدل على ملابس الخليفة أو الأمير أو

(١) Wiet : Hist. de la Nation Egyptienne t. IV. p. 174.



السلطان ورجال الحاشية لاسبابها إذا كان فيها شيء من التطريز وعليها أشرطة من الكتابة ، واتسع مدلول هذا اللفظ حتى انتهى في العربية والفارسية إلى الدلالة على المصنع والمكان الذي تصنع فيه مثل هذه المنسوجات<sup>(١)</sup> على أن كلمة « طراز » استعملت في معان أخرى ، مثل الدلالة على أى نقش من النقوش التي توضع على شريط مستعرض من أى نوع كان سواء أكان من الحجارة أو الفسيفساء أو الزجاج أو الفخار أو محفوراً في الخشب كذلك أطلق لفظ طراز على الكتابة الرسمية التي كانت تكتب على درج البردي<sup>(٢)</sup>

ولم يبق نظام الطراز وقفا على مصر بل نكاد نجده في كل الأقاليم الإسلامية كسورية والعراق وإيران وآسيا الصغرى واسمانيا وحمزة صقلية<sup>(٣)</sup> . ويظهر أنه كان هناك نوطان من هذه المصانع الحكومية . الأول طراز الخاصة وكان لا يعمل إلا للخليفة ورجال بلاطه وخاصة . والثاني طراز العامة وكان يتبع أيضاً بيت مال الحكومة ، ولكنه كان يعمل لحساب بلاط الخليفة وأفراد الشعب<sup>(٤)</sup> . وقد كتب على بعض المنسوجات التي عمل عليها والتي ترجع إلى هذا العهد أنها صنعت في طراز الخاصة وعلى البعض الآخر أنها صنعت في طراز العامة<sup>(٥)</sup> \*

(١) الدكتور زكي محمد حسن : الفن الإسلامي في مصر - ١ - ص ٨٤

(٢) أدولف جردمان : أوراق البردي العربية ج ١ ص ٣ - ٤ (موجعة

الدكتور حسن إبراهيم حسن)

(٣) الدكتور زكي محمد حسن : الفن الإسلامي في مصر ص ٨٥

(٤) الدكتور زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١١٠ وما بعدها

(٥) Répertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe t. I. pp.75,

1875, t. II. pp. 98, 198.

والذي يهمننا بياضه هو أن الخلفاء عنوا منذ الفتح الإسلامي بتشجيع صناعة المنسوجات المصرية ، وكثيراً ما كان الخلفاء يستعملون هذه المنسوجات للملابسهم أو للخلع التي كانوا يخلعونها على كبار رجال دولتهم ، فكان الخلفاء أو الأمراء يكافئون أفراد رعيتهم ويظهرون رضام عنهم بما كانوا يخلعونهم عليهم من الخلع والملابس

وقد رأينا مما سبق أنه كان يصنع للخلفاء بتنيس ثياب فاخرة تعرف باسم البدنة . ويذكر المؤرخون أن معاوية بن أبي سفيان لما كبرت سنه كان لا يديفاً ، فاتفقوا أنه لا يديفته إلا الأكسية التي تعمل بمصر من صوفها المرعز فعمل له منها عدد فاحتاج منها إلا إلى واحد (١) .

وقد عني الخلفاء والأمراء بكتابة أسمائهم على هذه الأقمشة الثمينة ، وكانت الكتابة على النسيج بلحمة من الذهب أو الفضة أو الخطوط المتعددة الألوان ، وكانت الكتابة تشمل اسم الخليفة وألقابه وبعض عبارات الأدعية وكثيراً ما كان يذكر فيها اسم المدينة التي فيها الطراز واسم الوزير وصاحب الخراج وناظر الطراز . وكان النرض من هذه الكتابات الملكية على الأقمشة ببيان الأمير الذي عملت باسمه أو الشخص الذي خلعت عليه (٢)

وقد عثر على قطع منسوجات صنعت في مصر وكتب عليها أسماء الخلفاء العباسيين ، فهناك قطعة نسيج صنعت للخليفة المهدي في طراز تنيس سنة ١٦٢ هـ وكتب عليها « بسم الله بركة من الله لعبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر به إسماعيل بن إبراهيم أن يصنع في طراز

(١) نخطط المرزبني ج ١ ص ٢٠٤

(٢) الدكتور زكي محمد حسن : الفن الإسلامي في مصر ج ١ ص ٨٥

تبنس على يدى الحكم بن عبيدة سنة اثنتين وستين ومائة<sup>(١)</sup> . وهناك قطعة صنعت فى طراز تونة سنة ١٩٠ هـ للخليفة هرون الرشيد<sup>(٢)</sup> كما صنعت له قطعة أخرى فى سنة ١٩٣ هـ<sup>(٣)</sup>

وقد عثر أيضاً على قطعة نسيج صنعت بطراز العامة بمصر للخليفة الأمين<sup>(٤)</sup> . ولا تعرف متى صنعت . وهناك قطعة صنعت للخليفة المأمون فى سنة ٢٠٦ هـ<sup>(٥)</sup> كما عثر على قطعة أخرى صنعت لنفس الخليفة فى طراز الخاصة ٢١٦ هـ<sup>(٦)</sup> (شكل ٥) ، وهناك قطعة صنعت للخليفة المستعين بالله فى سنة ٢٥٢ هـ<sup>(٧)</sup> وأخرى صنعت فى طراز الخاصة بمصر فى سنة ٢٥٤ هـ لأمير المؤمنين<sup>(٨)</sup> وهو إذ ذاك المعتر بالله .



( شكل ٥ ) قطعة نسيج محفوظة بدار الآثار العربية وعليها كتابه نصها  
« بركة من الله لعبد الله الامام المأمون أمير المؤمنين أعزه الله مما عمل  
فى طراز الخاصة سنة ست وعصر وما بين »

وقد عنى الخلفاء أيضاً منذ الفتح العربى لمصر بأخذ كسوة الكعبة

Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe t. 1. p. 35. (١)

op. cit. p. 62. (٢)

op. cit. p. 68. (٣)

op. cit. p. 75. (٤)

op. cit. p. 115. (٥)

op. cit. p. 165. (٦)

op. cit. t. 2. p. 122. (٧)

op. cit. t. 2. p. 188. (٨)

من المنسوجات النفيسة التي كانت تصنع بها ، فيذكر الأزرق<sup>(١)</sup> أن عمر ابن الخطاب كسا الكعبة القبايطي من بيت المال ، وكان يكتب إلى مصر لتصنع له فيها ، وكذلك فعل عثمان من بعده . فلما كان معاوية ابن أبي سفيان كساها كسوتين ، كسوة عمر القبايطي ، وكسوة ديباج . فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء ، وتكسى القبايطي في آخر شهر رمضان .

ويقول المقرئى : إن الفاكهى ذكر في كتابه أخبار مكة أنه رأى كسوة من قبايطي مصر ، مكتوباً عليها « بسم الله بركة من الله مما أمر به عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أصلحه الله محمد بن سليمان ، أن يصنع في طراز تنيس كسوة الكعبة على يد الخطاب بن مسleme عامه سنة تسع وخمسين ومائة<sup>(٢)</sup> .

ويذكر الفاكهى أيضاً أنه رأى كسوة من كساء المهدي ، مكتوباً عليها « بسم الله بركة من الله لعبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه مما أمر به إسماعيل بن إبراهيم أن يصنع في طراز تنيس على يد الحكم ابن عبيدة سنة اثنتين وستين ومائة<sup>(٣)</sup> » . كذلك يقول الفاكهى أنه رأى كسوة لهرون الرشيد من قبايطي مصر ، مكتوباً عليها « بسم الله بركة من الله للخليفة الرشيد عبد الله هرون أمير المؤمنين أكرمه الله ، مما أمر الفضل بن الربيع أن يعمل في طراز تونة سنة تسعين ومائة<sup>(٤)</sup> » .

ومن بين ما رآه الفاكهى كسوة لهرون الرشيد أيضاً من قبايطي

(١) أخبار مكة ج ١ ص ١٦٨ - ١٦٩

(٢) المخطوط ج ١ ص ١٨١ ، Répertoire. t. 1. p. 34.

(٣) خطط المقرئى ج ١ ص ١٨١ ، Répertoire t. 1. p. 35.

(٤) خطط المقرئى ج ١ ص ١٨١ ، Répertoire t. 1. p. 62.

مصر، مكتوباً عليها . « بسم الله بركة من الله لمبد الله هرون أمير المؤمنين  
أطال الله بقاءه ، مما أمر به الفضل بن الربيع ، مولى أمير المؤمنين بصنعه  
في طراز شطا كسوة الكعبة سنة إحدى وتسعين ومائة (١) » . ورأى  
الفاكهى أيضاً كسوة في الكعبة ، مكتوباً عليها « مما أمر به السرى  
ابن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروى ، بأمر الفضل بن سهل ، ذى  
الرياستين ، وطاهر بن الحسين سنة سبع وتسعين ومائة (٢) . ويذكر أيضاً  
أنه رأى قطعة من قباطى مصر في الكعبة ، مكتوباً عليها بخط رقيق  
أسود « مما أمر به أمير المؤمنين المأمون سنة ست ومائتين » (٣) .

ويجدر بنا أن نذكر أن مصر ، كما استمرت ترسل القمح سنوياً إلى  
الحجاز حتى بعد أن انتقل مقر الخلافة واستقلت عنها مصر ، كذلك استمرت  
ترسل كسوة الكعبة سنوياً ، بل إن إرسال كسوة الكعبة من مصر إلى  
مكة كان يشير إلى زعامة مصر على الحجاز وعلى العالم الإسلامى كله ،  
وكان النزاع الذى نشأ بين السلطان الملك الأشرف برسباى سلطان مصر  
( ٨٢٥ - ٨٤١ هـ ) وشاه رخ ابن تيمورلنك بسبب إرسال كسوة  
الكعبة معناه نزاع حول الزعامة فى العالم الإسلامى (٤) .

### الورق

واشتهرت مصر فى فجر الإسلام بصناعة الورق من البردى الذى كان  
ينمو بكثرة فيها ، وخاصة فى مستنقعات الدلتا والفيوم . وشهرة مصر فى

(١) خطط المقرئى ج ١ ص ٢٢٦ أنظر Repertoire t. 1. p. 63.

(٢) خطط المقرئى ج ١ ص ١٨١ Repertoire t. 1. p. 115.

(٣) المقرئى : ج ١ ص ١٨١ ، Repertoire t. 1. p. 74.

(٤) Wiet : Hist. de la Nation Egyptienne p. t. IV. pp. 563-564.

صناعة الورق من البردى شهرة قديمة ، وخاصة منذ العهد الروماني<sup>(١)</sup> .  
ويذكر ابن النقيع<sup>(٢)</sup> في أواخر القرن الثالث الهجري أن لأهل مصر  
القراطيس التي لا يشرّكهم فيها أحد ، ويذكر اليمقوبي<sup>(٣)</sup> أن القراطيس  
كانت تصنع في بورة ، وهي حصن على ساحل البحر من عمل دمياط وفي  
مدينة إخنو وهي على ساحل البحر غربي فرع رشيد ، ويقال لها وسيمة .

وطالما كان الناس يستعملون البردى للكتابة ، كانوا يعتمدون على  
مصر . أما في القرن الرابع الهجري فيحدثنا الثعالبي أن كواغيد سمرقند  
عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الأوائل يكتبون عليها ؛ لأنها  
أحسن وأنعم وأرفق وأوفق ، ولا تكون إلا بسمرقند والصين  
ويذكر كراباتشيك Karabacek أن صناعة إعداد ورق البردى للكتابة  
انتهت في مصر بالإجمال حوالي القرن الرابع الهجري . والواقع أن ورق  
البردى المؤرخ الذي وصل إلينا ينتهي في عام ٣٢٣ هـ على حين أن الوثائق  
المكتوبة على الكاغد يبدأ تاريخها منذ عام ٣٠٠ هـ<sup>(٤)</sup> . وهكذا نرى أن  
مصر كانت طوال عهد الولاة تقريباً تكاد تحتكر صناعة الورق . وكان  
صناع الورق ، كغيرهم من الصناع في مصر من المصريين ، وكانت أغليبتهم  
أوكلهم في أول عهد الفتح من الأقباط ، وإلى أواخر القرن الأول الهجري  
وأوائل الثامن الميلادي كان الطابع الذي يطبع على الورق يشمل هذه  
الكلمات . « الأب والابن وروح القدس » ، ومع أن ذلك الطابع

(١) Johnson : Roman Egypt vol. 2. p. 397.

(٢) مختصر كتاب البلدان : ص ٦٦

(٣) البلدان ص ٣٣٨ .

(٤) آدم متر : الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٤٠٨ .

استيئذل بعد ذلك بما يتفق ، والدين الاسلامي ، إلا أن الكتبة ظلوا  
يرسمون علامة الصليب على ظهر أوراق الحكومة<sup>(١)</sup> .

### الخشب

وقد مهر المصريون منذ عهد الفراعنة في صناعة الخشب بالرغم من قلة  
الأخشاب في مصر ، وأن ما يوجد بها من الشجر لا يصلح خشبه إلا  
لأعمال النجارة البسيطة ، مثل شجر الجيز والسنت والزيتون والسرو  
والمندق . وكان المصريون منذ المصور القديمة يستوردون من البلاد  
المجاورة ما يلزمهم من خشب الأرز والسنوبر والأبنوس والساج ، وغيرها  
من أنواع الخشب الثمين . وكان جفاف الجو يساعد على بقاء الخشب في حالة  
جيدة<sup>(٢)</sup> . وقد ظلت لمصر السيادة في الحفر على الخشب وصناعته ، حتى  
القرن الماشر الهجري والسادس عشر الميلادي .

وكما خلف لنا الفراعنة التماثيل الخشبية النادرة ، مثل تمثال شيخ البلد  
لغيره من التماثيل ، نرى أن الفن القبطي ورث مهارة قدماء المصريين في  
صناعة الخشب ونقش الزخارف عليه ، وقد تطورت هذه الصناعة على يد  
النجارين القبط الذين تأثروا بالفن البيزنطي ، فازدادت صناعتهم جمالا ،  
وزاد إنتاجهم كثيرا .

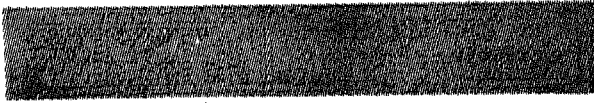
وقد اشتغل الرهبان بالنجارة أيضا وأتقنها الكثير<sup>(٣)</sup> منهم ، فلما جاء  
المسلمون تركوا الصناعة في يد الأقباط كما كانت سياستهم . وقد وصلت

Wiet : Précis de l'hist. d'Egypte t. 2. p. 147. (١)

(١) الدكتور زكي محمد حسن : بعض التأميرات القبطية من ١٣ - ١٤

(٢) الدكتور زكي محمد حسن : بعض التأميرات القبطية من ١٣ - ١٤

إلينا قطع كثيرة من الخشب ذى الزخارف ، مستعملة في الأبنية ، أو في قطع الأثاث . وأقدم هذه القطع يرجع إلى القرنين الثاني والثالث الهجري ( الثامن والتاسع الميلادي ) ، وقد وجد في القرافة القديمة بالفسطاط حيث كان يستعمل بعد كسره من الأبنية والأثاث لمنع انهيار الأتربة في المدافن وقد ظهرت في هذه القطع الأساليب القبطية في الصناعة ، مع تطورها التدريجي لتتخذ لنفسها مسحة إسلامية<sup>(١)</sup> . وقد وصلت إلينا قطع خشبية ترجع إلى عصر الانتقال بين الصناعة القبطية البحتة ، في القرن الأول الهجري ( السابع الميلادي ) والصناعة الإسلامية في القرن الثالث الهجري ( التاسع الميلادي ) وهذه القطع مزخرفة بالنقوش التي امتاز بها الشرق الأدنى في العصر المسيحي . وبعض القطع المذكورة لا تكاد يميزه عن القطع القبطية إلا بما عليه من كتابات عربية<sup>(٢)</sup> ( شكل ٦ ) .



( شكل ٦ ) لوح من الخشب محفوظ في دار الآثار العربية في القاهرة وهو من صناعة مصر في القرن الأول أو الثاني بعد الهجرة ( ٧ — ٨م )

ولا يبعد أن يكون العرب في مصر قد أخذوا لأنفسهم شكل الكثير من قطع الأثاث القبطية ، كالدواليب والموائد ، ولعلمهم أخذوا عنهم أيضاً الكرسي الذي يحمل عليه المصحف ، والذي يعرفه القبط باسم منجلية ، ( أى محل الإنجيل<sup>(٣)</sup> ) .

(١) الدكتور زكي محمد حسن : الفن الإسلامي في مصر ج ١ ص ٩٢ — ٩٣ وما ذكره من مراجع  
(٢) الدكتور زكي محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية . ص ١٤  
(٣) المرجع نفسه ص ١٥



## الخزف والزجاج والمعادن

وتم صناعة أخرى اشتهرت بها مصر حينذاك وهي صناعة الخزف .  
ويذكر الأستاذ بشر أن صناع الخزف في مصر ظلوا محتفظين بمهارتهم  
وبسر هذه الصناعة منذ عهد الفراعنة ، كما تأثروا بالفن البيزنطي من حيث  
النماذج والزخرفة . وتدل التحف الخزفية التي ترجع إلى فجر الاسلام .  
على أن طلاء الخزف باللهاان كان متقناً حينذاك ، كما أن الخزف ذا البريق  
المدني كان معروفاً ؛ ولكننا لا نعرف تماماً هل نشأت صناعة هذا الخزف  
في مصر أم نقلت إليها من إيران أو العراق<sup>(١)</sup> .

وكانت صناعة الزجاج مزدهرة في مصر منذ المصور القديمة وكان  
مركزها قبل الاسلام مدينة الاسكندرية . ولا ريب في أنها لم تهمل في



فجر الاسلام ، فإنه فضلاً عن عمل  
الأوزان الزجاجية والحواتم والأختام  
التي كان يطبع بها على الأواني لبيان  
أحجامها المختلفة<sup>(٢)</sup> (شكل ٧) ،  
كان المصريون لا يزالون محتفظين  
بمعظم ما عرفه أجدادهم من أسرار  
صناعة الزجاج (شكل ٨ و ٩) .

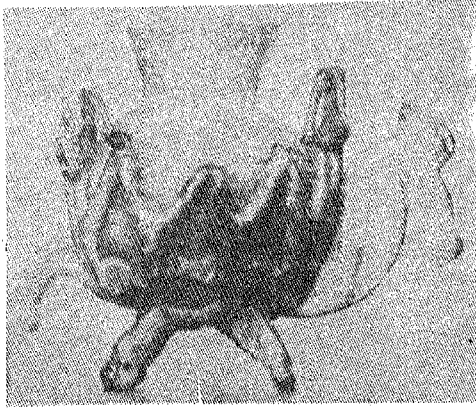
(شكل ٧) ختم زجاجي باسم عبدة الله  
ابن الجعاب مؤرخ من سنة ١١٠ هـ  
(٨٢٩ م)

وكانت صناعة الماسدن مزدهرة  
في مصر الفرعونية واحتفظ القبط

(١) الدكتور زكي محمد حسن : الفن الاسلامي في مصر ج ١ ص ١٠٠ - ١٠٤

(٢) الدكتور زكي محمد حسن : الفن الاسلامي في مصر ج ١ ص ١١٧ - ١١٨

Flinders Petrie : Glass Stamps and Weights (London 1926).



( شكل ٨ ) قنينة من الزجاج على هيئة حيوان ، كانت محفوظة في القسم الاسلامي من متاحف الدولة في برلين ، وهي من صناعة مصر في فجر الاسلام

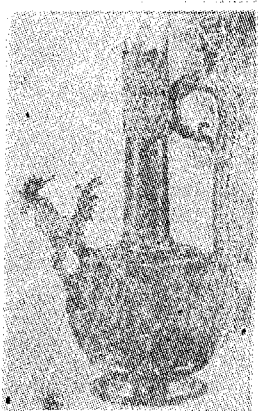


( شكل ٩ ) وعاء من الزجاج كان محفوظاً في القسم الاسلامي من متاحف الدولة ببرلين ولعله من صناعة مصر في فجر الاسلام

بالتفوق فيها والراجح أنهم نقلوها إلى تلاميذهم من الصناع العرب في فجر الاسلام ، ولكننا لا نعرف تماماً أي آثار معدنية مصرية من هذا العصر. أما أبريق البرونز الذي كشف في أبي صير الملق ( شكل ١٠ ) فيرجع إلى القرن الأول أو الثاني بعد الهجرة ولكنه يتبع الطراز الساساني في الصناعة والزخرفة .

أما النقود فقد كان الولاة في مصر يتخذون منها ما تتخذها عاصمة الخلافة ولكن بعض قطع السكة كانت تضرب في مصر ( شكل ١١ ) .

ومن الصناعات الشعبية التي ازدهرت في مصر منذ فجر الاسلام صناعة شواهد القبور . وكانت هذه الشواهد في البداية بسيطة من الحجر والرخام ، ثم اكتسبت طابع الاتقان تدريجياً حين دخلت الزخرفة على الخط الكوفي الذي ظلت تكتب به إلى نهاية العصر الفاطمي ( شكل ١٢ ) .

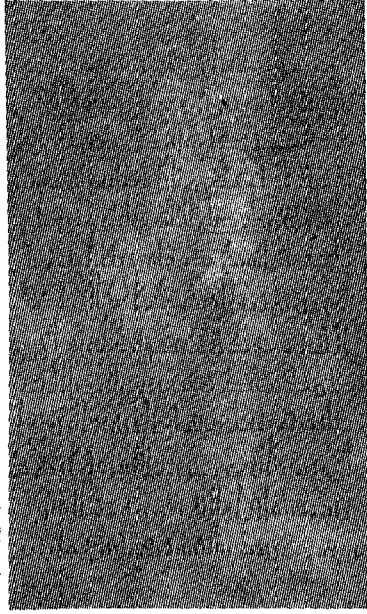


( شكل ١٠ ) إبريق من البرونز محفوظ بدار الآثار العربية في القاهرة وينسب إلى الخليفة الأموي مروان ابن محمد . ولعله من صناعة القرن الاول أو الثاني الهجري ( ٧ - ٨٨ م )



( شكل ١١ ) دينار من عصر الخليفة المأمون ضرب في سنة ١٩٩ هـ ( ٨١٤ م )

والآن وقد استعرضنا أهم الصناعات والفنون التي اشتهرت بها مصر في ذلك العهد ، نرى من الواجب علينا أن نقول إن الولاة من قبل الخلفاء شجعوا هذه الصناعات المختلفة ، وعضدوا الصناع المصريين الذين توارثوا هذه الصناعات المختلفة منذ أقدم العصور ، والذين كانوا يفوقونهم من غير شك في كافة مظاهر الحضارة المادية ، وقد ظل العرب لا يتدخلون في هذه الصناعات ولا يشاركون المصريون فيها حتى عهد المتصم على الأقل حين غير العرب ما بأنفسهم ، وتركوا الجندية ، وأصبحوا يعيشون في مصر كالمصريين .



(شكل ١٢) شاهد قبر من سنة ٢٣٦ هـ . محفوظ بدار الآثار العربية  
في القاهرة . ونص كتابته : بسم الله الرحمن الرحيم — إن في الله عزاء  
من كل مصيبة و — خلف من كل مالك ودرك لما فا — ت وأن أعظم  
المصائب المصيبة — بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم — هذا ما تشهد به جنة  
ابنت ا — لفرح ابن يونس تشهد لإلا إله إلا — الله وحده  
لا شريك له وأن — محمد عبده ورسوله صلى الله — عليه  
وسلم وأن الجنة والنار وا — لموت حق والساعة  
آتية لا — ريب فيها وأن الله يبعث من  
في القبور — توفيت في رجب  
سنة ست وتلتين  
ومايتين

### ٣ - التجارة

يتطلب النشاط الزراعي والصناعي نشاطا في التجارة أيضا . وإن كانت مصر قد نشطت في التجارة فلم يكن ذلك راجعا إلى تقدم الزراعة والصناعة فقط وإنما يرجع إلى موقع مصر الممتاز بين قارات أفريقية وأوربا وآسيا . وقد ظهرت قيمة هذا الموقع الجغرافي العالمي منذ عهد الإسكندر المقدوني أي في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد حين اتصلت مناطق الحضارة المختلفة بعضها ببعض وامتدت بينها أسباب التجارة وصلات السياسة والثقافة .

وظلت مصر منذ عهد الإسكندر الأكبر تتمتع بهذا المركز الممتاز العالمي فلم تكنف بتصدير ما يزيد عن حاجة البلاد من الزراعات أو الصناعات واستيراد ما تحتاج إليه البلاد ، بل كانت تلعب دور الوسيط بين الشرق والغرب ، فكانت مخزنا للبضائع الشرقية والغربية تصدر منتجات الأسواق الشرقية إلى الأسواق الغربية وبالعكس . وهكذا كانت التجارة تلعب دورا هاما في حياة مصر الاقتصادية .

ولم يغيّر الفتح العربي في الدور التجاري الذي لعبته مصر منذ القدم ، فكما اهتم العرب باستغلال موارد البيئة المحلية بمصر ، اهتموا أيضا باستغلال الموقع الجغرافي العالمي لمصر . وكان أهم طرق التجارة بين الشرق والغرب وقبل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ( في القرن ٩ هـ و ١٥ م ) هو طريق البحر الأحمر ، إذ كان هذا الطريق يقلل ، إلى أدنى حد ممكن ، المساعب والنقبات الطائلة التي يسببها النقل البري . فإذا استثنينا الشريط البري الضيق بين البحر الأحمر والنيل ، كانت البضائع التي ترسل من بلاد الهند والصين تسلك دائما طريق البحر وتتبع الطريق المباشر . أي أقصر

الطرق للوصول إلى موانئ إيطاليا وفرنسا وإسبانيا . وقد استفادت مصر بموقعها المتوسط من ذلك الطريق ، ونستطيع أن نقول عن مصر كلها ما قاله وليم البورى عن الاسكندرية بأنها كانت سوق العالمين *forum publicum utrique orbi* <sup>(١)</sup> . ورغم الصعاب التي كانت تكتنف الملاحة في هذا البحر فإنه كان ولا زال قبلة الأنظار للتجارة وللمواصلات بين الشرق والغرب ، وزاد في أهميته حديثاً حفر قناة السويس التي تصل بينه وبين البحر الأبيض المتوسط .

وقد كانت تجارة البحر الأحمر تنتهي أحياناً إلى ميناء *Leuce Come* (الحورة الحالية) على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر ومنها تتخذ طريق القوافل إلى سوريا ، وكانت أحياناً تصل إلى أيلة عند العقبة الحالية ومنها أيضاً تخرج التجارة إلى فلسطين وسوريا . وكثيراً ما كانت تنتهي التجارة الشرقية عند ميناء *Berenice* (رأس بناس الحالية) أو *Leucos Limen* (القصور الحالية) أو *Myostormos* (أبو شعر الحالية) ، ومن هذه الموانئ تتجه التجارة عن طريق الصحراء الشرقية إلى قفط على النيل وتتخذ طريق النيل حتى الاسكندرية ، ومن الإسكندرية تتصل التجارة الشرقية بأسواق الغرب عن طريق حوض البحر الأبيض المتوسط . وكانت السفن التجارية تواصل السير أحياناً في البحر الأحمر إلى القلزم وهي السويس الحالية ثم تسير في القناة النيلية التي تصل بين البحر الأحمر والنيل عن طريق البحيرات المرة وادى طميلات . وهذه القناة اهتم بحفرها الفرعنة وأعاد حفرها البطالمة والرومان ، وكانت تسهل كثيراً على التجار

Heyd : Hist. du Commerce du Levant. vol. 1. p. 378. (١)

ويستخدمونها للوصول إلى الإسكندرية عن طريق النيل بعد أن ينتهي طريق البحر عند ميناء القازم .

وقد اهتم المصريون ، أو الذين حكموا الشعب المصرى فى العصور المختلفة منذ الأزمنة القديمة بالسيطرة على الطرق الطرق التجارية ليضمنوا سلامة استقلالهم السياسى والاقتصادى ، وليجملوا مصر الطريق الرئيسى لمرور التجارة ، وكثيراً ما دفعهم هذا إلى الاستيلاء على فلسطين وسوريا ، للسيطرة على طرقهما التجارية ولتأمين الحدود المصرية . واهتم العاملون من حكام مصر فى العصور المختلفة بإصلاح الطريق الصحراوى الذى تمر فيه قوافل التجارة بين البحر الأحمر والنيل ، وبإقامة الحمايات فيه ، وبحفر الآبار على طول ذلك الطريق ، وبالقبض على القرصنة فى البحر الأحمر والمحيط الهندى ، وبإنشاء الموانى على الشاطئ الغربى لذلك البحر فى أكثر المواقع صلاحية لرسو المراكب وللاتصال بالنيل ، وبشق طرق تجارية جديدة بين البحر الأحمر والنيل ، وبالاهتمام بالقناة التى تصل أحدهما بالآخر إلى غير ذلك من ضروب الاهتمام بالتجارة .

وكانت هناك طرق تجارية بين مصر والشام وسائر البلاد الشرقية ، وبين مصر والواحات الغربية والمغرب ، وبين مصر وأثيوبيا وأواسط إفريقيا .

وقد زاد نشاط مصر التجارى فى فجر الإسلام نتيجة لاهتمام العرب بالتجارة على الخصوص ، ولأن مصر وبلاد المغرب وسوريا وفلسطين ، وبلاد العرب أصبحت كلها جزءاً من إمبراطورية واحدة . وقد فطن المؤرخون المسلمون إلى ذلك الموقع الممتاز الذى تتمتع به مصر ، فكتبوا أن من فضائل مصر « أنها فرضة الدنيا يحمل من خيرها إلى سواحلها ،

وذلك أن من ساحلها بالقازم ينقل إلى الحرمين وإلى جدة وإلى عمان وإلى الهند وإلى الصين وصنعاء وعدن والشحر والسند وجزائر البحر ، ومن جهة تنيس ودمياط والفرما فرضة بلد الروم وأقصى الأفرنجة وقبرص ، وسائر سواحل الشام والثغور إلى حدود العراق ، ومن جهة الاسكندرية فرضة اقريطش وصقلية وبلد الروم والمغرب كله إلى طنجة ومغرب الشمس ومن جهة الصعيد فرضة بلد النوبة والبجة والحبشة والحجاز واليمن<sup>(١)</sup> .

وإن كانت مصر أفادت كثيراً من التجارة التي تمر بها ومن مركزها العالمي لتصدير منتجاتها الزائدة عن حاجتها ولاستيراد ما يلزمها من البضائع فإن الفائدة لم تكن قاصرة على المصريين فحسب ، بل استفادت الشعوب التجارية الأخرى من هذه التجارة العالمية ، ولا سيما البيزنطيون وسكان الجمهوريات الإيطالية واليهود الذين كان لهم شأن عظيم في التجارة والذين كانوا يملكون سفناً تجارية تمخر في البحر الأبيض طولاً وعرضاً<sup>(٢)</sup> .

وقد اهتم عمر بن الخطاب بإعادة حفر القناة النيلية التي كانت تصل البحر الأحمر بالنيل شمالى مدينة منف القديمة أى عند المكان الذى كان يتفرع منه النيل إلى فروعه في الدلتا . وقد كانت هذه القناة ، منذ حفرها في عهد الفراعنة أو البطالسة ، تهمل حيناً وتجدد حيناً آخر ويماد حفرها . وكان الإهتمام بها راجعاً إلى الرغبة في تسهيل سير السفن بين البحر الأحمر والنيل .

ولكى نفهم ظروف حفر هذه القناة القديمة يجب أن نتذكر التغييرات التي طرأت على جغرافية نهر النيل خلال الألف سنة الماضية . فنهري النيل

(١) النويرى : نهاية الأرب ج ١ ص ٣٤١ ، خطط المقرئى ج ١ ص ٢٨ .  
(٢) Heyd : Hist. du Commerce du Levant. vol. 1. pp. 125—126.



كان يتفرع شمالى بابلليون بمسافة قليلة حيث موضع القاهرة الحالى تقريباً ، إلى ثلاثة فروع كبيرة منها فرعاً دمياط ورشيد الحاليان ، أما الفرع الثالث فهو الفرع البلوزى الذى كان فى شرق فرع دمياط وينتهى بالقرب من مدينة بلوزيم القديمة (أو القرما أو طينة الحالية) . وفى وسط ذلك الفرع تقريباً كان هناك بحيرة واسعة تتصل بمدينة بوباستيس القديمة أو تل بسطة الحالية القريبة من الرقازيق . ومن هذه البحيرة كانت قناة نخاو تسير نحو ميناء أرزنوى Arsinoë أو السويس ، ولكنها كانت تنهى عند البحيرات المرة التى كانت تقع فى الشمال الغربى لرأس البحر الأحمر . أما قناة بطليموس فقد امتدت من البحيرات المرة إلى البحر الأحمر نفسه عند السويس ماره بمدينة Heroöpolis التى يظن أنها كانت فى شمال غربى السويس وتبعد عنها بنحو ١٥ ميلاً وفى جنوب شرق البحيرات المرة وتبعد عنها بنحو ٥ أو ٦ أميال . ويظن كثير من الكتاب أن البحر الأحمر نفسه أو خليج السويس كان يمتد شمالاً عما هو الآن ، ليس إلى البحيرات المرة ولكن إلى مدينة هروأوبوليس على الأقل . وعندما جفت مياه القناة الطبيعية التى كانت بين البحيرات المرة وخليج السويس الحالى ، حفر الملك دارا الفارسى والملك اجزر كسيس (القرن الخامس ق م) قناة توصل بين البحيرات المرة والخليج . وقد أعيد حفرها فى حكم بطليموس الثانى (القرن الثالث ق م) . وفى أثناء الحكم الرومانى لمصر كان الفرع البلوزى قد بدأ يجف كما أن القناة التى بين بوباستس والبحر الأحمر لم تمد صالحاً للملاحة للسفن الكثيرة فى العهد الرومانى . ولذا اهتم الامبراطور تراجان فى القرن الثانى الميلادى (٩٨ - ١١٧ م) باصلاح تلك القناة وتمييقها كما أنه حفر قناة تخرج من النيل بالقرب من المنطقة التى تقوم فيها القاهرة الآن وتقابل مع قناة نخاو

عند بلبيس الحالية في نقطة متوسطة بين بوستيس والبحيرات المرة<sup>(١)</sup> .  
ولكن قناة تراجان هذه أهملت على ممر الأيام حتى أصبحت غير صالحة  
للملاحة في بداية القرن السابع الميلادي<sup>(٢)</sup> . فلما فتح العرب مصر في أوائل  
ذلك القرن اهتموا بإعادة حفر هذه القناة . ويذكر ابن عبد الحكم<sup>(٣)</sup> ومن  
تقل عنه من المؤرخين مثل المقرئ<sup>(٤)</sup> والسيوطي<sup>(٥)</sup> أن أهل المدينة المنورة  
أصابهم جهد شديد في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك في عام  
الرمادة<sup>(٦)</sup> ، قبعث عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص يستنجده ، فبعث  
إليه عيرا عظيمة ، كان أولها بالمدينة وآخرها بمصر يتبع بعضها بعضا ، فلما  
قدمت على الخليفة وسع بها على الناس فأعطى أهل كل بيت بالمدينة وماحولها  
بعمراً بما عليه من الطعام . ونحن وإن كنا نلصق في هذه الرواية شيئاً كثيراً  
من المبالغة إلا أنها تدل على أن بلاد العرب أصبحت تعتمد بعد فتح مصر  
اعتماداً رئيسياً عليها لإطعام أهل الحجاز . ثم يذكر المؤرخون أن عمر بن  
الخطاب أمر بحفر قناة توصل بين النيل والبحر الأحمر وذلك ليسهل حمل  
الطعام من مصر إلى المدينة ومكة . فأعاد عمرو بن العاص حفر القناة التي

(١) Wilson : The Suez Canal ... pp. 3-5.

(٢) Munier : L'Egypte Byzantine ... p. 82.

(٣) فتوح مصر — طبعة تورى — من ١٦٢ — ١٦٤ .

(٤) المخطوط ج ٢ من ١٤١ — ١٤٢ .

(٥) حسن المحاضرة ج ١ من ٦٨ .

(٦) يذكر ابن الأثير في كتابه الكامل ج ٢ من ٤٣٣ — ٤٣٤ ، أنه  
في سنة ١٨ هـ أصاب الناس مجاعة شديدة وجذب وقحط ، وهو عام الرمادة ، وكانت  
الريح تسفي تراباً كالرمادة ، فسمى عام الرمادة . وفي هذه السنة أيضاً كان طاعون  
عمواس . فكتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الأمصار ، يستغيثهم لأهل المدينة ومن  
حولها ويستمدم ، ومن بين الذين استغاث بهم عمرو بن العاص أمير مصر .

كانت توصل النيل بالبحر الأحمر ولم يمض على ذلك عام حتى جرت السفن في القناة وحمل الطعام إلى أهل الحرمين . وسميت هذه القناة باسم خليج أمير المؤمنين نسبة إلى عمر بن الخطاب .

ويتبين من هذه الرواية أن الفرض الأساسي من حفر خليج أمير المؤمنين كان حمل الطعام والقمح إلى الحجاز ، وليس تسهيل التجارة . وذكر المقرئ نقلًا عن السكندی في « كتاب الجند العربي » أن عمرأ حفره في سنة ثلاث وعشرين و فرغ منه في ستة أشهر وجرت فيه السفن ووصلت إلى الحجاز في الشهر السابع<sup>(١)</sup> . ويظهر أن العرب استعملوا السخرة في حفر هذا الخليج أو القناة كما أنهم استخدموا عدداً عظيماً من أهل البلاد وذلك لأن عمرأ أعاد حفرها في وقت قصير ذكر المؤرخون أنه لم يتجاوز السنة . ويذكر حنا النقيوسى<sup>(٢)</sup> أن المسلمين فرضوا على المصريين إعادة حفر قناة تراجان من بابلون إلى البحر الأحمر وأن نيرهم على المصريين كان أشد وطأة من نير فرعون على بني إسرائيل .

وبالرغم من أن عمر بن الخطاب إنما اهتم بحفر قناة تراجان لتسهيل حمل القلال والطعام من مصر إلى الحجاز ، فقد أفاد ذلك العمل التجارة والتجار ، فيذكر المقرئ<sup>(٣)</sup> نقلًا عن ابن الطوير أن هذا الخليج كان مسلكاً للتجار وغيرهم ، ويذكر أيضاً أن السفن كانت تسير فيه إلى البحر الأحمر وتمر في البحر إلى الحجاز واليمن والهند . ولم يزل على ذلك إلى أن قدم محمد النفس الزكية نائراً في الحجاز زمن الخليفة المنصور العباسي فكتب

(١) خطط المقرئ ج ٢ ص ١٤٣ .  
(٢) تاريخ ص ٥٧٧ (ed. Zotenberg)  
(٣) الخطط ج ٢ ص ١٤٣ .

النصور إلى عامله على مصر يأمره بطم الخليج حتى لا تحمل البيرة من مصر إلى المدينة فطمه وانقطع من حينئذ اتصاله ببحر القلزم<sup>(١)</sup>. ويقال إن ولاية مصر أهملوا أمر هذا الخليج بعد عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز فقلب عليه الرمل وصار متناه إلى ذنب بحيرة التماسح<sup>(٢)</sup>.

كذلك يقال إن عمرو بن العاص فكر في حفر قناة توصل ما بين البحر الأبيض والبحر الأحمر رأساً ولكن عمر بن الخطاب لم يوافق على ذلك<sup>(٣)</sup>. ولو تمت هذه الفكرة حينذاك لسهلت الطريق التجاري كثيراً بين الشرق والغرب. ويذكر ابن خلدون<sup>(٤)</sup> أنه ما زال الملوك في الإسلام وقبله رومون شق ما بين البحرين إلا أن ذلك لم يتم.

ويذكر السمودي<sup>(٥)</sup> والسيوطي أن الخليفة هرون الرشيد أراد أن يوصل ما بين بحر الروم وبحر القلزم مما يلي الفرما. فقال له يحيى بن خالد البرمكي: كان يختطف الروم الناس من المسجد الحرام وتدخل سراكبهم الحجاز. فمدل الرشيد عن هذه الفكرة.

وبالرغم من أن إهمال خليج أمير المؤمنين جملة غير صالح للملاحة السفن في أوائل العصر العباسي، وأن هذا الإهمال لا يدل على بعد نظر في شيء - فيما عدا أنه كان علاجاً مؤقتاً لظروف من الظروف، إن صح أن أبا جعفر

(١) الخطط ج ٢ ص ١٣٩

(٢) ابن عبد الحكم - طبعة بوري - ص ١٦٤، خطط القزويني ج ٢ ص ١٤٢، السيوطي: حسن المحاضرة ج ١ ص ٦٨.

(٣) السمودي: صروج الذهب - طبعة أوروبا - ج ٤ ص ٩٩.

(٤) المقدمة ص ٣٩ (المقدمة الثانية في تسط العمران من الأرض).

(٥) السمودي - صروج الذهب - طبعة أوروبا - ج ٤ ص ٩٨-٩٩.

السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٨٩

المصور أمر بسده كي يقطع الميرة عن أهل الحجاز عندما ناروا عليه - بالزهم  
من هذا يظهر أن طريق التجارة عن طريق القزم وبرزخ السويس ظل  
يطرقه التجار طوال عصر الولاة الذي نتحدث عنه . ويؤيد كلامنا هذا  
ما كتبه الجغرافي المشهور ابن خردادبه<sup>(١)</sup> عن التجارة ، في أواخر القرن  
الثالث الهجري . فقد تحدث عن التجار اليهود الراذانية الذين يتكلمون  
بالعربية والفارسية والرومية والأفريقية والأندلسية والصقلية ، وذكر  
أنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق برأ وبحراً ،  
يجلبون من المغرب الخدم والجوازي والفلان والديباج وجلود الخنز والفراء  
والسمور<sup>(٢)</sup> ، والسيوف ، ويركبون من إفريقية<sup>(٣)</sup> في البحر الغربي فيخرجون  
بالفرما ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القزم وبينهما خمسة وعشرون فرسخاً  
ثم يركبون البحر المشرق من القزم إلى الجار وجدة<sup>(٤)</sup> ثم يمضون إلى السند  
والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدارصيني  
وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرحموا إلى القزم ، ثم يحملونه  
إلى الفرما ، ثم يركبون في البحر الغربي ، فرجما عدلوا بتجاراتهم إلى  
القسطنطينية فباعوها من الروم ، ورجما صاروا بها إلى ملك إفريقية فيبيعونها  
هناك ، وإن شاءوا حملوا تجارتهم من إفريقية في البحر الغربي فيخرجون  
بأنطاكية ويسيرون على الأرض ثلاث مراحل إلى الجابية ثم يركبون في

(١) كتاب المسالك والممالك من ١٥٣ - ١٥٤ ، والدكتور زكي محمد حسن :  
الرحلة السلطون في الصور الوسطى ص ٧ - ٩  
(٢) السمور حيوان بري يقبه ابن عرس وأكبر منه ، لونه أحم ، مائل إلى  
السواد ، يتخذ من جلده فراء ثينة ، وربما أطلق السمور على جلده ، والجمع سلمير .  
(٢) يقصد إفريقية هنا فرنسا .  
(٤) الجار كانت ميناء المدينة المنورة ، أما جدة فهي ميناء مكة .

الفرات إلى بغداد ثم يركبون في دجلة إلى الأبله ومن الأبله إلى عمان والسند والهند والصين ، كل ذلك متصل بعضه ببعض » .

وبين هذا النص أهمية مراكز مصر التجارى ، كما بين أن طريق القازم والفرما كان من أهم حلقات الاتصال بين الشرق والغرب .

ولدينا نص متأخر عن ذلك ، كتبه المسعودى<sup>(١)</sup> في القرن الرابع الهجرى وهو بين أهمية ذلك الطريق التجارى أيضاً . فيقول إن مصر « هى البرزخ بين البحرين المذكورين فى القرآن<sup>(٢)</sup> ، لأن من الفرما التى على ساحل بحر الروم إلى القازم التى هى ساحل بحر الصين مسيرة ليلة ، يحمل إليها من جميع الممالك المحيطة بهذين البحرين من أنواع الأمتة والطرائف والتحف من الطيب والأفاويه والمقاقير والجوهر والرقيق وغير ذلك من صنوف المآكل والمشارب والملابس ، فجميع البلدان تحمل إليها وتفرغ فيها » .

وبالرغم من الأهمية التى كانت لخليج أمير المؤمنين فى التجارة ، أو لطريق القازم — الفرما ، بعد سد ذلك الخليج ، فلا نستبعد أن يكون بعض التجار قد اتخذوا الطريق الصحراوى الذى يوصل بين البحر الأحمر والنيل طريقاً لسيرهم خصوصاً بعد سد خليج أمير المؤمنين ، ونظراً لصعوبة الملاحة فى البحر الأحمر . وكان بعض التجار يتخذون هذا الطريق قبل الفتح ، فكانوا يسرون من القصير أو برنيس إلى قفط على النيل ثم يسرون فى النيل إلى البحر الأبيض المتوسط . ولكن يظهر أن هذا الطريق لم يكن

(١) التنبية والاشراف ص ٢٠

(٢) يشير بذلك إلى قوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان)

سورة الرحمن ، آية ١٩ — ٢٠

مفضلاً على غيره في فجر الإسلام؛ لأن الجغرافيين والمؤرخين العرب في ذلك العصر لم يطلبوا في الحديث عن أهميته كما فعل المؤرخون في عصر المماليك فبينما نرى اليعقوبي (١)، أحد الجغرافيين الذين زاروا مصر في القرن الثالث الهجري لا يزيد على القول بأن عيذاب كانت ميناء تجارية، يذكر القرظي (٢) أن صحراء عيذاب كانت مزدهرة في القرن الخامس الهجري باعتبارها طريقاً للحج وللتجارة بين مصر والحجاز وغيرها من البلاد، ويذكر أن حجاج مصر والمغرب كانوا لا يتوجهون إلى مكة إلا من صحراء عيذاب فيركبون النيل حتى قوص ويمبرون الصحراء إلى ميناء عيذاب ومنها يركبون البحر إلى جدة، وكذلك كان تجار الهند واليمن والحبشة يركبون البحر إلى عيذاب ثم يسلكون الصحراء إلى قوص ومنها يسبرون في النيل إلى مصر أو الإسكندرية. فالحق أن صحراء عيذاب ظلت أهلة بالتجارة والحجاج أكثر من مائتي سنة، وذلك بين سنتي ٤٥٠ و٦٦٠ هـ. أي أنها كانت مسلماً للتجار والحجاج وبلغت درجة عظيمة من الازدهار في عهد متأخر عن العهد الذي نبهت فيه.

ولم يكن فتح العرب مصر سبباً في قصر تجارتها على دول الشرق وضعف علاقاتها التجارية مع بلاد الغرب، فقد رأينا من نصوص جغرافي العرب كيف كانت مصر طريقاً للتجارة بين الشرق والغرب معاً. وكذلك لم تفقد الإسكندرية مكانتها التجارية العالمية التي كانت لها قبل الفتح. فقد زار الإسكندرية بعد فتح العرب لمصر بنحو ثلاثين سنة (حوالي سنة ٦٧٠م ٥٠ - ٥١ هـ) أركولف Arculf أحد حجاج بيت المقدس فتكلم عن

(١) كتاب البلدان ص ٣٣٥

(٢) المعطل ج ١ ص ٢٠٧

الأسكندرية باعتبارها ملتقى التجارة العالمية حيث يتبادل البضائع فيها شوب لا حصر<sup>(١)</sup> لها . وإن كانت شهرة الأسكندرية قد تضاءلت قليلا بعد ذلك أمام شهرة بغداد التجارية ، فقد احتفظت رغم ذلك بمركزها التجارى الهام . ويذكر آدم منز<sup>(٢)</sup> أنه حينما أخذت تجارة المسلمين إلمكان الأول فى التجارة العالمية فى القرن الرابع الهجرى كانت الأسكندرية وبغداد هما اللتان تقرران الأسعار للعالم فى ذلك العصر ولا سيما فى البضائع السكالية . وكما ظلت الأسكندرية محتفظة بأهميتها التجارية فقد ظلت أيضا العلاقات التجارية مستمرة بين مصر وأمم الغرب ، فى أوائل القرن التاسع الميلادى (نهاية القرن الثانى وبداية الثالث الهجرى) نرى الحكومة البيزنطية تفكر فى أن تحرم على بحارتها الرسو فى الشواطئ السورية والمصرية . ولا بد أن البيزنطيين فى ذلك الوقت كانوا يتبادلون التجارة مع المسلمين<sup>(٣)</sup> . وإذا كان الامبراطور شارلمان قد استطاع أن يرسل المساعدة إلى الفقراء المسيحيين فى الإسكندرية فلا بد أنه كان يستورد من مصر ما يلزمه من الحاجات وعلى الأخص التوابل التى كثيراً ما نجد ذكرها فى الوثائق المعاصرة<sup>(٤)</sup> .

وطبىبى أن طرق الحج وطرق البريد كانت أيضاً مسلكاً للتجار فى ذلك العصر ، لأن الخلافة كانت تهتم بعارة هذه الطرق وبالعباية بها وبتوفير الراحة فيها . فعندما كان خليج أمير المؤمنين مستملاً للاحاة السفن كان بمض الحجاج يتخذون هذا الطريق أيضاً للحج ، ويذكر السيوطى<sup>(٥)</sup> أن حجاج

Kammerer : La Mer Rouge. t. 1, p. 12—18. (١)

Heyd : Hist. du commerce. t. 1. p. 41

(٢) الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٣١٢

Wiet : Hist. de la Nation Egypt. t. 1V. p. 174. (٣)

Wiet : op. cit. p. 174. (٤)

(٥) حسن المحاضرة ج ١ ص ٦٩ .



البحر كانوا يسرون فيه إلى القلزم ومن القلزم ينتقلون إلى الرأكب الكبير ،  
ورأينا كذلك أن الطريق الصحراوي بين البحر الأحمر والنيل كان مسلوكا  
للتجارة والحجاج . على أن هناك طريقا بريا كان يرثاه الحجاج بكثرة وهو  
طريق أيلة التي كانت عند موضع العقبة الحالية . فيسير الحجاج من مصر  
عن طريق البر إلى القلزم فإما أن يركبوا البحر إلى الجار ميناء المدينة -  
وإما أن يسيروا إلى أيلة وبعدها إلى بلاد الحجاز .

وكان هناك ست مراحل<sup>(١)</sup> بين القلزم وأيلة<sup>(٢)</sup> . ويذكر القريري<sup>(٣)</sup>  
أن أيلة أول حد الحجاز ، وقد كانت مدينة جليلة على ساحل البحر بها التجارة  
الكثيرة وأهلها أخلاط من الناس ، وكانت في الإسلام منزلا لبني أمية  
وأكثرهم موالى عثمان بن عفان وكانوا سقاة الحاج ، وكان بها علم كثير وآداب  
ومتاجر وأسواق عامرة .

وكانت بلاد الحجاز نفسها ملتقى للتجارة فكانت البضائع  
الشرقية تنبع إلى الحجاج المديدين ، فضلا عن أنها كانت تصل إلى أسواق  
الغرب بواسطة التجار المصريين الذين يرافقون الحجاج في عودتهم إلى مصر  
بالطريق البري حول خليجي البحر الأحمر أو بواسطة التجار السوريين  
الذين يحملون هذه البضاعة في اتجاه دمشق<sup>(٤)</sup> .

أما طرق البريد فأولها الطريق المعروف الذي أتت منه الجيوش المنيرة  
على مصر في العصور المختلفة . مثل جيوش قبيز والاسكندر الأكبر ،

(١) المرحلة المسافة التي يقطعها المسافر في يومه ، الجمع مراحل .

(٢) خطط القريري ج ١ ص ٢١٣

(٣) الخطل ج ١ ص ١٨٤ .

(٤) Heyd : Hist. du commerce. vol. 1. p. 41.

وعمر بن الماص ، وهو يمر بالرملة بفلسطين وبمدينة غزة ورفح والمريش والفرما وببليس ثم القسطاط . وهناك طريق آخر يخرج من القسطاط إلى برقة وأفريقية وبلاد المغرب ، وآخر يخرج من القسطاط إلى المغرب دون أن يمر بالإسكندرية ولكنه يلتقي بالطريق الذي يخرج من الإسكندرية في ذات الحمام (١) .

كذلك لا نشك في أن مصر كانت تتبادل التجارة في هذا العهد مع النوبة والسودان وأواسط أفريقية ، فنشد الفتح العربي كانت هناك شبه اتفاقية تجارية بين مصر والنوبة تقضى بأن تستورد مصر الرقيق من النوبة وتصدر إليها القمح والعدس والحبوب (٢) ، ولا بد أن مصر كانت في علاقات تجارية مع الحبشة وأواسط أفريقية وكانت تصل إليها منتجات هذا الإقليم ، إما عن طريق البحر الأحمر أو عن طريق النيل عند أسوان . ولا ننسى في هذه المناسبة ما كان هناك من علاقات دينية بين مصر وبين هذه الأقطار المختلفة ، إذ أن البطرق الأرتودكسي في مصر كانت ولا تزال له الرئاسة الدينية على نصارى الحبشة والنوبة وسائر المسيحيين في السودان ، وهو الذي يرسم أساقفتهم (٣) ولا بد أن هذه العلاقة الدينية قد تبعثها علاقة تجارية أيضا . ويذكر اليعقوبي (٤) أن التجار كانت تأتي إلى نهر عيسذاب فيحملون التبر والماج وغير ذلك في المراكب . ولا شك أن مصر كان يصيبها شيء من تجارة أواسط أفريقية عن طريق هذا الميناء .

(١) فداية بن جعفر : كتاب الخراج ص ٢١٩ — ٢٢٥

(٢) ابن عبد الحكم — طبعة توري — ص ١٨٨ — ١٨٩ ، الكندي :

الولاية والفضة ص ١٢ — ١٣

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٠٨

(٤) البلدان ص ٣٣٥

ولا نعرف تماما ما الذى كانت تصدره مصر فى ذلك العهد وما الذى كانت تستورده ، لكننا نرجح فى الغالب أنه فضلا عن دور الوسيط الذى كانت تقوم به مصر بين الشرق والغرب ، كانت تصدر جانبا من القمح بالإضافة إلى ما كانت ترسله سنويا إلى الحجاز . ولا نستبعد أن مصر كانت تصدر الكتان فى ذلك العهد لوفرة زراعته بها ، كما أننا نرجح أن أهم ما كانت تستورده مصر هو الأخشاب ، لندرة الأنواع الطيبة من الخشب فى مصر مما كان يلزم للبناء والسفن ، وكذلك المادن . ويظهر أيضا أن تجارة الرقيق كانت رائجة فى ذلك العهد أيضا ، فقد كان هناك سوق للرقيق بمصر فى الفسطاط منذ أول عهد الفتح<sup>(١)</sup> .

---

(١) ابن عبد الحكم - طبعة تورى - ص ٩٢ ، السيوطى : حسن

المحاضرة ج ١ ص ٥٩ .

## ٤ - الحركة العلمية

تركت الحركات العلمية، في كافة الأنصار الإسلامية في صدر الإسلام في الناحية الدينية، وكان أكثر العلماء الذين ظهروا إذ ذاك علماء دين. أما العلوم الدنيوية والفلسفية فقد كان شأنها ضعيفاً في ذلك العصر بل كان ما ينمو منها إنما يحتاج في نموه إلى الدين يعتمد عليه ويصطنع به<sup>(١)</sup>.

وقد تفرق الصحابة في كافة البلدان التي فتحتها الجيوش الإسلامية بل انضم كثير منهم إلى الجيوش التي فتحت تلك البلدان. وربما تمعد الخلفاء تفرقةهم ليعلموا أهلها الدين الإسلامي. وكان ممن حضر فتح مصر من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، غير عمرو بن العاص قائد الجيش الفاتح، عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وعبد الله بن عمر ابن الخطاب وخارجة بن حذافة المدوي ومسلمة بن مخلد وأبو رافع مولى رسول الله وشريك بن سمى الغطيفي المرادي وعبد الله بن الحارث بن حزم ابن عبد الله بن معدى كرب الزبيدي الذنجي وكان آخر صحابي مات بمصر، توفي في سنة ست أو سبع أو ثمان وثمانين من الهجرة، وغيرهم كثير<sup>(٢)</sup> ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أخذ الصحابة يفدون إلى مصر بعد

(١) أحمد أمين بك: فجر الإسلام ج ١ ص ٢٣٣.

(٢) ابن عبد الحكم - طبعة توري من ٩٢ - ٩٣، السيوطي: حسن

المحاضرة ج ١ ص ٧٣ - ١٠٠

الفتح . إذ شجعهم على ذلك مارأوه من وفير الخيرات وسهولة العيش . فكان العالمون منهم بأمور الدين يقومون بمهمة تعليم الشعب المصرى أصول الدين الإسلامى . وهؤلاء الصحابة العلماء كانوا أساس مدرسة مصر الدينية كما كان غيرهم من الصحابة أساس المدارس الدينية فى مختلف الأمصار .

على أن أشهر من علم بمصر من الصحابة بعد الفتح هو عبد الله بن عمرو ابن العاص ؛ فيذكر القرزى (١) أن أهل المدينة كانوا يتبعون فى الأكثر فتاوى عبد الله بن عمرو . رضى الله عنهما ، وأن أهل الكوفة كانوا يتبعون فى الأكثر فتاوى عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما ، وأن أهل مكة كانوا يتبعون فى الأكثر فتاوى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، وأن أهل مصر كانوا يتبعون فى الأكثر فتاوى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما .

ولأهل مصر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قرابة مائة حديث (٢) . وقد أسلم عبد الله بن عمرو قبل أبيه (٣) وكان فاضلا علما قرأ القرآن والكتب المتقدمة واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فى أن يكتب عنه فأذن له فقال : يا رسول الله أكتب ما أسمع فى الرضا والنضب . قال : نعم فإني لا أقول إلا حقا (٤) . ويذكر ابن سعد (٥) عن اسحاق بن يحيى عن مجاهد أنه قال : رأيت

(١) الخطط ج ٢ ص ٣٣٢

(٢) ابن عبد الحكم - ص ٢٥٤

(٣) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ج ٧ ص ١٨٩ ، ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٣ ص ٢٣٣ ، ابن حجر : الإصابة فى تمييز الصحابة ج ٤

ص ١١٢

(٤) ابن الأثير : أسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٣

(٥) الطبقات الكبير . ج ٧ ص ١٨٩

عند عبد الله بن عمرو صحيفة فسألته عنها فقال : هذه الصادقة ، فيها ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه فيها أحد . وقال أبو هريرة : ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مني إلا عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب ولا أكتب . وقال عبد الله : حفظت عن النبي صلى الله عليه وسلم ألف مثل (١) .

وقد اختلف في سنة وفاة عبد الله بن عمرو وفي أى جهة توفى ، ويذكر بعض المؤرخين أنه توفى عندما قدم مروان بن الحكم إلى مصر لاستخلاصها من عامل ابن الزبير . وفي اليوم الذى قتل فيه الاكدر بن حمام بن عامر سيد لحم في النصف من جمادى الآخرة سنة ٦٥ هـ ولم يستطع أحد أن يخرج فى جنازة عبد الله بن عمرو إلى المقبرة لشغب الجند على مروان (٢)

ويعتبر عبد الله بن عمرو بن العاص بحق مؤسس مدرسة مصر الدينية إذ أخذ عنه كثير من أهلها وكانوا يكتبون عنه ما يحدث .

وإن كان عبد الله بن عمرو هو المعلم الأول فى مصر فقد أخذت مصر دروسا دينية أيضا عن غيره من الصحابة وسمعت أحاديث نبوية من مختلف الصحابة الذين وفدوا إليها عقب الفتح . وسرعان ما أصبحت مصر بعد الفتح مركزا علميا دينيا فى الدولة الإسلامية . وكان الخلفاء يوفدون علماء الدين إليها ليفقهوا أهلها وليكونوا مرجعا لهم فى أحكامه وكافة أمورهم ، فنشأ نرى عمر بن الخطاب يبعث إلى أهل مصر حبان بن أبى جيلة ليفقههم (٣) . ويبعث الخليفة

(١) ابن الأثير : أسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٣ وابن حجر : الإصابة ج ٤

ص ١١٢

(٢) الكنتى ص ٤٦ وخطط القرينى ج ٢ ص ٣٣٨

(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٨١ - ٨٢

عمر بن عبد العزيز نافعا مولى ابن عمر فقيه أهل المدينة إلى مصر ليعلمهم السنن<sup>(١)</sup>.

وقد تتلمذ على أيدي الصحابة بمصر التابعون الآخذون عنهم وكانوا لا يتعدون فتاويهم إلا اليسير مما بلغهم عن غير من كان في بلادهم من الصحابة<sup>(٢)</sup>. على أننا نلاحظ أن أكثر حملة العلم في عصر الصحابة كانوا من العرب لأن أكثر الصحابة عرب، فلما قام علماء الصحابة بالتعليم في الأمصار المفتوحة اشترك العرب وغيرهم في تلقى العلم عنهم حتى إذا كان عصر التابعين وتابيحهم انعكست الآية فأصبح بعض حملة العلم عربا وأكثرهم من الموالى وأبنائهم<sup>(٣)</sup> ويدلنا على ذلك أن الخليفة عمر بن عبد العزيز جعل الفتيا بمصر إلى ثلاثة رجال: رجلا من الموالى ورجل من العرب؛ فأما العربي فجعفر بن ربيعة، وأما المولى فيزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن أبي جعفر. وأظهر بعض العرب إنكارهم ذلك فقال عمر بن عبد العزيز: ما ذنبي إن كانت الموالى تسمو بأنفسها سعدا وأنتم لا تسمون!

واشتهر من مصر كثير من العلماء والفقهاء والأئمة المجتهدين. نذكر منهم الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي ولد بمصر سنة إحدى وستين وقيل ثلاث وستين، وأبوه عبد العزيز بن مروان أمير عليها، « وقد تفقه حتى بلغ رتبة الاجتهاد وله مناقب كثيرة »<sup>(٤)</sup> وممن اشتهر بمصر أيضا يزيد بن حبيب واسمه سويد الأزدي أبو رجاء المصرى، كان فقيه مصر وشيخها ومفتيا، ولد سنة ٥٢ هـ بمصر وهو أحد ثلاثة فوض إليهم عمر بن عبد العزيز أمر الفتيا

(١) المرجع نفسه ص ١١٩

(٢) خطط القرظى ج ٢ ص ٣٣٢

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٠ - ٤٨١ (فصل في أن حملة العلم في

الاسلام أكثرهم النجم) وأحمد أمين بك: فجر الاسلام ج ١ ص ١٨٣

(٤) السيوطى: حس المحاضرة ج ١ ص ١١٩

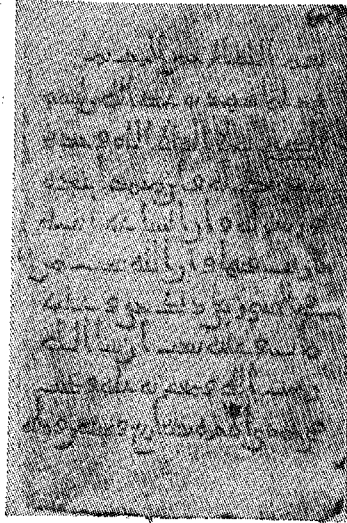
بمصر . وقد أخذ عنه عبد الله بن لهيعة والليث بن سعد وآخرون ، وكان الليث ابن سعد يثنى عليه ويقول « ابن أبي حبيب سيدنا » وتوفي يزيد بن أبي حبيب عصر في سنة ١٢٨ هـ .<sup>(١)</sup>

ومن علماء مصر ومحدثيها وفقائها أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة الحضرمي النافق المصري الفقيه الذي ولد في سنة ٩٧ هـ وقيل سنة ٩٦ هـ وولى قضاء مصر عشر سنين ( ١٥٥ - ١٦٤ هـ ) ومات بها في منتصف شهر ربيع الأول سنة ١٧٤ هـ ( شكل ١٣ ) وقيل سنة ١٧٠ هـ<sup>(٢)</sup> . ومن أشهر فقهاؤها وأئمتها في ذلك العهد أيضا الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولاهم الأصهباني الأصل المصري ، ولد في مصر في بلدة قرقشدة<sup>(٣)</sup> سنة ٩٤ هـ وكان ثقة كثير الحديث صحيحه اشتمل بالفتوى في زمانه . ويقال إن دخله كان في كل سنة خمسة آلاف دينار ، كان يفرقها في الصلوات وغيرها . ولا تعرف ما هو مصدر ثروته هذه ، وقيل إن الأمام مالك كتب إليه من المدينة « بلغني أنك تأكل الرقاق وتلبس الرقاق وتمشي في الأسواق » فكتب إليه الليث بن سعد : ( قُلْ من حَرَّمَ زينة الله ) . وكان الليث كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره بحيث أن القاضي والنائب كانا من تحت أمره ومشورته وكان الشافعي يتأسف على فوات لقاءه . وتذكر الروايات أن الشافعي قال « كان الليث أفتقه من مالك إلا أنه ضيعة أصحابه » .

---

(١) خطط القرظي ج ٢ ص ٣٣٢ وأبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٤٣ و ٣٠٨ ، السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١١٩ - ١٢٠  
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٣١٣ وأبو الحسن ج ٢ ص ٧٧ السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٠  
(٣) قرقشدة : قرية بأسفل مصر . ولد بها الليث بن سعد ( ياقوت ، معجم البلدان ج ٤ ص ٦٤ ) وهي قرقشدة بمديرية القليوبية .





(شكل ١٣) شاهد قبر عبد الله بن لهيعة ، محفوظ بدار الآثار العربية في القاهرة . ونص كتابته : بسم الله الرحمن الرحيم — هذا ما يشهد به عبد الله بن لهيعة — الحضري أنه لا إله إلا الله وحده — لا شريك له وأن محمداً عبده — ورسوله وأن الساعة آتية — لا ريب فيها وأن الله يبعث من — في القبور على ذلك حي وعليه — مات وعليه يبعث إن شاء الله — رحمت الله ومغفرته عليه وكتب في جمدي الآخرة سنة أربع وسبعين ومائة

وقال يحيى بن بكير : « ما رأيت أحداً أكل من الليث ، كان فقيه النفس ، عربي اللسان ، يحسن القرآن والنحو ويحفظ الحديث والشعر ، حسن المذاكرة » . وقد توفي الليث بن سعد سنة ١٧٥ هـ ، وقال قائل حين مات ذهب الليث فلا لث لكم ومضى العلم غربيبنا وقبر<sup>(١)</sup>

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٥٤ — ٥٥٥ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٣٢ ، أبو الحسن ج ١ ص ٨٢ والسيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٠ — ١٢١ وأحمد أمين بك : فجر الإسلام ج ١ ص ٢٣٠

وقد شعر كثير من التابعين في الأمصار المختلفة بضرورة الانتقال من جهة إلى جهة للدرس وتحصيل العلم . فالصحابة العلماء الذين أخذ عنهم أهل الأمصار المختلفة كان بعضهم يزيد على الآخرين في أشياء وينقص في أشياء أخرى؛ إذ كان بعض الصحابة يفتنون عن مجلس النبي عليه الصلاة والسلام في بعض الأوقات التي يحضر فيها الآخرون. وبالعكس فيفوت كل واحد منهم ما غاب عنه . فلما فتحت البلدان وتفرق الصحابة في الأقاليم أصبح كل إقليم متأثراً بالصحابة الذين علموا فيه . فلما جاء عهد التابعين وقام بهم شعر كثير منهم بالحاجة إلى التفقه على علماء الأقاليم الإسلامية الأخرى فكثر الرحلة إلى الأمصار المختلفة<sup>(١)</sup> ، وتقابل العلماء في مختلف الجهات ، وازدهرت في ديار الإسلام مراكز عديدة للعلم يفد إليها الطلاب من مختلف الأقاليم الإسلامية . ويقال إن أول من رحل من أهل مصر إلى العراق في طلب الحديث هو أبو سعيد عثمان بن عتيق مولى غافق الذي توفي سنة ١٨٤هـ<sup>(٢)</sup> . وتأثرت مصر بالمذاهب الإسلامية التي ظهرت في مصر العباسي . ففي ذلك العصر امتزجت العقلية العربية بالعقلية الفارسية واليونانية وارتفع مستوى الثقافة بين العلماء بفضل تشجيع بعض الخلفاء للعلماء والفقهاء والأدباء والشعراء وإقبال نخبة من العلماء على تعريب الكتب الأجنبية ودراستها .

ونشأت في مصر العباسي مذاهب انقرض بعضها في مصر العباسي نفسه ولا يزال بعضها الآخر قائماً حتى اليوم . وقد كان فريق من الفقهاء يغالون في اتباع

---

(١) الدكتور زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى

ص ٦ - ٧

(٢) خطط القرظي ج ٢ ص ٣٣٢ - ٣ - ٣٣٣ وأحمد أمين بك : فجر الإسلام

ج ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١

الرأى وفريق آخر ينال في اتباع الحديث وفريق ثالث يتبع طريقا وسطا بين الاثنين . وأم المذاهب التي ذاعت في العصر العباسي هي المذاهب الأربعة التي قدر لها البقاء إلى اليوم . واقدم هذه المذاهب الأربعة هو مذهب الإمام أبي حنيفة وقد ولد الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بالكوفة سنة ٨٠ هـ وقيل سنة ٦١ هـ وتوفى ببغداد سنة ١٥٠ هـ وبعد أبو حنيفة لإمام أهل الرأى والقياس ، وكان أشهر من دون مذهبه تلميذه أبو يوسف يعقوب بن محمد القاضي (١١٣ - ١٨٣ هـ) (١) . وثاني أئمة المذاهب الأربعة هو الإمام مالك ابن أنس الأصمحي الذي ولد بالمدينة المنورة في سنة ٩٣ هـ أو سنة ٩٥ هـ وتوفى بها سنة ١٧٩ هـ ويمتاز مذهبه باعتماده على الحديث أكثر من أبي حنيفة ، ويقال لأصحابه أهل الحديث (٢)

وثالث هؤلاء الأئمة في القدم الإمام محمد بن ادريس الشافعي القرشي وقد ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ ، وتلقى العلم في مكة والمدينة وبغداد ثم أتى إلى مصر في سنة ١٩٨ هـ وصنف بها كتبه وكون بها مذهبه الجديد وتوفى بها في سنة ٢٠٤ هـ (٣) ويذكر ابن خلدون (٤) أن الإمام الشافعي مزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق واختص بمذهب أى أنه جمع بين

(١) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢١٨ وأحد تيمور باشا :

نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة ص ٨ - ٩

(٢) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٥٥ - ٥٥٦ ، وأحد

تيمور باشا : المرجع السابق ص ١٩

(٣) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٦٥ - ٥٦٦ وأبو الحسن

النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٧٦ - ١٧٧ السبوطي حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢١ -

١٢٢ وأحد تيمور باشا : المرجع نفسه . ص ٢٨

(٤) المقدمة ص ٣٧٥

مذهبي الرأي والحديث . ويحذر أن نشير هنا إلى أن قدومه بمصر كان مع عبد الله بن والي مصر العباس بن موسى بن عيسى العباسي الذي أرسله أبو خليفة له على ولاية مصر<sup>(١)</sup> .

ورابع هؤلاء الأئمة هو الإمام أحمد بن حنبل الشيباني الذي ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ وقيل بمرور وحمل إلى بغداد وهو رضيع وتوفى بها سنة ٣٤١ هـ وكان ابن حنبل يغالى في اتباع الحديث إذ كان يقول ضعيف الحديث أقوى من الرأي<sup>(٢)</sup>

بالرغم من أن مذهب أبي حنيفة هو أقدم المذاهب إلا أن مذهب مالك هو الذى دخل مصر أولاً وانتشر بها . ويذكر المقرئى<sup>(٣)</sup> أن « أول من قدم بعلم مالك إلى مصر عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جمع وكان فقيها روى عنه الليث وابن وهب ورشيد بن سعد وتوفى بالإسكندرية سنة ١٦٣ هـ ثم نشره بمصر عبد الرحمن بن القاسم فاشتهر مذهب مالك بمصر أكثر من مذهب أبي حنيفة لتوفر أصحاب مالك بمصر . ولم يكن مذهب أبي حنيفة رحمه الله يعرف بمصر » .

ويذكر ابن فرحون<sup>(٤)</sup> والسيوطى<sup>(٥)</sup> أن عثمان بن الحكم الجداوى هو أول من أدخل علم مالك بمصر وتوفى سنة ١٦٣ هـ .

---

(١) الكنتى ص ١٥٤ وأبو المحاسن . النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٦١

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠ و ٥٦٥ وأحمد تيمور باشا . ص ٢٨

(٣) الخطط ج ٢ ص ٣٢٤

(٤) الديباج ص ١٨٧

(٥) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢١

وكلا القولين صحيح في ترجمة عثمان الجندى من « تهذيب التهذيب » لابن حجر المستقلانى ما نصه : « وقال ابن وهب أول من قدم مصر بمسائل مالك عثمان بن الحكم وعبد الرحيم بن خالد بن يزيد » .

فيظهر أنهما بمد أن تفقها عن الامام مالك عادا مما إلى مصر ونشرا بها مذهبه<sup>(١)</sup> وقد اشتهر من مدرسة مصر كثير من الفقهاء المالكية نذكر منهم طليب بن كامل اللخمي الذي كان من كبار أصحاب مالك ، عاش بالإسكندرية وروى عنه ابن القاسم وابن وهب ، وتفقه عنه ابن القاسم قبل رحلته إلى مالك . وقد مات طليب في حياة مالك بالإسكندرية سنة ١٧٣هـ<sup>(٢)</sup> . ومن فقهاء المالكية في مصر سعيد بن عبد الله بن أسعد المغافري المصرى ، كان من كبار أصحاب مالك تفقه بان وهب وابن القاسم ومات بالإسكندرية سنة ١٧٣هـ<sup>(٣)</sup> .

ومن أشهر فقهاء المالكية في هذا العصر أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العُتقى بالولاء إذ تفقه على الإمام مالك رضى الله عنه ونظرانه وصحب مالك عشرين سنة وانتفع به أصحاب مالك بعد موت مالك وعنه أخذ سحنون ( من أشهر فقهاء أفريقية ) وقد ولد ابن القاسم في سنة ١٣٢ وقيل سنة ١٣٣ وقيل سنة ١٢٨ هـ وتوفى بمصر سنة ١٩١هـ<sup>(٤)</sup>

(١) تيمور ياشا : نظرة في حدوث المذاهب الأربعة ص ٢٠

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢١

(٣) المرجع نفسه ص ١٩٠

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٦ — ٣٤٧

ومن فقهاء المالكية بمصر في ذلك العهد عبد الله بن وهب بن مسلم  
المصرى الفهرى مولاهم ، ولد سنة ١٢٥ هـ وقيل سنة ١٢٤ هـ وقد صحب  
الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه عشرين سنة : رحل ابن وهب إلى الإمام  
مالك في سنة ١٤٨ هـ ولم يزل في صحبته إلى أن توفى ، وسمع من مالك ، وسمع  
من مالك قبل عبد الرحمن القاسم بوضع عشرة سنة . وكان مالك يكتب إليه  
إذا كتب في المسائل : إلى عبد الله بن وهب المقتى ، ولم يكن يفعل هذا مع  
غيره . وذكروا ابن وهب وابن القاسم عند مالك فقال : ابن وهب عالم وابن  
القاسم فقيه . وقد توفى ابن وهب في مصر سنة ١٩٧ هـ (١) .

ومن الفقهاء المالكية في ذلك العهد أيضا أشهب بن عبد العزيز بن  
داود بن إبراهيم القيسى العامرى المصرى فقيه مصر وقيل اسمه مسكين ولقبه  
أشهب . ولد سنة ١٤٠ هـ ومات في سنة ٢٠٤ هـ بعد موت الإمام الشافى  
بثمانية عشر يوما . وكان الشافى يقول : « ما أخرجت مصر أفتى من أشهب  
لولا طيش فيه » (٢) .

ومن مشاهير فقهاء المالكية في مصر في ذلك العهد عبد الله بن  
عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع المصرى . كان أعلم أصحاب مالك بمختلف  
قوله وأفضت إليه رئاسة الطائفة المالكية بمد أشهب . وكان من ذوى الأموال  
والجاه ، يقال إنه دفع للإمام الشافى عند قدومه إلى مصر ألف دينار من

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣١٧ والسيوطى : حسن المحاضرة

ج ١ ص ١٢١

(٢) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٧٥ - ١٧٦ ، والسيوطى :

حسن المحاضرة ج ١ ص ١٩٠

ماله ، وأخذ له من ابن عسامة التاجر ألف دينار ومن رجلين آخرين ألف دينار . ولد في سنة ١٥٠ هـ وقيل سنة ١٥٥ وتوفي سنة ٢١٤ هـ ودفن بمحوار قبر الإمام الشافعي . وقد أخذ عنه الفقه كثير من أهل مصر ومن أخذ عنه بنوه ، نذكر منهم عبد الرحمن بن عبد الحكم صاحب كتاب فتوح مصر الذي توفي سنة ٢٥٧ هـ ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وقد سجد محمد هذا الإمام الشافعي عندما قدم مصر وتفقّه عليه ، فلما مات الشافعي رجع محمد إلى مذهب مالك وانتهت إليه الرياسة بمصر . قال ابن يونس : كان المفتي بمصر في أيامه . وقال غيره : كان من العلماء الفقهاء مبرزا ، من أهل النظر والمناظرة والحجة وإليه كانت الرحلة من الغرب والأندلس في العلم والفقه وقد كان محمد هذا فقيه مصر في عصره على مذهب مالك كما رسخ في مذهب الشافعي وله مصنفات كثيرة وتوفي سنة ٢٦٨ هـ (١)

هؤلاء الفقهاء المالكية بمصر ، نذكرهم على سبيل المثال لا على سبيل الحصر . أما المذهب الحنفي فيظهر أن أحداً من أهل مصر لم يذهب إليه إذ ذلك إلا من كان من قضائها الذين وتهم الخليفة وخاصة منذ عهد الخليفة هارون الرشيد الذي ولي قضاء بغداد بعد سنة ١٧٠ هـ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم أحد أصحاب أبي حنيفة ، ولم يقبلد الخليفة القضاء ببلاد العراق وسراسان والشام ومصر إلا من أشار به القاضي أبو يوسف واعتنى به (٢) وطيبى الأبول أبو يوسف أحداً إلا من كان من أصحابه أى ممن يذهب مذهب أبي حنيفة .

(١) ابن خلكان وفیات الأعيان ج ١ ص ٣١١-٣١٢ والبيوطي : حسن

المخاضرة ج ١ ص ١٢٢-١٢٤

(٢) خطط القرظي ج ٢ ص ٣٣٣

وقد ظل الخلفاء العباسيون يؤثرون للمذهب الحنفي على غيره من المذاهب ،  
طوال ذلك العهد الذي نتحدث عنه في مصر (١) .

على أنه إذا كان ولي القضاء بمصر في العصر العباسي قضاة على مذهب  
أبي حنيفة إلا أن عامة أهلها لم يتبعوا ذلك المذهب وإنما كان مذهب مالك  
هو المنتشر بها . وكان أول من ولى قضاءها من أتباع مذهب أبي حنيفة  
القاضي اسماعيل بن اليسع الكندي (١٦٤ - ١٦٧ هـ) ويذكر الكندي (٢)  
عن أحد الرواة أنه قال : « قدم علينا اسماعيل بن اليسع الكندي قاضياً بعزل  
ابن لميعة ، وكان من خير قضاتنا غير أنه كان يذهب إلى مذهب أبي حنيفة ،  
ولم يكن أهل مصر يعرفونه وشنأوه » .

ويقال إن الليث بن سعد كتب فيه إلى الخليفة المهدي : إنك وليتنا  
رجلاً يكيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا مع أنا ما علمناه في  
الدينار والدرهم إلا خيراً » . فكتب المهدي بعزله (٣) .

ورغم إيثار الخلفاء العباسيين للمذهب الحنفي إلا أن قضاء مصر في  
العصر العباسي لم يكونوا كلهم ممن يتبعون المذهب الحنفي (٤) .

ومن هذا نرى أن حظ المذهب الحنفي كان قليلاً في مصر في ذلك العهد  
وكان محصوراً في مكان ضيق حينذاك ، وظل المصريون يتبعون المذهب المالكي  
حتى قدم الإمام الشافعي إلى مصر وكون مذهبه الجديد بها . فمتدئذ أخذ  
كثير من المصريين يتبعونه ، ولم يمض قرن من الزمان حتى أصبح المذهب

(١) خطط القرظي ج ٢ ص ٢٢٢

(٢) الولاة والقضاة ص ٢٧١

(٣) الولاة والقضاة ص ٢٧٢

(٤) الولاة والقضاة ص ٢٨٢ ، ٢٩٢



الشافعي منافساً للمذهب المالكي في مصر . وقد شعر بعض المصريين حين  
قدوم الإمام الشافعي إلى بلادهم بالانقسام الذي أحدثه بينهم في مذهبهم  
الديني . ولا أدل على ذلك مما ذكره الكندي<sup>(١)</sup> عن أحد الرواة إذ يقول :  
« سمعت ابن المنكدر يصيح بالشافعي والشافعي يسمع : يا كذا دخلت هذه  
البلدة وأمرنا واحد ورأينا واحد ففرقت بيننا وألقيت بيننا الشر فرق الله  
بين روحك وجسمك » .

وكان من أبرز فقهاء الشافعية في ذلك العهد أبو يعقوب يوسف بن يحيى  
البويطي الذي كان الشافعي يقول عنه : ما رأيت أحداً أربح بحجة من كتاب  
الله مثل البويطي . « ولما مات الشافعي تنازع محمد بن عبد الحكم والبويطي  
في الجلوس موضع الشافعي حتى شهد الحميدي على الشافعي أنه قال البويطي  
أحق بمجلسي من غير » . فأجلسوه مكانه . وقد سعى به القاضي بن أبي الليث  
الحنفي قاضي مصر إذ ذاك لدى الخليفة الواصل زمن الهنة بمخلق القرآن فعمل  
البويطي إلى بغداد ولكنه امتنع عن القول بمخلق القرآن فسجن ببغداد  
ومات في السجن سنة ٢٣١ هـ<sup>(٢)</sup> .

ومن فقهاء الشافعية في ذلك العهد عبد العزيز بن عمران بن أيوب  
الجزاعي المصري ، كان من أكابر العلماء المالكية فلما قدم الشافعي مصر  
لزمه وتفقه على مذهبه . وتوفي في سنة ٣٣٤ هـ<sup>(٣)</sup>  
ومن أبرز الشافعية حينذاك الربيع بن سليمان بن داود الأزدي الجيزي  
مات بالجيزة في سنة ٢٥٦ هـ<sup>(٤)</sup>

(١) الولاة والقضاة ص ٤٣٨

(٢) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٦٠ - ٢٦١ والسيوطي : حسن

المحاضرة ج ١ ص ١٢٣

(٣) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٦٧ (٤) المرجع نفسه

وهكذا نرى أنه أصبح بمصر في ذلك العهد مذهبين بتماملان : هما المالكي والشافعي ، ومذهب أقل شأنًا تؤيده الخلافة وهو المذهب الحنفي . أما المذهب الحنبلي أو المذاهب الأخرى السنية فلم يكن لها ذكر بمصر إذ ذاك . أما عن المذاهب التي لا تمد من مذهب أهل السنة مثل الشيعة والخوارج فلم يكن لها أثر إلا في ظروف سياسية معينة ، تحدثنا عنها في الباب الثاني ، ولكنها لم تتمر طويلا إذ لم يقبل المصريون على مثل تلك المذاهب . وبالرغم من أنه في وقت ما حكمت مصر دولة شيعية هي الدولة الفاطمية ، إلا أن التشيع لم يبق بمصر بعد زوال تلك الدولة .

وكان مركز الحركة العلمية الدينية في مصر وقلبها النابض في ذلك العهد جامع عمرو بن العاص مثله في هذا مثل الأزهر الشريف الآن . فكان جامع عمرو ملتقى العلماء والفقهاء والأئمة وإليه يلجأ الناس للإستفتاء وإليه يفد الطلاب لتلقى العلوم التي كانت تدرس في ذلك الحين ومنه يتخرج خيرة العلماء والفقهاء .

وأصبحت مصر مركزاً علمياً هاماً خصوصاً في أواخر عصر الولاة . فكان يفد إليها الطلبة لتلقى العلم وخاصة من إفريقية والمغرب والأندلس وبذلك أثرت مصر على المغرب والأندلس في المذاهب وفي العلوم الدينية التي كانت تدرس حينذاك . ومن علماء مصر المشهورين حينذاك ورش المقرئ واسمه عثمان بن سعيد المصري الذي تحدر من أصل قبلي وكان مولى لآل الزبير بن العوام . وأخذ القراءة عن نافع وهو الذي لقبه بورش لشدة بياضه . والورش شيء يصنع من اللبن . وقيل بل ولقبه ورشان وهو طائر معروف . وقد انتهت إليه رئاسة القراء بالنيار المصرية وكان ماهراً في اللغة العربية

وتوفى سنة ١٩٧ هـ (١).

ومن أئمة القراءات في مصر أيضاً أبو يعقوب الأزرق يوسف بن عمرو ابن يسار المدني ثم المصري . لزم ورشاً مدة طويلة واتفق عنه الأداء وخلفه في الأقرام بالديار المصرية وانفرد عنه بتخليط اللامات وترقيق الرات . وقال أبو الفضل الخزاعي : « أدركت أهل مصر والمغرب على أبي يعقوب وورش لا يعرفون غيرها » وتوفى أبو يعقوب حوالي سنة ٢٤٠ هـ (٢).

ومن علماء إفريقية الذين أخذوا عن المصريين البهلول بن راشد إذ كان ممن أخذ عنهم الليث بن سعد . وقد توفى البهلول في سنة ١٨٣ هـ وقيل سنة ١٨٢ هـ (٣).

ومن علماء الأندلس الذين تلقوا العلم على الفقهاء المصريين في فجر الإسلام عيسى بن دينار ، إذ سمع من ابن القاسم وصحبه وعول عليه . وقد أدرك عيسى أيضاً ابن وهب وأشهب إلا أنه سمع من ابن القاسم واقتصر عليه ثم انصرف إلى الأندلس فكان لا يتقدمه أحد من قرطبة في الفتيا وكانت له فيها رئاسة وبه ويحجي ابن يحيى انتشر مذهب مالك في الأندلس . وتوفى عيسى سنة ٢١٢ هـ في طليطلة (٤).

ومن أساتذة ذلك العهد أيضاً زكريا أبو يحيى الوقار المصري . كان من موالى قریش وقيل من موالى عبد الدار وروى عن ابن القاسم وابن وهب

---

(١) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٥٥ والسيوطي : حسن المحاضرة

١٢ ص ٢٠٧

(٢) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٧

(٣) Ben Cheneb: Classes des Savants de l'Ifrîqiya, pp. 112-125

وابن فرحون : الديباج ص ١٠٠ - ١٠١

(٤) ابن فرحون : الديباج ص ١٧٨ - ١٧٩

وأشهب وغيرهم وكان مختصاً بابن وهب . وقد ذهب إلى أفريقيا سنة ٢٠٥ هـ  
علم فيها ثم عاد إلى مصر وتوفي بها سنة ٢٥٤ هـ وقيل سنة ٢٦٣ هـ (١)

ومن يستحق التنويه من مدرسة مصر في ذلك العهد أيضاً أبو الفيض  
ثوبان بن إبراهيم وقيل الفيض ابن إبراهيم المصري المعروف بذي النون .  
كان أوحد وقته علماً وورعاً وأدباً وزهداً ، روى عن الإمام مالك والليث  
ابن سعد وعبد الله بن لهيعة والفُضَيْل بن عياض وسفيان بن عيينة وغيرهم  
وكان مولد ذي النون بأخميم . ويعد ذو النون من أقطاب الصوفية . وله فضل  
كبير في وضع كثير من التعاليم الصوفية كما نعرفها الآن . وقد انكر عليه  
أهل مصر وقالوا أحدث علماً لم تتكلم فيه الصحابة وسبى به بعض أعدائه  
لنبي الخليفة التوكل فاستحضره الخليفة من مصر فلما دخل عليه وعظه  
فبكي التوكل ورده مكرماً . وتوفي ذو النون بمصر في سنة ٢٤٥ هـ (٢)

\*\*\*

وكانت الإسكندرية عند الفتح العربي أهم مراكز في الشرق تشع منه  
الثقافة اليونانية الرومانية . ولكنها فقدت بعد الفتح مكانتها السياسية وكان  
طبيعياً أن تفقد مكانتها العلمية تبعاً لذلك . ولسنا نستطيع أن نفعل الحديث  
عن أمر طالما كثر فيه الجدل . ذلك هو حريق مكتبة الإسكندرية الذي

(١) Ben Cheneb: Classes des Savants. P. 174 . وابن فرحون :

الديباج ص ١١٨

(٢) ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ١ ص ١٢٦ وأبو الحسن : النجوم  
الزاهرة ج ٢ ص ٣٢٠ — ٣٢١ السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٧٨ والذكتور  
زكي محمد حسن : مصر والمحاضرة الإسلامية ص ٢٦ وآدم متز : المحاضرة الإسلامية  
ج ٢ ص ١٥ .

(٣) بطر : فتح العرب لمصر ص ٣٤٨ — ٣٧٠

نسبه بعض المؤرخين إلى عمرو بن العاص ونفى مؤرخون آخرون هذه التهمة عن القائد العربي وعن الخليفة عمر بن الخطاب الذى ينسب إليه أنه أمر عامه عمراً بأن يحرق المكتبة .

وأول من تحدث عن حريق هذه المكتبة هو عبد اللطيف البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١ ميلادية) وقد ذكر أنها حُرقت بأمر عمرو بن العاص ولكنه لم يذكر عن الحادث أى تفاصيل تبجل غوامضه . أما الذى أتى على قصة طويلة فى مناسبة الكلام عن حريق المكتبة فهو أبو الفرج ابن العبرى . وهو مؤرخ ولد فى ملطية بآرمينية سنة ١٢٢٦ ميلادية ودرس اليونانية والعربية والسريانية ثم اشتغل بالفلسفة واللاهوت ونصب بعد ذلك اسقفا وتوفى سنة ٦٦٦ هـ (١٢٦٨ م) .

وملخص القصة التى رواها أبو الفرج اللطى هذا أنه فى زمن فتح العرب مصر اشتهر فى البلاد رجل اسمه يحيى النحوى (يوحنا غراماطيقوس) والظاهر أنه كان من القسس اليمانية فى الاسكندرية وأنه رجع عما يعتقده اليمانية فى طبيعة المسيح وطلب إليه الأساقفة بمصر أن يعود إلى المذهب الأرتودكسى فلم يرجع فمزله مجمع منهم . وعاش يوحنا هذا إلى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية فاتصل بعمره وأعجب هذا بزيارة علمه فقرّب به إليه . ثم قال يوحنا له فى يوم من الأيام : « إنك قد أحطت بحواصل الإسكندرية وختمت على ما فيها ولست أطلب إليك شيئا مما تنتفع به بل شيئا لا نفع له عندك وهو عندما نافع » فقال عمرو : « وما الذى تقصد ؟ » فأجاب يوحنا : « كتب الحكمة الموجودة فى خزائن الروم » فأجاب عمرو بأن ذلك أمر ليس له فيه رأى قبل استئذان الخليفة . وكتب إلى عمر بن الخطاب يستتبعه فى المسألة فأجابه عمر : « وأما ما ذكرت من أمر الكتب فإذا كان ما جاء بها يوافق

ما جاء في كتاب الله في كتاب الله غنى عنه . وإذا كان ما فيها يخالف كتاب الله فلا أرب لنا فيه وتقدم بإعدامها ، فأصر عمرو بتوزيع الكتب على حمامات الإسكندرية فما زالوا يحرقونها في مواقدها ستة أشهر .

هذه هي القصة التي رواها أبو الفرج في النصف الثاني من القرن السابع الهجري (١١٣م) كما أشار إليها من قبل عبد اللطيف البغدادي وابن القفطي صاحب كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء من كتاب النصف الأول من القرن السابع (١١٣م) . وربما كان ابن القفطي وأبو الفرج بن العبري أخذاهما عن البغدادي .

وعلى كل حال فإن الشك في صحتها قديم بين المؤرخين المحدثين فإن إدوارد جيبون المؤرخ الإنجليزي المشهور الذي كتب بين سنتي ١٧٧٠ و ١٧٨٧ مؤلفه المشهور عن تدهور الدولة الرومانية وسقوطها ناقش هذه القصة ونهاها (جزء ٩ ص ٤٣٧ وما بعدها) .

وربما كان الأفضل بنا الآن أن نلخص في بضع نقاط الجدل الذي دار حول هذه المسألة .

أولاً - إن اتهام المسلمين بإحراق المكتبة لم يذكره المؤرخون إلا بعد أكثر من خمسمائة سنة مرت على فتح الإسكندرية . وإذا جاز لنا أن نهم المؤرخين المسلمين المتقدمين أمثال ابن عبد الحكم والبلاذري واليعقوبي والطبري بأنهم أحجموا عن الإشارة إلى ذلك تمصّباً منهم للمسلمين - مع أن هذا غير معقول لأن عقلية العرب لم تكن لتتغير بهذه السرعة - نقول إذا جاز ذلك فلننا نجد شيئاً نفسره به عدم الإشارة إليها في كتب المؤرخين المسيحيين مثل حنا النقيوسي الذي كان قريب العهد بفتح الإسكندرية ومثل سميد بن بطريق (أوتبخا) المتوفى سنة ٣٢٨هـ (٩٦٠م) .

ثانياً - أثبت الدكتور الفرد بتلر مؤلف كتاب فتح العرب لمصر أن يحيى النحوى أحد أبطال هذه القصة مات قبل غزو العرب مصر زمن طويل ثالثاً - إن كتاب القرنين الخامس والسادس وأوائل القرن السابع بعد ذلك لم يذكروا شيئاً عن مكتبة الإسكندرية والواقع أن المكتبتين اللتين قد تشير القصة إلى واحدة منهما أو إليهما معا كأننا قد ضاعتا قبل الفتح العربى زمن طويل - فالأولى وهى مكتبة المتحف أو الجامعة اتلفتها النار سنة ٤٨ ق. م فى الحريق الذى أحدثه بوليوس قيصر ليرد أعداءه عن أسطوله ويؤيد هذا القول المؤرخ اليونانى بلوتارك التوفى سنة ١٢٥ م وغيره من المؤرخين . أما المكتبة الثانية وهى مكتبة السرايوم فليس العلماء متفقين فى أمرها ولا يمكن القول ببقينا هل نقلت من السرايوم قبل سنة ٣٩١ م وهى السنة التى أشدت فيها النزاع بين الوثنيين والمسيحيين وحكم الطرقات الأمبراطور ثيودوسيوس ففضى للمسيحيين واستطاع هؤلاء أن يحرقوا السرايوم وكان حصن الوثنية المنيع بل الواقع أن مجاة الكتب غير معقولة بسبب تعصب المسيحيين الثابتن واعتبارهم هذه الكتب كتب الوثنية الضالة . فيمكننا إذن أن نجزم بان هذه الكتب كان مصيرها الضياع ولا سيما أن أوراسيوس الذى كتب فى سنة ٤١٦ ميلادية ذكر أنه رأى الرفوف أو الصناديق فى السرايوم فارغة ليس فيها شيء من الكتب ولم يشر إلى وجود أى مكتبة تستحق الذكر فى الإسكندرية .

رابعاً - إذا سلمنا جدلاً بأن الإسكندرية كانت تحتوى وقت الفتح الإسلامى على مكتبة كبيرة فان الهدنة التى عقدت بين المسلمين وأهل الإسكندرية كانت طويلة وكان فى استطاعة القوم أن ينقلوا كنوز هذه المكتبة إن لم يكن لقيمتها الملوية فليمتها المادية . ونحن نعلم أن العرب

أباحوا للروم نقل ما يريدون من متاع وأموال .  
خامساً — إن عناصر القصة تدل على أنها خرافية ولا أثر للتأسك بين  
أجزائها المختلفة . من ذلك تفريق الكتب على الحمامات المختلفة وأخاذها وقوداً  
مدة ستة شهور . فإن القائد الذى يأبى إعطاءها لصديقه ويريد حرق الكتب  
تنفيذاً لأمر الخليفة يجرها حيث هى أو يشرف على هذه العملية على أقل  
تقدير — ولا يدفع الكتب إلى الحمامات حيث يمكن أصحابها أن يبيعوها  
للناس بثمن بخس . ثم إن أكثر هذه الكتب كانت مكتوبة على الرق .  
والرق لا يصلح للوقود وليس من المقول أن يكفى الباقى مدة ستة أشهر  
وقوداً للأربعة آلاف حمام التى زعم العرب وجودها فى الإسكندرية

سادساً — إن الذين يؤيدون دعوى إتهام المسلمين بحرق المكتبة بأنهم  
حرقوا مكاتب الفرس عند الفتح لا يستطيعون أن يأتوا على هذا الزعم الثانى  
بأى دليل من المؤرخين الأقدمين ويكتفون بحاجى خليفة وهو كما نعلم من  
مؤرخى القرن الحادى عشر الهجرى (١٧م) فلا يجوز الاعتماد عليه كل الاعتماد  
سابعاً — إن الاحتجاج بأن رواية حريق المسلمين للمكتبة لم يروها  
ابن العبرى فقط ، وقد يظمن فى قوله بالتمصّب ؛ بل رواها مؤرخان مسلمان  
هما عبد اللطيف البغدادى وابن الفطى ، هذا الاحتجاج ليس قوياً لأن هؤلاء  
المؤرخين عاشوا كلهم فى القرن السابع الهجرى (١٣م) ، ولعلمهم ،  
ثلاثتهم ، أخذوا عن مصدر مشترك كان متعصباً ضد الإسلام ولم يصل  
إلينا . أو لعلمهم صدقوا الروايات التى كانت تتناقضها الألسن والتى لم يكن  
الفرس منها إلا الظمن على المسلمين فضلاً عن أن عبد اللطيف لم يشر إلى  
المسألة إلا عرضاً عند كلامه على عمود السوارى .

ثامناً — إن التعاليم الإسلامية تحترم الديانات السماوية وإن المسلمين لم



يكونوا ليقدموا على هذا العمل ، ولا سيما أن من شروط الصلح أن تترك  
للمسيحيين الحرية الدينية وأن لا يتدخل المسلمون في شئونهم - وحرقت  
المكتبة يعتبر خرقاً لهذه الشروط لأنه لا شك في أنها كانت محتوية على  
كتب دينية كثيرة .

وهكذا انتهت إلى أن مكتبة الإسكندرية حُرقت منذ عهد يوليوس قيصر  
سنة ٤٧ ق . م بعد ذلك بأربعمائة سنة حين اشتد النزاع بين الوثنية والمسيحية  
وقضى الإمبراطور ثيودوسيوس بالقضاء على المعابد الوثنية .

ومع ذلك كله فإن في التاريخ أمثلة عديدة تثبت أن إحراق الكتب لم  
يكن في يوم من الأيام وفقاً على شعب من الشعوب أو أتباع ديانة من الديانات  
فالصليبيون أحرقوا الكتب في طرابلس الشام في القرن الثالث عشر  
والأسبان أحرقوا الكتب العربية بعد أن طردوا العرب من الأندلس .  
وكذلك أحرق الفرنسيون الكتب التي وقعت في أيديهم عند ما فتحوا  
مدينة قسطنطينية في تونس كما يشهد بذلك المؤرخ الفرنسي سديلو نفسه  
وليس ببعيد أيضاً ما فعله الألمان قبيل الحرب الأخيرة بالكتب التي ألفها  
اليهود أو الاشتراكيون أو الشيوعيون .

\*\*\*

ومهما يكن من الأمر ، فإن الفتح العربي لم يقض على الحياة العلمية في  
الإسكندرية ، ولا سيما في العلوم العقلية ، وذلك بالرغم من أن معظم علماء  
الروم غادروها بعد الفتح

وحسبنا دليلاً على النشاط العلمي في الإسكندرية في فجر الإسلام ما ذكره  
ابن النديم<sup>(١)</sup> من أن خالد بن يزيد بن معاوية حينما أراد تعلم الكيمياء أمر

(١) القهرست ( طبعة ليزج سنة ١٨٢١ م ) ص ٢٤٢

باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين الذين كانوا يقيمون بمصر ولهم إلمام بالربية، وطلب منهم نقل كتب الصنعة (الكيمياء) من اليونانية والقبطية إلى العربية، فكان هذا أول نقل إلى العربية في الإسلام. وذكر ابن أبي أصيبعة أنه كان في الاسكندرية زمن الفتح طيب اسمه ابن ابجر وكان يدرس بها، وكان عمر بن عبد العزيز يعتمد عليه في صناعة الطب حين كان أميراً وبعد أن صار خليفة. كذلك أرسل الخليفة هرون الرشيد في طلب بليطيان أحد علماء الاسكندرية المشهورين لتطبيب جارية له<sup>(١)</sup>.

وقد احتذى حنين بن اسحق، طبيب بغداد الذي عاش القرن الثالث الهجري، حذو الاسكندرانيين في التأليف<sup>(٢)</sup>. لكن يظهر أن مدرسة الاسكندرية أخذ شأنها يقل بعد ذلك، فإن الأقباط لم يهتموا اهتماما كبيرا بدراسة الثقافة اليونانية الرومانية. أما العرب والأقباط الذين أسلموا فقد أقبلوا على دراسة العلوم الإسلامية اللغوية. ولعل بعض المصريين المسلمين أقبلوا على دراسة الثقافة اليونانية الرومانية، فيذكر ابن النديم<sup>(٣)</sup> أن ذا النون المصري كان من الفلاسفة الذين تكلموا في علم الصنعة (الكيمياء). والواقع أنه إن كان لمصر في عصر الولاة نصيب في حفظ تراث اليونان والسيحية الشرقية أو نقله إلى الغرب، فانما هو في تركها علماء الروم بنادرون مصر بمؤلفاتهم وكتبهم زمن الفتح، وفي عدم تمرضها لمدرسة الاسكندرية أو للأدوية التي كانت مراكز الثقافة المسيحية في مصر.

(١) طبقات الأطباء - (القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ) - ج ١ ص ١٦٦

(٢) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء - ج ٢ ص ٨٢ - ٨٣.

(٣) الفقهى ص ١٧١ - ١٧٢

(٤) الفهرست ص ٣٥٣

## الخاتمة

تبوأ مصر مركزاً ممتازاً في الدولة الإسلامية عقب الفتح العربي وذلك لثروتها وخيراتها الوفيرة ولوقمها العالي المماثل . وقد بلغ من اهتمام الخلفاء بأمرها أنهم كانوا يولونها أحياناً أبناءهم أو اخوتهم أو أفراداً من البيت الخلفي القائم بالحكم . وقد كانت مصر كالمرآة تنعكس عليها الحركات السياسية والدينية التي تحدث في دار الخلافة ، كما كانت قبلة أنظار الشخصيات الطامحة إلى منصب الخليفة . وبالرغم من أنه نشأت في مصر فتن وخلافات دينية عديدة منذ أيام دقلديانوس حتى الفتح ، وبالرغم من أنه نشأت في الإسلام بدع ونجل وفتن دينية كثيرة ، إلا أن مصر بعد الفتح العربي أقبلت على اعتناق الإسلام ولم يكن لها يد في إثارة الخلافات الدينية التي قامت في العالم الإسلامي . وإن كان قد أثير فيها بعض الفتن فقد كان هذا نتيجة لتأثرها بحوادث الخلافة وسرعان ما كانت تعود الحياة ثانية إلى مجاريها .

ويشبه التقسيم الإداري في العصر الإسلامي التقسيم الذي كان معروفاً في العصر اليوناني الروماني ولكنه لم يكن مماثلاً له كل المماثلة . كذلك نلاحظ أن النظام البيروقراطي ، وبعبارة أخرى النظام الديواني الذي كان سائداً في الإدارة المصرية قبل الفتح أثر في العرب فكانت الإدارة مركزية في دواوين الحكومة بالعاصمة وأهمها ديوان الخراج والأموال ، وديوان الرسائل أو الانشاء ، وديوان الجند وديوان القضاء . ولهذا يقول لامانس

---

Lammens : Un gouverneur Omayyade d'Égypte. p. 106. (١)

فجر الإسلام - (٧٧)

Lammens أن الوثائق البردية العديدة التي اكتشفت حديثا تقدم دليلا ماديا على وجود نظام بيروقراطي استمدته العرب من البيزنطيين .  
ويظهر أن مصر العليا ومصر السفلى كانا اقليمين منفصلين من الوجهة الإدارية ومع ذلك فإن أصحاب السكورات كانوا خاضعين مباشرة لوالى البلاد .  
والظاهر بوجه عام أننا نعرف عن كبار الموظفين في العصر الإسلامى من الوجهة النظرية عامة أكثر مما نعرف عن حقيقة الأداة الحكومية الفعالة .  
ونلاحظ أن الغرض الأساسى للإدارة كان ينطوى على جمع الضرائب واستثمار الأرض واستغلال الفلاح كما كان الحال في العهد البيزنطى .  
وكان العامل على الصلاة والعامل على الخراج متساويين في الحقيقة على الرغم من أن الأول كان رئيس الهيئة التنفيذية في القطر ، بل حدث كثير من الأحيان أن كان صاحب الخراج أعظم نفوذا من الوالى . وأحيانا كان الوالى يجمع بين المنصبين . وفي الواقع لم تكن سلطة الوالى مطلقة في ولايته على مصر ، بل كان يجد منها نفوذ العامل على الخراج ونفوذ الجند ونفوذ الموظفين . ونظرا لأهمية منصب العامل على الخراج فقد كان الوالى يسعى دائما إلى أن يضاف إليه اختصاص هذا المنصب ليصبح واليا على الصلاة والخراج معا . ولم يكن في الجمع بين هذين المنصبين بأس ما دامت الحكومة المركزية في مقر الخلافة قوية مرهوبة الجانب . ولكن عندما تطرق الضعف إلى الخلافة العباسية أصبح الجمع بين هذين المنصبين أكبر عون على استقلال الوالى وتفكك الامبراطورية ، فترى ابن طولون يتنازع مع ابن الدبر صاحب خراج مصر ، ولم يبدأ استقلاله إلا بعد تخلصه من ابن الدبر .  
والظاهر أن العرب وجدوا في مصر عند الفتح نظاما زراعيا وماليا لم يستطيعوا تركه تماما . وكان هذا النظام يبعدهم إلى حد كبير عن الاتصال

بالفلاحين ودافى الضرائب مباشرة ، وكان قوام هذا النظام طائفة من الأعيان وكبار الملاك الذين كانوا يدفعون أو يضمنون دفع الضرائب عن مساحات زراعية كبيرة ، بينما كان الفلاحون أنفسهم مرتبطين بالأرض إلى حد كبير جدا ، وكانوا لا يغيرون مقرهم إلا بترخيص . ولسنا نعرف تماما هل أخذ الموظفون يحلون محل هؤلاء الملاك في جمع الضرائب ، وإلى أى حد وبأى سرعة تم هذا التمييز . ومن الراجح أن هؤلاء ظلوا يضمنون دفع الضرائب ، ولكن أخذ العرب يحلون محلهم تدريجيا في امتلاك الأرض وضمان الخراج . وقد كان فلاحو القرية متضامنين في الضرائب التي تفرض عليهم وكان لا يجوز لهم الهجرة من مقرهم إلا باذن من الحكومة وقد اتخذت الحكومة في بداية العصر الإسلامي اجراءات شديدة لمنع الهجرة من كورة إلى أخرى ولكشف المهاجرين وإعادةهم أو الاذن لهم بالاستقرار في مقرهم الجديد ضمنا لحسن سير فلاحه الأرض ولجمع الضرائب . كما كان لا يجوز نقل المحاصيل أو المنقولات من مكان إلى آخر إلا بتصريح ، ويدل على ذلك أمثلة عديدة في أوراق البردى (١)

وقد كان في مصر ديوان للخراج والأموال (٢) ويظهر أن بيت المال في مصر لم يكن وفقا على حفظ أموال الضرائب لحسب (٣) ، فانا نعلم أن الخليفة أبا جعفر المنصور أرسل إلى أبي عون وإلى مصر (١٣٣ - ١٣٦ هـ) يأمره بادخال أموال اليتامى في بيت المال (٤) ، وربما كان يرد إلى بيت المال أيضا

Voir: J. Karabacek: Papyrus Erzherzog Rainer. Führer durch (١) die Ausstellung. Wien 1894. pp. 153, 148

(٢) خطط القرينى ج ١ ص ٩٨

(٣) يذكر ابن رسته أن مقر بيت المال كان في المسجد الجامع (الأعلاق

النفيسة ص ١١٦)

(٤) السكندى ص ٣٥٥

الوارث التي يموت أصحابها دون أن يكون لهم ورثة . ولعل خمس الغنيمة التي كان يقنمها المصريون في فتوحاتهم في الغرب والجنوب كانت ترد إلى بيت المال أيضا .

ويبدو من المصادر الإسلامية والسيحية في تاريخ عصر الولاة أن الهدف الرئيسي الذي كان يعنى به العرب هو الجزية التي كانوا يجمعونها من القبط . ويظهر أن الادارة المالية كانت معقدة وأن الذين كانوا يفهمونها أكثر من غيرهم هم الموظفون القبط . ويمكننا القول بأن دخل البلاد قبل الدولة الطولونية كان يذهب إلى بيت مال الخلافة أو جيوب الولاة وعمل الخراج بدون أن تقيد مصر نفسها شيئا كثيرا . ولما كانت البلاد في عصر الولاة لا تحكمها أسرة تحرص على ازدهارها ، لم تكن من الوجهة المالية إلا شبه مزرعة تستغل بدون كبير رعاية لازدهارها أو بقاء قدرتها على الإنتاج ، إذ كان غرض الخلافة الأساسي هو جباية أكبر دخل ممكن .

ومن النظم التي وجدت قبل الفتح العربي وأخذ بها العرب نظام الالتزامات المعروف في العالم الكلاسيكي باسم *Leiturgia* ومعناه التزام الشخص أو الجماعة ببعض الخدمات للدولة . ففي أثينا كان كل مواطن يمتلك نصيبا معيناً من الأملاك يقدم إلى الدولة بعض الخدمات الشخصية<sup>(١)</sup> .

ولكن هذا النظام لم يكن في العصر الإسلامي عاما كما كان عند الإغريق بمعنى أنه كان ظاهرا في الضرائب وما يتصل بها ، فكانت السكورة تلزم بأداء نوع من الخدمة للدولة أو بدفع مبلغ في مقابل إعفائها من ذلك . وفي بعض

(١) كانت هذه الخدمات كثيرة النفقات وكانت في البداية نتيجة طبيعية للامتيازات السياسية التي يتمتع بها الأثرياء . فكانوا يؤدونها للجمهورية ليكون نصيبهم من الضرائب أقل من نصيب الفقراء . ولكن لما ازدهرت الديمقراطية في أثينا وأصبح المواطنون متساوين في الحقوق السياسية تغيرت طبيعة تلك الالتزامات وصارت نوعا من ضرائب الدخل .

الأحيان كان الوالى يوصى عماله على الكورات بجمع الأشخاص أو المواد اللازمة لهذه الخدمات وبعدم قبول المال مقابل الإعفاء من أدائها .

ومن أهم أنواع الالتزام أو التبورجيا .

١ - تقديم المال والأدوات اللازمة لتشبيد الطرق وحفر الترع أو كرمها

٢ - تقديم مواد غذائية مختلفة مما تشتهر بإنتاجه الكورات .

٣ - إيواء الجند وضيافتهم .

٤ - تقديم الموظفين ذوى الخبرة لبعض الأعمال الحكومية .

٥ - تقديم المواد والأيدى العاملة اللازمة لتشبيد المباني العامة فى

مصر بل ولعمارة المساجد فى الشام وبلاد الحجاز .

٦ - تقديم البحارة ومواد بناء السفن (١) .

ورأينا أيضاً أنه كان هناك مصانع حكومية للنسيج ( طراز الخامة )

ومصانع حكومية أو أهلية تراقبها الحكومة ( طراز العامة ) . وكانت الحكومة

فى عصر الولاة بل والى العصر الفاطمى تحصل على معظم حاجتها من مصانمها

الخاصة بينما أصبحت فى عصر المماليك تمتد على المصانع الأهلية العامة .

ولا نعرف إذا كانت التجارة الخارجية فى عصر الولاة مع أقاليم البحر

الأبيض المتوسط ظلت على ما كانت عليه فى العصر اليونانى الرومانى ، أم

أخذت فى النمو والزيادة تمهيداً للازدهار الذى وصلت إليه فى عصر الأيوبيين

والمماليك . والظاهر أن تجارة الهند لم تصبح مصدراً كبيراً لثروة ذوى الأمر

فى مصر إلا منذ الدولة الأيوبية . ويبدو أن المصريين أنفسهم لم يساهموا فى

النشاط التجارى الخارجى إلا بقدر ضئيل ولعل هذا يرجع إلى عدم إقبال

المصريين بوجه عام على التجارة فى المصور القديمة . ويرجح أن معظم التجار

في عصر الولاة كانوا من الخارج مثل أسرة المادرائيين العراقية ، التي اشتهرت قبيل العصر الطولوني وظلت واسعة النفوذ ورفيعة المكانة إلى العصر الأخشيدى ، وكان لليهود شأن عظيم في التجارة في ذلك العصر .

ولا نعرف إذا كانت مصر في عصر الولاة قد عرفت نظام احتكار بعض البضائع أو الحاجيات ، اللهم إلا إذا استثنينا ما فعله ابن المدبر في نهاية هذا العصر من الحجر على النطرون بعد أن كان مباحا لكل الناس<sup>(١)</sup> كذلك أدخل ابن المدبر المرامي ، أى الكلاب الذى ترعاه الدواب ، في الديوان وحرّم على الناس أن يبيعوا المرامي أو يشتروها إلا من الديوان<sup>(٢)</sup> .

وقد احتفظت مصر في هذا العصر من الناحية الفنية ( المهارة والفنون الزخرفية ) بكيانها الخاص ، وكان التحول إلى الروح الإسلامية في هذه الفنون تحولاً بسيطاً . ويعتبر عصر الولاة عصر الانتقال من الأساليب الفنية القبطية إلى الأساليب الفنية العباسية التي سادت مصر في العصر الطولوني . ولم يكن المصريين في عصر الولاة حق الاشتراك في الجيش فكان رجال الجيش النظامي والأسطول من العرب . ولكن كانت هناك فرق غير نظامية مثل الطلوعة وربما كان أغلبهم من المصريين ، كذلك كان يجمع من أنحاء القطر مساعدون وأعوان وفقاً لنظام الالتزامات أو الليتورجيا . ولا ينفي هذا ما ذكرناه من أن المصريين لم يشتركوا في صلب الجيش إذا كانوا يقومون بأدوار ثانوية كما أنهم لم يثبتوا في ديوان الجند ولم يصرف لهم العطاء الذي كان يصرف للفرق النظامية . ونجد أن المنصر العربي في الجيش

(١) خطط القرينى ج ١ ص ١٠٣ ، ١٠٩ .

Zaky M. Hassan: Les Tulunides. p. 244.

(٢) خطط القرينى ج ١ ص ١٠٧ . ١٠٧ . Zaky M. Hassan: op. cit. p. 244.



والأسطول يقل ابتداءً من العصر العباسي لإقباله على وظائف الإدارة أو على الزراعة والتجارة ويصبح قوام الجيش من الفرس أولاً ثم الترك ثانياً حتى أتى المعتصم في بداية القرن الثالث الهجري فأمر بإسقاط العرب نهائياً من الديوان .

وقد ترك العرب للمصريين أراضيهم وأمنوم عليها وفرضوا عليها الخراج ولم تكن أرض مصر ، في بداية هذا العصر ، أرض خراج تحسب بل نشأت فيها أرض العشر ، إما قديمة منحت لبعض المسلمين . أو أرض حصلوا عليها من الحكومة أو القبط بطريق الشراء ، أو أرض موات احتلوا بها . كذلك كان القبطي الذي يمتنع الإسلام تصيب أرضه عشرة . ولكن نجد أنه معى الوقت أصبحت أرض مصر كلها يفرض عليها الخراج دون النظر إلى مالكتها سواء أكان قبطياً أم مسلماً ، ولا نعرف متى كان هذا التحول بالضبط والراجح أنه كان في العصر العباسي

وكانت أول ثورة للعرب بسبب زيادة الخراج زيادة مجحفة زمن الخليفة العباسي المهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ) حين كان موسى بن نصيب الخنثمي والياً على مصر (١٦٧ - ١٦٨ هـ) . ولا بد أن بعض ولاية مصر وعمال خراجها وبعض الموظفين فيها تمكنوا من الأثراء وجمع الأموال الطائلة ، وخاصة في العصر العباسي ، حين كثر تولية المال وعزلهم . ولا نعرف هل كان الولاية في هذا العصر يلزمون بعض الموظفين والأثرياء بدفع ثرواتهم أو جزء كبير منها إلى خزانة الدولة ثانية ، كما كانت يحدث في عصر الطولونيين والأخشيديين ، رغم أن هذه السياسة كانت معروفة جداً في مقر الخلافة في القرن الثالث الهجري ولا سيما في حالة الوزراء حين عزلهم (١) . وربما كانت

(١) انظر كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء تأليف أبي الحسن الهلال الصابي

مثل هذه المصادرات مألوفة في عصر الولاة المستقلين من الطولونيين والأخشيديين رغبة منهم في تنمية ثروتهم الخاصة<sup>(١)</sup>.

ومن المدن التي اشتهرت في عصر الولاة مدينة القسطنطينية عاصمة مصر ومقر حكومتها، ومدينة الإسكندرية عاصمة مصر الثانية ومينائها الهام ومقر البطركية. « وقد ظلت الإسكندرية محافظه على مكانتها الخاصة التي كانت لها في عهد البطالسة حتى أول القرن الرابع الهجري، حيث نجد في إحصاء أموال الدولة لإفراد باب خاص بعنوانه. مصر والإسكندرية، فقد حافظت الإسكندرية على مكانتها باعتبارها قسما مستقلا بجزائرها كما كان الحال على عهد البطالسة<sup>(٢)</sup> ». ومن المدن الهامة أيضا في هذا العصر تينيس ودمياط وبورة وتونة ودميرة وديبق وشطا واهناسيا والبهنسا وأسيوط وإخميم والفيوم. وكلها تدين في شهرتها للصناعات وخاصة صناعة النسيج. كذلك اشتهرت منطقة البشمور بثورتها المتعددة كما رأينا في الفصول السابقة.

وقد حدثت في عصر الولاة مجاعات كالتى حدثت في العصور التي تلتها مثل العصر الأخشيدى والفاطمى والأيوبي. وعصر المماليك. ويذكر الكندي<sup>(٣)</sup> والمقريزى<sup>(٤)</sup> أن أول غلاء وقع بمصر بعد فتح العرب كان في سنة ٨٨٧ هـ، وكان هذا أول غلاء وأول شدة رآها المسلمون بمصر. ولا يذكر الكندي أو المقريزى مجاعة أخرى حدثت في مصر قبل ذلك أو بعده طوال عصر الولاة. على أن المؤرخ ساويرس، الذى استمد معلوماته من

(١) قارن آدم متر: الحضارة الإسلامية ج ١ ص ١٤٠، ١٤٤.

(٢) متر: الحضارة الإسلامية ج ١ ص ٢٠٨.

(٣) الولاة والقضاة ص ٥٩.

(٤) إغاثة الأمة ص ١١.

وثائق ترجع إلى هذا العصر ، يتحدثنا عن مجاعات أخرى حدثت فيه .  
فيذكر أنه في ولاية عبد الله بن أبي سرح على مصر ( ٢٥ - ٤٥ هـ )  
حدث غلاء عظيم كان يموت بسببه كل يوم عدد لا يحصى<sup>(١)</sup> ولكن  
لا يذكر لنا في أى سنة كان هذا الغلاء أو المدة التي دام فيها .

وفي عهد أسامة بن زيد عامل خراج الخليفة سليمان بن عبد الملك حدث  
غلاء عظيم مات بسببه خلق كثير<sup>(٢)</sup> كذلك حدث غلاء عظيم لنقص مياه  
النيل في أول سنة من ولاية القاسم بن عبيد الله بن الحبحاب خراج مصر<sup>(٣)</sup>  
كذلك حدثت مجاعة في خلافة المأمون قبيل ثورة البشموريين التي أخضعها  
الخليفة<sup>(٤)</sup> .

ونلاحظ أن المجاعات التي حدثت في مصر منذ المصور القديمة يرجع  
معظمها إلى نقص مياه النيل نقصاً يضر بالزراعة أو زيادته زيادة تضرها ،  
ولما كانت ثروة مصر الرئيسية تنوقف على الزراعة كان يترتب على الإضرار  
بالزراعة غلاء ومجاعات .

ويذكر القرظي<sup>(٥)</sup> أن الغلاء إنما يحدث من آفات سماوية في غالب  
الأمر كقصور جرى النيل بمصر وعدم نزول المطر بالشام والعراق والحجاز  
وغيره ، أو آفة تصيب الغلال من سمائم تحرقها أو رياح تهيفها أو جراد  
يأكلها ، وما شابه ذلك . ولا بد أن المجاعات والأوبئة التي حدثت في  
مصر ، والثورات القبطية ، والغزوات الأجنبية ، والحروب الأهلية ، والنقن

(١) سير الآباء البطارقة (Pat. Orient t. I. p. 237)

(٢) Part Orient. t. 5. p. 67.

(٣) Pat. Orient. t. 5. p. 97.

(٤) Pat. Orient. t. X p. 486.

(٥) إغاثة الأمة ص ٤٤

الداخلية والمحن الدينية ، لا بد أن كل هذا أثر في رخاؤها وثروتها ، إلا أنه لم يؤثر فيها تأثيراً بليغاً كما كنا ننتظر في قطر آخر ، وذلك لأن هذه الظروف كانت متقطعة ومتفرقة ، فضلاً عن خصوبة أرض مصر الدهشة<sup>(١)</sup> وقد كانت هجرة القبائل العربية إلى مصر ، ثم اختلاط العرب بأهل وادي النيل ، ثم تحول الحكم في العالم الإسلامي إلى ملك استبدادي يعتمد على الفرس ثم الأتراك ، كان كل ذلك مؤدياً إلى ضياع هيبة العرب الحاكمين وإلى اندماجهم في سلك الحكوميين وتغير المركز الذي كان يريد لهم الخليفة عمر بن الخطاب . فالفكرة الأساسية الأولى في حكومة الأباطورية العربية كانت تنطوي على أن تكون الدولة العربية حربية تديرها الأرستقراطية العربية وتقوم بأودها الشعوب المحكومة من أهل الذمة الذين يحميهم العرب والذين يقومون في مقابل ذلك بالعمل وتوفير أسباب العيش والراحة للأرستقراطية العربية . فهو شبيه من بعض الوجوه بنظام الحماية في العصر الحديث . ولكن هذه الفكرة لم تتحقق طويلاً للأسباب السابقة ، ونظراً لأن الدين الإسلامي نفسه ذو طابع دولي فكان من السهل بمرور الزمن أن يمتزج المسلمون الجدد بالمسلمين من السلالة العربية . وعندما قضى نهائياً على مقاومة القبط في بداية القرن الثالث الهجري — ذلك القرن الذي شهد أيضاً انحدار العنصر العربي وفقده امتيازاته اللهم إلا من الناحية اللغوية والدينية — كان من السهل أن تم فيه حركة الاندماج بين العرب والمصريين .

وظاهرة تمصير العرب وتعريب مصر ونشر الإسلام فيها هي أم الظواهر التاريخية في مصر الإسلامية . واستمرت تلك الظاهرة بعض الشيء إلى عصر المماليك . ونلاحظ أن تعريب مصر وانتشار الإسلام فيها ليسا مترادفين

وقد كان هناك عوامل لها بعض الأثر الضعيف في تعريب مصر . ومن ذلك تعريب  
الدواوين الذي حدث نظرياً في سنة ٨٨٧ م (٧٠٥ - ٧٠٦ م) ، ولكن  
وثائق البردي في مجموعة افروديتو تدل على أن الحكومة في عصر هذه  
الوثائق كانت تستخدم العربية واليونانية ، بينما كانت السلطات المحلية في  
الريف تكتب كثيراً بالقبطية . وكذلك نجد وثائق ذات لغتين (عربية  
ويونانية) إلى القرن الثاني الهجري بل أنه وجد اتصال بدفع الضرائب  
تاريخه سنة ٢٤٦ م عليه كتابة قبطية<sup>(١)</sup> . ومن العوامل ذات الأثر الضعيف  
في التعريب أيضاً اتصال العرب في العاصمة الجديدة (الفسطاط) بالأهلين واتصال  
كبار الموظفين العرب وأعوانهم في الريف بأهله .

على أن أهم عوامل تعريب مصر هو نزول القبائل العربية في الريف  
المصري واستقرارها على جانبي الشريط الحصب بوادي النيل وفي الدلتا ،  
مما أدى إلى اختلاطهم بالقبط اختلاطاً كبيراً ومن ثم إلى انتشار اللغة  
العربية في مصر وإلى تعريب البلاد . فقد كانت اللغة اليونانية قبل الفتح  
العربي واللغة التركية في العهد العثماني لغة البلاد الرسمية ، ولكن هذا لم  
يجعلها لغة الشعب المصري ، فكان اليونان ينزلون المدن ويصغونها بمحاضراتهم  
ولكن نفوذهم الثقافي لم يذهب للريف إلا قليلاً ، فلم تنتشر اللغة اليونانية  
إلا في بيئات خاصة ، وعاش اليونانيون في مصر كأنهم جزر يونانية في  
وسط المحيط المصري الواسع . وكذلك عاش الأراك في بيئات خاصة في  
مصر ولم يستطيعوا جعل لغتهم لغة البلاد الأصلية بالرغم من أن الحكم التركي  
دام عدة قرون . ولكن حدث في عهد العرب تفاعل واختلاط بينهم وبين  
المصريين ، وبدون هذا التفاعل والاختلاط لا يمكننا أن نفسر كيف ترك

(١) جرومان : المحاضرة الرابعة عن الأوراق البردية العربية ص ٨

الفلاح المصرى القديم لفته رغم تمسكه بالقديم وحرصه عليه . أما عن انتشار الإسلام فى مصر فنلاحظ أن بيكر Becker من الكتاب الذين يشيرون إلى أن العامل الأساسى فى انتشار الإسلام بين القبط هو العامل المالى والاجتماعى ، وإن كانت هناك اضطهادات وإرغام على اعتناق الإسلام فقد كانت نادرة (١) .

ولسنا نستطيع أن نخرج بغير هذه النتيجة إذا قرأنا ساويرس أسقف الأشمونين ، وهو الذى لا يشك فى كتاباته فى هذا الصدد ، والذى لم يكن ليفعل تفصيل الكلام على أى اضطهاد يصيب المسيحيين .

على أن القبط الذين ظلوا على دينهم لم يقفوا مكتوفى الأيدي طوال هذا العصر أمام مطالب الحكومة المالية ، بل قاوموها ، فعند ما زاد عدد القبط الذين دخلوا فى الإسلام وقل تبعاً لذلك دخل البلاد ، زاد العبء على من بقى على دينه من القبط ، وكذلك اشتدت الحكومة فى استعمال الأرض الموات وفى مراقبة الزراعة والهجرة ، فلم يزل القبط يقومون بالثورة بعد الأخرى طوال القرن الثانى الهجرى ، وشملت ثوراتهم الوجهين البحرى والقبلى ، على أن معظم تلك الثورات كانت فى الوجه البحرى . وكانت حكومة العرب من جانبها تقابل القوة بالقوة فلم تتوان عن محاربة الثائرين عليها وإرغامهم على النزول على إرادتها ، وكان آخر هذه الثورات وأعظمها تلك الثورة التى انتهت فى بداية القرن الثالث الهجرى ( ٢١٧ هـ ، ٨٣٢ م ) بمجى الخليفة للمأمون وإخضاعه للثائرين . ومنذ ذلك التاريخ أصبح المسلمون أغلبية فى القطر المصرى .

Becker: Islamstudien, 1. p. 254

(١) وانظر أيضاً L. Massignon : Annuaire du Monde Musulman p. 114.

كذلك نلاحظ أن الرهبان كانوا يبنضون الولاية لأنهم كانوا يفتلون في البداية من دفع الجزية إلى أن بدأ عبد العزيز مروان سنة فرض الجزية عليهم . ولعل الولاية كانوا يحاربون الرهينة لأنها تحرم البلاد من الأيدي العاملة . وهذه العداوة بين الرهبان والولاية تفسر تعصب المؤرخين والكتاب المسيحيين في ذلك العصر - وجلهم من الرهبان - ضد الاسلام والحكومة الاسلامية .

وقد ظل الاسلام ينتشر في مصر إلى عصر المماليك . وحدث في عصر الناصر محمد بن قلاوون منذ سنة ٧٢٠ هـ ( ١٣٢٠ م ) أن دخل المسيحيون أفواجا في الدين الاسلامي على أثر سلسلة من المشاغبات والفتن بين المسلمين والأقباط<sup>(١)</sup> . والظاهر أن حياد الحكومة نفسها وهدوء موقفها إزاء القبط كل ذلك لم يمنع الشعب نفسه من أن يسيء معاملة القبط في بعض الأحيان . وزى أن التضييق على أهل الذمة بالتزام أنواع خاصة من الملابس ، وبتحريم ركوب الخيل أو إنشاء كنائس جديدة ، لم يكن يراعى إلا فترات قصيرة جداً ثم يهمل شأنه ، وربما كان غضب المسلمين بين حين وآخر لاهمال هذه الالتزامات هو الذي كان يدفع الحكومة إلى العمل على تنفيذها في فترات معينة . والظاهر أن الدواوين كانت غاصة بالموظفين القبط إلى عصر المماليك مما كان سبباً في قيام عدة ثورات في هذا العصر ( القرن ٨ ، ١٤ م ) أشار إليها القريري<sup>(٢)</sup> ، وكان المسلمون يهدفون بها إلى إخراجهم من الدواوين .

وكانت الحكومة نفسها تعمل على حماية أهل الذمة تمسكاً بروح الدين

(١) خطط القريري ج ٢ ص ٤٩٧ - ٥٠٠ .

(٢) المخطط ج ٢ ص ٥١٢ - ٥١٧ .

وما يقضى به من التسامح وضمانا لحسن سير الأعمال العامة ، ولكنها كانت تضطر أحيانا إلى التقرب إلى بعض طبقات الشعب بالسكوت على بعض الحركات الاضطهادية ضد المسيحيين أو الاشتراك فيها .

ونلاحظ أن مصر في فجر الإسلام كانت مركزاً هاماً للحركة العلمية الدينية في الدولة الاسلامية . وكان جامع عمرو بن العاص هو قلب هذه الحركة النابض كما هو الحال بالنسبة للأزهر الشريف الآن . وقد أنجبت مصر منذ أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجرى علماء أدب ودين ولغة وتاريخ لهم مكانتهم الرفيعة في التراث العربى . وكان علماء مصر أساتذة لعلماء أفريقية والأندلس بوجه خاص .

وقد رأينا أن الشعور الوطنى بين المصريين كان ضعيفا في فجر الإسلام فلم يكن في ثورات القبط ضد حكومة العرب عنصر وطنى ، بل كانت كلها بسبب الضرائب . ولعل ضعف هذا الشعور الوطنى كان أكبر عون للعرب على القضاء على حركات القبط وعلى دفعهم إلى اعتناق الدين الإسلامى وإلى استعمال اللغة العربية .

وقد كانت الحالة في مصر بمكس إيران مثلا . فلا نعرف في مصر حركة شعوبية كما كان في شرق العالم الإسلامى . ففي عهد الدولة العباسية التى قامت على أكتاف الفرس بدأ هؤلاء يتكلمون ويكتبون ويناقشون العرب ويمددون مزايا الفرس . وقد عرفت هذه المناقشات الأدبية بين الشعراء والأدباء من العرب والمعجم باسم حركة الشعوبية فكان المعجم يقولون بالتسوية بين المسلمين جميعا ولذا عرفوا بالشعوبية أو أهل التسوية ، ولما اشتد الجدل بين العرب والمعجم أصبح الشعوبى هو الذى يصغر من شأن العرب ولا يرى



لهم فضلا على العجم<sup>(١)</sup> وهذه الحركة وإن كانت مناقشات كلامية ومساجلات أدبية بين العرب والعجم ، إلا أنها تعبر عن تمسك الإيرانيين بتراسهم الوطني وثورتهم على سيادة العرب التي قضت على ملك كسرى وقضت على استقلال الفرس وهم شعب ذو حضارة عتيده ، كما أنها تشهد بأن الروح الوطنية بين الفرس لم تمت بفتح العرب لبلادهم . وعندما شمر الفرس بقوتهم منذ قيام الدولة العباسية وبضعف العرب قاموا بحركات مختلفة تدعو الناس إلى اتباع نحل غربية على الدين الإسلامي ، ولم تكن هذه الحركات في الحقيقة سوى حركات سياسية دينية إيرانية ترمي إلى إقامة دولة فارسية تعود إلى التقاليد القديمة وتتخلص من العرب ولغتهم ودينهم . كذلك نجد أن بعض الأسرات التي قامت في فارس كانت أسرات فارسية كما كانت الحال في الدولة الطاهرية بخراسان ( ٢٠٥ - ٩٥٢ هـ ) والدولة الصفارية بفارس ( وهو الإقليم الإيراني الذي يقع شرق الخليج الفارس ) ( ٢٥٤ - ٢٩٠ هـ ) ودوله بني ساج في آذربيجان ( ٢٦٦ - ٣١٨ هـ ) والدولة السامانية في إقليم ما وراء النهر ( ٢٦١ - ٣٨٩ هـ ) .

أما في مصر فإن الأسرات التي قامت فيها كانت أجنبية عنها مثل الطولونيين والأخشيديين ، الفاطميين والأيوبيين والمماليك . وقد ظل الروح الوطني قائما في إيران حتى أمكن قيام شاعر وطني ، مثل الفردوسي الذي نظم الشاهنامه بالفارسية في القرن الرابع الهجري ، بينما في مصر اضطرت رجال الدين الأقباط منذ القرن الرابع الهجري إلى الكتابة باللغة العربية وإلى مخاطبة أبناء دينهم بها بعد أن أصبحت لغة التخاطب بينهم . وكانت

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد - ط . القاهرة سنة ١٣٠٢ هـ - ج ٢

مصر خاضعة خضوعاً تاماً للخلافة طالما كانت الخلافة قوية الجانب . ولكن بدأ الضعف يذب في جسم الخلافة العباسية في أثناء النزاع بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون . وما لبث أن وضع ذلك الضعف بعد أن استعان الخليفة المعتصم في حكم الدولة بالأتراك الذين تحكّموا في شئون الدولة المدنية والحربية ، حتى أصبح بيدهم منذ خلافة المتوكل على الله (٢٣٢ - ٢٤٧هـ) انتخاب الخلفاء وعزلهم ، ولذا نجد أن النزعة إلى الاستقلال تظهر في مصر واضحة جلية في أثناء النزاع بين الأمين والمأمون ، وكان يمثل هذه النزعة السرى بن الحكم وعبد العزيز الجروى وأولادهما ، بل إن السرى وأولاده استطاعوا الاستقلال عن الخلافة وحكّموا الفسطاط عاصمة مصر أكثر من عشر سنين ، إلى أن نجح المأمون في إعادة مصر إلى حوزة الخلافة ثانية في سنة ٢١٢هـ .

على أن أحمد بن طولون الذي قدم إلى مصر في سنة ٢٥٤هـ واليا على الصلاة من قبل بابك صاحب إقطاعها ، وجد مصر ولاية إسلامية تامة التكوين ، ووجد الخلافة ضعيفة ، ولا سيما بسبب ثورة الزنج ، فسرعان ما تحدى سلطة الخلافة واستقل بمصر استقلالاً فعلياً في الواقع واسمياً في الظاهر ، بل إنه نجح في ضم سورية إلى مصر وفي تأسيس دولة طولونية دامت نحو ٣٨ عاماً ، وكانت هذه أول مرة تستقل فيها مصر الإسلامية .

## المراجع

### ١ - المصادر القديمة

- ١ - ابن الأثير (المتوفى ٦٣٠ هـ و ١٢٣٧ م) : « السكامل في التاريخ »  
١٤ جزءاً . ليدن ١٨٦٦ - ١٨٧٤ م .
- ٢ - : « أسد الغابة في معرفة الصحابة » ٥ أجزاء . القاهرة ١٢٨٥  
- ١٢٨٦ هـ .
- ٣ - الأزرق (ت ٧٠٤ هـ / ٨١٩ م أو ٧١٩ هـ / ٨٣٤ م أو ٢٤٣ هـ /  
٨٣٨ م) :  
« أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار » جزءان . الطبعة الماجدية بمكة  
المكرمة . ١٣٥٢ : ١٣٥٧ م .
- ٤ - ابن أبي أسيمة (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ - ١٢٧٠ م) :  
« طبقات الأطباء » جزءان . القاهرة ١٢٩٩ هـ .
- ٥ - البلاذري (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ - ٨٩٣ م) : « كتاب فتوح البلدان »  
ليدن ١٨٦٦ م .
- ٦ - بيارس الدوادار (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) : « زبدة الفكرة في  
تاريخ الهجرة » الجزء الرابع مخطوط رقم ٢٤٠٢٧ بمكتبة جامعة  
فؤاد الأول .
- ٧ - حاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧ م) : « كشف الظنون عن  
أسماء الكتب والفنون » ٧ أجزاء . ليدن ١٨٣٥ - ١٨٥٨ م
- ٨ - ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ - ١٤٤٩ م) : « الاصابة  
في تمييز الصحابة » ٨ أجزاء . القاهرة ١٣٢٣ - ١٣٢٥ هـ .  
فجر الإسلام - (٢٣)

٩ - حنا النقبوسى (ت أواخر القرن الأول الهجرى/ السابع الميلادى) :

« تاريخ »

Chronique de Jean, évêque de Nikiou. Texte Ethiopien publié et traduit par M.H. Zotenberg (Notices et extraits des Manuscrits de la Bibliothèque Nationale et autres bibliothèques. t. 24. Paris 1883).

١٠ - ابن خردادبه (ت حوالى ٣٠٠هـ / ٩١٢ م) : « كتاب المسالك والممالك » (المجلد السادس من مجموعة المكتبة الجغرافية).

ليدن ١٨٨٩ م .

١١ - ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥ - ١٤٠٦ م) : « المعبر وديوان

المبتدأ والخبر » ٧ أجزاء . القاهرة ١٢٨٤ هـ . . .

١٢ - — : « المقدمة » . القاهرة ١٢٤٨ هـ - ١٩٣٠ م .

٢٣ - ابن خلكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٨١ م) : « وفيات الأعيان » جزءان .

القاهرة ١٢٩٩ هـ .

١٤ - ابن الداية (ت ٣٣٠هـ / ٩٤١ م أو ٣٣٤هـ / ٩٤٥ م أو ٣٤٠هـ /

٩٥١) : « سيرة أحمد بن طولون » . برلين ١٨٩٤ م .

١٥ - الشريف الأدريسى (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤ - ١١٦٥ م) : « صفة

المغرب وأراضى السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب

زهة المشتاق فى اختراق الافاق » . ليدين ١٨٦٤ - ١٨٦٦ م .

١٦ - ابن دقاق (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦ - ١٤٠٧ م) : « كتاب

الانتصار لواسطة عقد الامصار » الجزء الرابع والخامس . بولاق

١٣٠٩ هـ .

١٧ - الدينورى (ت ٢٨١هـ / ٨٩٤ م أو ٢٩٠هـ / ٩٠٣) : « الإخبار

- الطوال». القاهرة ١٣٣٠ هـ .
- ١٨ — ابن رسته: «الاعلاق النفيسة» (الجزء السابع من مجموعة المكتبة الجغرافية). ليدن ١٨٩١ — ١٨٩٢ م .
- ١٩ — ساويرس بن المقفع (ت أواخر القرن ٤ هـ / أواخر القرن ١٠ م):  
سير الآباء البطارقة (الجزء الأول والخامس والعاشر من مجموعة Patrologia orientalis. باريس ١٩٠٧ و ١٩١٠ و ١٩١٥ .
- ٢٠ — ابن سعد كاتب الواقدي (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م): «الطبقات الكبير» ٨ أجزاء. ليدن ١٩٠٥ — ١٩٢١ م .
- ٢١ — سعيد بن بطريق: المعروف باسم أوتينخا (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م)  
«كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» جزءان. بيروت ١٩٠٥ و ١٩٠٩ م .
- ٢٢ — السيوطي (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) «تاريخ الخلفاء»: القاهرة ١٣٥١ هـ .
- ٢٣ — حسن المحاضرة: جزءان. القاهرة ١٣٢٧ هـ .
- ٢٤ — ابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م): «فوات الوفيات»  
جزءان. القاهرة ١٢٩٩ هـ .
- ٢٥ — أبو صالح الأرمي: «تاريخ» المعروف بكنائس وأديرة مصر. طبعة Evetts. أكسفورد ١٨٩٥ م .
- ٢٦ — الاصطخرى «كتاب مسالك الممالك»: (الجزء الأول من المكتبة الجغرافية) ليدن ١٩٢٧ م .
- ٣٧ — ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقي: «الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية» الطبعة الثانية — مطبعة المعارف، مصر .

- ٢٨ - الطبرى (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) : « تاريخ الأمم والملوك »  
١١ جزءاً - الطبعة الأولى بالطبعة الحسينية المصرية .
- ٢٩ - ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ - ٨٧١ م) : « فتوح مصر  
وأخبارها » طبعة توري Torrey . نيويورك ١٩٢٢ م وطبعة هنرى  
ماسيه Henri Massé. المعهد العلمى الفرنسى . القاهرة ١٩١٤ م
- ٣٠ - ابن العميد المعروف بالسكين (ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ - ٢٢٨٤ م) :  
« تاريخ الساميين » ليدن ١٦٢٥ م .
- ٣١ - أبو الفدا (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٣١ - ١٣٣٢ م) : « المختصر فى  
أخبار البشر » ٤ أجزاء . الطبعة الأولى بالطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ
- ٣٢ - ابن فرحون (ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ - ١٣٩٧ م) : « كتاب الديباج  
المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب » . القاهرة ١٣٢٩ هـ .
- ٣٣ - ابن الفقيه (ت أواخر القرن ٥٣ هـ / أوائل ١٠ م) : « مختصر  
كتاب البلدان » (الجزء الخامس من المكتبة الجغرافية) ليدن  
١٨٨٥ م .
- ٣٤ - ابن قتيبة (ت ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م أو ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) : « كتاب  
الامامة والسياسة . جزءان . القاهرة ١٣٢٥ هـ .
- ٣٥ - قدامة بن جعفر (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م أو ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م أو  
٣٣٧ هـ / ٩٤٨ - ٩٤٩ م) : « نبد من كتاب الخراج وصناعة  
الكتابة » . (الجزء السادس من المكتبة الجغرافية) ليدن ١٨٨٩ م
- ٣٦ - القلتشندى (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) : « صبح الأعشى فى صناعة  
الانشاء » - ١٤ جزءاً . الطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٣ - ١٩١٩ م
- ٣٧ - الكندى (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) : « كتاب الولاة وكتاب القضاة »  
بيروت ١٩٠٨ م (Gibb Memorial Series.)

- ٣٨ - المارودي (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) : « الأحكام السلطانية »  
القاهرة ١٢٩٨ هـ .
- ٣٩ - أبو المحاسن ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ - ١٤٧٠) :  
« النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » الجزء الأول والثانى .  
طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٩ م ، ١٩٣٠ م .
- ٤٠ - المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . ليدن ١٨٧٧ م .
- ٤١ - السمودى (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) : « صروج الذهب ومعادن الجوهر  
فى التاريخ » جزءان - طبعة القاهرة ١٣٤٦ هـ ، ٨ أجزاء طبعة  
Barbier de Meynard - باريس ١٨٦١ - ١٨٧٤ م .
- ٤٢ - — : « التنبيه والإشراف » (الجزء الثامن من المكتبة الجغرافية)  
ليدن ١٨٩٣ - ١٨٩٤ م .
- ٤٣ - المقرئى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ - ١٤٤٢ م) : « المواعظ والاعتبار  
فى ذكر الخطط والآثار » . جزءان . بولاق ١٢٧٠ هـ .
- ٤٤ - — : « البيان والإعراب عما بارض مصر من الأعراب » القاهرة  
١٣٥٦ .
- ٤٥ - — : « شذور المعقود فى ذكر النقود القديمة والإسلامية »  
المعروف باسم النقود الإسلامية . القسطنطينية ١٢٩٨ هـ .
- ٤٦ - — : « إغاثة الأمة بكشف الغمة » طبعة الدكتور محمد مصطفى  
زيادة والأستاذ الشيبان . القاهرة ١٩٤٠ م .
- ٤٧ - ابن النديم (ت ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م) : « الفهرست » . ليدن ١٨٧١ م .
- ٤٨ - النويرى (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ - ١٣٣٢ م) : « نهاية الأرب  
فى فنون الأدب » ١٣ جزءا - طبعة دار الكتب المصرية والباقي

- مخطوط بدار الكتب المصرية . الجزء الأول طبعة دار الكتب  
الثانية ١٩٢٩ م - والجزء ٢٩ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت  
رقم ٥٥٤ « معارف عامة » .
- ٤٩ - ياقوت - الجوى ( ت ٦٢٦ هـ ١٢٢٩ م ) : « معجم البلدان »  
٦ أجزاء . لينزج ١٨٦٦ - ١٨٧٣ م .
- ٥٠ - يحيى بن آدم القرشى : « كتاب الخراج » ليدن ١٨٩٥ - ١٨٩٦ .
- ٥١ - اليمقوبى ( ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ) : « كتاب البلدان » ( الجزء  
السابع من مجموعة المكتبة الجغرافية ) ليدن سنة ١٧٩٢ .
- ٥٢ - — : « تاريخ » . جزءان . طبعة هوتسما Houtsma . ليدن ١٨٨٣ .
- ٥٣ - أبو يوسف صاحب أبي حنيفة ( ت ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م ) : « كتاب  
الخراج » . بولاق ١٣٠٢ هـ .
- ٥٤ - Becker ( C. H. : Neue Arabische Papyri des  
Aphroditofundes (Der Islam. II. Strassburg 1911).
- ٥٥ - Bell : H. I. Translations of the Greek Aphrodito  
Papyri in the British Museum. (Der Islam. Band  
II, III, IV, XVII. 1911, 1912, 1913, 1928).
- ٥٦ - van Berchem Max : Matériaux pour un Corpus  
inscriptionum Arabicarum,  
a) L'Egypte (Mémoires publiés par les membres  
de l'Institut Français du Caire — 1894).  
b) Jérusalem Ville (Mémoires..... 1920 — 1922).
- ٥٧ - Combe, Et. J. Sauvaget, G. Wiet : Répertoire  
Chronologique d'epigraphie Arabe. t. I, II. Le  
Caire 1931.



Crum : W. E, Coptic Ostraca. London 1902. — ٥٨

Grohmann Adolf : Arabic Papyri in the Egyptian Library vols. I, II, III., Cairo 1934, 1936, 1938. — ٥٩

الجزء الأول نقله المؤلف إلى العربية بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن بعنوان : « أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية » القاهرة ١٩٣٤ م .

## ٢ - المصادر الحديثة

### ١ - المصادر المصرية

- ٦٠ - الأستاذ أحمد أمين بك : فجر الإسلام ج ١ - القاهرة ١٩٢٨ م
- ٦١ - — : فصحى الإسلام ج ٣ - القاهرة ١٩٣٦ م
- ٦٢ - أحمد تيمور باشا : نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة .  
القاهرة ١٣٥١ هـ
- ٦٣ - أحمد تيمور باشا : التصوير عند العرب ، أخرجته وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات الدكتور زكي محمد حسن - القاهرة ١٩٤٣ .
- ٦٤ - أحمد لطفى السيد : قبائل العرب في مصر - ج ١ - القاهرة ١٩٣٥ م .
- ٦٥ - ادولف جرومان : أربع محاضرات عن الأوراق البردية العربية تعريب الأستاذ توفيق أسكاروس - دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣٠ م .
- ٦٦ - الياس بك الأيوبي : تاريخ مصر الإسلامية - ج ١ - القاهرة ١٩٣٢

- ٦٧ — الأستاذ أمين النولى : مصر فى تاريخ البلاغة ( مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، المجلد الثانى ، الجزء الأول القاهرة — مايو ١٩٣٤ م .
- ٦٨ — الأب انستاس الكرملى : النقود العربية وعلم النميات . القاهرة ١٩٣٩ م
- ٦٩ — الدكتور حسن ابراهيم حسن : تاريخ عمرو بن الناص . القاهرة ١٩٣٦ م
- ٧٠ — — : تاريخ الاسلام السياسى . ج ١ — القاهرة ١٩٣٥ م .
- ٧١ — الدكتور زكى محمد حسن : الفن الإسلامى فى مصر . ج ١ — القاهرة ١٩٣٥ م .
- ٧٢ — — : كنوز الفاطميين — القاهرة ١٩٣٧ م
- ١ — — : فى مصر الإسلامية مع البكباشى عبد الرحمن زكى وآخريـن  
القاهرة ١٩٣٣ م
- ٧٤ — — : الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى . القاهرة ١٩٣٩ م
- ٧٥ — — : بعض التأثيرات القبطية فى الفنون الإسلامية ( فى مجلة  
جمعية الآثار القبطية ) القاهرة سنة ١٩٣٧ .
- ٧٦ — — : مصر والحضارة الإسلامية — القاهرة ١٩٤٢ م
- ٧٧ — — : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى . القاهرة ١٩٤٥ .
- ٧٨ — الدكتور سليم حسن بك : أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى  
( المجمع المصرى للثقافة العلمية . الكتاب السنوى الثالث عشر ) .  
القاهرة ١٩٤٢ م .
- ٧٩ — الدكتور عبد الحكيم الرفاعى : الاقتصاد السياسى . الجزء الأول —  
القاهرة ١٩٣٦ م .
- ٨٠ — على بك بهجت : حفريات الفسطاط . القاهرة ١٩٢٨ م .

- ٨١ - الأستاذ محمد كامل حسين : في الأدب المصري الاسلامي من الفتح  
الاسلامي إلى دخول الفاطميين . القاهرة ١٩٣٩ م .
- ٨٢ - الدكتور محمد كامل مرسى بك : المسكينة العقارية في مصر وتطورها  
التاريخي من عهد الفراعنة حتى الآن - القاهرة ١٩٣٦ م .
- ٨٣ - للدكتور محمد نسامي جبينه : القانون الدولي العام . القاهرة ١٩٣٣ م
- ٨٤ - يوسف البان سركيس : معجم الطبوعات العربية والمترجمة . القاهرة  
١٩٢٨ - ١٩٣٠ م .

ب - المصادر المؤرخية

- ٨٥ - Ali Bey Bahgat : Les Manufactures d'Etoffe en  
Egypte au Moyen Age, (Bulletin de l'Institut  
Egyptien. Quatrième Série — 6 Avril 1903 —  
Le Caire 1903).
- ٨٦ - Amélineau E. : Etude sur le Christianisme en  
Egypte au Septième siècle. Paris 1887.
- ٨٧ - Arnold Th.: The Preaching of Islam. London 1935. —
- ٨٨ - Becker C. H.: The Expansion of the Saracens (The  
Cambridge Medieval History, vol. 11 Cambridge  
1913.
- : Art. Egypt (The Encyclopaedia of Islam, — ٨٩  
vol. 11. Leyden — London 1927).
- : Art. Cairo (The Encyclopaedia of Islam — ٩٠  
vol. 1. Leyden — London 1913)

- : Historische Studien über das Londoner — ٩١  
Aphroditowerk. (Der Islam Band 11, 1911).
- : Islamstudien. Leipzig 1924. — ٩٢
- Van Berchem, Max, La Propriété territoriale et — ٩٣  
l'impôt foncier sous les Premiers Califes. Gen-  
ève 1886.
- : Une Page Nouvelle de l'histoire d'Egypte — ٩٤  
(Journal Asiatique. Dixième série — Tome IX  
Paris. Janvier Février 1907).
- Brockelmann, Carl : Geschichte der Arabischer Lit- — ٩٥  
teratur, 2 vols. Weimar, Berlin 1898 — 1902, 2  
Suplementband — Leiden 1937 — 1038.
- Butcher Mrs. E. L. : The Story of the Church of — ٩٦  
Egypt. 2 vols. London 1897.
- تعريب أسكندر تادرس بعنوان « تاريخ الأمة القبطية وكنيستها »  
في ثلاثة أجزاء . القاهرة ١٩٠٠ ، ١٩٠١ ، ١٩٠٦ م
- Butler Alfred J. : The Arab Conquest of Egypt. — ٩٧  
Oxford 1902.
- تعريب الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك بعنوان « فتح العرب لمصر »  
القاهرة ١٩٣٣ م
- : The Ancient Coptic Churches of Egypt. 2 vols. — ٩٨  
Oxford 1884.
- : The Treaty of Misr in Tabari. Oxford 1913. — ٩٩

- : Islamic Pottery. London 1929. — ١٠٠
- Caetani, Leone : Annali dell' Islam. vols. IV, V. — ١٠١  
Milano 1911, 1912.
- Creswell (K. A. C.) : Coptic Influences on-Early — ١٠٢  
Muslim Architecture (Extrait — Bulletin de la  
Société d'Archéologie Copte. Tome V 1039.  
Le Caire).
- De Castries Henri : L'Islam, Impression et Etudes. — ١٠٣  
Paris 1896.
- تعريب احمد فتحي زغلول باشا بعنوان «الإسلام . خواطر وسوايح»  
مطبعة السعادة بالقاهرة
- De Sacy Silvestre : Recherches sur la nature et — ١٠٤  
les Révolutions du droit de propriété territoriale  
en Egypte (Bibliothèque des Arabisants Français,  
t. II (Institut Français d'Archéologie Orientale, le  
Caire 1923.)
- : Traité des monnaies Musulmanes. Le Caire — ١٠٥  
1905.
- Devonshire Mme R. L. : L'Egypte Musulmane et — ١٠٦  
les Fondateurs de ses Monuments. Paris 1926.
- Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne. 3 to — ١٠٧  
mes. Leyde 1932.
- : Supplément aux Dictionnaires Arabes, 2 vols — ١٠٨  
(Leyden 1881).
- : Dictionnaire détaillé des noms des vêtements — ١٠٩  
chez les Arabes. Amsterdam 1845.

- Georgy Sobhy Bey : The Survival of Ancient Egypt. — ۱۱۰  
(Extrait du Bulletin de la Société d'Archéologie  
Copte. T. IV. Le Caire 1938.)
- Heyd : Histoire du commerce du Levant au Moyen — ۱۱۱  
Age. 2 vols. Leipkig 1885-1886.
- Johnson Allan Chester : An Economic Survey of — ۱۱۲  
Ancient Rome vol. II Roman Egypt. Baltimore.  
1936.
- Jouguet Pierre : L'Égypte Gréco Romaine (Précis — ۱۱۳  
de l'histoire d'Égypte. t. 1).
- Kammerer Albert : La Mer Rouge. Tome Premier. — ۱۱۴  
Le Caire 1929.
- Lamm Carl Johan : Cotton in Mediaeval Textiles — ۱۱۵  
of the Near East. Paris 1937.
- Lammens : Un gouverneur Omayyade d'Égypte; — ۱۱۶  
Qorra ibn Sarik d'après les papyrus Arabes  
(Bulletin de l'Institut Egyptien. 5e. Série. Tome  
11. Le Caire Décembre 1908).
- Lane-Poole Stanley : A History of Egypt in the — ۱۱۷  
Middle Ages. London 1925.
- Macmichael : A History of the Arabs in the Sudan. — ۱۱۸  
2 vols. Cambridge 1922.
- Marcel : Égypte, depuis la conquête des Arabes — ۱۱۹  
jusqu'à la domination Française. Paris 1848.
- Massignon : Annuaire du Monde Musulman. — ۱۲۰  
Paris 1925.

Mez Adam : Die Renaissance des Islams. Heide- — ١٧١  
Iberg 1922.

نقله إلى العربية في جزئين الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريدة

بمنوان « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى »

القاهرة ١٩٤٠ م.

Milne' J. Grafton : A History of Egypt Under — ١٧٢  
Roman Rule. London 1924.

Mohammed Ben Cheneb : Classes Des Savants de — ١٧٣  
l'Ifriqiya, Alger 1920.

Munier Henri : L'Egypte Byzantine (Précis de l'hist. — ١٧٤  
d'Egypte t. 11. 1932).

Le Prince Omar Tousson : La Géographie de l'Egypte — ١٧٥  
à l'Epoque Arabe. Tome Premier - Le Caire 1926.

Pedersen : Art. Masjid (The Encyclopaedia of — ١٧٦  
Islam vol. 111. Leiden. London 1936).

Quatremère Et. : Mémoires Géographiques et Hist- — ١٧٧  
oriques 2 tomes. Paris 1811.

— : Recherches Citiques et Historiques sur — ١٧٨  
la Langue et la Littérature de l'Egypte. Paris  
1808.

Sauvaire M.H. : Materiaux pour servir a l'histoire — ١٧٩  
de la Numismatique et de la Metrologie Musul-  
manes (Extrait du Journal Asiatique, 7eme Série t.  
XIV. XV, XVIII, XIX. Paris 1879).

Wiet Gaston : L'Egypte Musulmane (Précis de — ١٣٠  
l'histoire d'Egypte t. 11).

— : L'Egypte Arabe (Histoire de la Nation — ١٣١  
Egyptienne. t. IV).

— : Les Communications en Egypte au Moyen — ١٣٢  
Age.

نقلها إلى العربية محمد وهي بمنوان « المواصلات في مصر  
في المصور الوسطى » ونشرت في كتاب « في مصر  
الإسلامية ، أخرجه الدكتور زكي محمد حسن والبكباشي  
عبد الرحمن زكي

Zaky Mohamed Hassan : Les Tulunides. Paris 1933. — ١٣٣



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)  
*Bibliotheca Alexandrina*



## جدول

بأسماء الولاية وعمال الخراج وأصحاب الشرطة  
والقضاة والبطارقة في عهد الولاية

جدول بأسماء الولاة وعمال الخراج وأصحاب

عمال الخراج	الولاية	اللقباء	السنوات
	عمرو بن العاص	عمرو بن الخطاب	٦٤١/٨٢٠ ٦٤٤/٢٣
	عبد الله بن سعد انتراه محمد بن أبي حذيفة (١)	عنان بن عفان علي بن أبي طالب	٦٤٥/٢٤ ٥٦-٦٥٥/٣٥
	قيس بن سعد الأشتر مالمكة محمد بن أبي بكر عمرو بن العاص (٢)		٦٥٧/٣٧ ٦٥٨/٣٨
وردان	عتبة بن أبي سفيان	مناوية	٦٦٠/٤٠ ٦٦١/٤٢ ٦٦٣/٤٣
	عقبة بن عامر مسلمة بن مخلد		٦٦٤/٤٤ ٦٦٧/٤٧ ٦٦٩/٤٩ ٦٣٧/٥٣ ٦٧٧/٥٧ ٦٧٩/٥٩
	سعيد بن يزيد عبد الرحمن بن عقبة عبد العزيز بن مروان	يزيد الأول (عبد الله بن الزبير) مروان الأول عبد الملك بن مروان	٦٨٠/٦٠ ٦٨٢/٦٢ ٦٨٤/٦٤ ٦٨٥/٦٥

(\*) اعتمادنا على جدول الأستاذ فييت في هذا الصدد وذكرونا في خانة

الشرطة والقضاة والبطاركة في عهد الولاية (\*)

ملاحظات	البطاركة	القضاة	أصحاب الشرطة
	بنيامين	فيس بن أبي العاصي كعب بن يسار ، عثمان بن فيس	خارجة بن حذافة  هشام بن كنانة
(١) لم يذكر الأستاذ في بيت انقراء محمد بن أبي حذيفة			سائب بن هشام  عبد الله بن أبي حرملة خارجة بن حذافة (٧) زكريا بن جهم
(ب) ذكر الأستاذ في بيت في جداوله أن أغاتون ولي البطركية في سنة ٦٥٨/٤٩ ولكنني أعتدتها فيما أوردته على ما جاء في كتاب سير الآباء البطاركة لساورس	أغاتون (ب)	سليم بن عتق	سائب بن هشام (٢) عابس بن سعيد سائب بن هشام (٣) عابس بن سعيد (٤)
(ج) ذكر الأستاذ في بيت أن يوحنا الثالث ولي الطركية سنة ٦٨٠/٦٠ ولكنني أعتدتها على ساورس	يوحنا الثالث (ج)	عابس بن سعيد	

الملاحظات أوجه الخلاف بين ما وصل إليه وما استنبطناه من الراجع القديمة

عمال الحجاج	الولاية	الخلفاء	السنوات
			٦٨٦/ ٦٧
			٦٨٧/ ٦٨ — ٨٨
			٦٨٨/ ٦٩
			٦٨٩/ ٧٠
			٦٩٥/ ٧٦
			٧٠٢/ ٨٣
			٧٠٣/ ٨٤
			٧٠٥/ ٨٦
	عبد الله بن عبد الملك	الوليد بن عبد الملك	
	قرة بن شريك		٧٠٨/ ٨٩
			٧٠٩/ ٩٠
			٧١٠/ ٩١
			٧١٢/ ٩٣
أسامة بن زيد	عبد الملك بن رفاعة	سليمان بن عبد الملك	٧١٥/ ٩٦
			٧١٦/ ٩٧
			٧١٧/ ٩٨
حيان بن سريج	أيوب بن شرحبيل	عمر بن عبد العزيز	٧١٨/ ٩٩
			١٩ — ٧١٨/ ١٠٠
	بشر بن صفوان	يزيد بن عبد الملك	٢٠ — ٧١٩/ ١٠١
	حنظلة بن صفوان		٢١ — ٧٢٠/ ١٠٢
		هشام بن عبد الملك	٧٢٣/ ١٠٥
عبيد الله بن الجعاب	محمد بن عبد الملك		
	الحمر بن يوسف		
	حفص بن الوليد		٧٢٦/ ١٠٨
	عبد الملك بن رفاعة ٢		٧٢٧/ ١٠٩
	الوليد بن رفاعة		

ملاحظات	البطاركة	القضاة	أصحاب المرافعة
(أ) ذكر الأستاذ فيت أن اسحق ولي البطركية سنة ٦٩٠/٧٠ (ب) ذكر فيت أن سيمون ولي سنة ٧٣ ٦٩٣/	اسحاق (أ)  سيمون (ب) الاول (ظل حتى سنة ٨٢/٨٠١)  الأكندروس الثاني	بشير بن النضر عبد الرحمن بن حجيرة  مالك بن شراجيل يونس بن عطية أوس بن عبد الله عبد الرحمن بن معاوية  عمران بن عبد الرحمن عبد الواحد بن عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن  عياض بن عبد الله  عبد الله بن عبد الرحمن عياض بن عبيدة  عبد الله بن يزيد  يحيى بن ميمون	زياد بن حنابلة  عبد الرحمن بن حسان يونس بن عطية عبد الرحمن بن معاوية عمران بن عبد الرحمن عبد الأعلى بن خالد عبد الملك بن رفاعة عبد الرحمن بن معاوية الوليد بن رفاعة الشيخ بن جرو الحضرى الحسن بن يزيد الرعي الحارث بن داخر  شعيب بن حميد حنظلة بن صفوان محمد بن مطير البلوى حفص بن الوليد  عبد الله بن أبي مسعود

عمال الخراج	الولاية	الحقلاء	السنوات
			٧٢٩/١١١
			٧٣٠/١١٢
			٧٣١/١١٣
			٧٣٢/١١٤
قاسم بن عبيد الله	عبد الرحمن بن خالد		٧٣٣/١١٥
	حنظلة بن صفوان ٢		٧٣٤/١١٦
			٧٣٥/١١٧
			٧٣٧/١١٩
			٧٣٨/١٢٠
			٧٤٠/١٢٢
	حفص بن الوليد ٢		٧٤٢/١٢٤
			٧٤٣/١٢٥
عيسى بن أبي عطا		يزيد بن الوليد	٧٤٤/١٢٦
		ابراهيم بن الوليد	
		سروان بن محمد	٧٤٥/١٢٧
	حسان بن عتاهبه		
	حفص بن الوليد ٣		٧٤٦/١٢٨
	الحوشرة بن سهيل		
عبد الملك بن مروان	المغيرة بن عبيد الله		٧٤٩/١٣١
	عبد الملك بن مروان		٧٥٠/١٣٢
	صالح بن علي	السفاح	٧٥١/١٣٣
	أبو عون عبد الملك		
عطا بن شرحبيل			٧٥٢/١٣٥
	صالح بن علي (٢)		٧٥٣/١٣٦
	أبو عون (٢)	التمصور	٧٥٤/١٣٧

ملاحظات	البطاركة	القضاة	أصحاب الشرطة
	قسبا الأول تاودوروس ( ولى البطركية حتى سنة ١٢٦/٧٤٣ )	يزيد بن عبد الله ( الخيار بن خالد ) توبة بن عمر الحضرمي	عبد الرحمن بن خالد
		خير بن نعيم	عبد الله بن يسار عباس بن جبرية قيس بن أشعث عقبة بن نعيم
	ميخائيل الأول	عبد الرحمن بن سالم	حسان بن عتاهية عبد الله بن مغيرة معاوية بن سهوان محسن بن هانيء عبدالله بن عبد الرحمن عكرمة بن عبد الله
		خير بن نعيم (٢) فوث بن سليمان	

عمال الخراج	الولاية	الخلفاء	السنوت
			٧٥٧/١٤٠
نوفل بن فوات	موسى بن كعب		٧٥٨/١٤١
	محمد بن الأشعث		٧٦٠/١٤٣
	حميد بن قسطنطينة		٧٦١/١٤٤
معاوية بن مروان	يزيد بن حاتم		٧٦٧/١٥٠
محمد بن سعيد	عبد الله بن عبد الرحمن		٧٦٩/١٥٢
			٧٧٢/١٥٥
محمد بن سليمان	محمد بن عبد الرحمن		
	موسى بن علي	المهدي	٧٧٥/١٥٨
			٧٧٦/١٥٩
سلامة بن رجاء			٧٧٨/١٦١
	عيسى بن لقمان		
	واضح مولى أبي جعفر		٧٧٩/١٦٢
	منصور بن يزيد		
	يحيى بن داود		
اسماعيل بن ابراهيم	سلم بن سواده		٧٨١/١٦٤



ملاحظات	البطاركة	القضاة	أصحاب الشرطة
		أبو خزاعة إبراهيم يزيد بن عبد الله غوث بن سليمان (٢)	محمد بن معاوية عبد الله بن عبد الرحمن (٢)
	ميناء (ولى حتى بسنة ٧٧٤/١٥٨)	أبو خزاعة إبراهيم عبد الله بن لهيعة	عباس بن عبد الرحمن محمد بن حسان
	يوجنا الرابع		الحارث بن الحارث موسى بن زريق هاشم بن عبد الله عبد الأعلى بن سعيد عسامة بن عمرو
		إسماعيل بن اليسع	الأخضر بن مسوان

عمال الحراج	الولاية	الخلقاء	السنون
	ابراهيم بن صالح		٧٨٢/١٦٥
	موسى بن مصعب		٧٨٤-٧٨٣/١٦٧
	عسامة بن عمرو		٨٥-٧٨٤/١٦٨
	الفضل بن صالح	المادى	٨٦-٧٨٥/١٦٩
	على بن سليمان		٧٨٦/١٧٠
	موسى بن عيسى	مرون الرشيد	٧٨٧/١٧١
	مسلمة بن يحيى		٧٨٨/١٧٢
عمر بن غيلان	محمد بن زهير		٧٨٩/١٧٣
	داوود بن يزيد		٧٩٠/١٧٤
	موسى بن عيسى (٢)		٧٩١/١٧٥
	عمر بن مهران (١)		٧٩٢/١٧٦
نصر بن كلثوم	ابراهيم بن صالح (٢)		
روح بن روح	عبد الله بن المسيب		٧٩٣/١٧٧
	اسحاق بن سليمان		٧٩٤/١٧٨
	هرثمة بن أعين		
	عبد الملك ابن صالح		٧٩٥/١٧٩
	عبيد الله بن المهدي		
	موسى بن عيسى (٣)		٧٩٦/١٨٠
	عبيد الله بن المهدي (٢)		
	اسماعيل بن صالح		٧٩٧/١٨١

ملاحظات	البطاركة	القضاة	أصحاب الشرطة
		غوث بن سليمان (٣) المفضل بن فضالة	عسامة بن عمرو (٢) عسامة بن عمرو (٣) عبد الرحمن بن موسى عبد الملك بن عمدة
(١) لم يرد ذكر لصر بن مهران في جداول الأستاذ فيت ولا في الكندي ، ولكن أوراق البردي دلت على توليته مصر في سنة ١٧٦ هـ (انظر . جرومان : المحاضرة الثالثة في أوراق البردي المرئية ص ٩ — ١٠)		المفضل بن فضالة (٢) محمد بن مسروق الكندي	عبد الرحمن بن موسى ٢ خالد بن يزيد الأمكيس مسلم بن بكار حاتم بن هرثمة عمار بن منعم (٣) معاوية بن صرد عمار بن مسلم (٤) سليمان بن الصمة يزيد بن عبد العزيز

عمال الحراج	الولاية	الحقائب	الثوب
	اسماعيل بن عيسى		٧٩٨/١٨٢
	الليث بن الفضل		٧٩٩/١٨٣
			٨٠٠/١٨٤
			٨٠١/١٨٥
محفوظ بن سليمان	أحمد بن إسماعيل		٨٠٣/١٨٧
	عبد الله بن محمد		٨٠٥/١٨٩
	الحسين بن جميل		٨٠٦/١٩٠
	» » »		٨٠٧/١٩١
	مالك بن دهم		٨٠٨/١٩٢
	الحسن بن التناخ		٨٠٩/١٩٣
	حاتم بن هرثمة	الأميين	٨١٠/١٩٤
	جابر بن الأشعث		٨١١/١٩٥
	عباد بن محمد		٨١٢/١٩٦
	الطلب بن عبد الله	الأميون	٨١٥/١٩٨

ملاحظات	البطاركة	القضاة	أصحاب الشرطة
	مرقس الثالث	إسحاق بن القرات عبد الرحمن العمري	المصك بن مسكين عبد الوهاب بن موسى علي بن الفضل  معاوية بن صرد (٢) أحمد بن حوي محمد بن عسامة كامل الهنائي معاوية بن صرد (٣)  محمد بن يزيد محمد بن خالد صالح بن عبد الكريم سليمان بن غالب (٢)
		هاشم بن أبي بكر	ابن حاتم بن هرثمة علي بن المثنى عبيد الله الطرسوسي عبد الله بن إبراهيم سليمان بن غالب (٢)
		إبراهيم بن البكاء لهيعة بن عيسى الفضل بن غانم	هيرة بن هاشم  محمد بن عسامة (٢) عبد العزيز بن وزير

عمال الخراج	الولاية	الاحتفاء	السنون
	العباس بن موسى		
	المطلب بن عبد الله (٢)		٨١٥/١٩٩
	السري بن الحكم		٨١٦/٢٠٠
	سليان بن غالب		٨١٧/٨١٦/٢٠١
	السري بن الحكم (٢)		
			٨١٩/٢٠٤
			٨٢٠/٢٠٥
	أبو نصر بن السري		
	عبيد الله بن السري		٨٢١/٢٠٦
	عبد الله بن طاهر		٨٢٦/٢١١

ملاحظات	البطاركة	القضاة	أصحاب المصلحة
		لهيعة بن عيسى ٢	إبراهيم بن عبد السلام هيرة بن هاشم (٢) محمد بن عسامة (٣) عبد العزيز بن وزير أحمد بن حوى (٢) هيرة بن هاشم (٣) محمد بن عسامة (٤) أبو بكر بن جنادة عباس بن لهيعة محمد بن عسامة (٥) الحارث بن زرة ميمون بن السرى أبو بكر بن جنادة ٢ حماد بن الحارث اسماعيل بن الحكم صالح بن الحكم داود بن الحكم
	أبنا يعقوب	إبراهيم بن إسحاق إبراهيم بن الجراح	محمد بن قشاشي عبيد الله بن السرى محمد بن عتية معاذ بن عزيز عبدويه بن جيله

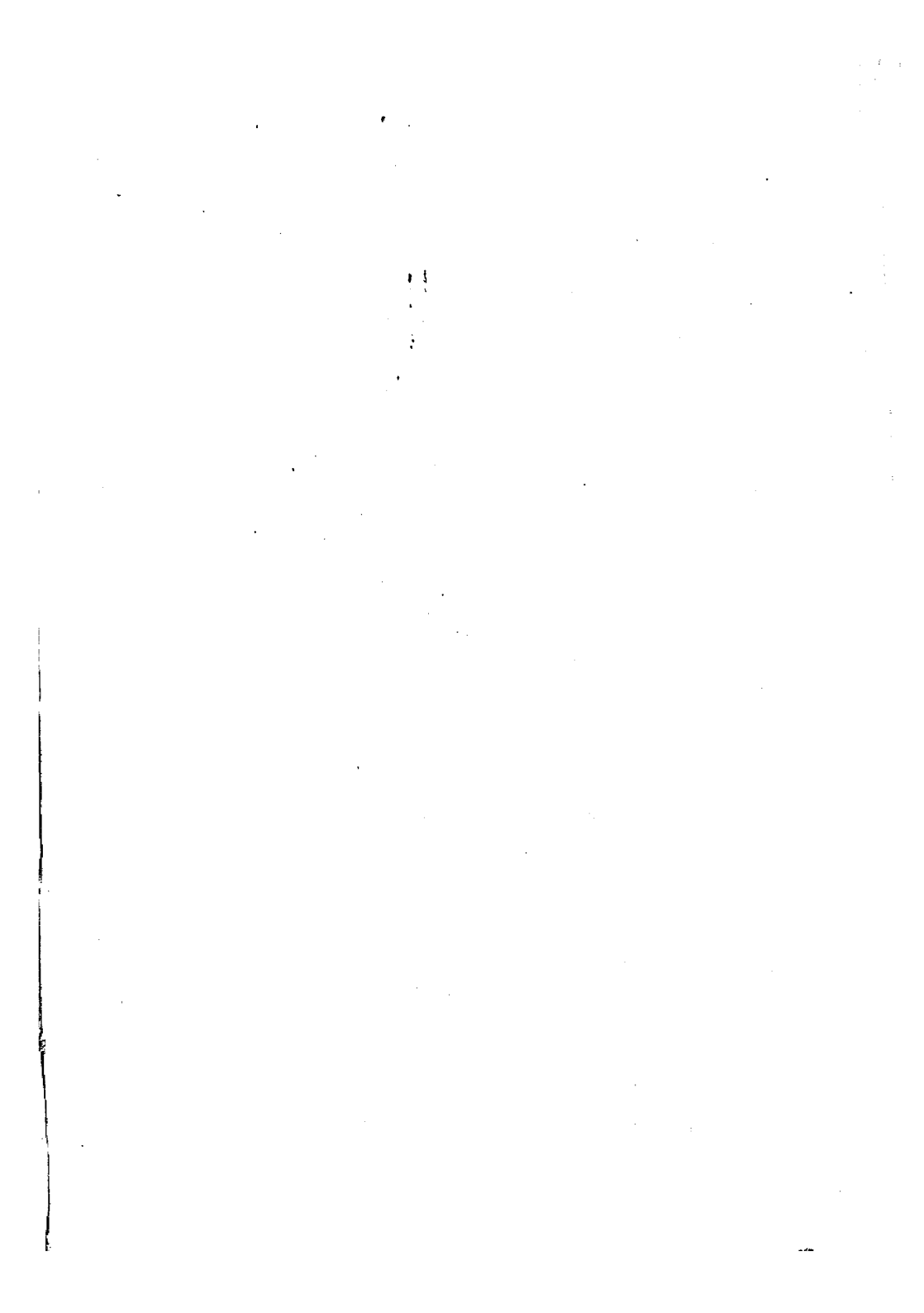
عمال الخراج	الولاية	الخلفاء	السنون
			٨٢٧/٢١٢
صالح بن شيرزاد	عبد الله بن طاهر عيسى بن يزيد المتصم		٨٢٨/٢١٣
	عيسى بن يزيد عمير بن الوليد		٨٢٩/٢١٤
	عيسى بن يزيد (٢)		٨٣٠/٢١٥
	عبدويه بن جبلة عيسى بن منصور كيدر نصر	للمأمون	٨٣١/٢١٦ ٨٣٢/٢١٧
		المتصم	٨٣٣/٢١٨ ٨٣٤/٢١٩
سعید بن عبد الرحمن	المظفر بن كيدر أشناس موسى بن أبي العباس		٨٣٨/٢٢٣
	مالك بن كيدر علي بن يحيى		٨٣٩/٢٢٤ ٨٤١/٢٢٦
عيسى بن يونس	عيسى بن منصور ٢ إيتاخ	الوائق	٨٤٢/٢٢٧ ٨٤٣/٢٢٨ ٨٤٥/٢٣٠
أبو الوزير	هرثة بن النصر حاتم بن هرثة علي بن يحيى (٢) المتصم إسحاق بن يحيى	التوكل	٨٤٨/٢٣٣ ٤٩—٨٤٨/٢٣٤ ٨٥٠—٨٤٩/٢٣٥



ملاحظات	البطاقة	القضاة	أصحاب الشرطة
		عيسى ابن النكدر (ولي حتى سنة ٢١٤/٨٢٩)	محمد بن عيسى  محمد بن عمير مطهر ابن عبدويه موسى بن إبراهيم اسينديار ابن بسطام ذاوه الظفر بن كيدر
	أنا سيمون أنا يوساب	هرون بن عبد الله	ذاوه (٢)  حسن بن أبي العباس  ذاوه (٣) معاوية بن معاوية
	ميخائيل الثاني	محمد بن أبي البيت	ابن منصور  أبو قتيبة محمد بن سويد معاوية بن نعيم  الهيابي

عمال الحراج	الولاية	الحلقاء	السنوات
١	خوط عبد الواحد		٥١ — ٨٥٠ / ٢٣٦
			٨٥١ / ٢٣٧
			٨٥٢ / ٢٣٨
			٨٥٥ / ٢٤١
			٨٥٦ / ٢٤٢
			٨٥٨ / ٢٤٤
			٨٥٩ / ٢٤٥
بدر	يزيد بن عبد الله		٨٦٠ / ٢٤٦
			٨٦١ / ٢٤٧
سليمان بن وهب أحمد بن مدبر		المنصور المستعين المعتز	٨٦٢ / ٢٤٨
			٨٦٦ / ٢٥٢
	مزاحم بن خلفان		٨٦٧ / ٢٥٣
	أحمد بن مزاحم أزجور		٨٦٨ / ٢٥٤

ملاحظات	البطاركة	القضاة	أصحاب الشرطة
	قسما الثاني	الحارث بن مسكين	محمد بن سليمان محمد بن عبد الله خالد بن يزيد بجعي بن أحمد
	شئودة (حتى سنة ٨٨٠/٢٦٦)	بكار بن قتيبة (حتى ٨٨٣/٢٧٠)	أزجور محمد بن اسبنديل أزجور (٢) بولفيا



## كشاف

إختم : ١٩٠ ، ٢٨٥ ، ٣٤٤  
 إخنا : ٤٠ ، ٢٩٢  
 ادريس بن عبد الله ( أخو النفس الزكية ) :  
 ١٥٤ ، ١٥٣  
 أديرة : ١ ، ٥ ، ٢٢٣ ، ٢٧٥ ، ٣٣٦  
 أرتودوكس ( يعاقبة ) : ١٨٨ ، ١٨٤ ، ٥٠  
 ١٨٩ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١  
 ازجور التركي : ٢٥ ، ١٥٨  
 أسامة بن زيد التوخي : ٢١٦ ، ٢٢٩ ،  
 ٢٣٠ ، ٢٦٩  
 استراكا : ٤١ ، ٦٧ ، ٦٨  
 إسحق بن سليمان العباسي : ٢٥٤  
 إسحق بن القرات : ١٠٥  
 أسطول : ١٣ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٣٠ ،  
 ٨١ ، ٨٨ - ٩٨ ، ١٢٣ ، ١٤٥ -  
 ١٤٧ ، ١٩٧ ، ٣١٣ ، ٣٤٢ ،  
 ٣٤٣  
 الاسكندرية : ٢ ، ٤ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ،  
 ٢١ ، ٢٣ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٧ ،  
 ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩١ ،  
 ١٢٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٤ ،  
 ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٦ -  
 ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ،  
 ١٧٦ ، ١٨٥ - ١٨٩ ، ١٩١ ،  
 ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٤١ - ٢٤٣ ،  
 ٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٨٢ ، ٢٩٥ ،  
 ٣٠٠ - ٣٠٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٠

(١)

ابن جحدم : ( انظر عبد الرحمن )  
 ابن سبأ : ( انظر عبد الله )  
 ابن سندر : ٥٣  
 ابراهيم بن صالح : ١٤٩  
 ابراهيم بن محمد بن عبد الله ( ابن النفس  
 الزكية ) : ١٥١ ، ١٥٢  
 ابراهيم بن المهدي : ١٧١ ، ١٧٢  
 ابن طولون : ( انظر أحمد )  
 ابن عبد الغفار الجعفي : ١٦٥  
 ابن الدبر : ( انظر أحمد )  
 أبو حنيفة ( الإمام ) : ١٠٥ ، ٢١٧ ،  
 ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦  
 أبو شعر ( ميناء ) : ٣٠٠  
 أبو صير : ( انظر يوصير )  
 أبو عون : ٣٢ ، ١٠٣ ، ١٤٤ ، ٢٣٦  
 أبو مسلم الخراساني : ١٣٦ ، ١٣٧  
 أبو نصر بن السري بن الحكم : ١٧٤  
 أعباس : ( انظر وقف )  
 أحمد بن حنبل ( الإمام ) : ١٧٨ ، ٣٢٢  
 أحمد بن السري : ١٧٥  
 أحمد بن طولون : ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٨ ، ٦٢ -  
 ٦٤ ، ٦٩ ، ١٠٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ،  
 ٣٥٢  
 أحمد بن المدبر : ٥٨ ، ٢٣٤ ، ٣٣٨ ،  
 ٣٤٢

الأميين : ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٦٣ ،

١٧٦ ، ٢٠٢ ، ٢٨٩ ، ٣٥٢ ،

الأندلس : ٣٢٥ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ،

الأندلسيون ( في مصر ) : ١٦٠ ، ١٦٧ -

١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ،

١٧٦

انصنا : ٢٦٩

اهاسيا : ١٩١ ، ٢٨٥ ، ٣٤٤ ،

ارناخ : ١٨١

الإيرانيون : ( انظر الفرس )

أيلة ( العقبة ) : ١٣٣ ، ٣٠٠ ،

إلياء : ( انظر بيت المقدس )

أيوب بن شرجيل : ٧٦ ، ٢٠٩ ،

( ب )

بالبوت ( اليونة ) : ١١ ، ١٢ ، ١٤ ،

١٧ ، ١٩ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٣ -

٤٥ ، ٧٠ ، ١٨٥ ، ٢٤٣ ، ٣٠٣ ،

٣٠٥

باخرا : ١٥٢

البحجة : ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٣٠٢ ،

البحر الأبيض المتوسط : ٩ ، ٨٨ ، ٩٥ ،

٣٠٠ ، ٣٤١ ،

البحر الأحمر : ٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٩ -

٣١٢

البربر : ٨٢ - ٨٤ ، ٩١ ،

بردى ( وثائق ) : ١٠٠ ، ٢٠ ، ٣٠ ،

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ،

٤٨ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٣ ،

٦٤ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٩١ ،

٣١٧ ، ٣٣٠ - ٣٣٦ ، ٣٤٤ ،

اسماعيل بن عبد الله القسري : ١٤٢ ،

اسماعيل بن اليسع الكندي : ١٥٠ ،

٣٢٦

أسنا : ١٥٨

أبيوان : ٥٧ ، ١٤٤ ، ٢٣٤ ، ٢٥٨ ،

٢٦٩ ، ٣١٢ ،

أسيوط : ٢٨٥ ، ٣٤٤ ،

الأشتر مالك بن الحارث النخعي : ١٢٥ ،

١٢٦

الأشموين : ١٤٧ ، ١٩١٠ ، ٢٦٠ ،

٢٨٥

أشناس : ٣٥

الأصمغ بن عبد العزيز بن مروان : ٥٣ ،

١٥٣ ، ١٩٩ ، ٢٢٣ ،

إفريقية : ١ ، ٢١ - ٢٣ ، ٣١ ، ٣٤ ،

٨١ - ٨٤ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٤٠ ،

١٤٢ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ،

٣٥٠

الأفنين : ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،

إقطاع : ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ١٥٥ ،

١٧٨ ، ١٨١ ، ٢٢١ ، ٢٥٦ ،

الأكدر بن حمام النخعي : ١٣٢ ، ١٣٣ ،

أم دنين ( تندونياس ) : ١١ ، ٥٦ ،

الأمويون والدولة الأموية : ٢٦ ، ٣٠ ،

٣٢ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ،

٨٢ ، ١٣٥ - ١٣٨ ، ١٤٦ -

١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٨١ ،

١٩٠ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ ، ٢٤٩ ،

٢٧٤ ، ٢٥٣

بويط : ١٥٠  
بيت القدس ( القدس أو إيلياء ) : ٢٦  
٢٧٩ ، ٢٧٨ ، ٢١٣ ، ٢١٢  
بيزنطة والدولة البيزنطية : ١ ، ٤ ، ٤٥ ، ٤٠  
٢٦٦ ، ٥١ ، ١٣ ، ١١ ، ٤١٠  
٢٨٦ ، ٢٨٠  
البيزنطيون : ( انظر الروم )

(ت)

تجارة وتجار : ٥٥ ، ٥٥٧-٥٥ ، ١٨ ، ١٠ ، ٤٩  
٢٨٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٧٥  
٢٩٩ - ٣١٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٢  
الترك : ٣٣ ، ٣٦ ، ٧٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧  
١٥٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ،  
٣٤٣  
تنيس : ٥٧ ، ٨٥ ، ١٦٤ ، ١٦٩  
١٧٥ ، ١٨٦ ، ٢٥٧ ، ٢٨٠  
٢٨٢ - ٢٨٨ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠  
٣٠٢ ، ٣٤٤  
توبة بن عمر الحضرمي : ١٠٠ ، ١٠٢  
١٠٨ ، ١٠٣ ، ٢٣٣  
تونة : ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٤٤  
تونس : ٨٨ ، ٩١

(ث)

ثابت بن نعيم الجذامي : ١٣٩  
ثورة وثورات : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ١٠ ، ٢٤  
٥٢ ، ٧٦ ، ٢٣٤ - ٢٣٨ ، ٢٤٠  
٤٥١ ، ٢٥٣ - ٢٥٦ ، ٢٤٣  
٣٤٥

٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ،  
٢٦٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٢  
برقة ( انطابلس ) : ١٤ ، ١٥ ، ٢٣ ،  
٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ،  
١٢٣ ، ١٥٨ ، ٣١٢ ،  
البرلس : ٨٥ ، ٩٠ ،  
البريد وصاحب البريد : ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠ ،  
٣٤ ، ١٠٣ ، ١٥٤ ، ٣١١ ،  
برينيسي : ( انظر رأس بناس )  
بصر بن أوس ( أبو الجراح الجرشي ) :  
١٤٠  
بصر بن صفوان : ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ،  
البشمور أو البشمرود : ( انظر بوكوليا )  
١ ، ٢ ، ٤ ، ٤٨ ، ١٩٠ ، ٣٠٠ ،  
٣٠٢  
بنا الأصغر : ١٥٨  
بنا الأكبر : ١٥٨  
بغداد : ٢٦ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ١٥٧ ،  
١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧١ ، ١٧٨ ،  
٢١١ ، ٣٢٧ ،  
القط : ١٥ ، ١٦ ،  
بليس : ١٦١ ، ١٦٤ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،  
٣١٢  
بنيامين ( أبو ميامين ) : ٧ ، ١٨٥ - ١٨٨  
البهنسا : ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٤٤  
بورة : ١٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣٤٤  
بوصير ( أبو بصير ) : ١٤٧  
بوكوليا ( البشمور أو البشمرود ) : ٣ ،  
١٤٤ - ١٤٦ ، ٢٣٥ - ٢٣٨ ،  
٣٤٤ ، ٣٤٥

١٥٦ ، ١٥٠ ، ١٤٧ ، ١٤٥  
- ١٦٣ ، ١٦١ ، ١٦٠ ، ١٥٧  
٢٣٨ - ٢٣٥ ، ١٦٨ ، ١٦٦  
٣٣٨ ، ٣٣٧ ، ٢٤٩ ، ٢٤٠  
٣٤٢  
الهيضة : ١٤٥ ، ١٤٠ ، ١٤٧ - ٢٤٨

(ح)

حاتم بن هرثمة بن أعين : ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٩٣  
الحجاز : ٣٦ ، ٥٢ ، ١١١ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٤١ ، ١٥٢ ، ٢٩١ ، ٣١١ ، ٣٠٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٢ ، ٣٢١  
الحمر بن يوسف : ٢٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤  
حمران : ١٤١ ، ١٤٢  
الحرس (أهل الحرس) : ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧٩  
الحريز : ٢٧٩  
حسان بن عناية : ١٣٨ ، ١٣٩  
حسان بن النعمان الساسي : ٣١ ، ٨٣ ، ٨٤  
الحسين بن النخناخ : ٧٧ ، ١٦٠  
الحسين بن جيل : ٢٥٥  
الحسين بن علي بن أبي طالب : ١٣٠  
حفص بن الوليد : ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ٢٣٣ ، ١٩٦ ، ١٤١ - ١٣٨ ، ٢٣٥  
حلوان : ٣٣ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٢٢ ، ٢٧٤ ، ٢٦٩  
حمص : ١٣٩ ، ١٤٠  
حميد بن قسطنطية : ١٥١ ، ١٥٢

(ج)

جابر بن الأشعث الطائي : ١٦١ ، ١٦٢  
جابر بن الوليد المدلجي : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٨  
الجبالية : ٨  
جامع ابن طولون : ٦٢  
جامع العسكر : ٢٤٧ ، ٢٧٤  
جامع عمرو بن العاص : ٢٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٧ ، ١٠٤ ، ١٢٢ ، ١٥٢ ، ٢٢٢ ، ٢٤٧ ، ٢٧٣ - ٢٧٦ ، ٣٢٨ ، ٣٥٠  
جباية : ١٨ ، ٥٩ ، ٦٤  
الجروى (عبد العزيز بن الوزير) : ص ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧٢ - ١٧٤ ، ٣٥٢  
الجزيرة : ١٤٠ ، ١٤١  
جزيرة الروضة : ٩٠ ، ٩١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٢٦٩ ، ٢٠٢  
الجزية : ١١ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٧ - ٣٧ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ٦٨ ، ١٨٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ - ٢٣٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤١  
جسطال : ٢٩ ، ٦٤  
الجل (موقعة) : ١٢٩  
جند وجيش : ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٧٠ - ٨٧ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣



(د)

داود بن يزيد بن حاتم : ٢٧٠ ، ١٠١  
ديق : ٢٨٥ ، ٣٤٤  
دحية بن مصعب : ١٤٩ ، ١٥١  
دقلديانوس : ٣ ، ١٩٨ ، ٣٣٧  
الدماحس بن عبد العزيز السكتاني : ١٤٣  
دمشق : ٢٦ ، ٨٩ ، ١٢٤ ، ١٢٨  
٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٣١١  
دمياط : ٢٣ ، ٥٧ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٢  
١٨٦ ، ٢١٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣  
٢٨٤ ، ٢٩٢ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣  
٣٤٤  
دميرة : ٢٨٤ ، ٣٤٤  
دهلة : ١٥  
ديسقورس : ٤ - ٦

(ذ)

الذمة (أهل) : (اختر أيضا «قط»  
و «يهود» و «مسيحيون» ) :  
٣٨ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٩٩ ، ١٩٧  
٢٠٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣١  
ذو النون بن إبراهيم الاخيمني : ١٨٠  
٣٣٠  
ذى الصواري : ٢٣ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٤  
١١٦

(ر)

زأس بناس (بريتيسى) : ٣٠٠ ، ٣٠٨  
رباط : ٢٣ ، ٨٠ ، ٨٧

حظلة بن صفوان السكبي : ١٤٠ ، ٢٣٥  
حوشرة بن سهيل الباهلي : ١٤٠ ، ١٤١ ،  
٢٥٢  
الحورة (ميناء) : ٣٠٠  
الحوف : ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٦١ -  
١٦٤ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢٥٠ ،  
٢٥٤ - ٢٥٦  
حيان بن سريج : ٢٣٠ ، ٢٣١

(خ)

خارجة بن حذافة : ٢٤ ، ١١٧ ، ١٢٩  
٣١٤  
خالد بن يزيد الشيباني : ١٧٤  
الخراج : ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٧  
٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠ -  
٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٧٦  
١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ،  
١٦١ ، ١٧٥ ، ٢١٧ - ٢٢٠ ،  
٢٢٢ - ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ،  
٢٣٢ - ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،  
٢٣٩ ، ٢٥٣ - ٢٥٦ ، ٢٨٨ ،  
٣٣٨ - ٣٤٠  
خراسان : ١٣٦ ، ١٥٩ ، ١٦٥  
خربتا : ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧  
خزف : ٢٩٥  
خشب : ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣١٣  
خلقدونية : ٤ - ٦  
الخوارج : ١٢٢ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤  
١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٥٠  
خير بن نعيم : ٩٩ ، ١٠٣

(س)

السائب بن كنانة بن هشام العاصمي : ١٣٢  
١٣٣  
ساحرا : ١٥٧  
سيبظة : ٨١  
سحنا : ١٧٣ ، ٢٣٦  
سرج القول : ٢٦١  
السري بن الحكم : ١٦١ ، ١٦٣ -  
١٦٦ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،  
٣٥٢

سميد بن يزيد : ١٣١ ، ١٣٢  
السفاح (أبو العباس) : ١٣٧  
سفن ومهاكب : (انظر أسطول)  
السكة : (انظر قود)  
سلمنت : ١٢٣  
سليم بن عتر التيجي : ١٠٠ ، ١٠١ ،  
١٠٦

سليمان بن عبد الملك : ١٠١ ، ٢١٦ ،  
٢٢٩ ، ٢٦٩  
سنود : ٢٣٥ ، ٢٣٦  
سوسة Hadrumetum : ٨٢

(ش)

الشافعي (الإمام) : ١٥٥ ، ١٨٠ ، ٢٦١  
٢٦٥ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٤  
٣٢٧  
الشام - (سورية وفلسطين) : ٨ - ١٠ ،  
٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٨٧ ،  
٨٨ ، ٩٣ ، ١١١ ، ١٢٠ - ١٢٢

الربيع بن سليمان : ٣٢٧

الرزق ودار الرزق : ٤٤ ، ٥٠ ، ٧٥ -  
٧٨ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ١٠٦

رشيد : ٥٧ ، ٢٣٥

الربيق : ١٦ ، ٣١٢ ، ٣١٣

الروم (البيزنطيون) : ٩ ، ١١ - ١٤ ،

١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٨ ،

٤٤ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ،

٥٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٨١ - ٩٠ ،

٩٣ ، ٩٧ ، ١١٦ ، ١٢٨ ، ١٤٢ ،

١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ،

٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٤٥ ،

٢٨٦ ، ٣٠٧ ، ٣٣٤ - ٣٣٦ ،

روما : ١ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٥١ ، ٢٨٠ ،

الرومان : ١ ، ٢٠ ، ٣٨ ، ٤٨ ، ٥٠ ،

٥٧ ، ٥٩ ، ٩٧ ، ٣٠٠ ،

(ز)

الزاب : ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٤٢ ،

زامل بن عمرو : ١٣٩ ،

الزبير بن العوام : ١١ ، ١٨ ، ٤٤ ،

٣١٤

زجاج : ٢٩٥

زراعة وزراع : ٣ ، ١٠ ، ٤٧ ، ٥٠ ،

٥١ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧١ -

٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٢٥١ ،

٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٣ -

٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٣٤٨ ،

الزكاة : ٣٧ ، ٤١ ، ٥٤ ،

زهير بن قيس البلوي : ٨٣ ، ١٣٣

(ط)

طاهر بن الحسين : ١٦٦ ، ١٧٠  
طرابلس : ١٥ ، ٢٣ ، ٨١  
طراز : ٢٨٦ - ٢٨٨  
طلب بن كامل الغنى : ٢٢٣  
طنجة : ٨٣

(ع)

عابس بن معبد المرادي : ٢٤  
عباد بن محمد : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦  
العباس بن موسى : ١٦٣ ، ١٦٤  
العباسيون والدولة العباسية : ٢٣ ، ٢٦ ،  
٣٢ ، ٣٤ ، ٩٢ ، ٧٦ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤١ ،  
١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ،  
١٤٩ - ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٧١ ،  
١٧٧ ، ١٩٠ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ ،  
٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ،  
٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٣٤٣

عبد الرحمن بن بجنس : ١٣٤  
عبد الرحمن بن حجيرة الأكبر : ١٠٠ ،  
١٠١ ، ١٠٦  
عبد الرحمن بن سالم الجيشاني : ١٠٦  
عبد الرحمن بن عبد الله العمري : ١٠٤ ،  
١٠٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧  
عبد الرحمن بن عتبة بن جعدم القهري :  
١٣٢ ، ١٣٣

١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٩ ،  
١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٦٠ ، ١٧٥ ،  
٢٠٦ ، ٢٥٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ،  
٣٠١ ، ٣٠٢  
شاهد قبر : ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣١٩  
المرتب ( ثياب ) : ٢٨٢ ، ٢٨٣  
المرطبة وصاحب المرطبة : ٢٣ - ٢٦ ،  
١٤١ ، ١٦٣  
شطا : ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٣٤٤  
شطونف : ١٦٥  
الشيعة والعلويون : ١٠٩ ، ١٣١ ، ١٣٤ ،  
١٥٦ ، ١٧١ ، ٣٢٨

(ص)

صالح بن عبد الله العباسي : ٣٢ ، ١٤٤ ،  
١٤٧ ، ١٤٨  
الصناعة والصناع : ٣٠ ، ٥٥ ، ٧٥ ،  
٢٥٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ،  
٢٩٧  
الصوف : ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨  
الصوفية : ١٦٨

(ض)

ضرائب : ١٠ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣٠ ، ٣٧ ،  
٣٩ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ،  
٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٥ ،  
٢١٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ،  
٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٤٠ ، ٣٣٨ ،  
٣٤٠

عبد الله بن لهيعة : ٧٦ ، ٨٠ ، ١٠٠ ،  
١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٩٣ ،

٣١٨ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠

عبد الله بن وهب بن مسلم : ٣٢٢ ، ٣٢٤ ،

عبد الله بن يحيى (طالب الحق) : ١٤١ ،

عبد الله بن يزيد بن خنساء : ١٠٥ ،

عبد الملك بن رفاعة : ٢٢ ، ٢٣٣ ، ٢٥٠ ،

عبد الملك بن محمد الحزمي (أبو الطاهر) :

٢٧ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ،

عبد الملك بن مروان : ٢٤ ، ٢٦ ، ٥٢ ،

٦٥ ، ٦٧ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٩١ ،

١٣١ ، ٢٠٠ ، ٢١٥ ، ٢٢١ ،

٢٢٢ ، ٢٢٤

عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير :

١٤١ - ١٤٥ ، ٢٣٥

عبيد الله بن الجحباب : ٢١ ، ٢٢ ، ١٩٧ ،

٢٣٢ - ٢٣٤ ، ٢٤٩ - ٢٥٣ ،

٢٩٥

عبيد الله بن السري : ١٧٤ - ١٧٦ ،

عتبة بن أبي سفیان : ٧١ ، ٢٣ ، ٨٠ ،

١٠١

عثمان بن الحكم : ٣٢٣ ،

عثمان بن عفان : ٩ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢١ ،

٥٢ ، ٦٥ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٢ ،

٨٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١١٠ - ١٢٠ ،

١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ،

١٥٠ ، ٢١٧ ، ٢٤٦ ، ٢٧٤ ،

٢٩٠ ، ٣١١

المراق : ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٥٥ ،

١٥٧ ، ٣٢١

العريش : ١٤٠ ، ١٧٥ ، ٣١٢ ،

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم :  
٣٢٥

عبد الرحمن بن القاسم : ٣٢٣ ، ٣٢٩ ،

عبد الرحيم بن خالد بن يزيد : ٣٢٢ ،

٣٢٣

عبد العزيز بن عمران : ٣٢٧ ،

عبد العزيز بن مروان : ٢٠ ، ٢٤ ، ٣١ ،

٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ،

١٠١ ، ١٣٢ - ١٣٤ ، ١٣٤ ، ١٩٠ -

١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ،

٢٣١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦٩ ،

٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٣١٧ ، ٣٤٩ ،

عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل (ابن

الارقط) : ١٥٨ ،

عبد الله بن الزبير : ٦٦ ، ٨٣ ، ١٢٩ -

١٣٥ ، ٢٢٢ ، ٣١٦ ،

عبد الله بن سبأ (ابن السوداء) : ١١١ ،

١١٣ - ١١٦

عبد الله بن سعد بن أبي سرح :

١٥ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٨ ،

٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٧ -

٨٩ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١١٣ ، ١١٦ -

١١٩ ، ٢١٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ ،

٢٧٤ ، ٣١٤ ، ٣٤٥ ،

عبد الله بن طاهر بن الحسين : ١٧٥ ،

١٧٦

عبد الله بن عبد الحكم : ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،

عبد الله بن عبد الملك : ٨٥ ، ٢٠٠ ،

٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٧٥ -

عبد الله بن عمرو بن العاص : ٣٨ ، ٤٤ ،

٤٩ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ١٢٩ ، ٢٦٣ ،

٣١٤ - ٣١٦

٢٣٠ - ٢٣٢ ، ٢٧٩ ، ٣٠٦ ،  
٣٠٧ ، ٣١٧ ، ٣٣٦  
عمرو بن العاص : ٨ - ١٢ ، ١٤ - ١٨ ،  
٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨ ،  
٣١ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٦ ،  
٥٠ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٧٠ ، ٨٠ ،  
٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ،  
٩٧ ، ١٠١ ، ١١٧ ، ١٢١ ،  
١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٧ - ١٢٩ ،  
١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ،  
١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،  
٢١٦ - ٢٢٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ،  
٢٤٨ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ،  
٢٦٨ ، ٢٧٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ،  
٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٢  
عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان :  
١٤٣  
عمير بن الوليد : ٢٥٥  
عنبسة بن اسحاق : ٣٣ ، ٨٦ ، ٩٣  
عياض بن عبيد الله الأزدي : ١٠٤  
عيد وأعياد : ١٩٣ - ١٩٦  
عيزاب : ٥٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٢  
عيسى بن أبي عطاء : ١٣٨ ، ١٣٩  
عيسى بن منصور : ٢٣٧ ، ٢٣٨  
عيسى بن المنكدر : ١٠٣ ، ١٠٧ ، ٣٢٧  
عيسى بن يزيد : ٢٥٥  
عين شمس : ١٢٣ ، ١٣٣  
(غ)  
غزة : ١٤٥

عسامة بن عمرو : ١٤٩ ، ١٥٢  
السكر (مدينة) : ٢٣ ، ٢٤٧  
الطاء : ٢٣ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٧٤  
٧٥ - ٧٨ ، ٧٩ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ،  
١٧٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٣٤٢  
عقبة بن عامر الجهني : ١٠١  
عقبة بن نافع النهري : ٨١ - ٨٣  
المالويون : ( انظر الشيعة )  
على الرضا : ١٧١ ، ١٧٢  
على بن أبي طالب : ٨٢ ، ١١١ ، ١١٥ ،  
١٢٠ - ١٢٩  
على بن سفيان بن علي بن عبد الله العباسي :  
١٥٤ ، ٢٠٩  
على بن عبد العزيز الجروي : ١٧٤ ،  
١٧٥  
على بن محمد بن عبد الله - (ابن النفس الزكية) :  
١٥١ ، ١٥٢  
الهاراة : ٢٧٣ - ٢٧٩ ، ٣١٣  
عمر بن الخطاب : ٨ ، ١١ ، ١٣ - ١٥ ،  
٢٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٥ - ٤٥ ، ٤٧ ، ٥١ ،  
٥٣ ، ٦٥ ، ٧١ - ٧١ ، ٧٣ ، ٨٠ ،  
٨٧ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١١٠ ،  
١١٢ ، ١٨٥ ، ١٩٥ ، ٢٠٥ -  
٢١٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ - ٢٢٠ ، ٢٤١ ،  
٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٦٣ ،  
٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٥ ، ٢٩٠ ،  
٣٠٢ ، ٣٠٤ - ٣٠٦ ، ٣١٦ ،  
٣٣١ ، ٣٤٦  
عمر بن عبد العزيز : ٥٦ ، ٧٦ ، ١٠١ ،  
١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٨١ ، ٢٠٠ ،  
٢٠١ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ،

١٤٦ ، ١٤٣ ، ١١٠ ، ٩١ ، ٨٨  
، ١٨٩ ، ١٨٢ ، ١٧٣ ، ١٤٨  
، ٢٠٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٢ ، ١٩٦  
، ٢١٧ ، ٢١٥ ، ٢١٢ ، ٢٠٨  
- ٢٣٤ ، ٢٣٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢  
، ٢٧٣ ، ٢٦٠ - ٢٥٨ ، ٢٤٠  
، ٢٩٥ - ٢٩٢ ، ٢٨٠ - ٢٧٧  
، ٣٤٦ ، ٣٤٣ ، ٣٤٠ ، ٣٣٦  
٣٥١ ، ٣٤٧  
قرة بن شريك : ٢٩ ، ٢٣ ، ٣٨ ، ٣٠  
٧٣ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٧ ، ٤٩ ، ٣٩  
١٩٦ ، ١٣٥ ، ١٣٤ ، ٩٢ ، ٨٥  
- ٢٧٤ ، ٢٧٢ ، ٢٢٨ - ٢٢٥  
٢٧٨ ، ٢٧٦  
قريش : ١٣٥  
القسطنطينية : ٤ - ٦ ، ١٠ ، ٨٩ ، ١٣٠  
٣٠٧  
قصب السكر : ٢٦٥ ، ٢٦٦  
القصور : ٣٠٠ ، ٣٠٨  
القضاء : ٣١ ، ٩٩ - ١٠٦ ، ٣٣٧  
قطن : ٢٦٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤  
قفط : Coptos : ٩  
القلمزم : ٩ ، ٩١ ، ١٢٥ ، ١٧٤  
، ٣٠٨ - ٣٠٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٠  
٣١١  
القمح : ١٦ ، ١ ، ٤٤ ، ٤٩ - ٥٢ ،  
، ٢٦٥ ، ١٧٣ ، ٧٧ ، ٧٦  
، ٢٩١ ، ٢٧١ ، ٢٧٠ ، ٢٦٦  
٣١٣ ، ٣١٢ ، ٣٠٥  
قنسرين : ١٤٠  
قنسطانز الثاني ( قنسططين بن هرقل ) :  
٩٥ ، ٨٥ ، ٤٤ ، ٨٦

( ف )

الفرس ( الايرانيون ) : ٦ ، ٧ ، ٣٣ ،  
، ١٧١ ، ١٦١ ، ١٥٧ ، ٧٤  
٣٤٣ ، ٢٥٧ ، ٢٤٥  
الفرما ( بلوزيم ) : ١١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،  
، ٣٠٨ - ٣٠٦ ، ١٧٥ ، ١٦٥  
٣١٧  
الفسطاط : ٢٣ ، ٣٣ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٧٣ ،  
، ١٣٢ ، ١٢٢ ، ١١٧ ، ١٠٤  
، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٨ ، ١٣٣  
، ١٥٠ ، ١٤٧ - ١٤٥ ، ١٤٣  
، ١٥٨ ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥١  
، ١٧٢ ، ١٧٠ ، ١٦٤ - ١٦٢  
، ٢٠٩ ، ١٨٩ ، ١٧٦ ، ١٧٤  
، ٢٥٤ ، ٢٤٨ - ٢٤١ ، ٢٢٦  
، ٢٧٤ ، ٢٧٣ ، ٢٥٨ ، ٢٥٥  
، ٣٤٤ ، ٣١٣ ، ٣١٢ ، ٢٩٤  
٣٥٢ ، ٣٤٧  
الفضل بن صالح بن علي العباسي : ١٥٠ ، ٢٥٤  
الفضل بن غانم : ١٠٦  
فتون : ٢٧٢ - ٢٩٨ ، ٣٤٢  
اليوم : ١٤٧ ، ١٨٩ ، ٢٦٦ ، ٢٩١  
٣٤٤  
( ق )  
قباطي : ٢٨٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩١  
قبالة وقيال : ٦١ - ٦٣ ، ١٥٦  
القبط : ٣ ، ٥ ، ٧ ، ١٠ ، ١٢ ، ٣٧ ، ٣٨ ،  
، ٤١ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦١

(ل)

ليورجيا (التزامات) : ٣٤١ ، ٣٤٠  
الليث بن سعد : ١٩٣ ، ٣١٨ ، ٣١٩  
٣٣٠ ، ٣٢٩ ، ٣٢٦  
الليث بن الفضل : ٦٤ ، ١٦١ ، ٢٥٤  
هبة بن عيسى : ١٠٧

(م)

مارتينه (الأمراطورة) : ١٣ ، ١٤  
مازوت وموازيت : ٢٩ ، ٢٠١  
مالك (الإمام) : ١٠٥ ، ١٨٠ ، ٢١٠  
٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩  
٣٣٠  
المأموت : ٢٤ ، ٣٥ ، ٨٦ ، ١٥٩  
١٦٦ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤  
١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٩٠ ، ١٩٣  
٢٠٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٥٣  
٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠  
٢٧١ ، ٢٧٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩١  
٢٩٧ ، ٣٤٥ ، ٣٥٢  
التوكل : ٢٧ ، ٣٦ ، ٦٣ ، ١٥٥  
١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٨٠ ، ١٨١  
٢٠٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٣٩  
٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٩ ، ٣٣٠  
مجامع : ٣٤٤ ، ٣٤٥  
مخفوظ بن سليمان : ٦٤  
محمد بن أبي بكر : ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٦  
١٢٨  
محمد بن أبي خديفة : ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢  
١٢٤

قيس (المقوس) : ١٢ ، ١٤ ، ٧٠ ، ٧٠  
١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢١٩  
القيروان : ٨١ - ٨٣  
القيس : ٢٨٤ ، ٢٨٥  
قيس بن أبي العاص : ٩٩  
قيس بن سعد : ١٢٤ - ١٢٦  
القيس (القيسيون) : ١٣٧ - ١٣٩  
١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ، ٢٤٩ -  
٢٥٢ ، ٢٥٥

(ك)

كتان : ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤  
٣١٣  
كسيلة : ٨٣  
كنائس ٣ - ٦ ، ١٤ ، ٤١  
٤٦ ، ١٨ ، ١٩٣ -  
١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٩  
٢١١ - ٢ ، ٢٣ ، ٢٣٢  
٢٥٩ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨  
كورة وصاحب الكورة : ٢٣ ، ٢٨  
٣٠ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٩ ، ٦٠  
٦١ ، ٧٥ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ٢٢٢  
الكوفة : ١٣٧  
كرم اشقاو (كوم اشقوه) : ٢٣ ، ٢٩  
٣٠ ، ٣٨ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٥٩  
٦٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧  
٢٧٨  
كيدر نصر بن عبد الله : ٣٥ ، ٧٤  
١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٥٧

مصر السفلى (أسفل الأرض أو الوجه  
البحرى): ١٦، ٢٨، ٣٧، ٣٨،  
١٤٥، ١٥٧، ١٧٤، ١٧٥،  
١٩٠، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٠،  
٢٤٣، ٣٣٨

مصر العليا (الصعيد): ٩، ١٠، ١٩، ٢٨،  
٣٧، ٣٨، ١٢٢، ١٤٤، ١٤٩،  
١٥٨، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧،  
١٩٠، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٣،  
٢٨٤، ٣٣٨

المصرية: (انظر القيسية)

المطلب بن عبد الخزاعي: ١٦٣-١٦٦  
مظفر بن كيدر: ٢٥٧

مغان: ٢٩٥، ٢٩٦، ٣١٣

معاوية بن سفيان: ٢١، ٢٦، ٣٢،  
٥٢، ٦٦، ٧٤، ٨١، ٨٢،  
٨٧-٨٩، ٩١، ٩٤، ١٠٠،  
١١٩-١٣٠، ١٩٨، ٢١٧،  
٢٤٩، ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٨٨،  
٢٩٠

معاوية الثاني (ابن يزيد): ١٣٠

معاوية بن حديج: ٨٢، ١١٧، ١٢٢،  
١٢٣، ١٢٥-١٢٨

المتصم: ٢٣-٣٥، ٧٤، ١٥٧،  
١٧٨، ١٧٩، ٢٣٧، ٢٣٩،  
٢٥٥-٢٥٨، ٢٩٧، ٣٥٢

المغرب: ١٥، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٨١،  
٨٣، ١١٦، ١١٧، ١٥٣،  
١٥٤، ٣٠١، ٣٠٢، ٣١٢،  
٣٢٨، ٣٢٩

المغيرة بن شعبة: ٩

محمد بن أبي الليث: ١٧٩، ١٨٠،  
٣٢٧

محمد بن الأشعث: ٦٢، ٦٣،  
محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية):  
١٥١، ١٥٢، ٣٠٥

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: ٣٢٥،  
٣٢٧

محمد بن مسروق الكندي: ٩٩، ١٠٧،  
الحنة (بخلق القرآن): ١٧٧-١٨١،  
٣٢٧

المدينة المنورة: ٩، ٣٦، ٥٢، ١٠٦،  
١١٣، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢،  
١٢٣، ١٥١، ١٥٨، ٣٠٤،  
٣٢١

مذاهب: ١٠٥، ١٠٦، ٣٢٠-٣٢٨،  
صرو: ١٥٩

مروان بن الحكم: ١١٩، ١٣٠،  
١٣٣، ٢٤٩، ٢٧٤، ٢٨٥،  
٣١٦

مروان بن محمد: ٧٧، ٧٩، ١٣٦،  
١٤٨، ٢٠٢، ٢٣٥، ٢٥٢،  
٢٧٦، ٢٨٥، ٢٩٧

مزايم بن خافان: ٢٥، ١٥٧،  
مسألة: ١٥٠

مسلمة بن مخلد: ٣٧، ٣٣، ٨٢، ٨٥،  
١٠١، ١١٨، ١٢٥، ١٩٢،  
٢٠٩، ٢٧٥، ٣١٤

المناة: ١٢٨

المسيحية والمسيحيون: ٣-٦، ١٤،  
١٨٣، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٧،  
٢٠٠، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٣٦،  
٣١٢، ٣٤٠، ٣٤٩، ٣٥٠



نفيسة (السيدة) : ١٥٤ ، ١٥٥  
النقود (السكر) : ٣٥ ، ٦٥ ، ٦٩ ،  
٢٩٧ ، ٢٩٦  
النوبة : ١٥ - ١٨ ، ٢٣ ، ٨٠ ، ١١٦  
النيل (جسور) : ٢٦٧ ، ٢٦٨  
النيل (مقاييس) : ٢٦٨ ، ٢٦٩

(هـ)

المهادى : ١٥١ ، ١٥٣ ، ٢٠٩  
هاشم بن أبي بكر البكرى : ٢٥٦ ، ٢٥٧  
هرثمة بن أعين : ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢٥٤  
هرثمة بن النضر الجليل : ١٨٠  
هرقل ٦ ، ١٢ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٩٩  
هرون الرشيد : ٣٤ ، ٣٥ ، ٦٤ ، ١٠١ ،  
١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،  
١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢١١ -  
٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢١٤ ، ٢٥٥ ،  
٢٨٩ - ٢٩١ ، ٣٠٦ ، ٣٣٦  
هرون بن عبد الزهرى : ١٧٨ ، ١٧٩  
هشام بن عبد الملك : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ،  
٧٤ ، ٨٦ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ،  
١٣٧ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٣٢ -  
٢٣٤ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٧١

(و)

الواثق : ٣٦ ، ١٧٨ - ١٨٠ ، ٢٣٩ ،  
٣٢٧  
واضح بن عبادة المنصورى : ١٥٤

الغيرة بن عبد الملك الفزارى : ١٤١  
الفضل بن فضالة : ١٠١ ، ١٠٧ ، ٢٠٩ ،  
٢١٠

الفوقس : (انظر قيرس)

مكة : ٣٦ ، ٦٦ ، ١٥١ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ،  
٣٠٩ ، ٣٠٤

مكتبة الاسكندرية (حريق) : ٣٣٠ -  
٣٣٥

المكس والمكوس : ٥٥ - ٥٧

ملكانيين : ١٨٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧

المنصور (ابن الخليفة المتوكل) : ١٥٥ ،  
١٥٦

المنصور (الخليفة العباسى) : ٢٧ ، ٣٢ ،  
٥٢ ، ٦٢ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٥١ ،  
١٥٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٥

منية الأصبح : ٥٣

المهاجر بن أبي المثنى التجيبى : ١٣٥

المهدى (الخليفة العباسى) : ١٠٢ ، ١٤٩ ،

١٥٢ ، ١٥٤ ، ٢٥٤ ، ٢٨٨ ،

٢٩٠ ، ٢٢٦ ، ٢٤٣

موسى بن علي بن رباح : ٢٣٦

موسى بن عيسى : ١٩٣

موسى بن مصعب الختمى : ٥٨ ، ١٤٩ ،  
٢٥٤ ، ٣٤٣

موسى بن نصير : ٣٢ ، ٨٤

(ز)

نسج : ٢٧٩ ، ٢٩١ ، ٣٤١ ، ٣٤٤

- |  |  |
|--|--|
| يزيد بن عبد الله التركي : ٣٣ ، ١٥٥ -<br>٢٠٢ ، ١٥٧  | وزدان : ١٨ ، ٢١ ، ٨٥<br>ورق : ٢٩١ - ٢٩٣  |
| يزيد بن عبد الملك : ٧٤ ، ٧٦ ، ٢٠١ ،<br>٢٣٢ ، ٢٠٢   | وقف : ٤٨ ، ٧٩ ، ١٠٨<br>الوليد بن رفاعه : ٢٢ ، ١٠٠ ، ٢٣٤ ،<br>٢٥٠ ، ٢٤٩                       |
| يزيد بن مسروق الحضرمي : ١٤٠<br>يزيد بن معاوية : ٥٢ ، ٨٣ ، ١٣٠ ،<br>١٩٧ ، ١٣١               | الوليد بن عبد الملك : ٢٩ ، ٨١ ، ٨٤ ،<br>٨٥ ، ٩١ ، ١٣٤ ، ٢٠٠ ، ٢٢٤ ،<br>٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩       |
| صافية : ( انظر ارتودكس )<br>العين : ١٣٠ ، ١٥٣ ، ٣٠٢  | الوليد بن يزيد بن عبد الملك : ١٣٧  |
| الينبة ( اليمانية ، اليمينوت ) : ١٣٧ -<br>١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ،<br>٢٧٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٣ ، ٢٤٩ | ( ي )  |
| اليهود : ١٤ ، ٢٤ ، ١٦٩ ، ١٨٤ ،<br>٢٤٢ ، ٣٠٢ ، ٢٧٧ ، ٢١٠                                    | يزيد بن حاتم : ٣٢ ، ١٥٢ ، ٢٣٦<br>يزيد بن حبيب : ٣١٧ ، ٣١٨<br>يزيد بن خطاب الكلبي : ١٦٤ ، ١٦٥ |
| يوسف يحيى البويطي : ١٨٠ ، ٣٢٧  |  |

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٤/٨٧٣٠

I.S.B.N 977-01-4111-9

## صدر فى هذه السلسلة

- ١ - مصطفى كامل فى محكمة التاريخ  
د . عبد العظيم رمضان
- ٢ - على ماهر  
إعداد : رشوان محمود جاب الله
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة  
إعداد : عبد السلام عبد الحليم عامر
- ٤ - التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة  
د . محمد نعمان جلال
- ٥ - غارات أوروبا على الشواطئ المصرية فى العصور الوسطى  
عليه عبد السميع
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر جا  
لمعى المطيعى
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي  
د . عبد المنعم ماجد
- ٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية  
د . على بركات
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل  
د . محمد أنيس

- ١٠ - توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية  
محمود فوزى
- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية  
شكرى القاضى
- ١٢ - هدى شعراوى وعصر التنوير  
د . نبيل راغب
- ١٤ - مصر فى عصر الولاية  
د . سيدة إسماعيل كاشف
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الإسلامى  
د . على حسنى الخربوطلى
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر  
د . حلمى أحمد شلبى
- ١٧ - القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى  
د . محمد نور فرحات
- ١٨ - الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية  
د . على السيد محمود
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين  
د . أحمد محمود صابون
- ٢٠ - المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى  
د . محمد أنيس
- ٢١ - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى ج١  
توفيق الطويل
- ٢٢ - نظرات فى تاريخ مصر  
جمال بدوى

٢٣ - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى ج٢

توفيق الطويل

٢٤ - الصحافة الوفدية

د . نجوى كامل

٢٥ - المجتمع الإسلامى والغرب

تأليف: هاملتون جب وهارولد بووين

ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى

٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة

د . سعيد إسماعيل على

٢٧ - فتح العرب لمصر ج١

تأليف : ألفرد بتلر

ترجمة : محمد فريد أبو حديد

٢٨ - فتح العرب لمصر ج٢

تأليف : ألفرد بتلر

ترجمة : محمد فريد أبو حديد

٢٩ - مصر فى عهد الاخشيديين

د . سيدة إسماعيل كاشف

٣٠ - الموظفون فى مصر فى عهد محمد على

د . حلمى أحمد شلبى

٣١ - خمسون شخصية وشخصية

شكرى القاضى

٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج٢

لمعى المطيعى

- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الأفريقي  
د . خالد الكومي
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية  
د . يونان لبيب رزق
- ٣٥ - اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة  
عبدالحميد توفيق زكى
- ٣٦ - المجتمع الإسلامى والغرب ج ٢  
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين  
ترجمة : د . أحمد عبدالرحيم مصطفى
- ٣٧ - الشيخ على يوسف  
تأليف : د . سليمان صالح
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى  
د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم
- ٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان  
د . جميل عبيد
- ٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب ١٩٤٨  
د . عبدالمنعم الدسوقي الجميى
- ٤١ - محمد فريد الموقف والمأساة  
د . رفعت السعيد
- ٤٢ - تكوين مصر عبر العصور  
محمد شفيق غريال
- رحلة فى عقول مصرية  
إبراهيم عبد العزيز

- ٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني  
د . محمد عفيفي
- ٤٥ - الحروب الصليبية ج ١  
تأليف : وليم الصوري  
ترجمة : د . حسن حبشي
- ٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٦ : ١٩٥٧  
د . عبدالرؤف أحمد عمرو
- ٤٧ - تاريخ القضاء المصري الحديث  
د . لطيفة محمد سالم
- ٤٨ - الفلاح المصري  
د . زبيدة عطا
- ٤٩ - العلاقات المصرية الإسرائيلية  
د . عبد العظيم رمضان
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية  
د . سهير اسكندر
- ٥١ - تاريخ المدارس في مصر الإسلامية  
اعداد : د . عبد العظيم رمضان
- ٥٢ - مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر  
تأليف : د . إلهام محمد على ذهني
- ٥٣ - أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك  
د . محمد كمال الدين عز الدين على
- ٥٤ - الأقباط في مصر في العصر العثماني  
د . محمد عفيفي

- ٥٥ - الحروب الصليبية ج-٢  
تأليف : وليم الصورى  
ترجمة وتحقيق : د . حسن حبشى
- ٥٦ - المجتمع الريفى فى عصر محمد على  
د . حلمى أحمد شلبى
- ٥٧ - مصر الإسلامية وأهل الذمة  
د . سيدة إسماعيل كاشف
- ٥٨ - أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة  
د . إبراهيم عبدالله المسلمى
- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية فى مصر  
د . عبد السلام عبدالحليم عامر
- ٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية  
عبد الحميد توفيق زكى
- ٦١ - تاريخ الاسكندرية  
د . عبد العظيم رمضان
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج-٣  
لمعى المطيعى
- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور  
إعداد : د . عبد العظيم رمضان
- ٦٤ - مصر وحقوق الإنسان  
د . محمد نعمان جلال
- ٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية  
د . سهام نصار



- ٦٦- المرأة في مصر في العصر الفاطمي  
د . نريمان عبد الكريم أحمد
- ٦٧- الأصول التاريخية لمساعي السلام العربية الإسرائيلية  
د . عبد العظيم رمضان
- ٦٨- الحروب الصليبية ج٣  
تأليف : وليم الصورى  
ترجمة وتحقيق : د . حسن حبشى
- ٦٩- نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية  
د . محمد أبو الأسعاد
- ٧٠- أهل الذمة في الإسلام  
تأليف : أ.س. تريتون  
ترجمة : د. حسن حبشى
- ٧١- مذكرات اللورد كليرن  
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو
- ٧٢- رؤية الرحالة المسلمين لأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي  
د . أمينة أحمد إمام الشوريجي
- ٧٣- تاريخ جامعة القاهرة  
د. رؤوف عباس حامد
- ٧٤- تاريخ الطب والصيدلة  
د . يحيى سمير الجمال
- ٧٥- أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول  
د . سلام شافعي محمود
- ٧٦- دور التعليم في مصر  
د . سعيد إسماعيل على

- ٧٧- الحروب الصليبية ج٤  
تأليف : وليم الصورى  
ترجمة : د . حسن حبشى
- ٧٨- تاريخ الصحافة السكندرية  
نعمات أحمد عثمان
- ٧٩- تاريخ الطرق الصوفية فى مصر فى القرن التاسع عشر  
تأليف : فريد يونج  
ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال
- ٨٠- قناة السويس والتنافس الاستعماري  
د . السيد حسين جلال
- ٨١- تاريخ السياسة والصحافة من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر  
د . رمزى ميخائيل
- ٨٢- مصر فى فجر الإسلام  
د . سيدة إسماعيل كاشف
- ٨٣- مذكراتى فى نصف قرن ج١  
أحمد شفيق باشا
- ٨٤- مذكراتى فى نصف قرن ج٢ - القسم الأول  
أحمد شفيق باشا



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)  
*Belethian Bibliotheca*



يتناول هذا الكتاب الهام تاريخ مصر في فجر الإسلام، فيتعرض لنظام الحكم والملكية المقاربية، ونظام جباية الضرائب، والنظام الحرى. ويتناول موقف مصر من الحركات السياسية والدينية التى ظهرت فى الخلافة، وموقف مصر من محنة خلق القرآن، كما يتناول إنتشار الإسلام والتعريب، وحضارة مصر الزراعية والصناعية والتجارية، والحركة العلمية والدينية.

وقد رجعت فيه الأستاذة الدكتورة سيدة كاشف إلى أوثق المصادر والمراجع، مما يجعل هذا الكتاب مرجعاً لا غنى عنه للباحث المتخصص والمثقف.